

عرجی زیدان

تألیف آداب اللغة العربیة

الجزء الأول





تاريخ آداب اللغة العربية

تأليف

جرجي زيدان

منشأة الهلال

الجزء الأول

يشتمل على تاريخ آداب اللغة العربية في
عصر الجاهلية وصدر الإسلام والعصر الأموي

طبعة جديدة راجعها وعلق عليها

الكتور شوقي ضيف

أستاذ الأدب العربي بكلية الآداب
بجامعة القاهرة

دار الهلال

تقديم

بقلم الدكتور شوقي ضيف

ليس بين المشتغلين بالادب العربي وتاريخه من ينكر الجهود الخصبة التي نهض بها الاستاذ جرجي زيدان في العشرة الثانية من هذا القرن . فقد درس آدابنا في عصورها المختلفة درسا منظما ، لم يكتف فيه بقراءة آثارها ونصوصها العربية ، بل مد بصره الى ما كتب عن هذه النصوص والآثار في بيئات المستشرقين ، يسنده في ذلك حذق باللغات الفرنسية والالمانية والانجليزية ، فلم يترك للقوم مصنفا مهما في عصره الا طلبه ، ولا مجلة علمية الا وقف عليها وأفاد منها أكبر الفائدة واستغلها خير ما يكون الاستغلال ..

وكان من أهم ما استغله وانتفع به كتاب تاريخ الاداب العربية لبروكلمن ، وسمى في غير صحيفة من كتابه المؤلفات الغربية التي رجع اليها وعول عليها . كما سمي بعض المجلات العلمية وخاصة مجلات الجمعيات الاسيوية . وتمثل ذلك كله وحوله الى هذه المادة الغزيرة القيمة التي يتضمنها كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » بأجزائه الاربعة الجامعة ، وهي اجزاء أحكم ترتيب أبوابها وتنسيق فصولها ..

ولا تكاد تلم بهذه الاجزاء حتى ترى المؤلف يأخذ نفسه بأساليب البحث الحديث .. فهو يدرس العلل والأسباب السياسية والاجتماعية التي أثرت في آدابنا على مر الاحقاب والعصور ، وهو يفرد فصولا طوالا لحياتنا العقلية بجميع فروعها العلمية ، ليتبين اصداؤها في الحياة الادبية ، فالادب الخالص لبس شعبة منقطعة عن شعب الحياة والفكر في الامة ، بل هو فاعل فيها ومنفعل بها ، لا يتم تاريخه ولا تصوره بدونها . ويتسع بصر المؤلف في الدراسة ، فيعرض من حين الى حين للاداب الغربية ، وخاصة الاداب اليونانية ، مؤمنا بأن دنيا الاداب جميعا واحدة واحكامها العصامة واحدة ، لانها تستقى من موارد واحدة ، هي الحياة الانسانية بكل ما اختلف عليها من صروف

على هذه الشاكلة مضى جرجى زيدان يدرس آدابنا العربية على نهج
 مسديد ، واكبر الظن ان ذلك هو السبب في احتفاظ كتابه - منذ صدوره
 الى اليوم - بقيمته العلمية . ولكن هل وقف تاريخ آداب لغتنا عند هذه
 الصورة التي رسمها المؤلف ، فلم يتغير ولم يتطور ؟ الحق انه تغير وتطور ،
 كما يتغير ويتطور كل تاريخ بفضل ما يستكشفه المنقبون والباحثون ، وان
 ما استكشف فيه منذ العقد الثاني من هذا القرن ، وهو تاريخ تأليف هذا
 الكتاب ، اكثر من أن ندل عليه ، فقد ظل المستشرقون يقومون بجهودهم
 واستكشافاتهم فيه ، وانضمت اليهم اجيال من شبابنا الذين تخرجوا في
 الجامعات المصرية وغير المصرية مسلحين بأدوات العلم الحديث ، فنقبوا
 فيه واستكشفوا كثيرا من مجاهله ، وأكبوا على نشر دواوينه ومصنفاته التي
 لم تكن قد عرفت ، وبالتالي لم تكن قد خضعت للبحث والدراسة واستنباط
 الحقائق الادبية



وأنت اليوم أينما وليت وجهك في مكتبتنا العربية وجدت إبحاثا وآثارا
 لا عهد لنا بها من قبل ، وهي تارة تختص بشاعر من الشعراء أو كاتب من
 الكتاب أو عصر من العصور أو اقليم من الاقاليم العربية ، وتارة تتسع
 فتضم غير شاعر وكاتب وعصر واقليم ثم هي تارة تؤرخ وتصف ، وتارة
 تنقد وتضع المذهب أو المذاهب الفنية في الشعر والنثر ، غير ما بعثناه
 ونشرناه من نصوص وآثار ادبية كثيرة لا تكاد تحصى

وليس معنى ذلك أن « تاريخ اداب اللغة العربية » لجرجى زيدان استنفد
 اغراضه ، وانما معناه انه اصبح في حاجة الى ان يعيد باحث النظر فيه وفي
 فصوله ، ويلحق به ما جد على هذا التاريخ من تطور وتغير ، بحيث تتم
 الفائدة منه ويكمل النفع به . وهذا هو الذي دفعني مخلصا الى كتابة بعض
 تعليقات وحواش عليه تستكمل معانيه الادبية والتاريخية والاسلامية وتؤديها
 على حقوقها ووجوهها ، مع تصحيح بعض أفكاره والفاظه وضبط أشعاره

والفضل في هذا الصنيع يرجع الى السيدين اميل وشكري زيدان ، فقد
 ألحا علي في القيام بهذا العمل خدمة للمتوفرين على دراسة الادب ووفاء منهما
 لذكرى والدهما وبراً به وبآثاره . واستجبت لهما خدمة للعلم وتحقيقا
 لما كان يصبو اليه الباحثون من اخراج هذا الكتاب في طبعة جديدة
 منقحة ..

والله الهادي الى سواء السبيل

شوقي ضيف

مقدمة المؤلف

تاريخ التأليف في هذا الموضوع

لم يكن تاريخ آداب اللغة معروفا عند الافرنج قبل نهضتهم الاخيرة في التمدن الحديث . وما لبثوا حين تنبهوا له أن ألفوا فيه ، واصبحوا وما من لغة من لغاتهم الا وفيها كتاب أو غير كتاب في تاريخ آدابها . ولما استشرقوا أخذوا في درس اللغة العربية ، وكتبوا في تاريخ آدابها غير كتاب سيأتي ذكره .

أما العرب فالمشهور أنهم لم يؤلفوا في تاريخ آداب لسانهم ، والحقيقة أنهم سبق الامم الى التأليف في هذا الموضوع مثل سبقهم في غيره من الموضوعات . فان في تراجم الرجال كثيرا من هذا التاريخ لأنهم يشفعون الترجمة بما خلفه المترجم من الكتب ، ويبينون موضوعاتها ، وقد يصفونها . وأول كتاب خصصوه للبحث في المؤلفين والمؤلفات « كتاب الفهرست » لابن النديم (سنة ٣٧٧ هـ) وهو يشتمل على آداب اللغة العربية من أول عهدها الى ذلك العصر مرتبة حسب الموضوعات . ولم يقتصر ذلك الكتاب على آداب العرب الاصلية ، ولكنه تضمن ما أحدثوه من العلوم الاسلامية واللسانية أو ما نقلوه عن اللغات الاخرى بالتفصيل مع تراجم المؤلفين والمترجمين والشعراء والادباء . ولولاه لضاع اسماء كثير من الكتب النفيسة ، ولاعوزنا تراجم كثيرين من الادباء والشعراء والعلماء . فهو ذخيرة أدب وعلم ، وقد طبع في ليبسك سنة ١٨٧٢ ، ثم طبع في مصر

ولم يظهر بعده كتاب يستحق الذكر قبل كتاب « مفتاح السعادة ومصباح السيادة » ويعرف بموضوعات العلوم لطاشكبرى زاده المتوفى سنة ٩٦٨ هـ رتبه حسب الموضوعات ايضا ، وذكر فيه ١٥٠ فنا ومنه نسخة خطية في دار الكتب المصرية

يليه كتاب « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » لملا كاتب جليبي المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ ، وهو معجم مرتب على الابجدية حسب اسماء الكتب . وبلغ ما حواه منها نحو ١٥٠٠٠ كتاب مع اسماء اصحابها ووفياتهم وتواريخ اهم العلوم . وقد طبع عدة طبعات ، اهمها طبعة ليبسك ولندن (سنة ١٨٣٥-١٨٥٨) في سبعة مجلدات ، معها ملحق فيه ذيل أحمد منيف زاده .

وفهارس مكاتب دمشق وحلب ورودرس والمغرب وفهرس السيوطى وابن خليفة الاندلسى وبعض مكاتب الاستانة . وله طبعات اخرى فى الاستانة ومصر . . .

وأخيرا كتاب « أبجد العلوم » لصديق القنوجى من أهل هذا العصر، وهو كتاب ضخيم عول فيه صاحبه على من تقدمه ورتبه على الموضوعات . وقد طبع على الحجر فى الهند سنة ١٢٩٦ هـ فى ثلاثة مجلدات كبيرة

على أن هذه الكتب وأمثالها تعد من المآخذ الاساسية لدرس آداب اللغة . ولكنها لا يصح أن تسمى تاريخا لها بالمعنى المراد بالتاريخ اليوم . ولم يتصد احد للتأليف فى تاريخها على النمط الحديث قبل الافرنج المستشرقين، فهم أول من كتب فيه من أواسط القرن الماضى ، لكنهم لم يوفوه حقه الا فى أول هذا القرن . وسنأتى على أسماء مؤلفاتهم فيما يلى

أما فى العربية ، فلعلنا أول من فعل ذلك . ونحن أول من سمي هذا العلم بهذا الاسم « تاريخ آداب اللغة العربية » فنشرنا منه فصولا صدر أولها سنة ١٨٩٤ فى عدد الهلال التاسع من السنة الثانية ، وآخرها فى أواخر السنة الثالثة . وقد انتهينا فيه الى تاريخ أديبا فى عصر الانحطاط ، ثم شغلنا عن اتمامه ووعدنا القراء بالعود الى هذا الموضوع ، على أن نفرد له كتابا خاصا مع التوسع والتدقيق . . . فقضينا بضع عشرة سنة ونحن لا تقع لنا شاردة الا قيدها وملاحظة الا حفظناها وتدبرناها ، والقراء يطالبوننا به . . . فأعلنا أخيرا عزمنا على القيام بوعدها وما نحن فاعلون

الفرض من هذا الكتاب

نعنى بتاريخ آداب اللغة العربية تاريخ ما تحويه من العلوم والآداب ، وما تقلبت عليه فى العصور المختلفة ، أو هو تاريخ ثمار عقول ابنائها ونتائج قرائحهم . وهاك أهم اغراضنا منه :

- ١ - بيان منزلة العرب بين سائر الأمم الراقية من حيث الرقى الاجتماعى والعقلى . . .
- ٢ - تاريخ ما تقلبت عليه عقولهم وقرائحهم ، وما كان من تأثير الانقلابات السياسية على آدابهم باختلاف الدول والعصور
- ٣ - تاريخ كل علم من علومهم على اختلاف ادواره من تكونه ونشوئه الى نموه ونضجه وتشعبه وانحلاله حسب العصور والادوار
- ٤ - تراجم رجال العلم والآداب مع الإشارة الى المآخذ التى يمكن الرجوع اليها لمن يريد التوسع فى تلك التراجم
- ٥ - وصف الكتب التى ظهرت فى العربية باعتبار موضوعاتها ، وكيف تسلسلت بعضها من بعض ، وبيان مميزاتها من حيث حاجة القراء اليها ووجه الاستفادة منها
- ٦ - لا نهتم من هذه الكتب الا بما لا يزال باقيا منها ، ويمكن الحصول عليه . . . فاذا كان مطبوعا ذكرنا محل طبعه وسنته ، واذا كان لم يطبع اشرنا

الى المكاتب الكبرى التى يوجد فيها - نعى المكاتب الدولية فى أوربا أو غيرها، كالمكتبة الملكية فى برلين ، ومكتبة المتحف البريطانى فى لندن ، والمكتبة الاهلية فى باريس ، والمكاتب الدولية فى فينا وغطا وأكسفورد ومنشن وليدن وغيرها ، ودار الكتب المصرية فى القاهرة ، ومكاتب أيا صوفيا وكوبرلى وبايزيد أو غيرها فى الاستانة .. حتى اذا أراد أحد الوقوف على شىء من الاصول الخطية ، طلبها فى فهارس تلك المكاتب

وبالجملة فان غرضنا الرئيسى ان يكون لهذا الكتاب فائدة عملية فضلا عن الفائدة النظرية ، بحيث يسهل على طلاب المطالعة معرفة الكتب الموجودة ومحل وجودها وموضوع كل منها وقيمتها بالنسبة الى سواء من نوعه .. فهو أشبه بدائرة معارف تشتمل تاريخ قرائح الامة العربية وعقولها وتراجم علمائها وادبائها وشعرائها ومن عاصرهم من كبار الرجال ، ووصف المؤلفات العربية على اختلاف موضوعاتها . ومتى تم الكتاب الحقناه بفهرس ابجدى للاعلام والموضوعات ، فيصير معجما للعلم والعلماء والادب والادباء والشعر والشعراء، ولما جادت به قرائحهم من التصانيف او المنظومات ووصف كل منها ومحل طبعه أو وجوده ..

تقسيم الموضوع وأبوابه

ترددنا كثيرا فى الخطة التى نتخذها فى تقسيم هذا الكتاب ، بين أن نقسمه حسب العلوم أو حسب العصور .. ومعنى قسمته حسب العلوم ان نستوفى الكلام فى كل علم على حدة من نشأته الى الآن ، على أن نبدأ بأقدمها فنذكر تاريخ الشعر مثلا وتراجم الشعراء وما تقلب على الشعر من أول عهده الى الآن . ونفعل مثل ذلك بالخطابة وغيرها من آداب الجاهلية ، وهكذا فى العلوم الاسلامية كالفقه والتفسير والنحو واللغة ، والتاريخ والجغرافية وغيرها . أما قسمته حسب العصور فيراد بها الكلام من أحوال العلوم معاً فى كل عصر على حدة ، وهذا الذى اخترناه .. فقسمناه هذا الكتاب الى تاريخ آداب اللغة العربية قبل الاسلام وتاريخها بعده ، وقسمناها فى الاسلام الى عصور حسب الانقلابات السياسية لبيان ما يكون من تأثير تلك الانقلابات فيها .. فبدأنا بعصر صدر الاسلام ، فالعصر الاموى ، فالعباسى ، فالغوى، فالعتمانى ، فالعصر الحديث ، وقسمنا كلا منها الى ادوار حسب الاقتضاء . وسيتضمن هذا الكتاب أربعة أجزاء ، هذا أولها

موضوع هذا الجزء

يشتمل هذا الجزء على تاريخ آداب اللغة فى العصر الجاهلى ، وفى عصر صدر الاسلام ، والعصر الاموى .. أى من أول عهدها الى سنة ١٣٢ هـ ، فبدأنا بمقدمات تمهيدية فى : ما هو المراد بآداب اللغة ، ومن هم أسبق الأمم الى العلم ، وما هى مصادر آداب اللغة على الاجمال . وأتينا بآداب اللغة اليونانية على سبيل المثال .. ثم عمدنا الى آداب العرب قبل الاسلام، فقسمناه الى الجاهلية الاولى القديمة ، والجاهلية الثانية فى القرنين

الآخرين قبل الهجرة . وصدرنا الكلام بفصول في الفرق بين لغة الجاهليتين ، ودرجة ارتقاء عقول العرب ، والمرأة في الجاهلية . وتقدمنا الى الآداب الجاهلية فقسمنها الى :

١ - الآداب العربية ، ويدخل فيها اللغة والشعر والخطابة والامثال والنسب ومجالس الأدب والاخبار ونحوها

٢ - العلوم الطبيعية ، وتحتها الطب والبيطرة والخيول ومهاب الرياح

٣ - العلوم الرياضية ، أردنا بها الفلك والميثولوجيا والتوقيت

٤ - ما وراء الطبيعة ، ويدخل فيها الكهانة والعيافة والقيافة وتعبير الرؤيا والزجر وغير ذلك ..

واخذنا في الكلام عن كل علم على حدة ، فبدأنا باللغة .. فذكرنا تاريخها قبل الاسلام ، وما دخلها من الالفاظ الاعجمية ، وكيف كانت لما جاء الاسلام ، وفروعها ومميزاتها عن سائر اللغات .. ثم الامثال وأنواعها وما ألف فيها . وانتقلنا الى الشعر ، وهو أهم تلك الآداب .. فأفضنا في درسه ، وبحثنا في أصل عند العرب شعر تمثيلي ، وكيف بدأ العرب ينظمون ، وما هو أصل وذلك الشعر عندهم وأسباب نهضة الشعر في الجاهلية ، وأهمها استقلال عرب الحجاز من اليمن وحروبهم فيما بينهم . وبيننا عدد الشعراء بالنظر الى القبائل ، وبالنظر الى الاقاليم ، وتأثير الاقليم في قرائحهم ، ثم عقدنا فصلا في خصائص الشعر الجاهلي وأحوال شعرائه . وتسهيلا لدرسهم وتفهمهم ، قسمناهم حسب أغراضهم الى : أصحاب المعلقة ، والشعراء الامراء ، والشعراء الفرسان ، والشعراء الحكماء ، والشعراء العشاق ، والصعاليك ، واليهود ، والنساء الشواعر ، والشعراء الهجائيين ، ووصاف الخيل ، والموالى ، وسائر الشعراء . وذكرنا مميزات كل طبقة ، وأشهر شعرائها ، وتراجم وأمثلة من أقوالهم وما صارت اليه دواوينهم ، والمآخذ التي يرجع اليها في معرفة أخبارهم .. ثم تقدمنا للكلام على سائر علوم الجاهلية ..

وفي عصر صدر الاسلام ، بدأنا بذكر التغير الذي أحدثه الاسلام في نفوس العرب ، وما كان من تأثير ذلك في آدابهم ولا سيما الشعر والخطابة .. ثم كتبنا فصلا في الشعر والرسول ، وآخر في الشعر والخلفاء الراشدين وما حدث من العلوم في هذا العصر مع تاريخ الخط

وقدمنا الكلام في العصر الاموي بمميزات ذلك العصر ، وما اقتضته سياسة بني أمية من التفريق بين القبائل واصطناع الاحزاب وتأثير ذلك في آدابهم .. فبدأنا بالعلوم الشرعية كالقراءة والتفسير والحديث والفقه مع تمهيد في البصرة والكوفة . ثم العلوم اللسانية : النحو والحركات والاعجام ثم التاريخ والجغرافيا . ورجعنا الى ما صارت اليه آداب الجاهلية في ذلك العصر وهي اللغة والشعر والخطابة ، وتكلمنا عن أسباب رواج الشعر ومميزاته . وقسمنا هذا العصر الى ثلاثة أدوار . وقسمنا شعراءه الى شعراء السياسة وشعراء الفزل والشعراء الخلفاء والسكربين والشعراء الادباء . وقدمنا الكلام في فحول ذلك العصر . وقسمنا شعراء السياسة

الى أحزاب أهمها : أنصار بنى أمية وأنصار آل المهلب وأنصار العلويين والخوارج وغيرهم . واثينا بتراجم الشعراء من كل طبقة وامثلة من اقوالهم حسب أغراضهم وأدوارهم ، مع ذكر دواوينهم وماخذ اخبارهم . وختمنا الجزء بفصول في قرائح الشعراء وشياطينهم والقراءة فيهم . وأخيرا تحدثنا في الخطابة والخطباء ، والانشاء ، وبه تم العصر الاموى وهو آخر الجزء الاول . .

الكتب التى عولنا عليها

يطول بنا ذكر الكتب التى اطلعنا عليها قبل تأليف هذا الكتاب . وهى على الاجمال كتب التاريخ والأدب واللغة والشعر . وقد ذكرنا جانبها كبيرا منها بين ماخذ تاريخ التمدن الاسلامى وتاريخ العرب قبل الاسلام . واثينا بثبت آخر فى خاتمة باب الشعر الجاهلى من هذا الكتاب ، فنكتفى هنا بذكر الكتب التى هى من قبيل تاريخ آداب اللغة فى العربية وفى الافرنجية، مما لم يرد ذكره فى ذلك الثبت واليك أهمها (※) :

١ - الكتب العربية

الفهرست	لابن النديم	طبع فى ليبسك سنة ١٨٧٢
مفتاح السعادة	لطاشكبرى زاده	خط فى دار الكتب المصرية
كتف الظنون ٣ أجزاء	لذاتب جلبى	طبع فى ليبسك سنة ١٨٥٨
أبجد العلوم ٣ أجزاء	لصديق القوجى	طبع فى الهند سنة ١٢٩٦ هـ
مقدمة ابن خلدون	ابن خلدون	طبع فى بولاق سنة ١٢٨٤ هـ
طبقات الادباء	للانبلرى	طبع مصر سنة ١٢٩٤ هـ
طبقات الاطباء جزآن	لابن ابى أصيبعة	طبع مصر سنة ١٨٨٢
وفيات الاعيان ٣ أجزاء	لابن خلكان	طبع مصر سنة ١٣١٠ هـ
فوات الوفيات جزآن	لابن شاعر	طبع مصر سنة ١٢٨٢ هـ
الزهر - جزآن	للسيوطى	طبع بولاق سنة ١٢٨٢ هـ
اكتفاء القنوع	لادوارد فنديك	طبع مصر سنة ١٨٩٧

٢ - الكتب الفرنسية

Loliée, Hist. des littératures comparées des origines au XXe siècle	Paris	1900
Deltour, Hist. de la littérature grecque	„	1896
Bouchot, Précis de la littérature ancienne	„	1874
Prrrens, Hist. de la littérature italienne	„	1867

(※) نشرت مخطوطات عربية كثيرة بعد تأليف هذا الكتاب سنة ١٩١١ ، وهى تعد من الامهات والاصول فى تفسير حياة العرب وأدبائهم وعلمائهم وفلاسفتهم على مر العصور . وسنشير الى طائفة منها فى تعليقاتنا ، وكذلك نشرت ابحاث كثيرة للمستشرقين ، وسنذكر أطرافا منها فى التعليقات والحواشى . ومما يلاحظ أيضا أن كثيرا من كتب المستشرقين التى ذكرها فيما بعد ترجمه بعض المعاصرين ، ومنها ما أعيد طبعه ، ومنها ما أضيف اليه تعليقات واضافات جديدة

Baret, Hist. de la littérature espagnole	Paris	1863
Jusserand, Hist. abr. de la littérature anglaise	„	1896
Duval, La littérature syriacque	„	1907
Seignobos, Hist. de la civilisation, 3 Vol.	„	1905
Sédillot, Hist. gen. des arabes, leur civil, etc.	„	1877
Huart, Littérature arabe	„	1902
Dozy, Recherches sur l'histoire et lit. de l'Espagne 2 Vol.	„	1881
Brunetière, Hist. de la littérature française	„	1900
Le Bon, La civilisation des arabes	„	1884

٢ - الكتب الإنجليزية

Browne, A literary hist. of Persia, 2 Vol.	London	1900
Margoliouth, Mohammed and the rise of Islam	„	1905
De Boer, The hist. of philos. in Islam	„	1903
Scott, Hist. of Moorish Empire in Europe, 3 Vol.	New York	1904
Nicholson, A literary hist. of the Arabs	London	1907
Frazer, A literary hist. of India	„	1892

٣ - الكتب الألمانية

Hammer-Puégstall Litteraturgeschichte der Araber bis zum Ende des 12 Jahrhundert der Hidschret, 7 Vol.	Vienna	1856
Wuestenfeld, Geschichtschreiber der Araber und ihre Werke,	Gothingen	1882
Goldziher, Muhammedanische Studien.	Halle	1890
Diercks, Die Araber im Mittelalter und ihr Einfluss auf die Cultur Europa's.	Leipzig	1882
Schak, Poesie und Kunst der Araber in Spanien	Stuttgart	1877
Brockelmann, Geschichte der Arabischen Lit. 2 Vol.	Weimar	1902

مقدمات تمهيدية

١ - ما هو المراد بآداب اللغة ؟

آداب اللغة علومها .. والمراد بتاريخ آداب اللغة (*) تاريخ علومها أو تاريخ ثمار عقول أبنائها ونتائج قرائحهم ، فهو تاريخ الامة من الوجهة الادبية والعلمية . ولكل امة تاريخ عام يشمل النظر في كل احوالها ، ويتفرع الى تاريخ سياسى وآخر اقتصادى وآخر أدبى أو علمى . فالتاريخ السياسى يبحث فيما مر على الامة من الفتوح والحروب ، وما توالى عليها من الدول وأنواع الحكومات ونحو ذلك . والتاريخ الاجتماعى يبين الادوار التى تقلبت فيها تلك الامة من حيث عاداتها وأخلاقها . والتاريخ الاقتصادى يتناول النظر في تاريخ مالية تلك الامة وثروتها وأحوالها الزراعية والصناعية وغيرها . وقس على ذلك سائر ضروب التاريخ . ومنها التاريخ الادبى أو العلمى ، وهو يبحث فى تاريخ الامة من حيث الادب والعلم .. فيدخل فيه النظر فيما ظهر فيها من الشعراء والأدباء والعلماء والحكماء ، وما دونه من ثمار قرائحهم أو نتاج عقولهم فى الكتب ، وكيف نشأ كل علم وارتقى ونفرع عملا بسنة النشوء والارتقاء

والتاريخ العام ان لم يشمل تاريخ آداب اللغة ، كان تاريخ حرب وفتح وسفك وتغلب واستبداد ، اذ لا يستطيع الوصول الى فهم حقيقة الامة أو كنه تمدنها أو سياستها الا بالاطلاع على تاريخ العلم والادب فيها .. فهو شارح للتاريخ يعلل الاسباب والحوادث بعلمها الحقيقية . فإذا قرأنا تاريخ امة وعرفنا ما توالى عليها من الاحوال السياسية والادارية والاقتصادية والاجتماعية ، واستخرجنا أسباب تمدنها وورقيها أو تقهقرها وسقوطها .. مهما علمنا من ذلك كله ، فإن الاسباب لا تزال غامضة حتى نعلم تاريخ علوم

(*) يستخدم المؤلف كلمة « تاريخ آداب اللغة » بمعناها الواسع المعروف عند الغربيين اذ يقصدون بها كل الانتاج العقلى والشعورى للامة فى مختلف الميادين العلمية والفلسفية والادبية عبر التاريخ ومع دوراته المختلفة . وتاريخ آداب اللغة بهذا المعنى ، بصور الجانب الحضارى للامة فى وجوه نشاطها العقلى والفلسفى والادبى . وهو لذلك يقف جنباً الى جنب مع تاريخها السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، ولا يقتصر على الشعر والنثر الفنى وحدهما . وكان قدماؤنا يفهمون الادب هذا الفهم الواسع ، فيقولون : الادب هو الاخذ من كل علم وفن بطرف ..

الامة وهو تاريخ عقولها وقرائحها ، فتنجلى لنا العوامل الاصلية في اسباب رقيها أو سقوطها . فان ما تخلفه من الآثار الادبية ينم عما كانت عليه من الارتقاء العقلى أو الميل القلبي وسائر احوالها من الاعتدال أو العفة أو التهلكة ، ومن الهمة أو الخمول ، الى غير ذلك من الآداب والاطوار - وانما الامم الاخلاق ما بقيت - على أن تاريخ آداب اللغة لا يكون وافيا أن لم يوضح بالتاريخ السياسى

وأهل التمدن الحديث يجعلون البحث في آداب اللغة من أهم الوسائل لفهم تاريخها السياسى ، ويقسمون ذلك التاريخ الى أطوار على مقتضى ما تقلب عليها من الاحوال الادبية ، ويقيسون ما تبينوه من الاطوار الماضية علم ما سيكون . . فيتنبأون بمستقبل الامة متى عرفوا الطور الذى بلغت اليه فى أيامهم ، وبالقيااس على الماضى ، يقولون ان هذه الامة هى الان فى دور الحماسة الشعرية مثلاً ، ولا تلبث أن تنتقل الى العصر الادبى ، ثم العلمى فالفلسفى . . الخ . .

نتاريخ آداب اللغة (*) هو تاريخ عقول أبنائها ، وما كان من تأثير ذلك فى عرسهم وفى أخلاقهم . ويدخل فيه تعيين ما بلغت اليه الامة من الرقى العلمى وامتازت به عن سواها . . وبيان تاريخ كل علم وما تقلب عليه من الاحوال ووصف ما خلفوه من الآثار المكتوبة من حيث فوائدها ، وكيفية تفرعها أو تخلفها بعضها عن بعض

٢ - أسبق الامم الى العلم

من هو أول من قال شعرا أو أول من رصد الكواكب ، أو اخترع الكتابة ، أو وضع الاعداد ؟ من قسم السنة الى أشهر ، والاشهر الى اسابيع ، وهذه الى الايام والساعات ؟ نعرف مثلاً أن أول من رصد الكواكب الكلدانيون ، ولكن من هو الرجل الذى بدأ بالرصد ؟ إن ذلك ذهب فى ثنايا القرون المتاعدة ، كما ذهبت أسماء مكتشف الملح ومخترع النار وصانع الابرة والمغزل ونحوهما من الادوات القديمة . والسبب فى ذهاب تلك الاخبار ان الانسان عاش ادهارا قبل اختراع الكتابة ولم يكن يدون أعماله وآثاره ، مع أن بعضها عظيم الاهمية بالنظر الى التاريخ

وللعلم بهذا الاعتبار تاريخان : احدهما قبل اختراع الكتابة ، والآخر بعدها . ولا دخل لآداب اللغة فيما هو قبل الكتابة ، لان معول أصحاب هذا العلم على ما بين أيديهم من مدونات العلوم والآداب . . فأى أمة دونت العلم أولا ؟ . .

(*) نشط البحث فى آداب اللغة عند الفريين نشاطا واسعا منذ أوائل القرن التاسع عشر ، إذ ظهرت الحركة الرومانسية ، ولم يعد الفريون يكتفون بالنماذج اليونانية والرومانية ، بل أخذوا يعنون عناية واسعة بنماذجهم الحديثة ، ومن ثم عنى النقاد فى كل أمة غربية بكتابة تاريخهم الادبى الحديث . وقد نشطت دراسات علوم الطبيعة والعلوم الاجتماعية والاقتصادية والنفسية ، فأعانت هذه الدراسات على أن يحكم النقاد بحثهم فى الآداب وتاريخها وتطورها من زمن الاغريق الى العصر الحديث

لا خلاف في ان الشرق أسبق الى تدوين العلم من الغرب .. فقد نظم المشاركة الشعر ، وعالجوا الامراض ، ووضعوا الشرائع ، ورصدوا النواكب ، وعينوا أماكنها وسموها بأسمائها ، والغرب في غفلة وظلام دامس .. فأتى أمم الشرق أسبق الى العلم ؟

يعسر الجواب على ذلك جوابا قاطعا ، لان أكثر آثار الشرق لا تزال مدفونة تحت الرمال أو الاتربة في مصر والشام وما بين النهرين واليمن والحجاز وآسيا الصغرى وفارس والهند . وفيها آثار الفراعنة والفينيقيين والاشوريين والبابليين والمعنيين والحميريين والحثيين وغيرهم . ولم ينته العلماء الى أهمية هذه الآثار الا في القرن الماضي ، فتألفت الجمعيات وجمعت الاموال للتنقيب واستخراج الاحافير وحل المكتابات .. فحلوا الخط الهيروغليفي بمصر ، والمسماري فيما بين النهرين ، والمسند في اليمن ، والنبطي في الحجاز ، والفينيقي في فينيقية . وقرأوا ما اكتشفوه من الاحافير ، فاطلعوا على كثير من احوال تلك الامم . لكن أعمال التنقيب لا تزال في أولها ، ولا يزال معظم الآثار مدفونا وخصوصا فيما بين النهرين وآسيا الصغرى واليمن وسائر بلاد العرب .. أما مصر فان حظها من التنقيب أكثر من حظ سواها

وادي النيل

وقد تبين من قراءة الآثار حتى الان ، أن وادي النيل ووادي الفرات أسبق بلاد المشرق الى الاشتغال بالعلم والادب ، وقد قضيا ادهارا وهما مزدهران منيران بالعلم ، وسائر العالم في ظلام .. نبغ العلماء والاطباء والشعراء بمصر في عهد الاسرة الثالثة من الدولة المصرية الاولى قبل بناء اهرام الجيزة اي منذ نحو ستة آلاف سنة . ويفتخر أحد كتاب الدولة في عهد الاسرة السادسة بمصر انه كان متوليا إدارة الكتب ، فطلب الى ذويه أن ينقشوا ذلك على قبره ، منذ نيف وخمسة آلاف سنة

وبدل ذلك طبعا على وجود الكتب من ذلك الحين ، وان لم يصل اليها شيء منها ، ولكننا سمعنا بعضها . وربما كان أهم ما وصلنا خبره منها « كتاب الموتى » وهو كتاب الطقوس ، وفيه شعر وادب وتاريخ وعقود وعهود واغان ، وبعضها قديم جدا ، ربما كان قبل عهد الملك مينا أول فراعنة مصر .. وهو يشبه كتب الدين عند سائر الامم القديمة ، كالفيديا عند البراهمة ، والزاندافستا عند الفرس ، والكنغ عند الصينيين ، والتلمود عند اليهود ، لكنه أقدم منها كلها

وكان الفراعنة يطلبون العلم ويتفاخرون به ، ويقال ان توسرتسن أحد ملوك هذه الاسرة كان عالما بالطب ، فوضع فيه كتابا تداوله الناس الى القرن الاول للميلاد . ولا ريب أن الرياضيات في عهد الاسرة الرابعة بناء اهرام كانت من أرقى العلوم . وقد نبغ الشعراء بمصر من أقدم أزمانها ، وكان منهم طائفة كبيرة يجتمعون في مجلس تحتبس الثاثن ورمسيس الثاني ، كما اجتمع بNDAR وزملاؤه من شعراء اليونان بعد الف سنة في

مجالس ملوك اليونان . وكما اجتمع شعراء العرب بعد ألف وخمسمائة سنة أخرى في مجالس الرشيد وسيف الدولة والصاحب بن عباد وغيرهم . وكان شعراء الفراعنة ينظمون القصائد في كل نصر أو فتح ، يمتدحون ملوكهم ويسمونهم أبناء الشمس وأصحاب التاجين

وادي الفرات والسومريون والاكاديون

ويقال نحو ذلك عن أهل بابل وأشور في وادي الفرات ودجلة ، فإن العلم عندهم قديم ، وقد تعاصر البابليون والمصريون وتبادلوا المعارف . ولكن ظهر من الاكتشافات الأثرية في بابل ، أنه كان هناك قبل تمدن البابليين امتان سبقتا البابليين إلى أسباب المدنية أو العلم : هما الاكاديون (*) والسومريون ، جاءوا وادي الفرات من عهد بعيد وعندهم العلم والكتابة وهي الأحرف المسمارية ، فاقتبسها البابليون منهم وطبعوا بها أخبارهم على آثارهم . وكان السومريون عند قدومهم الفرات أهل شريعة ودين وصناعة يبنون المدن والقلاع وينسجون الأنسجة . نزل السومريون والاكاديون وادي الفرات نحو القرن الخامس والأربعين قبل الميلاد أي منذ نحو ٦٥٠٠ سنة ومعهم العلم والصناعة ، ومازالوا نبراسا يستضاء بهم إلى أوائل القرن العشرين ق م ، أي نحو ٢٥ قرنا . وهم يختلفون عن سائر سكان ذلك الوادي لغة وشكلا ، كما يظهر من صورهم المنقوشة على الآثار . وقد اقتبس أهل الشام والعراق عنهم كثيرا من أسباب العلم واستدل بعض العلماء على آثار ذلك في مزامير داود

أقدم مكتبة في العالم

وعاصر هذه الأمة في وادي الفرات غير دولة من أصل سامي . وعشر المنقبون في العراق على رقيم (حجر أو لوح) عليه كتابة مسمارية فيها قائمة بأسماء ملوك ، حكم بعضهم منذ أكثر من أربعين قرنا ، ويدل ذلك على قدم التمدن في ذلك البلد المبارك . وفي جملة أولئك الملوك ملك اسمه « شرجينا » كان محبا للعلم والعلماء راغبا في العمارة ، أنشأ مكتبة في

(*) الاكاديون موجة سامية كبيرة انساحت من بلاد العرب - وهي الموطن الاصلي للساميين - إلى حوض دجلة والفرات ، حيث كان ينزل السومريون ، وهم جماعات غير سامية سبقت إلى التوطن في هذا الحوض أثناء الألف الخامس ق م . واسسوا فيه دولة وأقاموا به حضارة تأثر بها الاكاديون تأثرا واسعا . وما زالوا خاضعين للسومريين حتى استطاع سرجون الأول ، وهو أول عظماء الساميين في التاريخ ، أن يؤسس في العراق الدولة الاكادية حول سنة ٢٥٠٠ ق م . وبقي الملك في هذه الدولة إلى أن اغتصبته دولة بابل حول سنة ١٩٥٠ ق م . وهي دولة سامية كدولة الاكاديين ، وأشهر ملوكها حمورابي الذي ولي الملك حول سنة ١٨٠٠ ق م . وهو صاحب الشريعة البابلية التي سيحدثنا عنها المؤلف فيما بعد . وظلت هذه الدولة قائمة حتى قضى عليها الاشوريون في أواخر القرن السادس عشر ق م . وهم أيضا سطحيون . وانظر في الصلة بين هذه الدول السامية والعرب كتاب « تاريخ العرب قبل الإسلام » لجواد علي ، جزء ١ ، ٢ ، ٣ وتاريخ العرب لفيليب حتى ج ١ ص ٤٢ والرافدان لسيتون لويد في مواضع متفرقة و

« وركاء » من أعمال العراق سماها مدينة الكتب . وعهد الى رجال من خاصته في جمع الكتب قديمها وحديثها ، وان يفسروا بعضها بالترجمة أو التعليق . واستعان بالعلماء من سائر الاقطار لينقلوا علوم الآخرين الى لسانهم وتدوين علومهم . واشتغل آخرون بالشرح والتعليق . . كما فعل بطليموس فيلاذلفوس بالاسكندرية في القرن الثالث قبل الميلاد . وكسرى انوشروان في جنديسابور في القرن الخامس للميلاد ، وكما فعل الرشيد والمأمون في بغداد في القرنين الثاني والثالث للهجرة . وقد دون شرحنا هذه العلوم بالحرف المسماري نقشا على الطين وهي الرقعة المسدارية المعروفة . .

فكانت مكتبة « وركاء » هذه مملوءة بالكتب اللغوية والفلكية والشرعية والادبية وغيرها . . ثم نسخت بعد انشائها بخمسة عشر قرنا بأمر أمير آشوري ، وحفظت في دار خاصة بها كما تحفظ المكاتب اليوم . وعثر المنقبون على بقايا هذه المكتبة بين النهرين ونقلوها الى المتحف البريطاني في لندن . .

على أن هذه البقايا نتف أكثرها محطم لا ينتفع به . أما أقدم اثر علمي بقى سالما كاملا الى هذا العهد ، فهو شريعة حمورابي . . . فانها دونت في القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، وقد رجحنا في كتابنا « العرب قبل الاسلام » أن دولة حمورابي عربية ، وأنها أقدم دول العرب . . فاذا صح استدلالنا هناك ، كان أقدم الآثار العلمية الباقية كاملة عربى الفكر

ويلي المصريين والبابليين في التمدن القديم الفينيقيون في سوريا والحثيون فيها وفي آسيا الصغرى والفارسيون والهنود والصينيون وغيرهم . .

اليونان

ظلت الآداب زاهرة في الشرق ، وهو وحده مبعث العلم والمعرفة والمدنية ، حتى كان تقهقره على مقتضى سنة العمران . . فانتقلت الرياسة منه الى الغرب ، وأسبق الامم الغربية الى ذلك اليونان لانهم أقرب الى الشرق من سواهم . وعنهم أخذ الرومان وأنشأوا التمدن الرومانى . ولكل من هاتين الامتين كتب خاصة في تاريخ آدابها ، والمرجع في ذلك الى تاريخ آداب اللغة اليونانية فانها أساس آداب سائر لغات أوربا حتى الحديثة منها الى اليوم . ولما نشأت الدول الحديثة وتمدنت وظهر فيها العلماء والأدباء واستقلت كل أمة بلغتها وآدابها ، صار لكل منها تاريخ خاص لآداب لسانها ، وقد ألف في آداب كل لغة منها عدة كتب وهى أشهر ما يقرأ من تواريخ تلك الامم

على أن الآداب اليونانية كانت أيضا أساسا لآداب أكثر الامم التى ظهرت بعد اليونان في الشرق ومن جملتهم العرب . فالتمدن الاسلامى مدين لآداب اليونان في أكثر العلوم الطبيعية ، وكذلك الفرس في نهضتهم أيام الاكاسرة

ثم ان الاداب العربية كانت أساسا لاداب كل أمة ظهرت في اثناء التمدن الاسلامي او بعده .. حتى في أوربا ، فالافرنج في نهضتهم الاخيرة استعانوا على انشاء تمدنهم بما خلفه العرب من كتب العلم والفلسفة

فالعلم نشأ في الشرق واثمر أولا في وادي النيل ووادي الفرات ، وانتشر منهم في سائر المشرق .. ثم انتقل الى الغرب ، فتناوله اليونان واستثمروه وعالجوه حتى صار خاصا بهم . ومنهم أخذه الرومان في الغرب والفرس والسريران والعرب في الشرق . وانتقل من الرومان الى امم أوربا في الاجيال الوسطى وحفظ في الكنائس والادبار

أما في الشرق فانتقل علم اليونان أخيرا الى المسلمين ، فدرسوه و اضافوا اليه ما اقتبسوه من علوم الفرس والهند وتوسعوا في ذلك كله من عند أنفسهم . وقد ملأوا العالم مؤلفات وعلماء وأرصادا ومدارس ومكاتب في نحو ألف سنة . فلما نهضت أمم أوربا لانشاء التمدن الحديث، اقتبسوا كثيرا من آداب العرب ونقلوا مئات من كتبهم الى السنتهم فكانت أساسا لتمدنهم الحديث

٣ - مصادر آداب اللغة بوجه عام

الأمم تتشابه بطبائعها ومداركها من أكثر الوجوه وان اختلفت في مواطنها ، ولذلك جاءت آدابها متشابهة (*) ، في موضوعاتها ومصادرها ومناحيها وتأثيرها ، مع تباين في كل أمة تمتاز به عن سواها .. فآداب اللغة عند كل الامم قديما وحديثا مؤلفة من الشعر والنثر . والشعر يقسم الى موضوعات كثيرة من الحماسة والفضل والفخر والثناء والمدح ، والنثر يقسم الى التاريخ والادب والفقه والفلسفة والعلم على أنواعه . ولم تخل أمة من الشعراء والخطباء والعلماء والفلاسفة على تفاوت في الاجادة واختلاف في الاسلوب . ولو دونت الامم القديمة آدابها لوجدت التشابه أكثر وضوحا ، ولكنهم لم يفعلوا .. فلم يتيسر للمحدثين العثور عند أكثرها على ما يصح جمعه ودرسه . واقدام الامم التي دونت تاريخ آدابها وعلومها على نحو مانحن فاعلون في هذا الكتاب اليونان ، فقد ألفوا في آداب اللغة اللاتينية ، ثم آداب كل لغة من اللغات الاوربية الحية . وجروا على مثل ذلك في تدوين آداب اللغات السامية ، فألفوا في آداب لغة الهند والفرس والسريران والعرب

(*) مرجع هذه الفكرة ان الادب في كل أمة انما هو تعبير النفس ، وحقائق النفس الانسانية في كل الناس مشتركة، ولذلك كانت آداب الامم تتشابه ، وكان مايتخذ من قواعد في درس نوع معين من أنواع الاداب صالحا لان يطبق على النوع الآخر ، اذ القسوى الداخلية للنفس الانسانية كلها من جنس واحد، ولولا ذلك ما امكن مصريا أن يفهم الادب الفرنسى ولا مستشرقاً أن يفهم الادب العربى، وهكذا الاداب الأخرى

وإذا طالعت تواريخ آداب هذه اللغات اتضح لك وجه الشبه بينها ،
نكتك تجد لكل أمة خصائص في مشاعرها ومداركها تمتاز بها عن سواها . .
فالليونان يظهر من تاريخ آداب لسانهم أنهم يمتازون عن سواهم بسعة
التصور وقوة العارضة والجنوح الى الفلسفة . ويمتاز الرومان في
السياسة والنظام والتشريع . ويمتاز العرب بدقة الاحساس في نفوسهم
وسرعة الخاطر وسعة الخيال . ويمتاز الهنود باستغراقهم في الخيالات
والاوهام . وقس على ذلك

وقد ترتب على هذا التفاوت في المواهب امتياز كل أمة بآداب أجادت
فيها وتناقلتها سائر الأمم عنها، كامتياز اليونان بالفلسفة والشعر القصصي
والتمثيل ، وعنهم أخذها سائر الأمم . وامتاز الرومان بوضع الشرائع
والنظم السياسية والاجتماعية التي هي أساس شرائع أوربا ونظامها
الاجتماعي الى اليوم ، وامتاز الهنود بوضع القصص الخرافية على ألسنة
الحيوانات مثل كليله ودمنة وعنهم أخذها سائر الناس . واما العرب
فقد ملأوا الدنيا شعرا وادبا وفقها وتاريخا وهم قدوة الناس في المعاجم
العلمية والتاريخية وفلسفة التاريخ

وهكذا الأمم الأوروبية الحديثة . . فان لكل منها مزية في شيء من آداب
اللغة . فالفرنسيون أهل فصاحة وطلاقة في الكلام والانشاء . . اشتهروا
بذلك من أقدم ازمانهم . قال يوليوس قيصر لما نزل بلادهم قبيل الميلاد .
« ان الغالين أهل ذوق في الحرب والكلام » وأيد ذلك كثرة من ظهر فيهم
من الكتاب والمنشئين والخطباء في الادب بالقياس الى سائر أمم أوربا .
والالمان يمتازون بأبحاثهم الفلسفية العويصة وتتبع الموضوعات الى أقصى
جزئياتها ونقدها وتوسعهم في قواعد اللغة . أما الانجليز فيمتازون
بجنوحهم الى الحقيقة المحسوسة في آرائهم فلا يبنون أبحاثهم الا على
الواقع ، وترى ذلك ظاهرا في أعمالهم وأخلاقهم . والايطاليون معروفون
بتبريزهم في الفنون الجميلة ، فهم شديدو التأثير بأعمال الطبيعة وظواهرها

على أن تفوق بعض الأمم في بعض الآداب ، لا يمنع تشابه تلك الأمم في
سائر الآداب . . ويحسن بنا قبل التقدم الى الكلام عن آداب اللغة العربية،
أن نذكر نموذجا من آداب اللغات الأخرى . وقد تقدم ان الأمم الشرقية
القديمة لم تجمع آدابها ، وليس لدينا منها ما يصح اتخاذه مثالا لنا .
والأمم المتمدنة الآن في أوربا ، وأمريكا ترجع آداب لغاتها الى اللغة اللاتينية
أي لغة الرومان . وهؤلاء اقتبسوا أكثر آدابهم عن اليونان . . فآداب
اللغة اليونانية خير مثال لآداب لغات العالم المتمدن ، لانها أساسها كلها من
حيث الادب والشعر والفلسفة وسائر العلوم القديمة . وما من أدب أو
علم أو فلسفة في اللغة الفرنسية أو الانجليزية أو الايطالية أو غيرها الا وله
أصل أو أساس في اللغة اليونانية . وأكثر مؤلفات تلك الأمم ومنظومات
شعرائهم في الاجيال الوسطى صور أو ظلال لما كان عند اليونان . وبالمثل

أمهن اللاتينية فان الانبياء في اللغة اللاتينية لفرجيل ، انما هي نسخة من
اللياذة هوميروس ، وكذلك فردوس ملتن وجحيم دانتي وتلمـاك فنيليون
وغيرهم ..

ففضل نموذج لآداب العالم المتمدن آداب اللغة اليونانية وهي أهمها
جميعا ، ولها تاريخ طويل يرجع الى قرون عدة قبل الميلاد وهالك أقسامها:

٤ - آداب اللغة اليونانية (*)

نقسم آداب هذه اللغة الى سبعة أدوار أو أطوار :

١ - العصر الخرافي : ويراد به أقدم أزمان الامة اليونانية ، ولم يبق
منها الا القصص الخرافية عن الآلهة ونحوهم ، مما يسمى في اصطلاح
الافرنج ميثلوجيا Mythology وهو يبدأ قبل زمن التاريخ وينتهي الى
القرن التاسع قبل الميلاد ، واسماء رجاله وشعرائه خرافية

٢ - عصر الابطال والحروب : وهو يشمل القرنين التاسع والثامن
(سنة ٩٠٠ - ٧٠٠ ق م) وفيه ظهر أقدم الشعر الوصفى أو القصصى ..
نعنى منظومات هوميروس في الياذة والاوديسة ، وفيه جرت حروب طيبة
وحصار طروادة الذي وصفه هوميروس في الياذته . ولم يبق من آداب
هذا العصر غير الشعر القصصى ، ولم يعرف من شعرائه غير هوميروس
وهسيود . أما هوميروس فهو أبو الشعراء ورب الشعر القصصى ، وقد
عاش اسمه بالياذته التي نقلت الى سائر لغات العالم وبأوديسته . أما
هسيود فانه جاء بعد هوميروس وخلف شعرا فى نشيدين أحدهما الف
بيت ، ذكر فيه أنساب الآلهة والآخر ثمانمائة بيت وصف فيه الطبيعة
ويسمى « الأعمال والايام » ونسبوا اليه نشيدا ثالثا مؤلفا من أربعمئة
بيت وصف به درع هركيل

٣ - العصر الثالث : (سنة ٧٠٠ - ٥٠٠ ق م) وفيه تحضر اليونان
وعمرروا المدن ووضعوا الشرائع وأنشأوا المستعمرات حول البحر المتوسط
والبحر الاسود واتسعت تجارتهم ، وقامت الفتن بينهم فى التنازع على
السلطان فقام مثل هذا التنازع فى آداب لسانهم ونشأ الشعر التمثيلى
واستقر فى أثينا . وانتشر الشعر على الاجمال ونبغ الشعراء فى بلاد
اليونان بأوربا وآسيا وفى الجزائر وصقلية وفى اسبارطة وطيبة . وظهر
فيها الشعر الفنائى أو الموسيقى وهو المعبر عن الشعور كالمديح والفخر
والحماسة والغزل مثل الشعر العربى . ونبغ فى كل قوم أو بلد شاعر أو
غير شاعر ينصر قومه أو يعبر عن شعائره . وتكاثر الشعراء واخذوا
يتمادحون ويتهاجون ويتفاخرون كما كان العرب فى الجاهلية يفعلون ،
ولذلك سموا هذا العصر عصر الشعر الفنائى Lyric

(*) اصلحنا هنا قليلا فى النص راجعين فى ذلك الى كتب الادب اليونانى والى ما يصطلح
عليه المترجمون اليوم فى كتابة بعض الاعلام اليونانية

فمن شعراء هذا العصر الهجائيين ارشيلوك الفاروسى من أهل القرن السابع ق.م. ولم يبق من شعره الا نتف مبثرة . وسيمونيد الامارغوسى كان معاصرا لارشيلوك ، ولم يبق من شعره الا ١٨ بيتا فى وصف المرأة . وهيبونكس الأفسسى من أهل أواسط القرن السادس ق.م. كان ظهوره فى آخر التنارع بين الاشراف والعامة ولم يعرف عنه الا القليل

ومن شعراء هذا العصر الحماسيين غالينوس الأفسسى وتيرتيه . ومن اصحاب السياسة صولون استخدم الشعر فى السياسة وهو مشهور . ومن أهل الهجاء والحكمة ثيوغنيس الميفارى نبغ فى سنة ٦٥٠ ق.م. ، وشعره ادبى حكيم ولا يزال باقيا من منظومه الى الآن ١٢٠٠ بيت

واقدم شعراء الشعر الفنائى عندهم ترباندر ويقال انه هو الذى اخترع العود ذا السبعة الاوتار واسمه lyre واليه ينسب هذا النوع من الشعر لانهم كانوا يغنونه . وخلفه اريون والسيى وسافو . ونبغ أيضا شواعر من تلامذته منهم ارينى . ومن قبيل الشعر الفنائى الشعر الدينى الذى كانوا يغنونه فى الصلوات

وأشهر شعراء اليونان فى الشعر الفنائى بندار فهو مثل هوميروس فى اشعر القصصى ، ولد سنة ٥٢٢ ق.م وله آثار كثيرة لاتزال باقية الى الآن ومنها قصائد مدح بها الظافرين كما كان يفعل المتنبى فى مدح سيف الدولة ، والأخطل فى مدح عبد الملك

وفى هذا العصر ظهر فيثاغورس الفيلسوف الرياضى المشهور وزينوفون وبرمنيدس وامبيدقليس وطاليس وانا كسميندر واناكساغورس وغيرهم

٤ - العصر الذهبى أو الاثينى : (سنة ٥٠٠ - ٣٢٣ ق.م) نسبة الى اثينا لان أكثر ادباء هذا العصر نبغوا هناك ، وفيه نضج الشعر التمثيلى والفلسفة والخطابة وظهر التاريخ . واقدم شعراء التمثيل تسببس وفرينيكوس وبراتيناس واشهرهم اسكيلوس وسفوكلس ويوربيدس للتمثيل المحزن (تراجيدى) وارستوفانس . واشهر مؤرخيه هيكاتس وهيرودوتس أبو التاريخ وتوسيديد . ومن الخطباء بريكليس والسيبياد وكوراكس وتيسياس وبراتاغوراس وانتيفون واندوسيد وليكورغوس وهينريد وديناك وديموستين . ومن الفلاسفة سقراط وزينوفون وافلاطون وارسطو وثيوفراست

٥ - العصر الاسكندرى : (٣٢٣ - ١٤٦ ق.م) وفيه انتقل العلم من اثينا الى الاسكندرية على عهد البطالسة ، فزهت هذه المدينة بالعلماء والفلاسفة . وكانت هى وحدها مسرح العلم ومبعث العلماء . ومن مشاهير هذا العصر فى الرياضيات أوقليدس وأرخميدس . وفى التاريخ مانيثون . ومن الجغرافيين ديسيارك واراتوستن . ومن الشعراء المعلقين كليماك وابولونيوس الرودسى ويوفوريون . ومن شعراء التمثيل ليكوفرون وتيمون ومنيب وثيوكرت وشهرته ترجع الى شعره الرعوى . ومن الفلاسفة ليسيوس وايكوروس

٦ - العصر اليوناني الروماني : (١٤٦ ق.م - ٥٥٠ ب.م) وكانت بلاد اليونان قد سقطت وذهبت دولتها ودخلت في حوزة الرومان فذهب علمها وخملت قرائح اهلها - والذل يذهب بالقرائح - فضعفت آداب اللغة فيها . ولكن النصرانية أحدثت تغيرا في تلك الآداب فأدخلت فيها بعض الاساليب الشرقية . ومن مشاهير أدباء هذا العصر في التاريخ والادب بوليبيس ولوسيدونيوس ونيقولاوس وسترابو وديونيسي وديودورس ويوسيفوس وبلوتارخس وأريان وأيبان وباوسانيس وهديان . وفي الشعر أرخياس وابولودورس . ومن الفلاسفة فيلون واناكسيمس وكريسوستوم وغيرهم . .

٧ - العصر البيزنطي : (من سنة ٥٥٠ - ١٤٥٣ ب.م) زهت فيه بيزانس (القسطنطينية) وكانت مركز الآداب اليونانية . ومازالت مرجع العالم اليوناني حتى فتحها العثمانيون سنة ١٤٥٣ م ، فانقضت دولة الروم وتشتت علماءها في أوربا . وكانوا في جملة من أعانها على نهضتها في انشاء التمدن الحديث . ومن علماء هذا العصر هيمريوس وتمستس وليسانيوس وجوليان وهليودورس وأشيل تايوس وتريفيودور وجماعة كبيرة من رجال الكنيسة

هذه خلاصة تاريخ آداب اللغة اليونانية ، فقس عليها تواريخ آداب سائر اللغات الاوربية . . فانها كثيرة الشبه بها من حيث تناسق عصورها بالنظر الى نشوء العلوم فيها ، فان أقدم آدابها دائما الشعر الديني يليه الشعر القصصي والتمثيلي فالغنائي ، ثم ينشأ الادب والخطابة والتاريخ وتضبط اللغة وقواعدها ثم الفلسفة والعلم الطبيعي ، ثم تستغرق الأمة في المبالغات والتفاصيل الخارجة عن المعقول ويقل فيها الاستنباط وتبلى جودة الشعر وتضعف القرائح بالذل والتقهقر

٥ - آداب اللغة العربية واقسامها

واذا نظرنا الى آداب اللغة العربية واخواتها الساميات ، رأيناها تنطبق على ما تقدم بوجه اجمالي . أما عند التفصيل ، فاننا نجد بين آداب هذه اللغات وتلك فرقا كالفرق بين طبائع الامتين . . فالشعر عند الساميين أقدم آدابهم لكن أكثره غنائي ، وليس فيه من الشعر القصصي الا نتف قليلة . أما التمثيل فيظهر لأول وهلة أنه بعيد عن آداب العرب ، وسترى أنه موجود فيها . . ولا غرو اذا امتازت اللغات الاوربية بالشعر القصصي والتمثيلي ، فان اللغة العربية واخواتها تمتاز بنوع من الآداب كبير الأهمية ليس منه في لغات الافرنج الا نتف نغني « الامثال » فانها جزء مهم من آداب اللغات السامية ولا سيما العربية والعبرانية ، وتندر في سواهما . .

وآداب اللغة العربية التي هي موضوع هذا الكتاب اغني سائر الآداب السامية ، بل هي على الاجمال اغني آداب سائر لغات العالم . . لأن الذين وضعوا آدابها في أثناء التمدن الاسلامي أخلاط من أمم شتى جمعهم الاسلام

أو الدولة الإسلامية ، وفيهم العربى والفارسى والتركى والهندي والسورى والعراقى والمصرى والرومى والارمنى والبربرى والزنجى والصقلبى وغيرهم .. وكلهم تعربوا ونظموا الشعر العربى وألفوا الكتب العربية فى الادب والنحو والتاريخ والطب والعلم والفلسفة . فاحتوت آداب اللغة العربية بسبب ذلك على أحسن القرائح وشتات الاخلاق والآداب والطبائع ، وادخلوا فيها كثيرا من أساليب السنتهم الاصلية بدون قصد أو تعمل

ونريد بتاريخ آداب اللغة العربية بسط ماتقلبت عليه اللغة وادابها من أقدم أزمانها الى الآن .. فهى بهذا الاعتبار تقسم الى أطوار لكل منها شأن يمتاز عن سواه ، وقد لاحظنا فى تقسيم هذا التاريخ ما توالى على الأمة من الانقلابات السياسية أو الادبية وما كان من تأثير ذلك على المواهب والقرائح ..

أقسام تاريخ آداب اللغة العربية

ويمكن تقسيم تاريخ آداب اللغة العربية حسب علومها وادابها أو حسب العصر التى توالى عليها . ونريد بتقسيمها حسب العلوم ان نستوفى الكلام فى كل علم على حدة من نشأته الى الآن ، على ان نبدا بأقدمها ونتدرج الى أحدثها فنبدأ بآداب الجاهلية ، فنذكر تاريخ الشعر مثلا وتراجم الشعراء من نشأته وما تقلب عليه من الادوار فى الجاهلية والاسلام الى اليوم . ونفعل مثل ذلك فى الخطابة وغيرها من آداب الجاهلية ، وبالفقه والتفسير والادب والنحو واللغة وغيرها من الآداب الاسلامية . هكذا نفعل بالعلوم الدخيلة منذ دخولها وما تقلب عليها الى الآن ..

أما تقسيمها حسب العصور ، فيراد به الكلام عن العلوم كلها معا فى كل عصر على حدة ، وهذا الذى اخترناه فى هذا الكتاب لانه بصور حالة العصور المختلفة وما يكون من تأثير السياسة وانقلاباتها فى العلم والادب . ولذلك فقد قسمنا تاريخ آداب اللغة العربية الى قسمين كبيرين يفصل بينهما أهم انقلاب أصاب العرب من أول عهد تاريخهم الى الآن .. نعى ظهور الاسلام . فهى بهذا الاعتبار تقسم الى آداب اللغة قبل الاسلام وآدابها بعده . وقسمنا آدابها قبل الاسلام الى عصرين : عصر الجاهلية الاولى وعصر الجاهلية الثانية . وقسمنا تاريخها بعد الاسلام الى عصر أو أطوار تناسب انقلاباتها السياسية أو الاجتماعية وهى :

- | | |
|---------------------|--------------------|
| ١ - عصر صدر الاسلام | ٤ - العصر المفلولى |
| ٢ - العصر الاموى | ٥ - العصر العثمانى |
| ٣ - العصر العباسى | ٦ - العصر الحديث |

وقسمنا العصر العباسى الى أطوار بحسب التقلبات السياسية كما ستراه فى مكانه ..

آداب اللغة قبل الإسلام

١ - العصر القديم أو الجاهلية الاولى (*)

من قبل التاريخ الى القرن الخامس للميلاد

لم يتصد أحد للبحث في آداب اللغة العربية قبل زمن التاريخ لقلة المواد المساعدة على ذلك ، ولاعتقادهم أن العرب حتى في الجاهلية الثانية قبل الاسلام كانوا غارقين في الفوضى والجهالة لاعمل لهم الا الغزو والنهب والحرب في بادية الحجاز والشام وفي نجد وغيرها من بلاد العرب . على أننا اذا نظرنا

(*) اصاب المؤلف في تقسيم عصر الجاهلية الى قسمين : فترة الجاهلية الاولى وفترة الجاهلية الثانية ، وهي الجاهلية التي جاءها عنها الشعر وهي لا تمتد الى أكثر من قرنين قبل الاسلام اما ما قبل ذلك ، فهو الجاهلية الاولى . غير أنه حين تحدث عن هذه الجاهلية القديمة ائتمد في التاريخ الى عصر حمورابي البابلي وجعل لغة البابليين عربية . وفي هذا مخالفة لما اصطلح عليه علماء الساميات من تقسيم اللغات السامية تقسيماً لغويًا الى خمس أسر : أسرة اللغات الأكادية والبابلية والآشورية ، وأسرة اللغات الآرامية ، وأسرة اللغات الكنعانية مثل الفينيقية والعبرية ، وأسرة اللغات الحبشية ، ثم أسرة اللغات العربية ، وهي تنقسم قسمين عامين الى شمالية وجنوبية بمعنى واذن فحين نتحدث عن الجاهلية الاولى لآداب اللغات العربية ، ينبغي ألا نتحدث عن حاملية اللغات السامية الاخرى ، فلكل لغة سامية جاهليتها الخاصة. وقد كشف الباحثون اللثام عن كثير من شئون الجاهلية للغات العربية ، وتقصد الجاهلية القديمة ، بفضل النقوش الكثيرة التي وجدوها في اليمن على المعابد والعمد والنصب والاسوار والابرار والحصون ، ووجدوا ايضا نقوشا مختلفة في شمالي الحجاز بمنازل ثمود والحبانين وعلى حدود الشام ..

وقسم العلماء هذه النقوش الى ثلاث مجموعات : مجموعة لهجات عربية جنوبية للممالك التي قامت في الجنوب منذ أواخر الألف الثاني ق . م وأهمها قتيان في الجنوب الغربي ومعين شماليها في الجوف وبجانبها سبأ ، وامتدت حضرموت وظفار الى الشرق . وكان لهذه الممالك علاقات تجارية مع حوض بحر الروم ، واستطاعت أن تنهض بحضارة راقية على أساس التجارة والزراعة ، كما استطاعت معين (١٢٠٠ - ٧٠٠ ق م) وسبأ (٧٥٠ - ١١٥ ق م) أن تؤسسا لهما مستعمرات في الشمال بطريقهما الى حوض بحر الروم ليحميا قوافلهما التجارية. وكان لسبأ نظام محكم في تدبير شئون الزراعة لما أقامت من سدود أشهرها سد مأرب . وخلفت الدولة الحميرية ، دولة الاقيال والاذواء التابعة ، سبأ . وقد أخذ الضعف يدب الى هذه الدولة بسبب سيطرة الرومان على الملاحه في البحر الاحمر ، وغزاها الاحباش غير مرة ، فضعفت امكانياتها ، وتخربت سدودها وعلى رأسها سد مأرب المشهور ، فتفرق اهلها وتماقت هجراتهم الى الشمال منذ القرن الثالث الميلادي وما لبثت أن استولت عليها وعلو بلادها سنة ٥٢٤ م ..

وهذه المجموعة الجنوبية بلغاتها ولهجاتها المختلفة من قتيانية ومعينية وسبئية وحميرية

الى لغتهم كما كانت فى عصر الجاهلية ، نستدل على أن هذه الامة كانت من أعرق الامم فى المدنية لانها من أرقى لغات العالم فى أساليبها ومعانيها وتراكيبها . . واللغة مرآة عقول أصحابها ومستودع اديبهم . فالتكلمون باللغة الفصحى كما جاءتنا فى القرآن والشعر الجاهلى والامثال ، لا يمكن أن يكون أصحابها دخلوا المدنية أو العلم من قرن الى قرنين فقط . . اذ لا يتأتى لغة من لغات المتوحشين أن تبلغ مبلغ لغات المتمدنين الا بتوالى الادهار ، فكيف باللغة العربية الدالة على سمو مدارك أصحابها وسعة تصورهم ودقة نظرهم كما سنبينه فى أماكنه

على أن الاكتشافات الاثرية أيدت هذا الرأى بما أظهرته من بقايا تمدن اليمن قبل الاسلام ببضعة عشر قرنا . ولم يظهر من تلك الاطلال الا الطفيف لأن ما عثروا عليه من الاحافير لا يذكر فى جانب ما بقى مدفونا فى الرمال . فضلا عما ظهر من فضل العرب واعراقهم فى المدنية والعلم ، مما قرأوه من اثار بابل وآشور . فاذا صح أن دولة حمورابى التى تولت بابل وسائر العراق فى القرن العشرين قبل الميلاد عربية كما بينا ذلك فى كتابنا « العرب قبل الاسلام » (١) كان العرب من أسبق الامم الى المدنية ، فانهم أقدم من وصلتنا شرائعهم وقوانينهم . هذه شريعة حمورابى التى عثروا عليها فى بلاد السوس منقوشة بالحرف المسمارى على مسلة من الحجر الاسود الصلب - سنها حمورابى فى القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، أى قبل شريعة موسى بثلاثة أو أربعة قرون . . وهى مؤلفة من ٢٨١ مادة تبحث فى طبقات الامة وحقوق المرأة وواجباتها والزواج والتبني والارث وغيره . .

تختلف اختلافا واضحا عن المجموعة الشمالية فى أصول قواعدها وألفاظها ، مما جعل بعض اللغويين العباسيين يقول : ما لسان حمير (يقصد هذا اللسان الجنوبي جميعه) بلساننا . أما المجموعة الثانية فهى مجموعة من لهجات للعربية الشمالية ، ولكنها كتبت بنفس القلم الذى كان يكتب به الجنوبيون وهو المسمى بالسند ، ولذلك ميزها الباحثون من مجموعة أخرى شمالية كتبت بالخط النبطى الذى تطور الى خطنا أو قلمنا العربى المعروف . وقد وجدت نقوش المجموعة الثانية فى منازل تمود شمالى الحجاز ، حيث كانوا يقيمون حسم القرن الثامن ق . م ، وكذلك فى منازل اللحيانيين الذين خلفوهم ، وأيضاً فى انصفا بحوران جنوبى دمشق ، ومن ثم سميت هذه النقوش باسم التمودية واللحيانية والصفوية . أما المجموعة الثالثة فقد كتبت بنقوش آرامية نبطية ، وهى أحدث من النقوش السابقة ، اذ يرجع اقدمها الى القرن الثالث الميلادى . ومعروف ان النبط استطاعوا ان يقضوا على اللحيانيين فى القرن الرابع ق . م ويؤسسوا فى شمال الحجاز مملكة كانت حاضرتها البتراء ، وظلوا بها حتى قضى عليهم الرومان فى اوائل القرن الثانى الميلادى ، وقصتهم مع ملكتها الزباء مشهورة . كما قضوا على دولتهم الثانية فى تدمر فى أواخر القرن الثالث الميلادى وواضح مما قدمنا أن عرب الجنوب حين ضعفوا اتجهوا الى الشمال فى الحجاز ، وهذا نفسه ما حدث لعرب الشمال امام الرومان ، فكان الحجاز كانت تضم الارستقراطية العربية المنكوبة شمالا وجنوبا ، واستطاعت مكة أن تتزعم هذه الارستقراطية ، فتحولت اليها مفتاح القوافل التجارية . والظنون أن اليمنيين قبل هجرتهم الى الشمال فى عصر الدولة الحميرية كانت لهم جاليات فى محطات قوافلهم على طول الطريق التجارى الى الشام والعراق . وانظر فى تاريخ عرب الجنوب والشمال كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد على وتاريخ العرب لفيليب حتى وما ذكرناه من مصادر مختلفة ، وانظر ايضا كلمات قتيبان ومعين وسبا وحضرموت والنبط وثمود ولحيان فى دائرة المعارف الاسلامية . وأولرى

O'leary, Arabia before Mohammed

والحمورابيون أو عمالقة العراق أقدم من أنشأ المدارس لتعليم الصغار على نحو ما هو جار الآن . وقد كشفوا في آثار زيبارا أنقاض مدرسة لتعليم الاطفال . وهذه أول مرة سمعنا بمدرسة مثل هذه في التمدن القديم أى منذ أربعة آلاف سنة ، وكان فيها (رقم) أو أحجار منقوشة عليها دروس للاطفال والاحداث في الحساب والهجاء وجداول الضرب والمعجمات ونحوها . واكتشفوا كثيرا من الكتب والرسائل المنقوشة على الاحجار أو الرقم وأكثرها لحمورابي وفيها الصكوك والعقود والمسائل الرياضية والارصاد الفلكية والنصوص التاريخية والادعية الدينية . ومن أكبر أدلة الرقى في ذلك العهد أن المرأة كانت متمتعة بحريتها واستقلالها مثل أرقى نساء هذا التمدن وكن يمارسن المهن القلمية ، وانتظم جماعة منهن في خدمة الدواوين والمصالح الاميرية ..

فاذا صح أن هذه الدولة عربية ، كان العرب أسبق أمم الارض الى سن الشرائع وتنشيط العلم ، وأنهم بلغوا في نظام الاجتماع ما لم يبلغ اليه معاصروهم ، وأدركوا من الرقى الاجتماعى ما لا يزال بعض الامم المتمدنة في هذا العصر بعيدين عنه ..

ونحن في غنى عن التنبيه الى أن قوائنا ان الدولة الحمورابية عربية ليس مثل قولنا « دولة الاسلام عربية » . واذا صحت عربية تلك ، فلا يستلزم أن تكون لغتها مثل لغة القرآن ولا أن عاداتها ودياناتها مثل ما لعرب قريش .. فان بين الدولتين نحو ٢٥ قرنا ، والامم تتغير عاداتها ولغاتها بتغير الاقاليم وتوالى العصور

ولا يقتصر فضل الحمورابين او عمالقة العراق على ما شادوه فيما بين النهرين وما خلفوه هناك من آثار مدنيتهم وعلمهم ، فقد نشروا اديبهم وديانتهم وشريعتهم في جزيرة العرب وخصوصا في البقاع العامرة منها ومن جملتها اليمن ومدين والحجاز ..

ويوجد تشابه بين شريعة موسى وشريعة حمورابي كما بينا ذلك في الالهلال العدد الخامس سنة ١٣ اذ أتينا بنصوص متقابلة متشابهة في الشريعتين ، وحمورابي قبل موسى بشئانمئة سنة

سفر أيوب

ومما يعد من قبيل آداب العرب في ذلك العصر سفر أيوب ، والمرجح عند أهل التحقيق أن صاحب هذا السفر في التوراة عربى الاصل . نظم ذلك الكتاب شعرا عربيا في نحو القرن العشرين قبل الميلاد على أثر نزوح الحمورابين من بن النهرين ، ثم ترجم الى العبرانية وعد من الاسفار المقدسة ، وضاع أصله العربى كما ضاع أصل كليله ودمنة الفارسي . فاذا ثبتت عربية سفر أيوب كان العرب أسبق الامم الى قرض الشعر ، لانه نظم قبل الياذة هوميروس تألف سنة وقبل مهاهاراة الهند بعدة قرون

٢ - الجاهلية الثانية

أو العصر الجاهلي قبيل الاسلام

من القرن الخامس للميلاد الى ظهور الاسلام

ان الحكم على ما تقدم من احوال الجاهلية الاولى مبني على الحدس والتخمين لاستفراقه في انقدم وضياع أخبار تلك الجزيرة بمرور الايام . ولعلمهم ان نشطوا للحفر والتنقيب كشفوا الستار عن هذه الظنون

الفرق بين لغة الجاهلية الاولى والثانية (*)

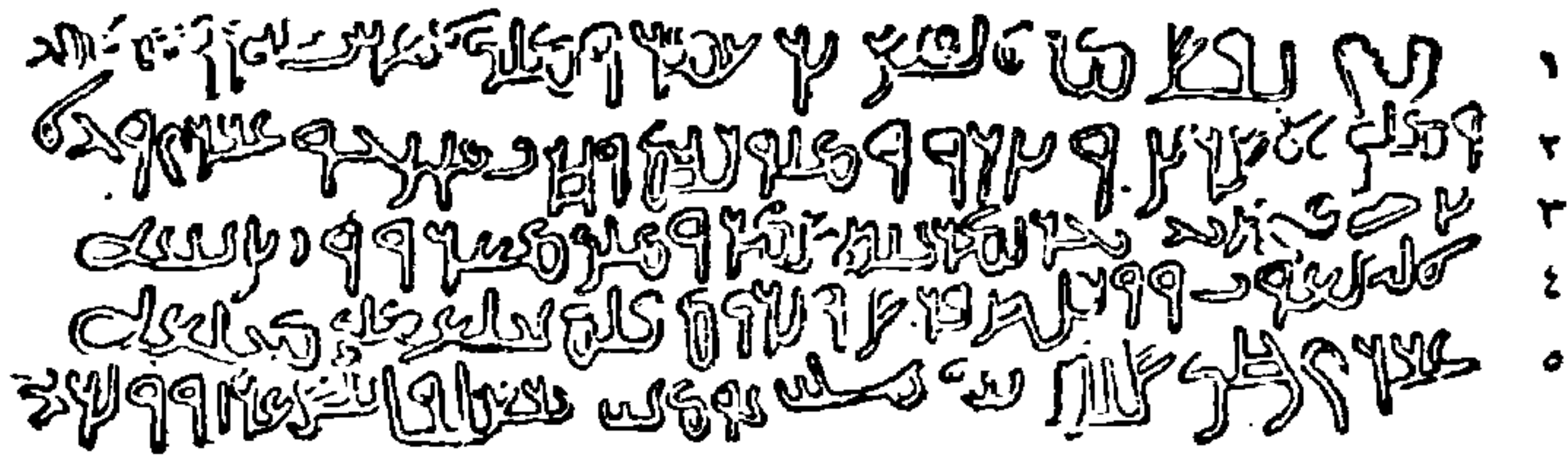
وعلى كل حال ان عرب ذلك العهد القديم يختلفون عن عرب عصر الجاهلية الثانية قبيل الاسلام لغة ودينا وأدبا وخلقا . . فالحمورابيون كان أكثرهم أهل حضارة وتمدن يتوطنون المنازل والمدن . وأما عرب الجاهلية الثانية ، فأكثرهم أهل بادية ونجع . . وكانت لغة الحمورابيين أقرب الى الاشورية منها الى العربية ، فلغة أيوب اذا كانت عربية فهي غير عربية مضر التي وصلت اليها من عرب قريش وسائر الحجاز . وقد يكون الفرق بينهما كثيرا جدا ، أكثر من الفرق بين لغة القرآن ولغة عامة مصر أو الشام الآن . . لان أهل هذين الاقليمين قيدوا أنفسهم بالمحافظة على لغة القرآن وأصاليه ، فكلما ساقته طبيعة النشوة نحو التغيير أعادهم التقليد الى الاصل . ولولا ذلك لكان الفرق بين لغة عامتنا واللغة الفصحى أبعد من ذلك كثيرا

قس مقدار الفرق بين لغة مضر ولغة عمالقة العراق بالفرق الذي وجدته بين لغة عرب الشام في أوائل القرن الرابع للميلاد مما قرأوه على قبر امرئ القيس بن عمرو ملك الحيرة وبين لغة مضر عند ظهور الاسلام (*) وذلك أنهم عثروا في أطلال النمارة في حوران على حجر عليه كتابة عربية بالخط النبطي

(*) اتخذ المؤلف هنا من لغة الحمورابيين أو البابليين مثلا للغة الجاهلية الاولى عند العرب ، وشرنا قبل الى ما في ذلك من خطأ ، فلغة الحمورابيين شعبة سامية حقا ، ولكنها من أسرة أخرى غير الاسرة العربية التي تتفرع فرعين كبيرين ، فرع جنوبي يعني وفرع شمالي مضرى ، والفرعان يختلفان اختلافات جوهرية في لغتهما . ووجدت في الشمال نقوش كتبت بخط المسند الجنوبي ، وهي النقوش الثمودية واللحيانية والصفوية ، وهي أقدم نقوش لجاهلية العرب الشماليين الاولى وتمتاز بخصائص لغوية ونحوية تدل على ان تطورا واسعا حدث في اللغة العربية الشمالية قبل ان تجرى على لسان امرئ القيس ونظرائه من شعراء الجاهلية الثانية . . وأقرب من هذه النقوش الى العربية المضرية النقوش النبطية التي وجدت منذ القرن الثالث الميلادي ، وهي نقش أم الجمل ، نبذة من أعمال حوران بالشام ، وتاريخه سنة ٢٧٠ م ونقش النمارة الذي ذكره المؤلف ثم نقش زيد ، وتقع في الجنوب الشرقي لحلب ، وتاريخه ٥١١ م ونقش حران اللجا ، بجنوبي دمشق ، وتاريخه سنة ٥٦٨ م

(*) جعل المؤلف الفرق بين لغة الشعر الجاهلي او لغة مضر وبين لغة البابليين كالفرق بين هذه اللغة المضرية ولغة نقش النمارة ، والفرق بين البابلية وبين العربية كالفرق بين العربية والعبرية او الحبشية مثلا ، اما نقش النمارة فهو من العربية الشمالية وليس من أسرة سامية أخرى ، بل ليس من العربية الجنوبية . وكل ما يمكن ان يقال أنه يرجع الى عصر سابق على التطور النهائي للعربية الشمالية ، حين كانت خصائص هذه اللغة تطور وتتشكل وتسير نحو الكمال المنتظر

نقشت في أوائل القرن الرابع للميلاد أي قبل الاسلام بثلاثة قرون ، وهذه صورتها .



كتابة عربية بخط نبطي على قبر امرئ
القيس بن عمرو سنة ٢٢٨ م

واليك نصها كما تقرأ ، كل سطر على حدة :

- ١ - تى نفس مر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو اسر التاج
- ٢ - وملك الاسدين ونزرو وملوكهم وهرب مذحجو عكدي وجاء
- ٣ - يزجو (?) فى حبج نجران مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه
- ٤ - الشعوب ووكله لفرس ولروم فلم يبلغ ملك مبلغه
- ٥ - عكدي هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بلسعد ذو ولده

هذا لسان عربى تشوبه صبغة آرامية يحتاج تفهمها الى ايضاح ، وهاك تفسير هذه الكتابة باللغة العربية الفصحى وهو :

- ١ - هذا قبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذى تقلد التاج
- ٢ - وأخضع قبيلتى أسد ونزار وملوكهم وهزم مذحج الى اليوم وقاد
- ٣ - الظفر الى أسوار نجران مدينة شمر وأخضع معدا واستعمل بنيه
- ٤ - على القبائل وأنا بهم عنه لدى الفرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغه
- ٥ - الى اليوم ٠٠ توفى سنة ٢٢٣ فى يوم ١٧ أيلول (سبتمبر) وفق بنوه للسعادة

وكان أهل الشام وحواران وما يليهما يؤرخون فى ذلك العهد بالتقويم البصرى نسبة الى بصرى عاصمة حوران ، وهو يبدأ بدخولها فى حوزة الروم سنة ١٠٥ للميلاد . فاذا أضيفت الى ٢٢٣ كان المجموع ٣٢٨ للميلاد وهى السنة التى توفى فيها هذا الملك

انظر الى الفرق بين الاصل وتفسيره ، والمدة بين هذين العصرين ثلاثة قرون ، فكيف تكون وبينهما بضعة وعشرون قرنا ؟ والتغير طبعى فى كل لغة عملا بناموس النشوء . . اعتبر ذلك فى الفرق بين اللغة اللاتينية

الاصلية وما تخلف عنها من الايطالية والاسبانية وبين اللغة الانجليزية القديمة والحديثة وغير ذلك

فآداب العرب في جاهليتهم الثانية يراد بها آدابهم قبيل الاسلام وهم أهل بادية لا يقرأون ولا يكتبون . . وانما جمعت هذه الآداب بعد الاسلام بالاخذ عن الافواه كما سيأتى

٣ - درجة ارتقاء عقول العرب

وقد يتبادر الى الازهان أن أولئك البدو كانوا أهل جهالة وهمجية لبعدهم عن المدن وانقطاعهم للغزو والحرب . . ولكن يظهر مما وصل اليينا من أخبارهم أنهم كانوا كبار العقول أهل ذكاء ونباهة واختبار وحنكة . وأكثر معارفهم من ثمار قرائنهم ، وهى تدل على صفاء أذهانهم وصدق نظرهم فى الطبيعة وأحوال الانسان مما لا يقل عن نظر أعظم الفلاسفة . فان قول زهير بن أبى سلمى فى معلقته :

رأيت المنايا خبِطَ عَشْواء من تصب تمته ومن تخطىء يعمّر فيهرم
رأيت سفاهَ الشيخ لا حلم بعده وأن الفتى بعد السفاهة يحلّم
وأعلم ما فى اليوم والأمس قبله ولكننى عن علم ما فى غد عمى
ومن لم يُصانع فى أمور كثيرة يضربُ بَأنياب ويوطأ بمنسم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه يقرّه ومن لا يتق الشتم يشتم
ومن يصنع المعروف فى غير أهله يَعدّ حمده ذماً عليه ويندم
ومن لا يزل يستحصل الناس نفسه ولا يُعفها يوماً من الدهر يسأم
ومهما تكن عند امرئٍ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم
لا يقل شيئاً عن احكام اكابر الفلاسفة . . وأنك تجد كثيراً من أمثال ذلك فى اشعارهم ، كأن الشعر وصلهم ناضجاً بعد ان عولج قرونا متطاولة ذهبت اخبارها . . فهم لذلك يشكون من أن أسلافهم لم يتركوا لهم معنى لم يطرقوه كقول عنتره :

« هل غادر الشعراء من متردم »

وقول زهير :

ما أرانا نقولُ إلا مُعاراً أو مُعَاداً من قولنا مَكْرُوراً

ارتقاؤهم فى السياسة والعمران

على أنك اذا نظرت فى لغتهم تبين لك ان أصحابها من ارقى الامم سياسيا واجتماعيا وان عرفناهم بدوا رحالة . . واللفظة دليل اخلاق

الامة ومراة آدابها وسائر احوالها . ومن المقرر الثابت ان اللغة لا تتولد فيها كلمة الا للتعبير عن معنى حدث في اذهان اصحابها ... فاذا وجدنا في لغة من اللغات اسما لنوع من اللباس ، نحكم حكما قاطعا بأن اصحابها عرفوه او لبسوه ، او نوعا من الاطعمة عرفنا انهم اكلوه . وبمعكس ذلك خلوها من أسماء بعض الادوات ، فانه يدلنا على جهلهم اياها ..

وقس على ذلك الالفاظ المعنوية التي تدل على المعاني المجردة كالعواطف والفضائل ، فان وجودها في اللغة يدل على أن اصحابها عرفوا تلك العواطف والفضائل وعانوها .. ولذلك كانت لغات الامم المتوحشة خالية من هذه الالفاظ وامثالها ..

واللغة العربية من أغنى لغات الأرض بالالفاظ العمرانية والسياسية .. ان فيها عشرات من الالفاظ لضروب الجماعات من الناس على اختلاف أغراض اجتماعهم : كالشعب ، والجماعة ، واللجنة ، والزرافة ، والسرب ، والكوكبة ، والقوم ، والنفر ، والشرذمة ، والعصابة . ومثلها لاماكن الاجتماع : كالمحفل ، والنادي ، والندوة ، والمآثم ، والمجلس ، والموسم ، والمدرس ، والمصطبة (١) وعشرة منها للتعبير عن فرق الجند : كالجريدة ، والسرية ، والكتيبة ، وغيرها . وفيها للقلم والورق عشرات من الاسماء والالقب كالملقاء ، واليراع ، والانبوبة ، والاسل ، والجلفة للقلم ، والقرطاس ، والطرس ، والمهرق ، والرق ، والطلس ، والمجلة ، والصحيفة .. ولكل منها معنى خاص

ومن أنواع الكتب : القمطر : كتاب الاعمال ، المدرس : الصك ، الزبور ، الرقيم ، والسفر : الكتاب الكبير ، والضبار : الكتب بلا واحد ، الرهنامج : كتاب الطريق وهو الكتاب الذي يسلك به اربابينة البحر ويهتدون به في معرفة المراسي وغيرها ، الوصيرة : الصك للسجلات ، وقس على ذلك

وقد عالجوا الفاظ لغتهم معالجة الاستثمار فأكثروا فيها من المترادفات التي يدل عشرات او مئات منها على معنى واحد أو معان متشابهة . وتوسعوا في مدلول اللفظ الواحد حتى تعددت معانيه .. فعندهم للفظ العين بضعة وعشرون معنى ، ومثلها أو أكثر منها للفظ العجوز . وعشرات من المعاني لالفاظ الخال والخمر والدين والركن والغرب والحر وغيرها . وأقل من ذلك لكثير من الالفاظ مما لا مثيل له في أرقى لغات البشر . وهو يدل على تصرف اصحاب هذه اللغة بالمعاني والمباني لخصب عقولهم وسعة مداركهم ..

ارتقاؤهم في التجارة والاقتصاد

ومما يدل على توسعهم في المسائل الاقتصادية كثرة الالفاظ الدالة على المال .. فان منها بضعة وعشرين اسما لكل منها معنى من المعاني الاقتصادية التي ترجع الى الاستثمار وغيره ، منها : التلاد : المال الموروث ، الركاز :

(١) لطائف اللغة ٦٤ و ١٠٨

المال المدفون ، الضمار : المال لا يرجى ، أنطارف : المال المستحدث ، التالد : المال القديم ونحو ذلك من أسماء النقود وأنواعها من الذهب والفضة .
وعندهم للذهب وحده أكثر من عشرين اسما كل منها لنوع منه . وفي اللغة العربية مئات من الالفاظ للدلالة على أنواع الارض والتربة والطين باختلاف الخصب والجذب ونحو ذلك . ومن الأدلة على توسعهم في التجارة والاسفار كثرة أسماء السفن عندهم ، وهي عشرات لكل منها معنى خاص لشكل خاص من السفن . ويلحق بذلك أسماء الرياح وهي تزيد على المائة ، ولكل منها معنى يدل على نوع الريح وجهتها كقولهم « اذا وقعت الريح بين السريحين فهي النكباء ، فاذا هبت من جهات مختلفة فهي المتناوحة ، فاذا ابتدأت بشدة فهي النافجة ، فاذا حركت الاغصان وقلعت الاشجار فهي الزعزاع » .
وقس على ذلك سائر اسمائها ، وهي تدل على توسعهم في معرفة انظواهر الجوية . ومن هذا القبيل أسماء الطرق وأنواع البقاع وغيرها مما يطول بنا شرحه . ومن قبيل المواد التجارية الموازين ، فانها كثيرة . واعتبر ذلك في كثرة أسماء أدوات الصناعة وأواني الاطعمة والرياش والاثاث واللباس مما لا يكاد يحصر . وتجد منه امثلة كثيرة في المخصص وفقه اللغة ولطائف اللغة وغيرها ..

تعقلهم وآراؤهم

ولك في أمثالهم والكنيات في عباراتهم وما نشأ عندهم من الفنون العقلية التي تحتاج الى تفكير كالأحاجي والآفاذ وفتيا العرب أدلة أخرى على ارتقاء ذهائهم وسمو مداركهم . واعتبر ذلك أيضا في مذاهبهم في الوجود فانها تدل على تفكيرهم ، وقد كان فيهم من ذلك العهد البعيد من يقول بمذهب اللادرية . فكان جندب بن عمرو يقول « ان لاخلق خالقا لا اعلم ما هو » وهو قول جماعة من فلاسفة اليونان واليه يذهب كثير من المفكرين في هذا العصر

ولا يبعد ان العرب اقتبسوا ذلك وأمثاله من مخالطة بعض العلماء الوافدين عليهم أو في أثناء وفودهم على الشام أو العراق وفيهما العلماء والفلاسفة . ومن هذا القبيل قول الاعشى وكان نصرانيا :

استأثر اللهُ بالوفاء وبالـ عدلٌ وولئى الملامةُ الرجالـ

وهو مذهب فلسفى يراد به رفع التبعة عن الانسان . والمظنون ان الاعشى أخذ ذلك من بعض العباديين بالحيرة ..

وترى اقوالهم الماثورة لا تخلو من كناية وخيال شعري وصدق نظر في الامور ، كالأقوال المنسوبة الى أكثم بن صيفى وغيره من حكمائهم . ويؤيد ذلك أن المسلمين لما تمدنوا وأنشأوا العلوم جعلوا أساس علومهم اللسانية والادبية والاجتماعية آداب العرب الجاهلية ، وما زالوا في كثير منها مقصرين عن ادراك الشأ الذى بلغ اليه أولئك البدو عشراء الجمال وسكنة الصخور والرمال . فالشعراء والخطباء والكتاب واهل الادب في الاسلام

عمدتهم في اتقان صناعتهم الرجوع الى ما كان منها قبل الاسلام . والاداب الجاهلية اساس الاداب الاسلامية في ابان التمدن الاسلامي ، كما كانت الاداب اليونانية والرومانية اساس الاداب العصرية في التمدن الحديث ..

وكان للعرب في جاهليتهم القاب يلقبون بها النابغين منهم ، كما كان لساثر الامم المتمدنة قديما وحديثا .. فاذا نبغ احدهم في الشعر سموه « الشاعر » ونسبوه الى قبيلته ، فقالوا « شاعر تميم » او عامر او نحو ذلك ، فيكون هذا اللقب مميزا له عن سواه وكذلك الخطيب . واذا امتاز احدهم بالحكمة والفصل في الخصومة سموه « الحكم » مثل عامر بن الظرب ونحوه . وكان لهم لقب لا يعطى الا لمن احرز كل الاداب والفضائل ، وهو لفظ « الكامل » فكانوا يلقبون به الرجل اذا كان شاعرا شجاعا كاتبا سابحا راميا وهو يشبهه لقب « علامة » اليوم ولقب « فيلسوف » عند اليونان القدماء وقد لقبوا به أرسطو ، ولعل العرب اقتبسوه منهم

فبناء على ذلك لا ينبغي لنا أن نستخف بأدب العرب قبل الاسلام ونحسبها قاصرة على الشعر والخطابة واللغة بل هي اكثر من ذلك . ولكن أكرها ضاع لانها لم تدون ، فذهبت بذهاب الحفاظ بالحروب واشتغال الناس بالاسلام .. فنستدل بما بقى على ما كان ..

٤ - المرأة في الجاهلية

ومن اكبر الادلة على رقى العرب في جاهليتهم ارتقاء نسائهم .. فقد كان للمرأة عندهم رأى واردة ، وكانت صاحبة أنفة ورفعة وحزم .. فنفع غير واحدة منهن في السياسة والحرب والادب والشعر والتجارة والصناعة ، ولا سيما في أوائل الاسلام على اثر ما حصل من النهضة في النفوس وانعقول . فاشتهرت جماعة منهن بمناقب رفيعة تضرب بها الامثال وأكثرها في المدينة مقر الخلافة الاسلامية في ذلك العهد

الشهيرات في الشجاعة

فاللواتى اشتهرن في الجاهلية بالشجاعة وشدة البطش أو قوة النفس ، منهن سلمى بنت عمرو احدى نساء بنى عدى النجار .. فانها كانت امرأة شريفة لا تتزوج الرجال الا وأمرها بيدها ، اذا رأت من الرجل شيئا تركته على ان القائب في نساء الجاهلية ، أن يخبرن قبيل الزواج فلا يزوج الرجل ابنته الا بعد ان يشاورها .. واشتهرت التيمييات من نساء قريش بحظوتهن عند رجالهن وكبريائهن وقسوتهن عليهم . ناهيك بمن اشتهرن منهن بالبسالة في أثناء الغزوات . ففي معركة أحد وقع لواء قريش في ساحة القتال ، فلم يزل صريعا حتى اخذته امرأة منهم اسمها عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته لهم فلاذوا بها . وفعلت هند بنت عتبة امرأة ابي سفيان في تلك المعركة ما لم يفعله الرجال وهي تنشد في تحريض قومها على الثبات . ولما انتهت الواقعة ، خرجت مع النسوة تمتازر جثث الموتى فوجدت

بينها جثة حمزة عم النبي فمثلت بها .. ثم علت صخرة وانشدت اشعاراً
تفخر بالفوز على المسلمين ..

ونساء الجاهلية كن يصحبن الرجال الى ساحة القتال ، فيداوين
الجرحى ويحملن قرب الماء . وممن اشتهرن بالشجاعة أم عمارة بنت كعب
الانصارية ، وأم حكيم بنت الحارث ، والخنساء الشاعرة أخت صخر
وغيرهن ..

الشهيرات في الرأي والحزم

ونبغ في الرأي والحزم غير واحدة اشهرهن خديجة بنت خويلد ، وكانت
عاقلة حازمة لبيبة ذات شرف ومال ، تنتقى من اشتهر من الرجال بالامانة
والحزم فتستأجرهم بمالها وتضاربهم اياه بشيء تجعله لهم . ولما سمعت
بشهرة الرسول - قبل الدعوة - بالامانة وكرم الاخلاق بعثت اليه ان يخرج
في مالها تاجراً الى الشام وتعطيه افضل ما كانت تعطى غيره من الرجال .
فلما نجح في تجارته ، عرضت عليه ان يتزوج بها فأجابها . وهي اول من
أسلم ، وقد نشطته للقيام بالدعوة فكان لا يسمع شيئاً مما يكرهه من رد
عليه أو تكذيب له فيحزنه ويخبرها به الا ثبتته وخففت عنه وهونت عليه
.. وما زالت على ذلك حتى ماتت (١) وهل اكبر نفساً من الخنساء عندما
حرضت اولادها على الثبات في واقعة القادسية ، فلما بلغها أنهم قتلوا في
سبيل الجهاد قالت : « الحمد لله الذي شرقني بقتلهم »

الشهيرات في الشعر والادب

وكان للمرأة في الجاهلية شأن في الشعر والادب وسائر العلوم ، فنبغ
منهن عدة شواعر اشهرهن الخنساء وخرنق ، ولهما اشعار مطبوعة ومنشورة
على حدة .. وهناك عشرات من النساء الشواعر ، ذهبت أشعارهن
الا قليلاً جاءنا عرضاً في بعض الاخبار .. منهن كبشة أخت عمرو بن معدى
كرب ، وجليلة بنت مرة امرأة كليب الفارس المشهور ، ولها فيه مراث لم
ينظم احسن منها ، وميسة بنت جابر امرأة حارثة بن بدر وقد رثت زوجها ،
وأمية امرأة ابن الدمينه فقد قالت شعراً في عتابه لم يقل في العتاب احسن
منه . وسيأتى خبر ذلك في ترجمته ، وغيرهن مما يطول شرحه . وكان أبو
نواس يروى لستين شاعرة من العرب

وكان عندهم خطيبات ، اشتهر منهن هند بنت الخس وهي الزرقاء
وجمعة بنت حابس . وكان فيهن طبيبات اشهرهن زينب طبيبة بنى أود
كانت تعرف الطب وتعالج العين والجراح ، غير من كن يرافقن المحاربين
ويضمدن الجراح في ساحة الحرب

وهناك طبقة من النساء شغفن بالشعر وحفظنه للمذاكرة به في المجالس ،

(١) تاريخ التمدن الاسلامى ص ٥٦ ج ٥

فان عائشة أم المؤمنين كانت تحفظ كل شعر لبيد . ومنهن من كان الشعراء يتقاضون اليها لتحكم في أيهما أشعر ، كما فعلت جندب زوجة امرئ القيس اذ حكمها زوجها بينه وبين علقمة الفحل ، فحكمت حكما يدل على ذكاء ومعرفة كما سيجيء في ترجمة علقمة

وهناك جماعة نبغن في صدر الاسلام وفيهن مناقب الجاهلية .. كن يعتدن المجالس للمذاكرة في الشعر وانتقاده ، كما كانت تفعل سكينه بنت الحسين فانها كانت تجمع الشعراء اليها وتحادثهم وتنتقدهم ، وأخبارها مشهورة . وكذلك عائشة بنت طلحة ، وكانت اديبة عالمة ولها مجالس أدب وشعر . وكان في مكة امرأة جزلة اسمها خرقاء عندها سباطان من الاعراب تحدثهم وتناشدهم بلا ريب ولا سوء ظن . ومثلها عمرة امرأة أبي دهبيل الشاعر ، فقد كانت جزلة يجتمع اليها الرجال للمحادثة وانشاد الشعر قبل ان يتزوجها ، ومن هناك عرفها وتزوجها

فاجتماع الرجال والنساء للمحادثة والمذاكرة على هذه الصورة بلا ريبة ولا سوء ظن ، لم يبلغ اليه الناس الا في الامم الراقية وفي أرقى جماعاتهم وبالجمله فالامة التي تكون هذه حال نساؤها وينبغ فيها مثل من تقدم ذكرهن في الشجاعة والادب والشعر والراى أمة راقية

هـ - أقسام آداب العرب قبل الاسلام

تقسم آداب العرب قبل الاسلام الى علوم عربية أصلية اقتضتها اللغة العربية وأساليبها وقرائح أهلها ونسميها العلوم العربية .. وعلوم رياضية وأخرى طبيعية ونحوها ، وأكثرها دخیل على هذه الصورة :

العلوم العربية	العلوم الطبيعية	العلوم الرياضية	ما وراء الطبيعة
اللغة	الطب	الفلك	الكهانة
الشعر	البيطرة والخيول	الميثولوجيا	العابفة
الخطابة	مهاب الرياح	التوقيت	القيافة
النسب			تعبير الرؤيا
الامثال			الزجر
الاخبار			الخط في الرمل
مجالس الادب			
الاسواق			

فالعلوم العربية الاصلية أهمها كلها .. وهى التي كانت مطمح طلاب الادب بعد الاسلام ولا تزال ، فان بلاغة الجاهلية وشعر الجاهلية وامثال الجاهلية لا يزال الادباء يتحدثونها وينسجون على منوالها الى اليوم . أما العلوم الطبيعية فتند حوروها بما أخذوه عن اليونان والفرس ، وكذلك الرياضيات . أما علوم ما وراء الطبيعة فبعضها انقرض كالكهانة والقيافة والزجر ، وبعضها تبدل وتقدم كتعبير الرؤيا وخط الرمل . فنقدم الكلام في الاله منها

اللغة العربية

هى احدى اللغات السامية .. ويريدون باللغات السامية اللغات التى كان يتفاهم بها أبناء سام - وهم فى اصطلاحهم أهل ما بين النهرين وجزيرة العرب والشم - أشهرها العربية والسريانية والعبرانية والفينيقية والاشورية والبابلية والحبشية . ولم يبق حيا منها الا العربية والحبشية والعبرانية والسريانية . والعربية أرقاها جميعا

واللغات السامية أخوات لا يعرف لهن أم ، وظن بعضهم ان اللغة البابلية او الاشورية القديمة أمهن ، كما أن اللغة اللاتينية أم اللغات الاسبانية والايطالية والبرتغالية ولكن المحققين لا يؤيدون ذلك . والمعول عليه أن هذه اللغات السامية أخوات انقرضت أمهن قبل زمن التاريخ

١ - تاريخ اللغة العربية

البحث فى تاريخ اللغة على العموم يتناول أولا : النظر فى نشأتها منذ تكونها مع مامر عليها من الاحوال قبل زمن التاريخ ، كتكون الافعال والاسماء والحروف وتولد صيغ الاشتقاق واساليب التعبير ونحو ذلك . والبحث فى هذا كله ، من شأن الفلسفة اللغوية ، وقد فصلناه فى كتابنا « الفلسفة اللغوية » . ثانيا : النظر فيما طرأ على اللغة من التأثيرات الخارجية بعد اختلاط أصحابها بالامم الاخرى ، فأكتسبت من لغاتهم الفاظا وتعبيرات جديدة كما يقتبس أهلها من عادات تلك الامم واخلاقهم وآدابهم ما يوافق ذلك من تنوع معانى الالفاظ بتنوع الاحوال ، مع حدوث صيغ جديدة والفاظ جديدة . ثالثا : النظر فى تاريخ ما حوته اللغة من العلوم والآداب باختلاف العصور وهو « تاريخ آداب اللغة » وهذا التقسيم تقريبي اذ لا تجد حدا فاصلا بين هذه الاقسام

واذا تدبرت تاريخ كل ظاهرة من مظاهر الامة كالآداب أو اللغة أو الشرائع أو غيرها باعتبار ما مر بها من الاحوال فى أثناء نموها وارتقائها وتفرعها ، رأيتها تسير فى نموها سيرا خفيا لا يشعر به الا بعد انقضاء الزمن الطويل . ويتخلل ذلك انسیر البطيء وثبات قوية تأتى دفعة واحدة ، فتغير الشؤون تغيرا ظاهرا وهو ما يعبرون عنه بالنهضة . وسبب تلك النهضات فى الغالب احتكاك الافكار باختلاط بين الامم على اثر مهاجرة اقتضتها الطبيعة من قحط أو خوف ..

أو يكون سبب الاختلاط ظهور نبي أو متشرع أو فيلسوف كبير أو نبوغ قائد طماع يحمل الناس على الفتح والغزو أو أمثال ذلك من الانقلابات السياسية أو الاجتماعية . فتتحاك الأفكار وتتمازج الطبائع ، فتتنوع العادات والاخلاق والاديان والآداب ، واللغة تابعة لكل ذلك بل هي الحافظة لآثار ذلك التغيير فتدخرها قررنا بعد زوال تلك العادات أو الآداب أو الشرائع ، وإذا تبدل شيء منها حفظت آثار تبديله

واللغة العربية تعرضت لهذه الطوارئ مثل سائر اللغات الحية ، وتقلبت على أحوال شتى ، فتنوعت ألفاظها بالنحت والابدال والقلب ، ودخلها كثير من الألفاظ الأعجمية في عصر مختلفة قبل أن تدون وتضبط في أزمنة لم يدركها التاريخ . وإنما نستدل على ذلك من درس ألفاظها ومقابلتها بأخواتها وغيرها

واللغة العربية التي نحن بصدددها هي لغة الحجاز التي وصلت إلينا . وكانت قبل الإسلام لغات عدة تعرف بلغات القبائل ، وبينها اختلاف في النطق والترتيب كلغات تميم وربيعة ومضر وقيس وهذيل وقضاعة وغيرها كما هو مشهور . . وأقرب هذه اللغات شبهة باللغة السامية الأصلية أبعدا عن الاختلاط . وبعبارة ذلك القبائل التي كانت تختلط بالأمم الأخرى كأهل الحجاز مما يلي الشام وخصوصا أهل مكة من قريش ، فقد كانوا أهل تجارة وسفر شمالا إلى الشام والعراق ومصر وجنوبا إلى بلاد اليمن وشرقا إلى خليج فارس وما وراءه وغربا إلى بلاد الحبشة

فضلا عما كان يجتمع حول الكعبة من الأمم المختلفة وفيهم الفرس والانباط واليمانية والاحباش والمصريون ، غير الذين كانوا ينزحون إليها من جالية اليهود والنصارى . فدعا ذلك كله إلى ارتقاء اللغة بما تولد فيها أو دخلها من الاشتقاقات والتراكيب مما لا مثيل له في اللغات الأخرى

وزاد ذلك الاقتباس خصوصا بالنهضة التي حدثت في القرنين الأول والثاني قبل الإسلام بنزول الحبشة والفرس في اليمن والحجاز على أثر استبداد ذي نواس ملك اليمن ، وكان يهوديا فاضطهد نصارى اليمن في القرن الخامس للميلاد وخصوصا أهل نجران . . فطلب إليهم اعتناق اليهودية ، فلما أبوا قتلهم حرقا وذبحا . فاستنجد بعضهم بالحبشة ، فحمل الاحباش على اليمن وفتحوها واستعمروها حينئذ ، وأذلوا ملوكها أعواما . ثم انف أحد أمرائها « ذو يزن » فاستنجد الفرس على عهد كسرى أنو شروان ، فأنجده طمعا في الفتح ، فأخرج الاحباش من اليمن بعد أن ملكوها نحو سبعين سنة وكانوا في أثناء ذلك يترددون على الحجاز ، وحاولوا فتحه في أواسط القرن الخامس فجاءوا مكة بأفيالهم ورجالهم ولم يفلحوا ، وأهتم أهل الحجاز بقدوم الحبشة إلى مكة حتى أرخوا به ، وهو عام القيل . ولما فتح الفرس اليمن أقاموا فيها واختلطوا بأهلها بالمباينة والمزاوجة وتوطنوا ، وكانوا يقدمون إلى الحجاز ، وأهل الحجاز يترددون إليهم

٢ - ما دخلها من الالفاظ الاعجمية (*)

غير ما طرأ عليها من التغير والتبديل قبل زمن التاريخ فتكاثرت الفاظها ومنسقاتها ودخلها كثير من الالفاظ الاجنبية . وغير ما اقتبسته من التراكيب انغريية ، ولكن اكثره ضاع فيها وتنوع شكله ولم يعد يتميز أصله . على اننا نستدل على تكاثر الالفاظ الدخيلة في اللغة العربية بخلو اخواتها من أمثال تلك الالفاظ . فإذا رأينا لفظا في العربية ولم نر له شبيها في العبرانية أو السريانية أو الحبشية ، ترجح عندنا أنه دخل فيها . وأكثر ما يكون ذلك أسماء العقاقير أو الادوات أو المصنوعات أو المعادن أو نحوها مما يحمل الى بلاد العرب من بلاد الفرس أو الروم أو الهند أو غيرها ، ولم يكن للعرب معرفة به من قبل . أو في أسماء بعض المصطلحات الدينية أو الادبية ، وأكثر هذا منقول عن العبرانية أو الحبشية لأن اليهود والاحباش من اهل الكتاب

الالفاظ الفارسية واليونانية

ويقال بالاجمال ان العرب اقتبسوا من لغة الفرس أكثر مما اقتبسوا من سواها ، ولذلك رأينا أئمة اللغة اذا أشكل عليهم أصل بعض الالفاظ الاعجمية عدوها فارسية . ومن أمثلة ما ذكره صاحب الزهر من الالفاظ الفارسية : « الكوز الجرة الابريق الطشت الخوان الطبق القصعة السكرجة السمر السنجاب القاقم الفنك الدلق الخز الديباج التاختج السندس اليساقوت الفيروزج البلور الكعك الدرهم الجردق السميذ السكباج الزيرباج الاسفيداج الطباهج الفالوزج اللوزينج الجوزينج التفرينج الجلاب السكنجبين الجلنجبين الدارصيني الفلفل الكرويا الزنجبيل الخولنجان القرقة النرجس البنفسج النسرين الخيري السوسن المرزنجوش الياسمين الجلنار المسك العنبر الكافور الصندل القرنفل » وعندنا أن بعض هذه الالفاظ غير فارسي كما ستري ومما اقتبسوه من اليونانية واللاتينية الفردوس والقسطاس والبطاقة والقرسطون والقبان والاسطرلاب والقسطل والقنطار والبطريق والترياق والقنطرة وغيرها كثير

الالفاظ الحبشية والعبرانية

وأما ما نقلوه عن الحبشية فأكثره لا يدل على أصله لتغير شكله ، ولأن الحبشية وانغريية اختان تشابه الالفاظ فيهما . والمشهور عند علماء العربية من الالفاظ المقتبسة من الحبشية ثلاثة : كفلين والمشكاة والهرج . لكننا لانشك في انهم اقتبسوا كثيرا غيرها وخصوصا فيما يتعلق بالمصطلحات الدينية من ذلك قولهم « المنبر » وهو عند العرب « مكان مرتفع في الجامع أو

(*) راجع في هذا الموضوع كتاب التطور النحوي للغة العربية لبرجشتراسر (طبع مطبعة السماح ١٩٢٩ م) ص ١٤٢ - ١٥٤ وهو سلسلة محاضرات ألقاها بجامعة القاهرة . بحث فيها دخول الالفاظ الاجنبية الى العربية في الجاهلية بحثا علميا دقيقا

الكنيسة يقف فيه الخطيب أو الواعظ « وقد اشتقه صاحب القاموس من « نبر » أى ارتفع وفي ذلك الاشتقاق تكلف . وعندنا انه منقول عن « منبر » من الحبشية أى كرسى أو مجلس أو عرش

ومن هذا القبيل لفظ « النفاق » وهو عند العرب « ستر الكفر فى القلب واظهار الايمان » وقد اشتقوه من « نفق » راج أو رغب فيه ، وليس بين المعنيين تناسب فاضطروا لتعليله الى استعارة خروج اليربوع من نافقائه فقالوا « ومنه اشتقاق المنافق فى الدين » وهو تكلف نحن فى غنى عنه اذا عرفنا ان « نفاق » فى الحبشية معناها الهرطقة أو البدعة أو الضلال فى الدين . وهى من التعبيرات النصرانية التى شاعت فى الحبشة بدخول النصرانية فيها وكذلك لفظ « الحوارى » اشتقه صاحب القاموس من « حار » بمعنى البياض وقال فى معنى الحوارى « انه سمي بذلك لخلوص نية الحواريين ونقاء سريرتهم أو لانهم كانوا يلبسون الثياب البيض » . والظاهر عندنا أن هذه اللفظة معرب حوارى فى الحبشية ومعناها فيها « الرسول » وهو المعنى المراد بها فى العربية تماما

وكذلك « برهان » اشتقها صاحب القاموس من « برهن » واشتقها غيره من « بره » بمعنى أقطع وأن النون زائدة فيها وهى فى الحبشية « برهان » أى النور أو الايضاح مشتقة من « بره » أى اتضح أو انار

وقس على ذلك كثيرا من أمثاله كالمصحف . فانه حبشى من « صحف » أى كتب والمصحف الكتاب . . ناهيك بأسماء الحيوانات أو النباتات أو نحوها فان « عنيسة » من أسماء الاسد عند العرب وهى الاسد بالحبشية

وقد أخذوا عن العبرانية كثيرا من الالفاظ الدينية كالحج والكاهن والعاشوراء وغيرها ، واكثرها نقل الى الصيغ العربية لتقارب اللفظ والمعنى فى اللغتين لانهما شقيقتان ، ويضيق هذا المقام عن ايراد الامثلة

الالفاظ السنسكريتية

ولا ريب فى أن العرب اقتبسوا كثيرا من الالفاظ السنسكريتية ممن كان يخالطهم من الهنود فى أثناء الاسفار للتجارة أو الحج ، لان جزيرة العرب كانت واسطة الاتصال بين الشرق والغرب . . فكل تجارات الهند المحمولة الى مصر أو الشام أو المغرب كانت تمر ببلاذ العرب ، وكان للعرب فى حملها أو ترويجها شأن . وقد عثرنا فى السنسكريتية على الفاظ تشبه الفاظا عربية تغلب أن تكون سنسكريتية الاصل لخلو اخوات العربية من أمثالها كقولهم « صبح » و « بهاء » فانهما فى السنسكريتية بهذا اللفظ تماما ويدلان على الاشراق أو الاضاءة . ولا يعقل انهما مأخوذان عن العربية لان السنسكريتية دونت قبل العربية بزمان مدبد . ونظن لفظ « سفينة » سنسكريتى الاصل أيضا وكذلك « ضياء » ولعلنا بزيادة درسنا اللغة السنسكريتية ينكشف لنا كثير من أمثال ذلك . .

على أننا نرجح أن العرب أخذوا عن الهنود كثيرا من المصطلحات التجارية وأسماء السفن وادواتها وأسماء الحجارة الكريمة والعقاقير والاطياب مما

يحمل من بلاد الهند . والعرب يعدونها عربية أو يلحقونها بالالفاظ الفارسية نساها ، كالمسك مثلا ، فقد رأيت صاحب المزهري يعده فارسيا ، وهكذا يقول صاحب القاموس ، وهو في الحقيقة سنسكريتي ، ولفظه فيها « مشكاة » . وذكروا « الكافور » بين الالفاظ الفارسية وهو هندي على لغة أهل ملقا ولفظه سندهم « كابور » . وقد ذكروا أيضا أن القرنفل فارسي ، والغالب عندنا أنه سنسكريتي لأن أصله من الهند ، وقس عليه

وفي كتابنا « تاريخ اللغة العربية » فصل ضاف في هذا الموضوع بينا فيه القاعدة في تعيين أصول الالفاظ الاعجمية ، واوردنا كثيرا من الالفاظ المنقولة للعربية من اللغات الفارسية والهندية واليونانية واللاتينية والعبرية ، وأئمة اللغة يعدونها عربية ، وفصل آخر فيما لحق اللغة العربية من التغير في الفاظها بمقابلتها بأخواتها (١)

٣ - كيف كانت اللغة العربية لما جاء الاسلام ؟

ليس ما قدمناه وشرنا اليه من تاريخ تكون اللغة العربية وترقيتها الا فذلكه مثلنا بها ذلك التاريخ . ولا يستطيع تفصيله وتعيين التقلبات التي مرت بها هذه اللغة قبل الاسلام ، اذ ليس لدينا أمثلة مدونة يرجع اليها أو يقاس عليها ، غير ما قدمناه مما وجدوه منقوشا على قبر امرئ القيس (٢) وهو لا يشفي غليلا . ولو أن أشعار أيوب كانت مدونة كما دونت الياذة هوميروس مثلا ، لاستخرجنا من المقابلة بين لغتها ولغة الجاهلية الثانية تاريخ تقلب الالفاظ والتعابير . . . كما فعل اليونان في بيان الفروق بين لغة الالياذة ولغات ما دون بعدها . وكما فعلنا في تدوين تاريخ اللغة العربية بعد الاسلام ، وما تقلبت عليه من تبدل الالفاظ وتفرعها وتنوعها ودخول الالفاظ والتراكيب الاعجمية ، وما اخذته من كل لغة حسب الاطوار التي مرت بها (٢) وكما يفعل فلاسفة اللغة في رد اللغات الحية الاوربية الى أصولها اللاتينية والجرمانية واليونانية ومهما يكن من تاريخ اللغة العربية القديم ، فقد عرفناها عند ظهور الاسلام واضحة وقد تفرعت الى لغات باختلاف الاصقاع والقبائل ، فدون المسلمون احدى تلك اللغات مع أمثلة من سائر اللغات على ما سنبينه

٤ - البلاد التي كان أهلها يتكلمون العربية قبل الاسلام

اذا نظرت الى الخريطة اليوم ، رأيت الناطقين بالعربية منتشرين في غربي البحر المتوسط وجنوبه الى الشام والعراق وما بين النهرين وفي جزيرة العرب وفي مصر وطرابلس الغرب وتونس والجزائر ومراكش وعلى شواطئ البحر الاحمر وفي السودان وغيرها من اواسط افريقيا وعلى شواطئ افريقيا الشرقية وغيرها . . . غير الذين يتعلمون العربية للمعاملات الدينية ، وهم

(١) راجع تاريخ اللغة العربية من صفحة ١٠ - ٢١ طبعة ثانية
(*) سبق أن ذكرنا في ص ٣٢ نقوشا أخرى عثر عليها المنقبون غير نقش امرئ القيس المذكور
(٢) راجع تاريخ اللغة العربية من صفحة ٢٢ - ٢٣ طبعة ثانية

المسلمون في أكثر انحاء المعمورة في فارس وخراسان وافغانستان وتركستان والهند والصين وجزائر الهند الشرقية وسائر البلاد التي دخلها الاسلام في القارات الخمس

اما قبل الاسلام ، فقد كانت اللغة العربية محصورة في جزيرة العرب وما يليها من مشارف الشام والعراق الى تدمر وفي بادية الجزيرة « بين النهرين » وفي جزيرة سينا وقليل بعدها في صحراء مصر الشرقية (١)

ويعسر تقدير احصاء العرب في ذلك العهد ، كما يعسر تقديره اليوم ، لاعتماد أولئك الاقوام على الرحلة والتنقل في البوادي . . ولكننا نحسبهم لا يزيدون على بضعة ملايين ، اكثرهم من اهل البادية متفرقون قبائل وعشائر وافخاذا وبطونا في الحجاز ونجد واليمن وتهامة وحضرموت وعمان والاحساء والبحرين وفي بادية الشام والعراق . يندر فيهم المتحضرون سكان المدن ، اذ لم يكن يومئذ من المدن العامرة في جزيرة العرب غير مكة والمدينة والطائف بالحجاز ، وصنعاء في اليمن وبعض المزارات في اواسط الجزيرة وبعض الثغور على الشواطىء

فالمعول في احصاء العرب على اهل البادية ، وكانوا ينقسمون حسب قبائلهم ، وكانت تلك القبائل مع كونها رحالة تنحصر رحلتها غالبا في بقعة من بقاع الجزيرة مالم يطراً عليها طارئ يبعثها على الانتقال الى بقعة أخرى ، كما اصاب قبائل عدنان في القرون الاولى قبيل الميلاد وبعده . . اذ كانت تقيم في تهامة ثم تفرقت فيها وفي الحجاز ونجد . وكانت القبائل القحطانية في اليمن ، ثم انتشرت في سائر جزيرة العرب . ولكل انتقال سبب طبيعي أو سياسي أو غير ذلك مما يطول شرحه ، وقد فصلناه في كتابنا « العرب قبل الاسلام »

فلما جاء الاسلام كانت قبائل العرب البادية اكثرها في نجد وتهامة والحجاز والاحساء ومشارف الشام والعراق ومعظمها من العدنانية ، كما تجد ذلك مبينا في الخريطة . .

وبالقياس على ما نشاهده اليوم من تعدد لغات — أو لهجات — المتكلمين بالعربية في الشام والعراق ومصر والمغرب وما بينها من الاختلاف لفظيا وتركيبيا ، مع أن الاصل واحد فيها جميعا « لغة مضر » نعتقد أن لغات تلك القبائل كانت تختلف بعضها عن بعض ويزداد الفرق بينها بزيادة البعد وباختلاف ما يجاورها من غير العرب . فلغات اواسط جزيرة العرب وان بعدت الشقة بينها كانت اكثر تقاربا مما بينها وبين لغات اهل الشواطىء لاختلاط هؤلاء بالاعاجم على شواطىء خليج العجم والبحر الاحمر من جالية الفرس والهند والاحباش وغيرهم ، أو عند مشارف الشام لاختلاطهم بأهل المدن من السريان أو الروم أو الانباط في الشام والعراق . ولما نهض المسلمون في صدر الاسلام لجمع اللغة . لاحظوا هذه الاعتبارات التماسا لاختيار احسن اللغات وابعدها عن العجمة . .

(١) راجع خريطة جزيرة العرب ص ١٠٤ من تاريخ العرب قبل الاسلام

٥ - فروع اللغة العربية

واذا أمعنت النظر في الخريطة ، رأيت أكثر سكان أواسط جزيرة العرب من قبائل مضر . . . وأعظمها يومئذ تميم في شرقي نجد ، وغطفان « عبس رذبيان » وسليم وغيرهما في نجد ، وأرقاها قريش في مكة ، وكان من القبائل القحطانية هناك طيء في نجد ومذحج في أطراف الحجاز . وأكثر السكان في الشمال الشرقي من ربيعة ، ومنهم بكر وتغلب في بادية العراق والجزيرة

فلغات هذه القبائل كانت تختلف بعضها عن بعض باختلاف أصولها ومساكنها ، وكان الاختلاف على معظمه بين لغات اليمن ولغات الحجاز ونجد أي بين جنوب الجزيرة وشمالها . واحسن مثال للغات الجنوب ما خلفه الحميريون من الآثار بالحرف المسند ، واحسن مثال للغة الحجاز لغة القرآن وشعر الجاهلية، والفرق بين اللغتين كبير . والعرب يسمون لغة قدماء اليمنيين « المسند » . ولمن أقام حول اليمن من العرب لغات لعلها فروع من لغة اليمن . وكان لكل اقليم منها لسان يختلف عن السنة سائر الاقاليم وله اسم خاص يعرف به ، وهي :

المسند : لغة في اليمن

الزبور : لغة حضرموت وبعض اليمن

الرشق : لغة عدن والجند

الحويل : لغة مهرة والشحر

الزقزة : لغة الاشعرين

هذا هو تقسيم العرب للغات اليمن (※) ، ويرى العلماء اليوم ان بعضها غير عربي ولكن أكثرها ذهب ولا سبيل الى تحقيق ذلك

أما لغات أهل الحجاز ونجد وسائر الشمال وهم العدنانيون ، فترجع الى أصل واحد يسمونه « المبين » وهو الباقي الى الآن ومنه لغة القرآن وقد تغلب على سائر اللسان وانتشر مع المسلمين في الارض

اللسان المبين

فاللسان المبين كان يتكلمه عرب الشمال وهم قبائل كثيرة كما رأيت ، وبينها فروق في معاني اللفاظ ونطقها وفي أساليب التركيب . ولكن الاسلام ذهب بها جميعا الى لغة قريش « لغة القرآن » وما اختاره علماء اللغة من الفاظ القبائل الاخرى ، ولم يبق من لغات هذه القبائل الى الآن الا أمثلة ذكرها علماء اللغة عرضا من باب العيوب وأكثرها في قبائل ربيعة . . . مثال ذلك انهم كانوا يزيدون بعد ضمير المخاطب المفرد شيئا ، فيقولون عليكش وبكش بدلا من عليك وبك . وجاء في بعض الكتب انهم يبدلون الكاف شيئا ،

(※) يقسم علماء الساميات مجموعة اللغات العربية الجنوبية الى قتبانية ومعينية وسبئية وحميرية وحضرية وما يتصل بها من مهريّة وشحرية

فيقولون عlish بدل عليك .. وهى فى الحالين غير الشين التى يدخلها عامة المصريين على الاستفهام

ومن بقايا لغات القبائل ان بنى تميم كانوا يلفظون الهمزة اذا وقعت فى اول الكلمة عيناً ، فيقولون فى « أسلم » « عسلم » ويسمونها العننة ، وكان الهذليون وهم قبيلة من مضر يجعلون الحاء عيناً ويسمونها الفحفحة .. ومنها العجمجة فى قضاة وهى ان يجعلوا الياء المشددة جيما فيقولون فى تميمي تميمج . والاستنطاء فى لغة سعد بن بكر وهى ان يقولوا انطى بدل اعطى . وعند بعض القبائل حروف لا توجد عند سواها كالحرف بين القاف والكاف فى لغة تميم لعله كالكاف الفارسية . وذكر صاحب المزهرة امثلة كثيرة من هذه العيوب (١)

ومن اللغات الشاذة التى تفيدنا فى الرجوع الى أصل اللغة العربية استعمال الذال للموصول بدل « الذى » فان بعض العرب (قبيلة طى) يقولون « فلان ذو سمعت به » أى الذى سمعت به ، وهو تركيب آرامى أو بابلى من بقايا القرابة بين العرب والحمورابيين . ومن هذا القبيل كسر اول فعل المضارع كما يفعل سريان هذه الايام ، فانه كان عاماً فى قبائل العرب الا فى قريش واسد (٢) ولغات القبائل المشار اليها ظلت بعد الاسلام مدة ، ثم أخذت تنقرض بالتدريج وحلت لغة قريش محلها .. ليس فى جزيرة العرب فقط بل فى كل بلد دخله الاسلام ..

على أن ما بعده أئمة اللغة عيوباً فى لغات هذه القبائل ، انما يصح تسميته بذلك بالنظر الى اللغة التى اختاروها لا بالنظر الى اللغة نفسها .. فان استعمال « ذو » للموصول لم يسموه عيباً الا لانه يخالف المألوف فى لغة قريش ، ولو الهود لفضلوه على « الذى » . وعلى كل حال فان علماء اللغة لما قاموا لجمع اللغة تخيروا من لغات تلك القبائل احسن ما فيها بالنظر الى اذواقهم ومألوفهم . واكثر ما أخذوه من قيس وتمرير واسد ، وسنعود الى ذلك عند الكلام عن جمع اللغة وتدوينها ..

(١) المزهرة ١٠٩ ج ١
(٢) المزهرة ١٢٤ و ٢٥٢ ج ١

مميزات اللغة العربية

للغة العربية كما وصلت اليها خصائص تميزها من سواها ، وتدل على مبلغ عقول اصحابها من الرقى وان كانوا بادية راحلين ، وهذه هي مميزاتهما :

١ - الاعراب

نعني بالاعراب تغير أواخر الكلمات بتغير العوامل الداخلة عليها بالرفع والنصب والجر والسكون . واللغات الحية في العالم المتمدن الآن تعد بالعشرات ، ليس بينها من اللغات المعربة الا ثلاث : وهي العربية والحبشية ، واللغة الالمانية . والظاهر أن الاعراب من خصائص التمدن القديم ، لان لغات ذلك التمدن كان معظمها معربا ، كذلك كانت اللغات البابلية (الاشورية) والعربية واليونانية واللاتينية والسنسكريتية . واللغات التي تخلفت عن تلك الامهات جاءت خالية من حركات الاعراب . فاللغات التي تخلفت عن اللاتينية في أوربا وعن السنسكريتية في الهند وايران غير معربة . وكذلك اللغات التي تخلفت عن اللغة البابلية وهي السريانية والكلدانية لم يبق فيها اعراب . ومثلها اللغات التي تخلفت عن اللغة العربية ، نعني لغات العامة في الاصقاع العربية اليوم فانها غير معربة كأن الاعراب اذا ترك لمجاري الطبيعة لا يعيش في الرخاء طويلا ، وانما يعيش في البادية أو نحوها من أحوال الخشونة أو القوة . . . الا اذا أراد أصحابه تقييد لغتهم بالقواعد ، كما فعل العرب والامان . على أن اللغة العربية سارت سيرها الطبيعي على السنة العامة ، فذهب الاعراب منها

ومما يحسن قوله أن اللغات السامية القديمة على كثرتها ، اختص منها بالاعراب لغة بابل (الاشورية) واللغة العربية . ولعل في ذلك ما يدل على وحدة أصل العرب والحمورابيين ، وأن الامتن كانتا أمة واحدة تنكلم لسانا واحدا معربا . . . فتحضر الحمورابيون وظل العرب بادية ومنهم العمالقة . فلما تمدن الحمورابيون وركنوا الى الرخاء ، ذهب الاعراب من لسانهم وبقي في كتاباتهم المنقوشة ، كما أصاب العرب بعد قيام دولتهم وتقييد لغتهم ، فنشأ من بقايا البابليين أمة لغتها غير معربة هم السريان والكلدان . كما نشأ من العرب أقوام لا يعربون كلامهم ، وهم عامة الشام ومصر وغيرهما من بلاد العرب ، وكان أجدادهم في البادية يعربونه . . .

٢ - دقة التعبير

وتمتاز اللغة العربية بدقة التعبير بألفاظها وتراكيبها . . أما الألفاظ ففيها لكل معنى لفظ خاص ، وحتى أشباه المعاني أو فروعها وجزئياتها . وقد ذكرنا أمثلة من ذلك فيما تقدم . ومن أمثلة دقة التعبير فيها وجود الألفاظ لتأدية فروع المعاني أو جزئياتها ، فعندهم لكل ساعة من ساعات النهار اسم خاص به . والساعة الأولى الذرور ، ثم اليزوغ ، ثم الضحى ، ثم الغزاة ، ثم الهاجرة ، ثم الزوال ، ثم العصر ، ثم الاصيل ، ثم الصبوب ، ثم الحدور ، ثم الغروب . ويقال فيها أيضا البكور ، ثم الشروق ، فالأشراق ، فالرأد ، فالضحى ، فالمتوع ، فالهاجرة ، فالأصيل ، فالعصر ، فالطفل ، فالحدور ، فالغروب

وعندهم اسم لكل ليلة من ليالي القمر . . وتجد للمعنى الواحد عدة الألفاظ ، يعبر كل منها عن تنوع من تنوعات ذلك المعنى . . فللشعر مثلاً أسماء عدة حسب منبته ، كالقروة لشعر معظم الرأس ، والناصية لشعر مقدم الرأس ، والنؤابة لشعر مؤخرة الرأس ، والفرع لشعر رأس المرأة ، والغديرة لشعر ذؤابتها ، والدبب لشعر وجهها إلى غير ذلك . . وهو كثير . وقس عليه أسماء المعاييب ، والغطش ، والجهر . ولكل منها معنى خاص مما لا مثيل له في أرقى لغات البشر قديماً وحديثاً

واعتبر ذلك تفرع معاني الأفعال ، كتفرع فعل النظر إلى : رمق ، ولمح ، وحج ، وشفن ، وتوضح ، ورنأ ، واستكف ، واستشف . ومثلها فروع أفعال الجلوس والقيام والمشي والنوم وضروب الأصوات للحيوان والإنسان وغير ذلك . وفي المخصص وفقه اللغة ألوف من هذه الأمثلة . ولا خلاف في أن ذلك من أدلة الارتقاء . . ناهيك بالترادفات في الأوصاف ، وهي أكثر من أن تحصى . ولعل العربية أغنى اللغات في الألفاظ المعبرة عن المعاني المجردة وانفعالات العواطف . . ففيها لأنواع الحب نحو عشرة ألفاظ ، ومثلها — للبغض والحسد والطمع وغيرها

ومن وسائل دقة التعبير في العربية مزيادات الأفعال ، فان صيغ المشاركة تعبر باللفظ الواحد عن معانٍ لا يعبر عنها في اللغات الأخرى إلا بعدة ألفاظ ، كقولنا تتأتلوا وتقاضوا ، وهذه الصيغة خاصة بالعربية

٣ - الإعجاز والإيجاز

لكل قوم إعجاز في لغتهم فيدلون بلفظ قليل على معنى كثير ، ولكن العرب أقدر على ذلك من سواهم ، لان لغتهم تساعدهم عليه وقد تعودوه وألفوه ، ومنه في القرآن والحديث والأمثال وكتب الفقه والشرع والأدب أمثلة كثيرة ، ومن هذا القبيل استعمال المجاز والكناية وسائر أساليب البديع ، فانها في العربية أرقى مما في سواها لانها لغة شعرية كثيرة الكنايات والإشارات يسهل فيها التعمية والألفاظ . ولذلك رأيت في أخبار أهل البادية أمثلة كثيرة من هذا القبيل تدل على الذكاء وامتلاك ناصية اللغة ، كقول جاسوس

مهم وقع في أيدي الأعداء فحبسوه وألزموه أن يكتب كتابا إلى ملكه يحمله فيه على مداهم ويؤهمه بقلة عددهم وأسلحتهم غشا وتغريرا . فكتب إلى الملك كتابا قال فيه :

« أما بعد فقد أحطت علما بالقوم وأصبحت مستريحا من السعي في تعرف أحوالهم ، واني قد استضعفتهم بالنسبة إليكم . وقد كنت أعهد في أخلاق الملك المهلة بالأمور والنظر في العاقبة، فقد تحققت أنكم الفئة الغالبة بأذن الله . ولقد رأيت من أحوال القوم ما يطيب به قلب الملك . ونصحت فدع ريبك . ودع مهلك والسلام »

وسلم الكتاب إلى العدو فأرسلوه إلى الملك بعد ما اطلعوا عليه . ففطن الملك لما أراد الكاتب ، وقال لحاشيته ان الجاسوس وقع في الأسر فأصبح مستريحا من السعي ، وأنه رآهم أضعافنا واننا قليل بالنسبة لهم اذ لمج بآية « كم من فئة قليلة » . ولفتنى إلى الأناة اذ جعلها عادة لي . وأراد قلب حروف الجملة الأخيرة ، فتكون : « كلهم عدو كبير عد فتحصن » (*)

٤ - المترادفات والاضداد

في كل لغة مترادفات أي عدة ألفاظ للمعنى الواحد ، ولكن العرب فاقوا في ذلك سائر أمم الأرض . . ففي لغتهم للسنة ٢٤ اسما وللنور ٢١ اسما وللظلام ٥٢ اسما وللشمس ٢٩ اسما وللسموات ٥٠ اسما وللسموات ٨٨ اسما وللسموات ١٧٠ اسما وللبن ١٣ اسما وللغسل نحو ذلك وللخمر مئة اسم وللأسد ٣٥٠ اسما وللحية مئة اسم ومثل ذلك للجمال ، أما الناقة فأسمائها ٢٥٥ اسما . وقس على ذلك أسماء الثور والفرس والأحمار وغيرها من الحيوانات التي كانت مألوفا عند العرب ، وأسماء الأسلحة كالسيف والرمح وغيرها . . ناهيك بمترادفات الصفات ، فعندهم للطويل ٩١ لفظا ، وللقصير ١٦٠ لفظا ، ونحو ذلك للشجاع والكريم والبخيل مما يضيق المقام عن استيفائه . .

وأسباب كثرة المترادفات في العربية متنوعة ، منها أن كثيرا من أسماء الحيوان أصلها نعوت ثم صارت أسماء ، وبعضها مأخوذ عن لغة أخرى . فمن أسماء الأسد مثلا : الحطام ، والخطار ، والأصيد ، والشديد ، والراهب ، والمرهوب ، والمهوب ، والأغلب ، والأصهب ، والمجرب ، والباسل ، والميأس ، ونحوها ، وهي نعوت لطباع الأسد وظواهره . ومن أسمائه عنيسة ، وهو اسمه بالحشية . وقد يكون السبب في زيادة المترادفات استعارة أسماء حيوانات أخرى للدلالة على هذا الحيوان يكون بها عن بعض طبائعه

ومن خصائص اللغة العربية أسماء الاضداد ، فان فيها مئات من الالفاظ

(*) هذه القصة بينة الانتحال ، وهي مع ذلك ليست قصة جاهلية فما فيها من إشارة إلى بعض آي الذكر الحكيم يجعلها - أن صحت - إسلامية وليست جاهلية

يدل كل منها على معنيين متضادين مثل قولهم « قعد » للقيام والجلوس
و « نضح » للعطش والرى و « ذاب » للسيولة والجمود و « افد » للاسراع
والابطاء و « اقوى » للافتقار والاستغناء

٥ - المعاني الكثيرة للفظ الواحد

ومن خصائصها أيضا دلالة اللفظ الواحد على معان كثيرة ، فمن الفاظها
نيف ومثتا لفظ يدل كل منها على ثلاثة معان ، ونيف ومئة لفظ يدل الواحد
منها على أربعة ومثلها التي تدل على خمسة معان . وقس على ذلك ما يدل
على ستة معان فسبعة فثمانية فتسعة الى خمسة وعشرين معنى كالحميم .
ومما تزيد مدلولاته على ذلك « الخال » فانها تدل على ٢٧ معنى ولللفظ
« العين » ٣٥ معنى ولللفظ « العجوز » ٦٠ معنى

٦ - السجع وغيره من أسباب سعة اللفظ

ان كثرة المترادفات في اللغة العربية وتعداد المعاني للفظ الواحد جعلتها
واسعة التعبير وسهلت على أصحابها التسجيع . وكان التسجيع شائعا في
الجاهلية بلغة الكهان (*) على أساليب يستقبحها أهل اللغة لغرابة الفاظها
وركاكة تركيبها

ومن نتائج سعتها اقتدار أصحابها على كتابة المعنى الواحد بعدة تراكيب
بين عاطل ومهمل ومنقط أو مشترك . وقد علمنا أن بعضهم كتب تفسير
القرآن بألفاظ ليس فيها حرف منقط . وهناك تراكيب بشرط فيها اذا
قرأ الاثغ لا تظهر لثغته لخلوها من الراء . وقد خطب واصل بن عطاء خطبة
طويلة لم يرد فيها حرف الراء ، وكان اذا قال شعرا لم يورد فيه حرف
الراء على الاطلاق (١) وذلك لا يتيسر في اللغات الاخرى . وقد جرب
بعضهم كتابة أسطر بالامانية بدون راء ، فلم يستطع ذلك الا بشق
النفس

٧ - حكاية الاصوات

ومن خصائص اللغة العربية ان لافاظها وقعا على الاذن ، له تأثير موسيقى
يختلف شدة ولطافة باختلاف التراكيب فيؤثر في النفس تأثيرا خاصا سواء
كان نثرا او نظما . من امثلة الوقع الشديد ، وصف الاسد لابي زبيد
الظائي بن يدي عثمان بن عفان ، فقد قال وهو يصف خروج الاسد عليهم في

(*) لم يكن السجع في الجاهلية خاصا بالكهان في نبوءاتهم ، بل كان شائعا في الخطابة
بين الخطباء . انظر الفصل الاول من كتابنا « الفن ومذاهبه في النثر العربي » وكلمة سجع
في دائرة المعارف الاسلامية

(١) البيان والتبيين ١١ ج ١

واد (*) : « فضرِبَ بيديه فأرهج وكُسر ، فأفرج عن أنيساب كالمعاول مصقولة غير مفلولة ، وفم اشدق كالغار الاخوق . ثم تمطى فأسرع بيديه وحفز وركبه برجليه حتى صار ظله منليه . ثم أقعى فاقشعر ثم مثل فاكفهر ، ثم تجهم فازبأر فلا وذو (١) بيته في السماء ما اتقيناه إلا بأخ لنا من فزارة . نان ضخم الجزارة فوقصه ثم نقضه نقضة فقضقض متنيه فجعل يلغ في دمه . فذمرت أصحابي فبعد لآي ما استقدموا فهجهجنا به فكر مقشعرا كأن به شمما فاختلج رجلا أعجز ذا حوايا فنقضه نقضة تزايلت منها مفاصله . ثم همهم فقرقر ، ثم زفر فبربر ، ثم زار فجرجر ، ثم لحظ ، فوالله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه من شماله ويمينه . فأرعشت الأيدي واصطكت الأرجل وأطت الأضلاع وارتجت الأسماع وشخصت العيون وتحققت الظنون وانخزلت المتون . . »

فصاح به عثمان : « اسكت قطع الله لسانك فقد أرعبت قلوب المسلمين »
وحكايات الاصوات موجودة في سائر اللغات

٨ - الامثال

الامثال من آداب العرب المهمة لانها تجرى على ألسنتهم مجرى الشعر . وهي عظات بالغة من ثمار الاختبار الطويل والعقل الراجح . قال أبو عبيد : « الامثال من حكمة العرب في الجاهلية والاسلام ، وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في النطق بكناية بغير تصريح ، فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال : ايجاز اللفظ ، واصابة المعنى ، وحسن التشبيه » (٢) والعرب تضمن اشعارها واقوالها الامثال والحكم فتزينها كقول أبي ذؤيب من قصيدة :

فلا تك كالثور الذي دُفنت له حديدة حَتَفٍ ثم أمسى يثيرها (٣)
وبعضهم نظم القصائد كلها من الامثال كأرجوزة أبي العتاهية التي سماها ذات الامثال (٤)

ولا تخلو أمة من الامثال المتوارثة في الاعقاب . . لكن العرب يمتازون بأمثالهم المبنية على الحوادث ، لان الامثال عندهم نوعان :

(*) الغريب في كلمة ابي زيد :
أرهج : أثار الغبار . كثر عن أسنانه : أيدى . أشدق : من الشدق وهو سعة الفم .
الاخوق : الواسع . حفز : دفع . أقعى : جلس مفترشا وجليه ناصبا يديه . مثل : قام منتصبا . اكفهر : عبس . ازبأر : تنفّس . الجزارة : الاطراف . وقص عنقه : كسرهما .
نقضه : من نقض البناء أي هدمه . قضقض : مزق . ذمر : لام . لآي : ابطاء واحتباس .
هجهج بالاسد : صاح . اختلج : جذب . الأعجز : السمين . ذا حوايا : ذا امعاء مستديرة يريد انه ضخم الجثة . همهم : ردد الزئير . قرقر : هدر . بربر : صاح . جرجر : ردد الصوت في حنجرتة . أطت : أنت نعبا او حنينا . شخص بصره : فتش عينه لا يطرف

(١) « ذو » يعنى « الذى » في لغة طيء

(٢) الزهر ٢٣٤ ج ١ (٣) الاغانى ٦٣ ج ٦ (٤) الاغانى ١٤٣ ج ٢

١ - أمثال حكمية كقولهم : الجار قبل الدار ، والحرب خدعة ، والخطأ زاد العجول ، والعتاب قبل العقاب ، ونحوها مما تتناقله الناس في الاعقاب وترونها الامم بعضها عن بعض . واقدم مجموع لها امثال سليمان ، واكثر الامم اخذت عنها . . وهي عند العرب مقتبسة من التوراة وامثال الهند والفرس والروم ، فضلا عما يروونه عن اسلافهم وحكمائهم كأكنم بن صيفي وغيره ، وينسبون امثالا كثيرة الى لقمان . وهو من قدماء الحكماء ، يشبه شاعرا حكيما بنحو هذا الاسم عند اليونان **Aleman** من اهل القرن السابع قبل الميلاد وهو من اقدم من نظم الشعر الغنائي عندهم

٢ - الامثال المبنية على الحوادث وهي خاصة بهم ، لان الحوادث جرت لهم ، كقولهم : وافق شن طبقه ، وقطعت جهيزة قول كل خطيب ، والصيف ضيعت اثلين ، وسبق السيف العذل . وهم يؤثرون تلك الامثال عن قائلها ، وقد يروون عشرات من الامثال قالها الواحد في حادثة واحدة كما رووا في حادثة الزباء وقصير وجذيمة الابرش (١) فذكروا أثناء هذه الحادثة عشرات من الاقوال ذهبت منها قول قصير « رأى فاتر وعدو حاضر » وقوله : « رأيتك في الكن لا في الضح » و « ما ضل من تجرى به العصا » وقول الزباء « لأمر ما جدع قصير أنفه » و « بيدى لا بيد عمرو » ونحو ذلك . وهذه الامثال واشباهها كثيرة في اقوال الجاهلية

٩ - كتب الامثال (*)

وقد عني العرب بجمع الامثال ، لانها من جملة ما احتاجوا اليه في تحقيق الفاظ اللغة . ذكر ابن النديم ان عبيد بن شربة من اهل اليمن الف كتابا في الامثال في خمسين ورقة تأواخر القرن الاول للهجرة ، وهو أول من فعل ذلك . وقد ضاع هذا الكتاب . واشتغل كثيرون من ادباء البصرة والكوفة في ابان التمدن الاسلامي بجمع امثال العرب منهم صحرار العبدى كان معاصرا لابن شربة (٢) ويونس النحوى المتوفى سنة ١٨٢ هـ وأبو عبيدة سنة ٢١١ هـ ونعلب سنة ٢٩١ هـ وأبو عبيد القاسم بن سلام سنة ٢٢٣ هـ والمفضل الضبي وأبو هلال العسكري ومحمد بن زياد الاعرابي ومحمد بن حبيب البغدادي وحمزة الاصفهاني وغيرهم

وقد شرح هذه الكتب كثيرون وازدادوا اليها من الامثال الحادثة في الاسلام . وأهم هذه الكتب الباقية الى الان كتاب المستقصى للزمخشري (توفي سنة ٥٣٨ هـ) ومجمع الامثال للميداني (توفي سنة ٥١٨ هـ) . وفي مجمع الامثال نخبة ما احتوته كتب المتقدمين ، جمعه مؤلفه من نحو خمسين كتابا في الامثال ورتبه على حروف المعجم بعد أن اضاف اليه امثال المولدين . وهو أجمع كتاب في الامثال العربية وفيه شروح لطيفة ، وقد طبع مرارا بمصر والشام

(١) ابن الاثير ١٤٩ ج ١ (٢) الفهرست ٩٠

(*) انظر في الامثال الجاهلية « فجر الاسلام » لاحمد أمين ، والفصل الاول من كتابنا « الفن ومذاهبه في النثر العربي » و « الامثال في النثر العربي القديم » لعبد المجيد عابدين ، وكلمة « مثل » في دائرة المعارف الاسلامية

وغيرهما . أما المستقصى للزمخشري ، فمنه نسخ خطية في مكتبة ليدن
وفيينا والمتحف البريطاني وكوبرلي بالأستانة ودار الكتب المصرية ..

أما كتب الأمثال الأصلية التي أخذ عنها الميداني ، والزمخشري فالباقي
منها قليل أهمها كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام طبع في غوتنجن
سنة ١٨٣٦ وأمثال العرب للضبي طبع في الأستانة سنة ١٣٠٠ هـ وجمهرة
الأمثال لأبي هلال العسكري طبعت في الهند سنة ١٣٠٧ وأمثال لقمان طبعت
مرارا في أوروبا ومصر منها طبعة في باريس سنة ١٨٤٧ مع ترجمة فرنسية .
ونجد كثيرا من أمثال العرب في كتب الآمالى وكتب اللغة وكتب الأدب
ونحوها ..

الشعر في العصر الجاهلي

١ - ما هو الشعر ؟

الشعر من الفنون الجميلة التي يسميها العرب الآداب الرفيعة ، وهي الحفر والرسم والموسيقى والشعر . ومرجعها الى تصوير جمال الطبيعة ، فالحفر يصورها بارزة ، والرسم يصورها مسطحة بالاشكال والخطوط والالوان ، والشعر يصورها بالخيال ويعبر عن اعجابنا بها وارتياحنا اليها بالالفاظ . . فهو لغة النفس اوهو صور ظاهرة لحقائق غير ظاهرة . والموسيقى كالشعر . . هو يعبر عن جمال الطبيعة بالالفاظ والمعاني ، وهي تعبر عنه بالانغام والالحان ، وكلاهما في الاصل شيء واحد . .

هذا هو تعريف الشعر في حقيقته ، ولكن علماء العروض من العرب يريدون بالشعر الكلام المقفى الموزون فيحصرون حدوده بالالفاظ ، وهو تعريف للنظم لا للشعر . . . وبينهما فرق كبير ، اذ قد يكون الرجل شاعرا ولا يحسن النظم ، وقد يكون ناظما وليس في نظمه شعر . . وان كان الوزن والقافية يزيدان الشعر طلاوة ووقعا في النفس ، فالنظم هو القلب الذي يسبك فيه الشعر ، ويجوز سبكه في النثر

وقد تقدم ابن خلدون خطوة اخرى في تعريف الشعر ، فقال : « الشعر هو الكلام المبني على الاستعارة والوصاف ، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده ، الجارى على أساليب العرب المخصوصة به » فهو يجعل التقفية والوزن من شروط الشعر ، ويشترط ايضا استقلال كل بيت منها بغرضه . وهو تقييد لا باعث له اذ قد نرى في الكلام المنثور معاني تؤثر في نفسك تأثير الشعر ، وذلك كثر في كلامهم ، والحكم فيه للذوق . ومن أصعب الامور ان نعرف الشعر ونجعل له حدودا جامعة مانعة ، كما نعرف الصرف او النحو او الفلك او غيرها من العلوم والآداب . ولكنك اذا قرأت قولا فيه خيال شعري ، تعرفت الشاعرية فيه وشعرت بلذة ذلك التعرف وطربت له ، وقد يكون ذلك النثر قولا وانما اطربك ما فيه من أساليب الكتابة او الاستعارة . . . فاذا سبكته في قالب شعري زاد رونقا وطلاوة ، فاذا غنيته على توقيع الالحان زدت طربا به . فالوزن يزيد الشعر طلاوة من قبيل التوقيع الموسيقى في الالفاظ والحركات لا من قبيل المعنى

فاذا قرأنا لبعضهم نثرا يصف به ذهوله في الحب ، فيقول : « اذا جئت دار الحبيب ليلا لحاجة لي التمسها ، فلا ادخل الدار حتى أنسى ما جئت له » هذا معنى شعري ترتاح اليه النفس ، لكن ارتياحها يكون أكثر اذا نظم ذلك المعنى شعرا كقول المجنون :

فيا ليلَ كم من حاجة لي مهيةٍ إذا جئتك بالليل لم أدّر ما هيا
ويكون وقعه في النفس أشد اذا غنى على لحن مطرب

وعلى ذلك فيدخل في الشعر كثير من اقوال العرب التي نعتها من قبيل الامثال أو الحكم الماثرة المبنية على الكناية كقولهم : المرء بأصغريه لا ببرديه ، وعاد الامر الى نصابه ، وصاحت عصافير بطنه ، ونحو ذلك

فالشعر بالمعنى لا بالوزن والقافية .. وقد رأينا بعض متقدمي العرب يرون هذا الرأي في تعريف الشعر ، فقد قال بعضهم : « الشعر كلام وأجوده أشعره » (١) ولم يقيده بالوزن ولا القافية . وقال آخر : « الشعر شيء عجيب به صدورنا ، فتقدفه على السنتنا » (٢)

٢ - أنواع الشعر

العرب يقسمون الشعر الى الفخر والحماسة والمدح والثناء والعتاب والفزل والتشبيب وغيرها من الاغراض ، وهذه كلها في نظر الشاعر غير العربي نوع من أنواع الشعر يسمونه الشعر الغنائي أو الموسيقى ، لأن مرجعه الى التأثير على النفس تأثير الموسيقى

ويقسم الشعر عند الافرنج الى ثلاثة أنواع :

(١) الشعر القصصي Epique (٢) الشعر الغنائي Lyrique

(٣) الشعر التمثيلي Dramatique

الشعر القصصي

فالشعر القصصي أقدمها ، وهو عبارة عن سرد الوقائع أو الحوادث في الشعر (موزونا أو غير موزون) على سبيل القصة ، وأكثرها دينية : وابطالها الآلهة ومعظم حوادثها عنهم وبهم . واذا تدبرت الشعر عند سائر الامم وجدته أقدم آدابها ، وأقدمه الديني المتعلق بالآلهة وأعمالهم كما في الياذة هوميروس عند اليونان ومهابارته الهند . ومن هذا القبيل بعض الأشعار العبرانية كسفر داود ونشيد الاناشيد فانها شعر ديني لكنها ليست من النوع القصصي بل من الموسيقى .. لان الشعر القصصي نادر في أشعار انساميين على الاجمال الا السريان ، فان القديس أفرام نظم شيئا منه ولعله اقتبسه من اليونان (٣)

(٢) البيان والتبيين ١٧٢ ج ٢

(١) الاغانى ١٢٤ ج ١٨ ، ٦٠ ج ٢١

(٣) Lit Syr. 20

أما العرب فيخالفون العبرانيين من حيث الشعر الدينى ، لانه لم يكن عندهم فى الجاهلية كما كان عند العبرانيين . ولا يعقل انهم خالفوا اخوانهم فيه ، ولابد من انهم نظموا الاشعار . . خاطبوا بها هبل واللات والعزى وغيرها ، واستعطفوها وصلوا لها وتخشعوا امامها ، ولكن منظوماتهم فى هذا الموضوع ضاعت فى ثنايا الاجيال لعدم تدوينها ولاشتغالهم عنها بالحماسة والفخر بسبب الحروب التى قامت بينهم قبيل الاسلام . فلما جاء الاسلام انصرف الرواة عن حفظها لانها وثنية والاسلام يحرم ما كان قبله . فاكثفوا بتدوين اشعار الحماسة والفخر ، ولكن بقى من الاشعار الدينية امثلة قليلة جاء ذكرها عرضا فى تراجم بعض الشعراء كامية بن ابي الصلت وغيره

الشعر الغنائى

قضى اليونان بضعة قرون وليس عندهم غير الشعر القصصى ، وفيه اخبار آلهتهم وحروبها وعلاقاتها بالبشر . ثم قالوا الشعر الغنائى وقد نضج عندهم نحو القرن السابع قبل الميلاد على اثر الحوادث السياسية والحروب التى قامت بين الاحزاب اليونانية وتغلب فيها الشعب على الاشراف كما تقدم . فهاج الظفر قرائحهم وأعقب ذلك التنازع بين الاسبارطيين والمسينيين وبين يونان آسيا الصغرى وجيرانهم فذاقوا لذة التغلب ، فجاش فى صدور الشعراء احساس لم يتعودوه من قبل ، كما أصاب العرب الحجازيين على أثر خروجهم من سسلطة الحميرين ، ثم بما قام بينهم من النزاع والحروب فى القرون الاولى قبل الاسلام . . فانها انطقتهم وحركت نفوسهم كما سيجىء

فأصبح اليونان فى القرن السابع قبل الميلاد اهل دولة وتمدن ورخاء ، فصاروا فى حاجة الى شعراء يحضونهم على الثبات فى الحرب او يمدحون بسايلتهم ويظرون أعمالهم ويصفون حضارتهم . . فظهر الشعر الغنائى او الموسيقى وفيه المدح والهجاء والحماسة والفخر والرثاء ، ووضعوا الاوزان الجديدة له . وطبيعى ان الظفر يبعث على المدح ، والموت يولد الرثاء ، والحب يستدعى النسيب والغزل . فصار ملوك اليونان وكبرائهم يقربون الشعراء الغنائيين لسماع المدح كما فعل العرب فى ابان دولتهم ، فكثرت الشعراء الغنائيون عندهم وأستأذهم بندار . وشاع الشعر الغنائى فيهم ، فاشتغلوا به عن الشعر القصصى . . كأنهم اشتغلوا باثارة العواطف والحث على الفضائل عن تقرير الحقائق وسرد الحوادث

الشعر التمثيلى

ثم رأوا الكلام وحده لا يكفى لتحريك العواطف وتمثيل الفضائل ، فعمدوا الى تمثيلها للعيان بحوادث اخترعوها يؤدى سردها او تمثيلها الى مغزى ما يريدون . فبدلا من أن يمدح شاعرهم الشجاعة مثلا ويحببها الى الابطال ببلاغة البيان الشعرى ، عمدوا الى نظم قصة تظهر فضل هذه المنقبة

يمثلونها على مشهد من الناس لتكون أوقع في النفس وأثبت في الذهن ،
وسموا هذا النوع من الشعر « الشعر التمثيلي Drame »

ويراد بالشعر التمثيلي في أصل وضعه تمثيل الوقائع التي ترمى إلى
الموعظة أو الحكمة سواء مثلت على المسرح أو لم تمثل (١) ، وفي الشعر
القصصي شيء منه لأن الياذة هوميروس لا تخلو من مشاهد تمثيلية . ولكن
الشعراء بدأوا في نظمهم أولا بالشعر الخيالي التصويري المحض ، إذ هاج
شاعريتهم التخضع للآلهة ، وكانوا يغنون لهم ويرقصون في غنائهم على توقيع
الآلحان ، فتصوروا الوزن من حركات الرقص ، وذلك أصل النظم عندهم .
وكان أول منظوماتهم أقاصيص الآلهة وأعمالهم ، ثم تدرجوا إلى وصف
الواقع . . فبدأوا بالعواطف يعبرون عنها بالشعر الغنائي . ثم عمدوا إلى
تمثيل الفضائل والردائل على المسارح للاستفادة منها وهو الشعر التمثيلي

٣ - هل عند العرب شعر تمثيلي ؟

قد رأيت أن الشعر التمثيلي هو الوجهة العملية من الشعر التي يراد
بها تمثيل الفضائل أو الردائل للعين . والعرب مثل سائر الساميين أكثر
ميلا إلى الخيال والتصور ، فلم يلتفتوا إلى التمثيل أو على الأقل لم نعثر
بين ما وصلنا من آدابهم قبل الإسلام على شيء من الشعر التمثيلي على
سبيل المحاورة أو التمثيل ، كما هو الحال عند اليونان أو من أخذ عنهم . .
فهل كان عندهم وفقد ؟

إذا أمعنا النظر فيما خلفه العرب من أخبارهم وآدابهم وجدناه لا يخلو
من التمثيل بأعم معانيه وإن لم يكن شعرا مجردا بل هو مزيج من الشعر
والنثر . وقد وصل إلينا في قالب القصص والحقائق التاريخية ، لكن
أكثرها في نظرنا موضوع أو كان له أصل فوسعوه وطولوه ونمقوه ليكون
عبرة أو قدوة في الموقف المطلوب . وأكثر تلك القصص ترمى إلى تمثيل
الفضائل البدوية التي يقدسها العرب ، كالوفاء والضيافة والشجاعة
والجوار والعفة والفروسية ونحوها تمثيلا يحبها إلى الناس ويرغبهم
فيها ، وجعلوا أبطالها رجالا من مشاهيرهم في تلك المناقب

فقصة حاتم الطائي التي ذبح فيها فرسه لضيفه وإبناؤه جياع أقرب
إلى أن تكون موضوعا أو مبالغا فيها للتحريض على السخاء . وقصة
السموال التي قتل فيها ابنه ولم يسلم الأمانة المودعة عنده موضوعا أو
موسع فيها لتمثيل الوفاء . وأخبار العذريين في العفة أكثرها موضوع
لترغيب الناس في العفة . وقد أجمع الرواة تقريبا على أن أخبار مجنون
ليلي موضوعا أو يراد بها تمثيل العفة مع الثبات على الحب . . وهي تشبه
من هذا القبيل رواية روميو وجولييت لشكسبير . وقس على ذلك أكثر
ما يروونه من هذا النوع ، مثل حكاية حنظلة والنعمان بن المنذر . وهم
يروونها عن عبيد بن الأبرص أيضا ، كأن المراد المفزى وهو الترغيب في

الوفاء . ونسبة هذه الحوادث الى اشخاص معروفين في التاريخ لا يطعن في
أن المراد بها التمثيل . وهذه قصة عنتره فان صاحبها شاعر شجاع معروف
فوسعوا قصته وأضافوا اليها ما يرغب في الشجاعة والفروسية

اما السريان يون فالتمثيل غير أصلى في آدابهم ، وانما اتخذوه في جملة
آدابهم الدينية من اليونان . وكانت منظوماتهم في أول أمرها بغير قافية ،
ثم قفوها بعد الاسلام . . فلعلهم اقتبسوا ذلك من العرب
والخلاصة ان الشعر العربى أكثره من الشعر الفنائى ، وهو أرقى في
العربية منه في سائر اللغات ، وليس في الدنيا أمة تضاهى العرب في كثرة
الشعر والشعراء

أقدم منظومات العالم

المشهور أن الياذة هوميروس أقدم ديوان شعري ، لانه نظم نحو القرن
التاسع قبل الميلاد وهو ١٤٠٠٠ بيت . ولكن هناك كتابين نظما نحو ذلك
الزمن أو قبله : أحدهما الفيدا كتاب البراهمة وهو من قبيل الشعر
الموسيقى ، ويقال انه نظم نحو القرن الثانى عشر ق . م وزبور داود نظم
نحو القرن العاشر : ولعله عاصر صاحب الألياذة . وللمصريين القدماء
منظومات ترتقى الى عهد رمسيس الثانى نحو القرن الرابع عشر قبل
الميلاد . ولكن سفر أيوب أقدم من ذلك بيضعة قرون ، فاذا صح أنه عربى
الأصل كان أقدم الآثار الشعرية الباقية الى الآن عربى الأصل

٤ - كيف بدأ العرب ينظمون الشعر ؟

الشعر والفناء

يظهر ان الشعر والفناء من أصل واحد عند جميع الأمم ، والشعر وضع
أولا للتفنى به وانشاده للآلهة أو الملوك ، ولذلك فاليونان والرومان يقولون
« غنى شعرا » لا « نظم شعرا » أو « وضع شعرا » والعرب يقولون
« أنشد شعرا » أو أنشد الشعر الفلانى أى غناه ، وقضى اليونان أجيالا
لا يقولون الشعر الا انشادا . ولعل العرب كانوا كذلك في أقدم أحوالهم (*) ،
فتبغ منهم جماعة يغنون شعرهم كما فعل الأعشى قبيل الاسلام ، فقد كان
ينظم الشعر ويفنيه ، ولذلك سموه صناجة العرب . ومازال ذلك شأنهم
بعد الاسلام ، فان الشاعر اذا جاء الخليفة أو الأمير بقصيدة أنشدها في
حضرتة وهو قائم ، فاذا لم يكن صوته رخيمًا أو مسموعا اقتنى غلاما رخيم
الصوت ينشد أشعاره . وللانشاد لحن مطرب ، وكان الرشيد يطرب
للانشاد أكثر مما يطرب للفناء . واشتهر بعد الاسلام جماعة من الشعراء

(*) انظر في صلة الشعر الجاهلى بالفناء الفصل الثانى من كتابنا الفن ومذاهبه في الشعر
العربى ، والفصل الاول من كتاب فارمر : تاريخ الموسيقى العربية H.G. Farmer
History of Arabic Music وقد نقله الى العربية حسين نصار

المغنين كالدرامي ، وسلامة واسحق الموصلي وغيرهم

والغالب أنهم بدأوا أولاً بالسجع بلا وزن نحو ما وصل إلينا من سجع الكهان ، وربما كان الكهان يغنونه توقيعا على القافية . ومن أمثلة سجعهم قولهم في الانواء (*) : « اذا طلع السرطان استوى الزمان وحضرت الاوطان وتهادت الجيران . اذا طلع النجم يعنى الثريا فالحر في حدم والشعب في حطم . اذا طلع الدبران توقدت الحزان وكرهت النيران ويبست الفدران ورمت بأنفسها حيث شاءت الصبيان . اذا طلعت الهقعة تقوض الناس للقلعة ورجعوا عن النجعة وأردفتها الهنعة . اذا طلعت الجوزاء توقدت المعزاء وكنتت الظباء وعرقت العلباء وطاب الخباء . اذا طلعت الذراع حسرت الشمس القناع واشتعلت في الأفق الشعاع وترقرق السراب بكل قاع . . » وهى طويلة

هذا هو السجع بقافية بلا وزن . وكان العرب يتساجعون أى يتذاكرون بالسجع . ولعلهم وضعوا السجع أولا لتقييد علومهم أو ما يريدون حفظه كما فى المثل المتقدم ذكره

أما النظم أى القياس بالمقاطع وهو الوزن ، فأبسطه الرجز وهو أقدم أوزان الشعر . . كل بيت منه ينفرد بقافية خاصة ، وهو كالسجع لكنه موزون . والرجز قديم عندهم ، يزعم العرب أن أول من قاله مضر بن نزار ، اذ سقط عن جمل فانكسرت يده فحملوه وهو يقول « وايداه وايداه » وكان من احسن خلق الله صوتا فأصفت الابل اليه وجدت فى السير ، فجعلت العرب مثالا لقوله « هايدا هايدا » يحدون بها الابل . وقال آخرون ان الاصل فى وضع الشعر الفناء . قالوا « وكان الكلام كله منثورا ، فاحتاجت العرب الى الفناء بمكارم أخلاقها وطيب أعراقها وذكر أيامها الصالحة وأوطانها النازحة وفرسانها الامجاد وسماحتها الاجواد لتعز نفوسها الى الكرم ، وتدل ابناءها على حسن الشيم ، فتوهموا أعاريض جعلوها موازين للكلام ، فلما تم لهم وزنه سموه شعرا لانهم شعروا به أى فطنوا له »

ه - أصل وزن الشعر

والغالب فى اعتقادنا ان الوزن مأخوذ فى الاصل من توقيع سير الجمال فى الصحراء ، وتقطيعه يوافق وقع خطاها . ويؤيد ذلك أن الرجز أول ما استعمله العرب لسوق الجمال وهو الحذاء فى اصطلاحهم ، وكأنه وضع لهذا الغرض لان العربى يقضى أكثر اوقاته فى معاشرة جملة أو ناقتة . . . وعندهم ضربان من الرجز : المشطور ، والمنهوك ، والمشطور هذا وزنه :

(*) تفسير الكلمات الغريبة فى النص : حضرت : سكنت ، حدم : اشتعل ، الدبران منزل للقمر ، الحزان : جمع حزن ضد السهل ، الهنعة : كوكبان يلبان الهقعة فى المجرة المعزاء : الأرض الصلبة ، كنتت الظباء : دخلت كناسها ومستترها من الشجر ، العلباء العصبة الممتدة فى العنق ، وعرقت العلباء : خرجت بها قروح

دع المطايا تنسم الجنوبا إن لها نبأ عجيبا
 حينها وما اشتكت لثعوبا يشهد أن قد فارقت حبيبا
 ما حملت إلا فتى كئيبا يسرّ مما أعلنت نصيبا
 لو ترك الشوق لنا قلوبا إذا لآثرنا بهنّ النيبا (١)
 إن الغريب يسعد الغريب

وهو يشبه بتوقيعه على مقاطعه مشى الجمال الهوينا . ولو ركبت ناقة ومشت بك الهوينا ، لرأيت مشيتها يشبه وزن هذا الشعر تماما . فكان العرب يحدونها به إذا أرادوا سيرها وتيدا . وربما كان شاعرهم عاشقا فيتذكر حبيبته وهو يسوق ناقته ، فيحدوها بأبيات على وزن الرجز .. كذلك فعل جميل بثينة وكان في سفر الى الحج مع مروان بن الحكم .. فطلب اليه مروان ان يسوق الجمال أى يحدوها فقال :

يا بثن حيّ أو عدينا أو صلي وهوّننى الأمر فزورى واعجلى
 بشين أيتا ما أردت فافعلنى إني لآتى ما أبأت مقتلى (٢)
 فلم يقبل مروان ان يتغزل بالحدو وانما يطلب الخلفاء والامراء اذا ركبوا الابل ان يحدوها الحادى برجز فى مدحهم . خرج عبد الملك يوما رائحا على نجيب ومعه حاد يحدوه بقوله :

يا أيها البكر (٣) الذى أرائنا عليك سهّل الأرض فى مشاكا
 ويحك هل تعلم من علاكا إن ابن مروان علا ذراكا
 خليفة الله الذى امتطاك لم يعل بكرا مثل ما علاكا
 اما اذا اراد الحادى أن تسرع الجمال فى السير ، حدا لها بالرجز المنهوك وهذا وزنه :

أعطيته ما سألا حكّمته لو عدلا
 قلبى به فى شغل لاملّ ذاك الشعلا
 قيّده الحب كما قيّد راع جملا (٤)

واعتبر ذلك فى بحر الخب من الشعر ، فانه يوافق فى توقيعه خب الفرس أى ركضه وهذا وزنه (*) :

أبكيت على طلكل طربا فشجاك وأحزنك الطلل

(١) النيب : النوق
 (٢) أبأ : استحل (٣) البكر : الفتى من الابل (٤) العقد الفريد ١٦١ ج ٣
 (*) لم يستخدم بحر الخب فى الجاهلية ، فهو بحر مستحدث ، استحدثه العباسيون ويسمى أيضا المتدارك

أوزان الشعر

ثم وضعوا الأوزان والبحور حسب الاقتضاء كل منها لحال من الأحوال .. بعضها يوافق الشعر الحماسي والبعض الآخر يوافق الرثاء أو الغزل .. فالبحر الطويل يوافق نظم الشعر الحماسي ويوافق الوافر الفخر ، والرمل الحزن والفرح ويلائم السريع العواطف (*) وقس على ذلك (١)

فالرجز أقدم أبحر الشعر ، وكان الشاعر يقول منه البيتين والثلاثة ونحو ذلك إذا حارب أو فاجر . ثم صاروا يطيلون النظم فيه . ويقال أن أول من أطاله الأغلب العجلي على عهد النبي ثم رؤبة بن العجاج ، وتفنونوا في بحر الرجز فتعددت أوزانه ، واخترعوا أبحرا غيرها وصاروا ينظمون الأراجيز الطوال ويريدون بها مازادت أبياتها على عشرة (***)

أما غير الرجز من أبحر الشعر ، فكانوا أولا ينظمون منه المقاطيع القصيرة عند الحاجة .. حتى إذا تحركت نفوس العرب بالحروب بعد استقلالها من اليمن كما سيجيء ، وظهر فيها الإبطال والفرسان ، احتاجوا إلى الشعر فأطالوا فيه ، فظهرت القصائد . وأول من أطالها المهلهل أخو كليب (***) وأول قصيدة قالها في قتل أخيه المذكور .. فهو لم يفعل ذلك إلا بعد أن حركه طلب الثأر . وهو أول شاعر بلغت قصائده ثلاثين بيتا من الشعر واقتدى به سواه ، ثم كان للنظم تاريخ بعد الإسلام

البحان

ولما وضعوا الأوزان صار للفناء عندهم البحان معينة (***) فجعلوا لكل غناء أو لحن وزنا مخصوصا فصار عندهم للرثاء وزن وللحماسة آخر . فالنصب غناء الركبان والفتيان ويقال له الجنابي ، اشتقه رجل من كلب يقال له جناب وهو يخرج من أصل الطويل في العروض . والسناد هو الفناء ذو الترجيع الكثير النغمات . والهزج هو الفناء الخفيف الذي

(١) الإلياذة العربية ٩٠

(*) هذا الرأي لا يتمشى وحقيقة الموضوعات التي دارت فيها أبحر الشعر العربي قديما وحديثا ، فإن العرب لم يصطلحوا على تخصيص الأبحر بموضوعات معينة ، لكل بحر موضوعه الخاص ، بل جعلوا الموضوعات كلها شركة بين الأوزان يختار الشاعر منها ما يشاء لشعره في أي موضوع ينظم فيه

(**) انظر في الرجز وتطوره وأشكاله كلمة رجز في دائرة المعارف الإسلامية وآلورد

Ahlwardt في مقدمته لديوان العجاج والزبيان

(***) هذه الأولية غير يقينية ، وكل ما يمكن أن يقال هو أن قصائد المهلهل وغيره من قدماء الجاهليين ، تدل كما قال جويدي في كتابه L'Arabie Anté-Islamique

ص ٤١ على أنها ثمرة صناعة طويلة ، لم تزل تتكامل حتى أخذت هذا الشكل الذي نجده في العصر الجاهلي . وانظر كتابنا الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، الفصل الأول

(***) لم يصبح للفناء العربي البحان ذات مصطلحات معينة إلا في الإسلام ، حين اختلط العرب بالأجانب وتأثروا بغنائهم وموسيقاهم . وحقا عرفوا في الجاهلية صورا مختلفة من الغناء ، ولكنها كانت أولية ، ولم تصبح فنا كاملا إلا في العصر الأموي . راجع

فأرمر في تاريخ الموسيقى العربية ، وكتابنا الشعر الغنائي في المصادر الإسلامية ، الجزء الأول في المدينة الفصل الثاني

يرقصون عليه فيطرب ويستخف الحليم (١) وظلوا بعد الاسلام يختصون كل
لحن بوزن (٢)

٦ - شاعرية العرب

ما قدمنا كان بداية النظم عند العرب على ما نظن .. وكان ذلك طبعاً في
زمن بعيد لا يدرك أوله التاريخ ، ومهما يكن من سبب النظم فان العرب
أقوى الامم شاعرية وأقدرهم على النظم في الشعر الفنائي بلا خوف ..
يدلك على ذلك عدد شعرائهم وضروب شعرهم في قرن واحد وبعض القرن
قبيل الهجرة ، ولذلك أسباب طبيعية أهمها :

اولا - ان العربي بفطرته ذو نفس حساسة وشعور راق واريحية وانفة،
سريع الطرب ، سريع الغضب ، فيه بدية وارتجال ، ومن كان هذا شأنه
لا يلبث حين يجيش صدره بمعنى أن يلفظه لسانه .. ولذلك كان اكثر
شعرهم غنائياً او موسيقياً ، يعبرون به عن احساسهم ويصورون به
شعورهم وهو يصدر عن أحد أربعة فواعل : الرغبة ، والرغبة ، والرغبة ، والطرب ،
والقاب ..

ثانيا - ان لغتهم شعرية لما فيها من أساليب الكناية والاستعارة ودقة
التعبير وكثرة المترادفات مما يسهل وجود القافية .. فالعربي من أنطق
الأمم ولفته أوسع اللغات ولفظها أدل من سائر الالفاظ وفيها الامثال والحكم
.. ولغة شأن كبير في تسهيل النظم حتى على أبناء البلد الواحد والنسب
الواحد . فالعرب مع اشتراكهم في الطبائع والحس ودقة الشعور
والشاعرية ، يلاحظ ان الذين كانوا منهم يتكلمون غير لسان مضر (المبين)
ثم ينظموا الشعر - فان هذا اللسان ويقال له لسان معد كان شائعاً في معظم
الجزيرة العربية الا اليمن ومهرة وعمان . وقد انتشرت الشاعرية بين
المتكلمين بهذا اللسان في الحجاز ونجد وان لم يكونوا عرباً ، حتى اليهود
والعبيد من الزنج والنوبة . واعتبر ذلك بعد الاسلام بانتشار اللغة العربية
في الاقطار ، فقد نبغ فيها شعراء أصلهم من الروم والفرس والترك والبربر
وغيرهم ، وذلك من تأثير اللسان ..

ثالثا - صفاء جوههم وتفرغهم للتأمل في الطبيعة ، فان أهل الجو الصافي
تكون اذهانهم صافية ، وخصوصاً اذا كانوا أهل خيال وتصور مثل العرب
.. فيزيدهم الصفاء شاعرية ، ولا سيما اذا كانوا متفرغين للنظر في الوجود
ومراقبة احوال الطبيعة كما كان العرب في بداوتهم ، غير ما بعثهم على قول
الشعر من المنافسات والحروب في أيامهم وغيرها كما سنفصله فيما يلي .

نهضة الشعر في الجاهلية

١ - أسباب النهضة

قضى العرب أجيالا لا يعرف مقدارها الا الله وهم يقولون الشعر عند الحاجة مما لم يصل اليها خبره ، وانما وصل اليها بعض ما نظموا في النهضة الاخيرة قبيل الاسلام . والنهضة في الشعر او الادب او العلم تحدث على اثر انقلاب سياسى من فنع أو حرب أو نصر ، أو تغيير اجتماعى على أنر تكبة أو نازلة أو كل ما ينير العواطف . وهى قاعدة تشمل طبائع البشر فى كل زمان ومكان . فالهنود القدماء لم ينظموا أناشيدهم السنسكريتية الا بعد ما لاقوه من الحروب والتنازع فى أثناء نزولهم الهند قبل الميلاد بأجيال . واليونان ما زالوا على الشعر القصصى وشعراؤهم قليلون ، حتى قامت الفتى بينهم وتحاربوا ، ثم حاربوا الفرس وغيرهم فنبغ فيهم الشعراء الغنائيون . وظل الرومان بعد تأسيس دولتهم نحو ٢٤٠ سنة فى جمود أدبى لم يظهر فيهم شاعر ، حتى كانت الحروب مع القرطاجنيين فتفتقت قرائحهم وظهر فيهم الشعر . وقضت أمم أوروبا اجيالا فى القرون الوسطى وقرائحهم خامدة ، فلما خرجوا للحرب الصليبية وقاسوا ما قاسوه فيها ظهرت مواهبهم فى الشعر ونبغ فيهم شكسبير ودانتى وغيرهما . وترى أشعار الامة فى نهضتها صورة من صور أحوالها على أثر ذلك الانقلاب . فان كانت هى الظافرة فيه ، كثر شعرها الحماسى والفخرى ، واذا كانت المغلوبة كان شعرها أكثره فى الرثاء كما فعل اليهود بعد أسرهم فى بابل بمراثى أرمياء وغيره . والشعر يوجب الحب والحرب والموت

٢ - استقلال عرب الحجاز عن اليمن

والعرب شأنهم فى نهضتهم الشعرية قبل الاسلام مثل شئون سائر الامم . ونريد بالعرب هنا بدو الحجاز ونجد وما جاورهما ، فكانوا قبل هذه النهضة ينظمون على قلة ولا نظنهم كانوا يجيدون النظم ، وهم تحت سيطرة الحميريين ملوك اليمن يخدمونهم فى نقل تجارتهم . وكانت دولة اليمن تستأجرهم فى حروبها كما يفعل أهل المدن اليوم بأهل البادية . وكانوا يؤدون لها الاتاوة « الخراج » وقد رسخ فى اعتقادهم عظمة تلك الدولة لما فيها من أسباب الحضارة ، فأصبحوا بتوالى الاجيال يعدون الاذعان لها فرضا . فلما رأوا ما أصابها فى حروبها مع الحبشة فى أواسط القرن الرابع

للميلاد ، اذ فتحها الاحباش بمساعدة قيصر الروم سنة ٣٤٥ م (١) تبين لهم عجزها عن حفظ سيادتها وذهبت هيبتها من قلوبهم .. فأخذوا يفكرون في الخروج من سيطرتها والامساك عن دفع الاتاوة وأحسوا بالحاجة الى الاتحاد (*)

وأول من كسر هذا القيد من قبائل العرب قبيلة ربيعة ، على يد فارسها كليب الشجاع المشهور ، وكان معاصرا لزهير بن جناب الذي ولاء صاحبه اليمن على بكر وتغلب اكبر قبائل ربيعة . وكان زهير يتقاضى الاتاوة أو الخراج منهم في مقابل النجعة والكلاء والمرعى ، وكان يخرج في حاشيته لجمع الاتاوة فأصابهم في أثناء أمارته ضيق وأمحلت أرضهم فتأخروا عن الدفع ، فجاءهم زهير والح في مطالبتهم فشكوا عجزهم وابانوا عذرهم فلم يصغ لشكواهم ، ومنعهم النجعة والمرعى او يؤدوا ما عليهم ، فصبروا حتى كادت مواشيهم تهلك . وكانت هيبة الدولة قد ذهبت من نفوسهم ، فلما اصابهم ذلك الظلم شقوا عصا الطاعة ونقموا على زهير ورجاله قدسوا رجلا منهم اسمه زيابة من بنى تيم الله وكان فاتكا ، وأوعزوا اليه أن يقتل زهيرا غدرا ولم يقدموا على مناوآته جهارا لئلا يستنجد بجنده .. فأتاه زيابة وهو غائم وطعنه ورجع الى قومه واخبرهم انه قتله ، والحقيقة ان السيف مر بجانب البطن ولم يصب من زهير مقتلا . وعلم هذا انه سالم ، فلم يتحرك لئلا يجهز عليه . فلما انصرف زيابة أوعز زهير لمن معه ان يظهر موتة ويستأذنوا بكرًا وتغلب في دفنه ، فلما أذنوا دفنوا ثيابا ملفوفة وفروا به مجدين الى قومهم .. وجمع زهير الجموع ، وفي ذلك يقول ابن زيابة :

طعنة ما طعنت في غلَس اللي ل زهيرا وقد توالى الخصوم
حين تحمى له المواسم بـكـر أين بكر وأين منها الحلوم
خانتى السيف إذ طعنت زهيرا وهو سيف مضلل مشؤوم
وجمع زهير من قدر عليه من أهل اليمن وغزا بكرًا وتغلب وقتلهم قتالا
شديدا انهزمت فيه بكر ، وقاتلت تغلب بعدها ، ثم انهزمت وأسر كليب ومهلل ابنا ربيعة وأخذت الاموال وكثرت القتلى في بنى تغلب ، وأسر جماعة من وجوههم وفرسانهم ..

فعظم ذلك على قبائل ربيعة وتجمهروا وولوا عليهم ربيعة والد كليب ومهلل وخرجوا على زهير وانقذوا الاسيرين منه ودارت الايام وعاد زهير الى سطوته فوضع الاتاوة والخراج على بنى معد جميعا

(١) العرب قبل الاسلام ١٢٧ وهذا هو الفتح الاول ثم كان الفتح الثاني سنة ٥٢٤ م (*) اتخذ المؤلف من غزو الاحباش الاول لليمن والدولة الحميرية سنة ٣٤٥ م مبدءا لانتهاء سيادة اليمنيين على بدو الحجاز ونجد .. ويظهر ان هذا الرأي مبالغ فيه ، فقد ظلت للدولة الحميرية سيادة او شبه سيادة على نجد والحجاز الى أن كان غزو الاحباش الثاني وقضاؤهم عليها في سنة ٥٢٤ م فاننا نجد مملكة كندة اليمنية في نجد تفقد سلطانها مع هذا التاريخ ، ويقتل أمراؤها وعلى رأسهم حجر ابو امرئ القيس الشاعر المشهور . انظر تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد على ، الجزء الثالث ، الفصل الرابع ، وتاريخ العرب لفيليب حتى الجزء الاول ص ١١٤ ، اما ما ذكره المؤلف عن زهير بن جناب وثورة ربيعة على اليمن فهو من باب القصص وليس له قيمة تاريخية

وفي أواخر القرن الخامس توفي ربيعة أمير تغلب ، فخلفه ابنه كليب وفي نفسه على اليمن صفائن لما قاساه في أسرهم . . فجمع معدا تحت لوائه أي ربيعة وقضاة ومضر وايداد ونزار وحاربوا اليمن في معركة عرفت بيوم خزاز ، فهزموهم واستقلوا عن سيطرتهم . ولم يدفعوا اليهم أتاوة أو خراجا من ذلك الحين . ونظرت معد الى كليب نظرها الى منقذ عظيم ، فولوه الملك عليهم وجعلوا له قسم الملك وتاجه وطاعته . وكان ذلك آخر عهدهم بسلطان اليمن

٣ - حروبهم فيما بينهم

واستقلال عرب الحجاز ونجد من سيطرة اليمن انقلاب سياسي ، هاج شاعريتهم وأيقظ ما فطرزوا عليه من عزة النفس وإباء الضيم . . فأخذوا يختلفون فيما بينهم لان سيطرة اليمن كانت قد جمعتهم قيودها . فلما أطلق سراحهم تنازعوا ، فجرت بينهم حروب تعرف بأيام العرب قد فصلناها في كتابنا « العرب قبل الاسلام » وأكثرها حدة واطولها مدة الوقائع بين بكر وتغلب ، وكلاهما من ربيعة وهي حرب البسوس بين مهلهل وجساس ، دام النزاع فيها أربعين سنة مات في أثنائها الشيوخ وشاخ الشبان وشب الولدان ، وفي أثنائها نبغ مهلهل أخو كليب وشهد تلك الحروب . وكان شاعرا مطبوعا فتوسط في المصالحة بين القبيلتين وله شأن في تاريخ الشعر . . ناهيك بالحروب التي جرت بين قبائل مضر ، أشهرها أيام داحس والغبراء وغيرها

٤ - نهضة قريش (*)

وقد انهض قريشا على الخصوص وأثار شاعريتهم وشجذ قرائحهم حروبهم مع الاحباش في عام الفيل في أواسط القرن الاول قبل الهجرة . . فان الاحباش لما فتحوا اليمن حملوا على مكة للاستيلاء على الكعبة . . وكانت سدائها يومئذ الى عبد المطلب جد الرسول ، فجاء الاحباش بأفيالهم ورجالهم وعدتهم ، واهل مكة لم يتعودوا شيئا من ذلك لما للكعبة من المنزلة الرفيعة في أنفس القبائل وغيرهم . فلما رأوا الاحباش قادمين شعروا بما يهددهم من الخطر واحسوا بافتقارهم الى الاتحاد لدفع الاجانب ، فدفعوا الاحباش وقد تنبهت أذهانهم وأخذت مواهبهم في الظهور . ومما يدل على شدة تأثير ذلك الهجوم في نفوسهم انهم جعلوا يؤرخون به وهو عام الفيل

وبعد عام الفيل حدثت حرب الفجار بين قريش وكنانة وقيس ، وكان لها

(*) رجع المؤلف نهضة قريش الى الاحتكاكات الحربية واغفل الناحية الاقتصادية وما صار اليها من مفاتيح القوافل التجارية التي كانت تجوب الحجاز ونجدا الى العراق وحوض بحر الروم محملة بمنتجات اليمن وافريقيا والهند ثم تعود بمنتجات الشمال الى الجنوب ، فان هذه التجارة وسعت من مدارك القوم وامكانياتهم العقلية والحضارية حتى ظن بعض الباحثين ان مكة كانت جمهورية لا تقل شأنًا عن جمهورية البندقية ، راجع لامنس ammens في كتابه مكة

La Mecque ص ١٧٥ واوليرى O'leary في كتابه جزيرة العرب قبل الاسلام

Arabia Before Muhammed ص ١٨٢

تأثير كبير في نفوس القرشيين فساعدتهم على تلك النهضة
فهذه الحروب والفتن أظهرت مواهب الرجال ، فتولدت طبقة من الحكماء
وأخرى من الاسخياء ، وأخرى من الفرسان والشجعان ، وأيقظت الشعاعرية
الحماسية والفخرية . . . فنبغ منهم الشعراء على اختلاف القبائل والبطون مدح
الظافرين أو وصف بسالتهم أو التفاخر بالقبائل . ورافق ذلك تحاك القبائل
وتقاربها أو تباعدها ، وتنبت عاطفة الحب فظهر العشاق من الشعراء .
ولذلك كانت منظومات هذه النهضة أكثرها في الفخر والحماسة على أثارواقعة
من تلك الوقائع ، أو في وصف شوق أو حكمة أو موعظة أو مدح ظافر أو
كريم كما ستراه في مكانه

٥ - أقدم الشعراء

كل ما وصل إلينا من منظومات شعراء الجاهلية نظم بعد استقلال
الحجازيين من سيطرة اليمن ، وما وصل إلينا من الشعر قبل ذلك قليل وهو
أغبر الحجازيين . وأقدم من وصلنا خبرهم من الشعراء أبو دؤاد كان على خيل
النعمان ، ولقيط شاعر جاهلي قديم ، وعلس بن جدن من حمير (*) وخزيمة
ابن نهد وزهير بن جناب الكلبي من قضاة وقد ظهرت قضاة قبل سائر
قبائل عدنان ، ويقال أيضا ان حزين بن لوزان والربيع بن زياد وذا الاصبع
العدواني من أقدم الشعراء (١) ويقولون ان أول من قال الشعر في نزار --
وهي تشمل مضر وقضاة - عمرو بن قميئة من ربيعة (٢)

وللعلماء في أقدم الشعر العربي أقوال لا فائدة من إيرادها ، لان أكثرها
مبنى على الوهم ولا سيما فيما يروونه للاباء الاولين من الشعر . . . حتى روى
بعضهم اشعارا نسبها الى آدم ! وأرفق منه حالا من روى للتبابعة . ويطعن
في صحتها أن لغة التبابعة حميرية تختلف عن لغتنا كثيرا . وقد يرد على
ذلك بأن الحميري قد يعرف العربية وينظم فيها ، لكن الغالب أنهم لم يفعلوا

٦ - تنقل الشعر في الاقاليم

من القواعد الثابتة في علم الطبيعة ان للاقليم تأثيرا في اخلاق الناس
وابدانهم ، فيختلفون صحة ونشاطا وبديهة وذكاء باختلاف الاقليم . ويقال
على الاجمال ان أهل البادية أصفى ذهنا من سكان المدن ، وأهل البلاد الباردة
أسرع حركة ونشاطا من أهل البلاد الحارة . وفي البلد الواحد يفضل أهل
الجبال على أهل السهول نشاطا وصفاء ذهن

(*) ذكر المؤلف فيما بعد أن لغة حمير تخالف لغة قريش وعرب الشمال وهذا هو الصحيح
كما مر بنا في التعليقات ، واذن فهذا الشاعر الحميري لا يمكن أن يكون قد نظم شعرا في اللغة
المضرية لأنها ليست لغته . والمؤلف يتابع في هذه الفكرة ابن قتيبة في كتابه « الشعر
والشعراء » ، اذ عقد في مقدمته فصلا عن أوائل الشعراء غير أن الفكرة التي اعتمد عليها
هذا الفصل عند ابن قتيبة ، وعند ابن سلام من قبله في كتابه طبقات الشعراء غير صحيحة
من الوجهة العلمية لان أوائل الشعراء الذين نظموا الشعر الجاهلي القديم طواهم الزمان
(١) الزهر ٢٢٧ ج ٢ والاغانى ج ١٦ (٢) الاغانى ١٦٢ ج ١٦

شعراء نجد

وعلى هذا القياس فإن سكان نجد اقوى بنية واصفى ذهنا من سائر سكان جزيرة العرب ، لانها بلاد جبلية هواؤها نشيط ونسيمها عليل ، وقد تغزل بها العرب فقال قيس بن الملوح :

تَمَتَّعَ من شَمِيمٍ عرارِ نَجْدٍ فما بعد العَشِيَّةِ من عرار
وقال آخر :

سقى الله نَجْدًا وسلامًا على نجد . يا حبذا نَجْدٌ على القرب والبعد
وفيها الارض التى حماها كليب وائل ، وافضى ذلك الى قتله ونشوب حرب البسوس . وفيها جبل عكاد (١) الذى لم تثبت العربية الفصيحة بعد تمادى الاجال الا بين اهله . وعندهم ان أفصح العرب أهل السروات ، وهى ثلاثة جبال مطلة على تهامة . . وأهل نجد أقوى شاعرية من غيرهم من بلاد العرب . .

وبناء على اختلاف الامزجة باختلاف الاقاليم ، امتاز اهل كل اقليم من بلاد العرب بباب من أبواب الشعر . . فاشتهر اهل الحجاز بالركة واكثر شعرهم الغزل (٢) ، كما اشتهر اهل نجد بالبلاغة (٣) وقد ذهبوا فى الشعر كل مذهب . . واذا اُحصيت شعراء الجاهلية الذين بلغنا خبرهم بالنظر الى المواطن ، رأيت نحو خمسيهم من نجد والخمسين الثالث من الحجاز والرابع من اليمن والباقي من العراق وفئة قليلة من البحرين واليمامة وتهامة

٧ - تنقل الشعر فى القبائل (*)

ربيعة : أما من حيث القبائل فقد علمت مما تقدم أن ربيعة أول من نهض للاستقلال وهم أول من نبغ فى الشعر . . وأهم قبائلهم وبطونهم بكر وتغلب وعبد القيس والنمر بن قاسط ويشكر وعجل وضبيعة وشيبان وذهيل وسدوس . وكانوا يقيمون قديما فى اليمن ثم فى نجد ، ثم نزحت بكر وتغلب وغيرهما نحو العراق . . فأقاموا فى باديتها وفيما بين النهرين ، ونبغ منهم وهم فى نجد المهلهل بن ربيعة

ومن شعراء ربيعة المرقش الأكبر وابن اخيه المرقش الأصغر . والأكبر شاعر قديم يقال انه من ربيعة قبل خروجها من اليمن (٤) والمرقش الأصغر

(١) جبل قرب زبيد (٢) الاغانى ٤٢ ج ٧ (٣) الاغانى ٧٢ ج ١

(*) يتابع المؤلف هنا أيضا نقاد العصر العباسى ومؤرخيه من مثل ابن سلام وابن قتيبة فى زعمهم أن الشعر تنقل فى القبائل ، فكان أولا فى ربيعة ، ثم تحول الى قيس ، ثم انتهى الى تميم . ونصوص الشعر الجاهلى تشهد بأن القبائل الشمالية جميعها كانت تنظم الشعر فى أول العصر الجاهلى (فترة الجاهلية الثانية) وكان يدور على كل لسان فى ربيعة وقيس وتميم وغيرهم من قبائل العرب الشمالية ، فليس لقبيلة سبق واضح على قبيلة أخرى

(٤) الاغانى ١٩٠ ج ٥

عم طرفة بن العبد ، ومنهم سعد بن مالك وطرفة وعمرو بن قميئة المتقدم انه اقدم من قال الشعر من نزار ، والحارث بن حلزة والمتلمس خال طرفة والاعشى والمسيب بن علس وغيرهم من فحول شعراء الجاهلية . ولما انتقلت ربعة الى العراق زادت مناظر ذلك الوادي سعة في الخيال

قيس : وتحول الشعر بعد ربعة الى قيس عيلان وكلاهما من مضر . وقيس قبيلة كبيرة من بطونها عيس وذبيان وغطفان وعدوان وهوازن وسليم وتقيف وعامر بن صعصعة ونمير وجعدة وقشير وعقيل . وتقيم هذه النبطون أو القبائل في نجد وأعلى الحجاز وقد نبغ منهم جماعة من فحول الشعراء ، فمنهم النابغة بن ذهير بن أبي سلمى وكعب ابنه وليد والحطيئة والشماخ وخداش بن زهير وغيرهم . وعندهم ان اشعر قيس الملقبون من بنى عامر والمنسوبون الى أمهاتهم من غطفان (١)

تميم : ثم ظهر الشعر في تميم وهي قبيلة كبيرة من مضر أشهر بطونها وقبائلها مازن ومالك وسعد ودارم ويربوع وكعب ومجاشع وزرارة . وكانت تميم قديما تقيم في تهامة ، ثم نزحت في أواسط القرن الثاني قبل الهجرة نحو العراق واستقرت في بادية وما يليها جنوبا . ومن شعرائها المشاهير أوس بن حجر شاعر مضر في الجاهلية لم يتقدمه أحد حتى نشأ النابغة وزهير فأخلاه وكلاهما من قيس

وظهر الشعر بعد ذلك في بطون مدركة من مضر ، وهي هذيل وقريش واسد وكنانة والدئل وغيرهم

كل هؤلاء من أهل البادية . . أما المدن فانها قليلة في جزيرة العرب ، وأهمها مكة والمدينة والطائف وقلما نبغ منها شعراء فحول ، وأشعر أهل المدن في الجاهلية على الاجمال حسان بن ثابت (٢)

٨ - عدد الشعراء بالنظر الى القبائل

واذا اعتبرت عدد شعراء الجاهلية بالنظر الى القبائل ، كانت قيس أكثرها شعراء ، تليها اليمن فربعة فمضر فقريش فقضاة فاياد . وعدد الشعراء في الجاهلية لا يمكن حصره لاسباب سيأتى بيانها . ولكن الذين وصلتنا أخبارهم وأمثلة من أشعارهم يلفون نحو ١٢٥ شاعرا ، يقسمون على هذه الصورة بالنظر الى القبائل

اسم القبيلة	عدد الشعراء	اسم القبيلة	عدد الشعراء
قيس	٣٠	قريش	١٠
اليمن (القحطانية)	٢٣	قضاة	٤
ربعة	٢١	أياد	٢
مضر	١٦	موال غير عرب	١
تميم	١٢		

ولزيادة الايضاح نذكر أشهر البطون التي تدخل تحت كل من هذه القبائل لتسهيل مراجعته على الباحث :
بدخل في قيس .

غطفان - ذبيان - عيس - هوزان - سعد - سليم - ثقيف - عامر -
كلاب - جعدة - نمير - عقيل - قشير
في ربيعة :

النمر بن قاسط - عبد القيس - بكن بن وائل - تغلب - يشكر - جشم
- حنيفة - عجل - شيبان - سدوس - ذهل - ضبيعة
في القحطانية :

طى - الاشعر - جذام - الازد - كندة - لخم - مذحج - خزاعة -
همدان - غسان - الاوس والخزرج
في تميم :

مازن - سعد - دارم - يربوع - مجاشع - بهدلة - مالك
في فضاة :

جهينة - ضجعم - تنوخ - كلب
في مدركة :

هذيل - أسد - كنانة - قريش - الدئل
في قريش :

هاشم - أمية - مخزوم - تيم - عدى - سهم - أسد - نوفل - زهرة
- جمح

٩ - كثرة الشعر وتعدد الشعراء

رأيت فيما تقدم استعداد العرب الفطري واقتدارهم على النظم ،
لأن لغتهم شعرية بالفاظها وأساليبها ومعانيها . فلا عجب إذا تعدد شعراؤها
وكثرت أشعارهم ، وإن عسر علينا تقدير ذلك بالضبط لضيق أكثر
ما خلقوه وذهاب أكثر الشعراء لعدم تدوين ذلك في الجاهلية ، واشتغال
العرب عنه بالفتوح في صدر الاسلام . على أننا نكتفى بالاستدلال على كثرة
ذلك بما وصل إلينا من أخبارهم ويؤخذ منها أن عرب الجاهلية نظموا
في نهضتهم الأخيرة قبيل الاسلام ما لم يجتمع عند سواهم في الأمم في عدة
قرون ، وخصوصاً في العصر الجاهلي . . فاليأمة هوميروس وأوديسته هما
معظم شعر جاهلية اليونان ، ولا يزيد عدد أبياتهما على ٣٠ ألف بيت ، وكذلك
مهابرات الهنود ٢٠ ألف بيت ، وراماياتهم ٤٨ ألف بيت . وأما العرب فيؤخذ
مما بلغنا من أخبارهم عما نظموا في نهضتهم الأخيرة قبل الاسلام أنه يربو
على أضعاف ذلك ، وهم يعدون منظوماتهم بالقصائد لا بالاسات ، وقد
ذكروا أن أبا تمام صاحب كتاب الحماسة كان يحفظ من أشعار العرب

(الجاهلية) ١٤ ألف أرجوزة غير القصائد والمقاطيع (١) وكان حماد الراوية يحفظ ٢٧ ألف قصيدة (٢) على كل حرف من حروف الهجاء ألف قصيدة . وكان الاصمعي يحفظ ١٦ ألف أرجوزة (٣) وكان أبو ضمضم يروى أشعارا لمائة شاعر كل منهم اسمه عمرو (٤) . ومع ما يظن في ذلك من المبالغة ، فإنه يدل على كثرة ما نظمته العرب من المنظومات . وخصوصا اذا اعتبرنا أن ما وصل الى رواة الشعر في الاسلام إنما هو بعض أشعار الجاهلية ، لأن كثيرين من رواة الشعر الجاهلي فنلوا في الفنوح الاسلامية . . فضاع ما كان في محفوظهم من الأشعار ، قال أبو عمرو بن العلاء : « ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا أقله ، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير » (٥)

وزد على ذلك ان العرب نظموا الشعر الكثير وأبدعوا فيه ، وهم يكادون يكونون فوضى لا دولة لهم ولا جامعة ولا دين ولا شيء مما حمل اليونان أو الهنود أو غيرهم على النظم . وإنما اندفعوا اليه بفطرتهم . ولولا ذلك لتأخروا في النظم حتى قامت دولتهم ونضجت قرائحهم ، كما حدث للرومانيين . . . فان الشعر لم ينظم بلسانهم الا بعد تأسيس دولتهم ببضعة قرون . ولم يبلغ الشعر اللاتيني عصره الذهبي الا في أيام أوغسطس وطيباريوس نحو القرن الثامن من تأسيس رومية (القرن الاول للميلاد) ثم أخذ في التقهقر . ويقال نحو ذلك في دول أوربا الحالية ، فان الشعر لم ينضج عندهم الا بعد نسوء دولهم وتقدمهم في العلم والادب

واذا تدبرت أولئك الجاهليين ، رأيت الشعر دخلا في كل عمل من أعمالهم موافقا لكل حركة من حركاتهم . حتى يخيل لك أنهم كانوا لا ينطقون الا بالشعر وكان كل واحد منهم شاعرا أو يقول الشعر ولو قليلا ، حتى الملوك والامراء والفرسان والرجال والنساء والوجهاء والحكماء والصعاليك والعبيد واللصوص والمجانين من النصارى واليهود والوثنيين . وقد تسلسلت القريحة الشعرية في كثير من بيوتهم بالتوارث عدة أجيال . . فالنعمان بن بشير الانصارى من العربيقين في الشعر خلفا عن سلف ، جده شاعر وأبوه وعمه شاعران وهو شاعر وأولاده شعراء (٦) ، وكذلك كعب بن مالك من شعراء الصحابة كان أبوه شاعرا وعمه قيس شاعرا وأبناء كعب وأحفاده كلهم شعراء (٧) وهكذا الكميت بن معروف وعبد يغوث بن صلاء ، وعندهم من بيوتات الشعر في الجاهلية عدد كبير ، منهم بيت أبي سلمى فقد كان أبو سلمى شاعرا وابنه زهير المشهور شاعر وله خؤولة في الشعر ، خاله بشامة ابن الغدير شاعر ، وكان ابنه كعب بن زهير وبجير شاعرين وجماعة من أبنائهما شعراء . وحسان بن ثابت تسلسل الشعر في أبنائه بضعة أجيال . وقس على ذلك شعراء العرب بعد الاسلام فمن بيوتاتهم بيت جرير ، فكان هو وأبوه وجده شعراء ، وكذلك بنوه وأحفاده . ومنهم بيت رؤبة بن العجاج وبيت أبي حفصة وبيت أبي عيينة (٨) وغيرهم

(٢) النجوم الزاهرة ٢٢٠ ج ١

(٤) الشعر والسعراء ٤

(٦) الاغانى ١٢٥ ج ١٤

(٨) العمدة ٢٣٥ ج ٢

(١) ابن خلكان ١٢١ ج ١

(٣) ابن خلكان ١٢١ ج ١ وطبقات الادباء ١٥١ (٤) الشعر والسعراء ٤

(٥) الزهر ٢٣٧ ج ٢

(٧) الاغانى ٢٧ ج ١٥

على أن ما بلغنا من أسماء الشعراء هو القليل ، إذ لم ينقل الرواة من أخبار شعراء العشائر الا الأشهر فضلا عما ضاع خبره . أما الشعراء المعروفون بالشعر عند عشائرتهم وقبائلهم فأكثر من أن يحيط بهم الحصر أو يقف من وراء عددهم واقف ، ولو قضى عمره في التنقيب عنهم واستفرغ مجهوده في البحث والسؤال ، وحسبك أنه لم يستطع أحد من رواة الشعر أن يستوفى جمع أشعار قبيلة واحدة (١)

ثم ان الشعراء الذين وصلت اليها أخبارهم على قلتهم ، لم يصلنا من أشعارهم الا بعضها ، وضاع سائرهما في أثناء الفتوح الاسلامية لاشتغال الناس بالاسلام والحرب عن رواية الشعر وذهاب أكثر الرواة والحفاظ في الجهاد ، فلما عادوا بعد الفتوح الى الاشتغال بالادب وأخذوا في جمع الشعر لم يجدوا منه الا القليل . ويؤيد ذلك أنك تسمع بالشاعر الفحل من شعرائهم وما له من الشهرة ، ثم لا تجد له من المنظوم ما يلائم تلك الشهرة . . فطرفة بن العبد وعبيد بن الأبرص مع ما لهما من الشهرة الواسعة في الشعر ، لا نجد فيما رواه الرواة من أشعارهما ما يوازي تلك المنزلة (٢)

١٠ - طبقات الشعراء في الجاهلية

ومع ما قدمناه من ضياع أكثر أخبار الشعراء الجاهليين ومعظم أشعارهم ، فان الذين عرفناهم يزيدون على مائة شاعر ، نبغوا في القرنين الاولين قبل الهجرة أو في الخامس والسادس للميلاد وأكثرهم من أهل القرن السادس . . وبعضهم عاش أعواما بعد الاسلام وهم المخضرمون . وقد تقدم احصاؤهم الاجمالي بالنظر الى مواطنهم وقبائلهم ، وبقي أن ننظر فيهم باعتبار طبقاتهم وباعتبار مناحيهم وأغراضهم وأخلاقهم ومراتبهم

أما تقسيمهم الى طبقات فمن أصعب الامور ، وقد حاول ذلك غير واحد من أدباء المسلمين في ابان التمدن الاسلامي وتفاوتوا في تعيين الطبقات . . فاعتبرها بعضهم بالنظر الى الاجادة فقالوا : الشعراء أربع طبقات . .

(١) شاعر خنذيد وهو الذي يجمع الى جودة شعره رواية الجيد من شعر غيره

(٢) شاعر مفلق وهو الذي لا رواية له لكنه مجيد كالخنذيد

(٣) شاعر « فقط » وهو فوق الرديء بدرجة

(٤) شعور وهو لا شيء

وقسمهم آخرون الى شاعر مفلق ، وشاعر مطبق ، وشويعر ، وشعورور . وقال بعضهم :

الشعراء فاعلمنَّ أربعة " فشاعر " يجرى ولا يجرى معه

وشاعر " يخوض وسنط المعمة " وشاعر لا تشتهى أن تسمعه

وشاعر " لا تستحي أن تصفحه

ورويت هذه الايات هكذا أيضا :

الشعراء فاعلمنَّ أربعه " فشاعر " لا يرتجى لمنفعه
وشاعر ينشد وَسَطَ المعمه وشاعر آخر لا يجرى معه
وشاعر يقال خَسِرَ في دَعَه (١)

وقسمهم آخرون الى طبقات بما اشتهر من قصائدهم المنتقاة ،
وانتخبوا سبع طبقات عدد كل منها سبعة شعراء « تقريباً »
وفيهم نفر من شعراء صدر الاسلام . أولهم أصحاب المعلقات ،
يليه أصحاب المجهرات . فالمنتقيات ، فالمذهبات ، فالمراثي ، فالمشوبات ،
فاللحقات ، وهذه أسماء الشعراء مرتبة حسب ذلك مع الاشارة الى قبيلة
الشاعر وبلده ، وبعضهم من شعراء العصر الاموي :

اسم الشاعر	قبيلته	بلده	اسم الشاعر	قبيلته	بلده
عروة بن الورد	عبس	نجد	امرؤ القيس	كندة	نجد
مهلهل بن ربيعة	تغلب	العراق	زهير بن أبي سلمى	مزينة	»
دريد بن الصمة	جشم	نجد	النابغة الذبياني	ديان	الحجاز
المتنخل الهذلي	هذيل	الحجاز	الاعتقى	بكر	اليمامة

١ - أصحاب المعلقات

ليبيد بن ربيعة	عامر	نجد
عمرو بن كلثوم	تغلب	العراق
طرفة بن العبد	بكر	البحرين
عنتره العيسى	عبس	نجد

٢ - أصحاب المجهرات

عبيد بن الارض	أسد	نجد
عدي بن زيد	عباد	الحيرة
بشر بن أبي حارم	أسد	نجد
أمية بن أبي الصلت	بصيف	الطائف
خدائش بن زهير	عامر	نجد
النمر بن تولب	عكل	»

٣ - أصحاب المنتقيات

المسيب بن علس	بكر	العراق
المرقش الاصفر	ضبيعة	نجد
المتلمس	بكر	البحرين

٤ - أصحاب المذهبات

حسان بن ثابت	الانصار	يثرب
عبد الله بن رواحة	»	»
مالك بن العجلان	»	»
قيس بن الخطيم	»	»
أحبة بن الجلاح	»	»
أبو قيس بن الاسلت	»	»
عمرو بن امرئ القيس		

٥ - أصحاب المراثي

أبو ذؤيب الهذلي	هذيل	الحجاز
محمد بن كعب الغنوي	غنى	نجد
أعشى باهلة	باهلة	نجد
علقمة الحميري	حمير	اليمن
أبو زبيد الطائي	طي	نجد
متمم بن نويرة	يربوع	»
مالك بن الريب	تميم	العراق

اسم الشاعر	قبيلته	بلده	اسم الشاعر	قبيلته	بلده
٦ - أصحاب المشوبات			٧ - أصحاب الملحمات		
نابغة حمدة	جمدة	نجد	المرردق	تميم	العراق
كعب بن زهير	مزينة	»	جرير	»	»
القطامي	تغلب	العراق	الاخطل	تغلب	»
الحطيئة	عبس	نجد	عبيد الراعي	هوازن	الحجاز
الشماع بن ضرار	ذبيان	الحجاز	ذو الرمة	عبد مناة	اليامنة
عمرو بن أحمر	باهلة	نجد	الكميت	أسد	نجد
تميم بن مقبل	عامر	»	الطرماح بن حكيم	طى	»

جملة هذه القصائد ٤٩ قصيدة هي نخبة قصائد العرب في الجاهلية والاسلام ، وقد جمعها على هذا الترتيب أبو زيد القرشي في كتاب جمهرة اشعار العرب ، وقد طبع بمصر مشروحا . ولمحمد بن سلام كتاب في طبقات الشعراء قد ضاع (*). ويظهر مما نقل عنه في الاغانى والمزهر وغيرهما انه اوفى كتاب فى هذا الموضوع . وقد رأينا فيما نقل عنه ذكر طبقة خامسة وسادسة ولا نعلم عمدته فى ذلك التقسيم (**).

١١ - تقسيمهم من حيث طبقاتهم

اما تقسيم الشعراء الى طبقات باعتبار الاجادة على الاجمال فأمر غير ميسور ، لان نقدة الشعر لم يتفقوا فى هذا الموضوع . على أننا وقفنا على تقسيم لشعراء الجاهلية استخرجناه من كتاب طبقات الشعراء لاسكندر ابكاربوس المطبوع فى بيروت ، ولم يذكر على من كان معوله فيه . واليك ذلك فى جدول ، وذكرنا بجانب كل شاعر اسم قبيلته وبلده وسنة وفاته على التقريب

(*) نشر هذا الكتاب ، وقد طبع أولا فى لندن ، ثم طبع فى مصر بدار المعارف طبعة علمية حققها محمود محمد شاكر

(**) سلك ابن سلام فحول الشعراء فى العصرين الجاهلى والاسلامى فى عشر طبقات . وقد لاحظ فى وضع الشعراء بهذه الطبقات كثرة شعر كل منهم ومدى معالجته للفنون المختلفة مع الوحدة الفنية . انظر فى ذلك كتابنا «النقد» فى سلسلة فنون الادب العربى التى تصدرها دار المعارف ص ٤٤

أ - شعراء الطبقة الأولى (ب)

اسم الشاعر	نسبه	بلده	سنة الوفاة
امرؤ القيس الكندي	كندي	من أهل نجد	م ٥٢٩
أمية بن أبي الصلت	الثقفي	» الطائف	م ٦٢٢
بشر بن أبي حازم	الأسدي	» نجد	م ٥٣٠
الحارث بن حلزة	اليشكري	» العراق	م ٥٦٠
زهير بن أبي سلمى	الزوني	» نجد	م ٦٠٩
النايفة اللبياني	اللبياني	» الحجاز	م ٦٠٤
طرفة بن العبد	البكري	» البحرين	م ٥٥٢
عبيد بن الأبرص	الأسدي	» نجد	م ٥٥٠
المهلهل عدى بن ربيعة	التغلبى	» العراق	م ٥٠٠
عدى بن زيد	العبادي	» الحيرة	م ٥٩٧
عمرو بن كلثوم	التغلبى	» الجزيرة	م ٥٧٠
عترة بن شداد	العبيسي	» نجد	م ٦١٥
لبيد بن ربيعة	العامري	» »	م ٤١
أعشى قيس	التغلبى	» اليمامة	م ٦٢٩

ب - شعراء الطبقة الثانية

أحيحة بن الجلاح	الأوسي	من أهل يثرب	م ٥٦١
أوس بن حجر	التميمي	» العراق	م ٦١٠
الأسود بن يعفر	الدارمي	» العراق	م ٦٠٠
البراق بن روحان	التميمي	» العراق	م ٥٢٥
تماضر بنت عمرو الخنساء السلمية	»	» نجد	م ٦٤٦
تميم بن مقبل	العامري	» نجد	أدرك الاسلام
تأبط شرا	القهمي	» نهامة	م ٥٢٠
الشنفرى	الأزدى	» اليمن	م ٥١٠
الحطيئة	العبيسي	» نجد	أدرك الاسلام
التملمس	الضيبي	» البحرين	م ٥٥٠
حاتم	الطائي	» نجد	م ٥٦٩
الحارث بن عباد	البكري	» العراق	م ٥٢٠

(*) وضع المؤلف أمام كل شاعر سنة الوفاة ، وهي تقريبية ، وخاصة بالقياس الى شعراء العصر الجاهلي . وقد جمع في هذا الثبت شعراء جاهليين واسلاميين ، وسيلذكر فيما بعد انه عمد الى نظم شعراء صدر الاسلام في شعراء العصر الجاهلي ، وكأنه لاحظ ملاحظه ابن سلام في كتابه « طبقات الشعراء » من أنهم نشأوا في الجاهلية ، وخرج عليهم الاسلام وقد تكونت شاعريتهم ، فهم جاهليون شمسرا وان كانوا مسلمين عقيدة

اسم الشاعر	نسبه	بلده	سنة الوفاة
حسان بن ثابت	الانصارى	من يثرب	٥٤ هـ
أبو ذؤاد	الابادى	» العراق	٥٢٠ م
خداش بن زهير	العامرى	» نجد	٥٧٠ م
خفاف بن ندبة	السلمى	» نجد	٥٩٥ م
خويلد بن خالد	الهدلى	» الحجاز	٢٦ هـ
دويد بن الصمة	الجشمى	» نجد	٨ هـ
الربيع بن زياد	العيسى	» نجد	٥٩٠ م
الرقش الاصغر	الضبي	» نجد	٥٠٠ م
المخبل ربيعة بن مالك	السعدى	» نجد	أدرك الاسلام
ربيعة بن مقروم	الضبي	» نجد	٢٨ هـ
السموئل بن غريض	الأوسى	» الحجاز	٥٦٠ م
سلامة بن جندل	التميمي	» تميم	٥٢٠ م
أبو قيس بن الاسلت	الأوسى	» أهل يثرب
عامر بن حليس	الهدلى	» الحجاز	٥٠٠ م
عبد الله بن رواحة	الانصارى	» يثرب	٨ هـ
النايف الجعدى	الجعدى	» نجد	أدرك الاسلام
عروة الصعالبك	العيسى	» نجد	٥٩٦ م
علقمة بن عبدة	التميمي	» تميم	٥٦١ م
عمرو بن أحمر	الباهلى	» نجد	٤١ هـ
عمرو بن الاهتم	التميمي	» نجد	٥٧ هـ
عمرو بن قمئة	البكرى	» العراق	٥٢٨ م
قيس بن الخطيم	الأوسى	» يثرب	٦١٢ م
كعب بن زهير	المزنى	» نجد	٢٤ هـ
حتم بن نيرة	اليزوعى	» تميم	أدرك الاسلام
المتنخل بن عويمر	الهدلى	» الحجاز	٦٠٠ م
المثقب العبدى	العبدى	» العراق	٥٢٠ م
المسيب بن علس	البكرى	» العراق	٥٨٠ م
الشماع بن ضار	السعدى	» نجد	١٨ هـ
سمن بن أوس	المزنى	» تهامة	٢٩ هـ
المنخل بن الحارث	اليشكرى	» العراق
النمر بن تولب	المكلى	» نجد	٢٥ هـ

ج - شعراء الطبقة الثالثة

أمة الاسكر	البكرى	من نجد	أدرك الاسلام
إياس بن قبيصة	الطائى	» العراق	٦١٠ م

<u>اسم الشاعر</u>	<u>نسبه</u>	<u>بلده</u>	<u>سنة الوفاة</u>
حاجز بن عوف	الأزدى	من الحجاز	م ٥٩٠
الحارث بن ظالم	المزى	» نجد	» ٦٠٠
سليك بن السلكة	السعدى	» تميم	» ٦٠٥
زهير بن جناب	الكلبي	» كلب	» ٥٦٠
زيد الخيل	النبهاني	» نجد	...
المعزق العبدى	العبدى	» أهل العراق	م ٤٨٠
الفند الزمانى	الزمانى	» اليمامة	
عامر بن الطفيل	العامرى	» نجد	هـ ١١
العباس بن مرداس	السلمى	» »	هـ ١٦
عبد الله بن العجلان	النهدى	» اليمن	م ٥٦٦
عمرو بن معدى كرب	الزبيدى	» »	هـ ٢١
قيس بن زهير	العيسى	» نجد	...
لقيط بن زرارة	الدارمى	» تميم	م ٥٨٢
مالك بن نويرة	اليربوعى	» »	أدرك الاسلام
المستوغر بن ربيعة	السعدى	» »	م ٥٧٠
يزيد بن ورقاء	اليربوعى	» »	هـ ١٧

خصائص الشعر الجاهلي

١ - تمثيل الطبيعة

فطر عرب الجاهلية على البساطة والبعد عن التصنع أو التعمل في كل شيء ، شأن أهل البادية ، لبعدهم عن شوائب المدنية .. فهم على الفطرة الطبيعية ، وعنوانها الصدق بكل معانيه ، ويدخل فيهم استقلال الفكر والشجاعة الأدبية والصراحة في القول والعمل . فلا يتكلفون في لباسهم ولا طعامهم ولا شربهم ولا يتصنعون في كلامهم ، وإنما يقولون ما يخطر لهم ويصورونه كما يتمثل لمخيلتهم بلا تنميق أو تأنق . يدل ذلك على ذلك ما ظهر من حرثهم في أقوالهم في صدر الاسلام يوم كان أحدهم يخاطب الخليفة كما يخاطب سائر الناس ، وإذا رأى فيه عوجا انتقده في وجهه والخليفة لا يرى غرابة في انتقاده

أضف الى ذلك تعودهم الاستقلال في شؤونهم الشخصية ، ونفورهم من التقيد بشيء حتى المكان ، فانهم لا يتوطنون صقعا بل يجعلون منازلهم على ظهور ابلهم لا يحملون ضيما ولا يصبرون على ظلم . فتمكنت الحرية من طباعهم حتى ظهرت في أقوالهم وأفكارهم وفي أشعارهم . فاذا طرا لهم خيال شعري صوروه كما يتخيل لهم ، خلافا لما تقتضيه الحضارة من التكلف وغيره من ثمار الذل والانكسار مما تراه في أقوال الشعراء ، بعد أن استبحر عمران الدولة وكثر المتعلقون والمتكسبون بالنجعة والزلفى . أما الجاهليون فالقاعدة في النظم عندهم بيت شاعرهم وحكيمهم زهير بن أبي سلمى وهو :

وإن أشعر بيتٍ أنت قائله بيتٌ إذا أنشدته صدقا (١)

وصف الحب

والبدوى إذا تيمم الحب وأراد التعبير عن شوقه وهيامه يصف ما يشعر به تماما ، فاذا سمعه متيم شعر مثل شعوره .. فهو لا يبالي بضعفه من الوجد حتى يزعم أنه صار خيالا أو طيفا كقول المتنبي : « لولا مخاطبتى إياك لم ترنى » أو قول ابن الفارض : « ما له مما براه الشوق في » ولا يبالي في بكائه وزفيره حتى يزعم أنه غرق في بحر دمه أو احترق بنار زفيره ، ولكنه يقول قول مجنون بنى عامر - وهو معدود من شعراء صدر الاسلام

لكنه بدوى فى طباعه . وان لم يصح أن المجنون اسم على مسمى كما
سيأتى - فالشعر يعبر عنه عن تصور أهل البادية . ومما ينسب إليه
قوله :

تذكرت ليلي والسنين الخواليا وأيام لا أعنى (١) على الدهر عاديا
فما أشرف الأينفاع إلا صباية ولا أنشد الأشعار إلا تداويا
وعهدى بليلى وهى ذات موصد (٢) ترد علينا بالعشى المواشيا
فشب بنو ليلي وشب بنو ابنها وأعلاق ليلي فى فؤادى كما هيا
إذا ما جلسنا مجلساً نستلذه تواشوا بنا حتى أمل مكانيا
خليلى لا والله لا أملك الذى قضى الله فى ليلي ولا ما قضى ليا
قضاها لغيرى وابتلانى بحبها فهلا بشئ غير ليلي ابتلايا
وخبّرتمانى ان تيماء منزل ليلي إذا ما الصيف ألقى المراسيا
فهذى شهور الصيف عنا قد انقضت فما للنوى ترمى بليلى المراميا
فيا رب سؤ الحب بينى وبينها يكون كصافاً لا على ولا ليا
فما سُميت عندي لها من سميّة من الناس إلا بل دمعى ردانيا
ولا هبت الريح الجنوب لأرضها من الليل إلا بت للريح حانيا
فأشهد عند الله انى أحبها فهذا لها عندي فما عندها ليا
أعد الليالى ليلة بعد ليلة وقد عشت دهرأ لا أعد الليالى
وأخرج من بين البيوت املنى أحدثت عنك النفس بالليل خاليا
ومثل ذلك قول ابن الدمينه :

فديتك أعدائى كثير وشققتى بعيد وأشياعى إليك قليل
وكنت إذا ما جئت جئت بعلة فأفنت علائتى فكيف أقول
فما كل يوم لى بأرضك حاجة ولا كل يوم لى إليك وصول
فلا يسمع محب هذه الايات وامثالها الا رأى الشاعر يعبر عن شعور
صحيح

في الرثاء

ويقال نحو ذلك فى سائر أغراضهم من الشعر ، فاذا رثى الجاهلى ميتا
لا يوهم القارىء أن السماء اطبقت على الارض ، وأن الشمس كسفت ،

(١) أعنى : الخدر

(٢) أعنى : أعين

والدنيا لبست الحداد ، ونحو ذلك . . ولكنه يقول قول جليلة زوجة كليب
نرثيه ، وقد قتله أخوها جساس :

يا قتيلا قَوَّضَ الدهر به سَقَفَ يَتَىَّ جميعاً من علٍ
ورمانى فقدّه من كَثَبٍ رمية المِصْمِي به المستأصلِ
هدم البيت الذى استحدثته وسعى فى هدم يَتَىَّ الأولِ
مَسَّنَى فقد كليب بِلَقْنَى من ورائى ولظى مستقبلى
ليس من ييكى ليومين كمن إنما ييكى ليومٍ ينجلى
يشتهى المدرك بالثار وفى دَرَكى ثأرى ثكل المثلِ
ليتّه كان دماً فاحتلبوا بدلا منه دمي من أكنحلى

في الهجو

وإذا أراد أن يهجو ، فهجوه معقول بعيد عن البذاء والفحش . وعندهم
أشد الهجاء أعفه وأصدقّه ، وما خرج من ذلك فهو قذف وافحاش . ومن
أشد الهجاء عندهم قول زهير بن أبى سلمى فى آل حصن على سبيل
التشكك والتجاهل :

وما أدرى وسوف إخال أدرى أقوم آل حصن أم نساء
فإن تكن النساء مخبات فحق لكل مُحَصَّنَة هِدَاء (١)
وذكروا أن النابغة سأل قومه بنى ذبيان بعد واقعة حسي عما قالوه
فى عامر بن الطفيل فأنشدوه . فقال أفحشتم على الرجل وهو شريف
لا يقال له مثل ذلك ولكننى سأقول ، ثم قال :

فإن يك عامر قد قال جهلاً فإن مطية الجهل الشباب
فكن كأييك أو كأبى براء تصادفك الحكومة والصواب
فلا يذهب بلبّك طائشات من الخيلاء ليس لهن باب
فإنك سوف تحلم أو تنأهى إذا ما شبت أو شاب الغراب
فإن تكن الفوارس يوم حسي أصابوا من لقائك ما أصابوا
فما إن كان من سبب بعيد ولكن أدركوك وهم غضاب

فلما بلغ عامرا ما قال النابغة شق عليه ، وقال : « ماهجانى أحد حتى
هجانى النابغة . . جعلنى القوم رئيسا وجعلنى النابغة سفيها جاهلا
وتهكم بى »

ومن لطيف تجافيهن عن الهجو ، ما قاله صخر بن عمرو أخو الخنساء ،
وقد أراد رثاء أخيه معاوية فقالوا له أهج قتلته ، فتعفف وقال :

وقالوا ألا تهجو فوارسَ هاشم ومالي وإهداء الخنسى من شماليا

فعبّر عن الهجو بإهداء الخنسى وهو تعبير جميل

وإذا تحمس الجاهلي أو تفاخر فلا يجعل قومه آلهة وسواهم آبالسة ،
وانما يقول قول قريظ بن أنيف من شعراء بلعنبر :

لو كنت من مازنٍ لم تستبجِ إبلى بنو اللقيطة من ذهل بن شيبان

إذا لقام بنصري معشرٌ خشنٌ عند الحفيظة إن ذو لثوةٍ لانا

قومٌ إذا الشر أبدى فاجذبه لهم طاروا إليه زرافات ووحدانا

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا

لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرةً ومن إساءة أهل السوء إحسانا

كأن ربك لم يخلق لخشيتيه سواهم من جميع الناس إسانا

فليت لي بهم قوماً إذا ركبوا شدثوا الإغارة فرساناً وركباناً

في الوصف

وكانوا إذا وصفوا حادثة مثلوها بلا مغالاة في المجاز والكناية كما يفعل
المتأخرون ، وهذا وصف أبي فؤيب لحرر الوحش وصائدها ، كيف ترد
الحرر وكيف يحتال الصياد في صيدها ، قال (❖) :

فورَدْن والعِثوقُ مقعدَ رابيء الـ شُرباء خلف النَجْم لا يَتَلَعُ

فَشَرَعْنُ في حَجَرَاتٍ عذب بارد حَصْبِ البِطَاح تَغيب فيه الأكرُعُ

فَشَرِبْنُ ثم سَمِعْنُ حِسًّا دونه شرف الحجاب ورَيْبُ قَرْعٍ يَقْرَعُ

(❖) تفسير الغريب في هذه الأبيات والشاعر يتحدث فيها عن الوقت الذي وردت فيه الحرر
لتشرب .. العيوق : نجم ، والنجم : الثريا ويكون العيوق بازائه ، والضرباء : المقامرون على
القداح ، والرابيء : المراقب لقمارهم ، لا يتلَع : لا يتقدم ولا يتأخر ، شرعن : شرين ، حجرات :
نواحي ، البطاح : الجوانب وبطن الأودية ، والحصب : الماء بالحصباء ، شرف الحجاب :
مرتفع الحرة ، والحس : الصوت . يقول ان الحرر سمعت ما يريها من صوت قوس أو وتر
الصائد ، اترسنت : دنت ، والهادية : المتقدمة ، والجرحع : الغليظ . يقول ان الحمير
نكرت صوت الصائد فلزمت اتان حمارا خوفا ورهبة . النخوص والمائط : الاتان ليس لها
ولد ، ومتصمغ : منضم من اللحم ، الاقرب : خواصر الحمار ، عيت الصائد : مد يده الى
كنائنه ليأخذ سهما ، صاعديا : سهما مرهقا ، مطحرا : بعيد الغياب ، الكشح : ما بين الخاصرة
الى الضلع ، ابدن حنوقهن : أذاق كلا منها حنوقها ، الذماء : بقية الروح ، متجمع : ساقط
يتخرج في دمه

فَنَكَّرْتَهُ فَنَفَرْنَ فَاَمْتَرَسَتْ لَهُ هَوَجَاءُ هَادِيَةً وَهَادٍ جَرَّ شَعْرَ
 فَرَمَى فَأَنْفَذَ مِنْ نَحْوِ عَائِظٍ سَهْمًا فَخَرَّ وَرِشَهُ مَتَصَمِّعٌ
 فَبَدَا لَهُ إِقْرَابُ هَادٍ رَائِعًا عَنْهُ فَعِيَّتْ فِي الْكِنَانَةِ يَرْجِعُ
 فَرَمَى فَأَلْحَقَ صَاعِدِيًا مِطْحَرًا بِالْكَشْحِ فَاشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الْأَضْلَعُ
 فَأَبَدَتْهُنَّ حُتُوفَهُنَّ فَهَارِبٌ بِذِمَائِهِ أَوْ بَارِكٌ مُتَجَمِّعٌ
 وَإِذَا وَصَفَ أَحَدَهُمْ حَيَوَانًا أَوْ مَكَانًا أَوْ امْرَأَةً تَحْدَى تَصْوِيرَ الطَّبِيعَةِ كَمَا
 هِيَ وَلَوْ اضْطُرَّ إِلَى ذِكْرِ بَعْضِ الْأَعْضَاءِ الَّتِي يَبْعُدُ ذِكْرُهَا مِنْ قَبِيلِ الْبِذَاءِ .
 يَفْعَلُ ذَلِكَ لَا تَهْتِكَا وَإِنَّمَا يَصِفُ الطَّبِيعَةَ كَمَا هِيَ عَلَى عَادَتِهِ فِي سَائِرِ الْأُمُورِ .
 وَأَحْسَنُ الْأَمْثَلَةِ فِي وَصْفِ الْمَرَاةِ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي تَقْدُمُ قَصِيدَةُ النَّابِغَةِ فِي
 الْمَتَجَرِّدَةِ الَّتِي مَطَّلَعُهَا :

أَمِنْ آلِ مَيْتَةٍ رَائِحٌ أَوْ مَغْتَدِي عَجَلَانٍ ذَا زَادٍ وَغَيْرَ مَزُودٍ
 وَقَصِيدَتُهُ الْيَتِيمَةِ فِي دَعْدٍ ، وَمَطَّلَعُهَا :

هَلْ بِالطَّلُولِ لِسَائِلٍ رَدٌّ أَمْ هَلْ لَهَا بِتَكَلُّمٍ عَهْدٌ (١)
 وَهِيَ مِثْلُ قَصِيدَةِ سُلَيْمَانَ الْحَكِيمِ فِي وَصْفِ مَلِكَةٍ سَبَأَ الْمَعْرُوفَةِ بِنَشِيدِ
 الْإِنْشَادِ ، وَهُوَ مَذْهَبُ جَمَاعَةٍ مِنْ شُعْرَاءِ عَصْرِنَا وَكِتَابِهِ فِي أَوْرَبَا يُمَثِّلُونَ
 الطَّبِيعَةَ كَمَا هِيَ ، وَيَعْرِفُونَ بِأَصْحَابِ الْحَقِيقَةِ *Realistes* وَمِنْهُمْ زَوْلَا
 وَتَوْلَسْتَوِي

عَلَى أَنَّ الْجَاهِلِيَّينَ لَا تَخْلُو أَشْعَارُهُمْ مِنَ التَّشْبِيهِ وَالْمَجَازِ أَوْ الْكِنَايَةِ ،
 وَلَكِنَّهُمْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ بِلَبَاقَةٍ كَقَوْلِ عَنْتَرَةَ يَصِفُ ذَبَابَ الرُّوْضِ :
 وَخَلَا الذَّبَابُ بِهَا فُلَيْسَ بِيَارِحٍ غَرْدًا كَفَعَلِ الشَّارِبِ الْمُرْتَمِّمِ
 هَزَجًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ قَدْ حَ الْمَكْبُ عَلَى التَّرَادِ الْأَجْدَمِ (*)

٢ - الْبَلَاغَةُ فِي التَّرَكِيبِ

أَنَّ لَفَةَ الْجَاهِلِيَّةِ عَلَى الْأَجْمَالِ لَا تَزَالُ مِثَالُ الْبَلَاغَةِ حَتَّى الْآنَ لِبَعْدِهَا عَنْ
 مَفَاسِدِ الْعَجْمَةِ ، وَهِيَ مَعْرُوفَةٌ بِخُلُوعِهَا مِنَ الْحَشْوِ وَلَيْسَ فِيهَا مِنْ زَخَارِفِ
 الْمَدِينَةِ كَالْبَدِيعِ وَالْجَنَاسِ وَلَا الْمَجَازِ أَوْ الْكِنَايَةِ إِلَّا بِقَدْرِ الْمَلْحِ مِنَ الطَّعَامِ . أَمَّا
 مَا نَجَدَهُ فِي بَعْضِ أَشْعَارِ الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ التَّعْقِيدِ ، فَسَبَبُهُ غَرَابَةُ بَعْضِ الْأَلْفَافِ
 عَلَى أَفْهَامِنَا وَبَعْدَ بَعْضِ التَّرَاكِبِ عَنْ مَالُوفِنَا . وَلَا يَدْرِي لِمَنْ يَطَالِعُ تِلْكَ الْأَشْعَارَ

(١) نُشِرَتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ فِي السَّنَةِ ١٤ مِنْ الْهِلَالِ ص ١٧٤ مَعَ سَبَبِ نَظْمِهَا
 (٢) هَزَجًا : مَصُونًا ، الْأَجْدَمُ : مَقْطُوعُ الْيَدَيْنِ ، التَّرَادُ : حِجْرَانٌ يُضْرَبُ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ
 فَتَخْرُجُ مِنْهُ النَّارُ

من تفهم الالفاظ والتعود على أساليبها ، فإذا فعل ذلك هان عليه فهمها . . .
فمن يقرأ قول امرئ القيس في قصيدته التي يصف بها الفراق وناقته .
وفرسه فيصل الى قوله :

وإنك لم تقطع لبانة طالبٍ بمثل غدوٍّ أو رواحٍ مؤوَّبٍ
بأدماءٍ حرٍّ جُوجٍ كأن قَتودها على أبلقِ الكشْحين ليس بمغربٍ

يجد غرابة في تركيب الالفاظ ولا يفهم المراد ، لكنه متى علم ان الأدماء
الناقة اشرب سوادها بياضاً ، والخرجوج الطويلة ، والقتود ختسب
الرحل ، وأبلق الكشْحين حمار الوحش ، والمغرب الأبيض الوجه والاشفار
وذلك عيب في اصطلاحهم ، أدرك مراد الشاعر من البيت الثاني وقس عليه
سائر التفسير

ان البلاغة فطرية في عرب البادية شعرا ونثرا . . . وكان العرب في صدر
الاسلام يتمثلون بأقوال الاعراب المعاصرين لهم لما فيها من البلاغة والايجاز
السهل الممتنع ، وقد نقل ابن عبد ربه طائفة حسنة منها في عدة صفحات .
يباب كلام الاعراب في الجزء الثاني من كتابه « العقد الفريد » فليراجع هناك
وفي سائر كتب الادب . فإذا طالعته رأيت نفوسا كبيرة وعقولا راجحة لما
فيها من الحكمة والموعظة وصدق النظر

على أنك تجد في كلام الاعرابي جفاء واغرابا وخشونة في اللفظ لتعوده
مخاطبة الابل (١) وليست الخشونة في شعراء الجاهلية على الاجمال . . .
وانما هي تكثر في أهل الجبال والبادية الوعرة الذين لم يخالطوا أهل
الحضارة مطلقا ، فيكون ذلك من تأثير البيئة . . . فان شعر عدى بن زيد وهو
جاهلي أسلس من شعر الفرزدق وجريروهما اسلاميان ، للضرورة عدى
الحضارة واستيطانه الريف وبعده عن جلالة البادية وجفاء الاعراب (٢)

على ان الشعر تختلف رفته وخشونته باختلاف الغرض منه ، فشعر
العاشق أرق من شعر الفارس ، وشعر الحضارة الطف من شعر البداوة .

٣ - مذاهيم وأساليبهم

لا يتقيد الجاهلي في نظمة بمقدمة أو تمهيد كما يفعل غيره من شعراء
المدنية بعد الاسلام من استهلل القصائد بالنسيب والفزل ونحوهما ، لكنه
يصدر القصائد الطويلة غالبا بذكر المنازل والاطلال ويبكى على الطلول . . .
وذلك طبيعي عندهم لانهم أهل رحلة لا يقيمون في المكان حينا حتى ينزحوا
عنه اما فرارا من عدو أو التماسا للمرعى أو الماء أو نحو ذلك ، كقول امرئ
القيس : « قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل »

وقوله : « ألا عم صباحا ايها الطلل البالي »

أما المولدون أو المحدثون فانهم يصدرن قصائد المدح وغيرها بذكر الحبيب والشوق والوجد والوصل ، وليس هناك حبيب ولا وجد كما سنبين ذلك . .

والجاهلي اذا عمد الى النظم في الفخر بدأ به أو ذكر المنازل وتخلص له . ويندر فيهم من يفعل غير ذلك كقصيدة عنتره الفخرية التي يبدأ فيها بذكر الصبا واللهو والغزل والأعين النجل في بيتين ، ثم يتخلص الى الفخر كقوله :

من لى برّد الصّبّا واللهو والغزل هيهات ما فات من أيامك الأول
طوى الجديدان ما قد كنت أنشره وأنكرتنى ذوات الأعين النّجّل
وما ثنى الدهر عزمى عن مهاجمة وخوض معمة في السهل والجبل
ولكن هذه القصيدة يغلب انها موضوعة بعد الاسلام

وقد يستهل الجاهلي شعره بمخاطبة خليله في بيت أو شطر ، ثم يستطرده الى الموضوع الذي يريد . . أو يبدأ بطلب الاخبار بدون أن يذكر الخليل ، كقول امرئ القيس قبيل وفاته في سفح جبل عسيب :

ألا أبلغ بنى حجر ابن عمرو وأبلغ ذلك الحيّ الحديدا
بأنى قد هلكت بأرض قوم سحيقا من دياركم بعيدا (١)
وقوله بمكان آخر :

ألم يخبرك أن الدهر غول خّور العهد يلتهم الرجالا (٢)
وقد يتكلم بالمتنى كأنه يخاطب اثنين كقول عبد يغوث :

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا فما لكما في اللوم نفع ولا ليا
ألم تعلمّا أن الملامة ذقّعها قليل وما لومي أخى من شماليا
ومن مذاهبهم طرد الخيال وهو مذهب كثيرين منهم ، ولكن طرفه بن العبد أول من طرده فقال :

فقل لخيال الحنظليّة ينقلب اليها فإنى واصل حبّل من وصل (٣)
وفي مقدمة ابن خلدون أمثلة كثيرة من ابتداءات الجاهلية في النظم ، من أراد التوسع في الامثلة فليراجعها هناك (صفحة ٥٠١)

ولكن الغالب في نظمهم ان يبدأوا بالفرض المراد رأسا ، فان كان فخرا فبالفخر ، حماسا فبالحماسة ، أو غزلا فبالغزل ، أو رثاء فبالرثاء .

(٢) شعراء النصرانية ١ والخور : الخائن .

(١) شعراء النصرانية ٣٤

(٣) العمدة ١٠١ ح ٢

ومن مرأى المهلهل لأخيه كليب قصيدة مطلعها :

كليب لا خير في الدنيا ومن فيها ان أنت خلّيتها فيمن يخلّيها (١)
ومرثية أخرى مطلعها :

إن تحت الأحجار حزماً وعزماً وقيلاً من الأراقم كهلاً (٢)
قتلته دُهلٌ فليست براضٍ أو نُبيدَ الحين قيساً وذهلاً
وقس عليه غيره من الاغراض .. على أن بعضهم يستهل بالحكم ليتخلص
للمدح أو الرثاء ، وبعضهم يتغزل أو يشبب وهم قليلون ، ولهم أسماء
اناث يتغزلون بها يسمونها عرائس الشعر كقطام وهند ودعد وغيرهن

٤ - أبواب الشعر عندهم

ان أبواب الشعر اليوم تعد بالعشرات ، ولم يكن منها في الجاهلية الا
الفخر والحماسة والتشبيب والمديح والهجاء .. وتفرع من المديح الرثاء
وهو مدح الميت . والاصل في المديح والهجاء الدفاع عن القبيلة والطعن في
أعدائها .. ذلك كان غرض الجاهليين من المديح والهجاء ، فأكثر مدحهم في
قبائلهم ورؤسائها وفرسانها ليس على سبيل الاستجداء الا قليلاً ، وكانت
قصائدهم في ذلك قصيرة . وقلما رثوا غير اخوتهم واخواتهم او ابنائهم او
بعض أهلهم مدفوعين بالشعور الطبيعي ، ولذلك كان لرثائهم وقع في النفس
كقول تلك الاعرابية في رثاء ابنها :

من شاء بعدك فليمت	فعليك كنت أحاذرُ
كنت السواد لناظري	فعمى عليك الناظر
ليت المنازل والديا	ر حفائرٌ ومقابر
إني وغيري لا محا	لة حيث صرت لصائر

اما المدح فأمدح الجاهليين زهير والأعشى ، فمن امثلة مدح زهير بالكرم
قوله :

أخي ثقة لا تهلك الخمرُ ماله ولكنه قد يهلك المالُ نائله
تراه إذا ما جئتُه متهللاً كأنك تعطيهِ الذي أنت سائله
فمن مثلُ حصنٍ (٣) للحروب ومثله لإنكار ضيمٍ أو لخصمٍ يجادله
وقد يبالغون ولكنهم لا يخرجون عن المعقول كقول زهير في هرم بن سنان :

(١) شعراء النصرانية ١٦٦ (٢) الأراقم : حى من تغلب

(٣) حصن : من سادة بنى فزارة

لو كان يقعد فوق النجم من كرم قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا قوم سنان أبوهم حين تنسبهم طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا إنس إذا أمنوا حين إذ فزعوا مرزءون بهاليل إذا جهدوا محسّدون على ما كان من نعم لا ينزع الله عنهم ماله حسدوا وقس على ذلك سائر الأغراض ..

على أن في منظوماتهم كثيرا من الشعر الوصفى ، وأكثره في وصف حيواناتهم ومنزلهم وأدواتهم ، وفي وصف أخلاقهم ومناقبهم ومثالبهم ومفاخرهم ووقائعهم . وفيهم طبقة من الوصافين اشتهروا بوصف الخيل خاصة ، وآخرون بوصف الناقة أو حمار الوحش أو القطا أو غيرها ، وسنعود الى تفصيل ذلك في مكانه

٥ - التمثل بحيواناتهم وعاداتهم

قد صور عرب الجاهلية عاداتهم وحيواناتهم وأدواتهم في أشعارهم ، كما صورها المصريون والاشوريون واليونان والرومان على قصورهم ومعابدهم . وكما استخرج علماء الآثار عادات تلك الأمم وأخلاقها من آثارها المنقوشة أو المحفورة ، فالباحث في شعر الجاهلية يستخرج منه عادات العرب وأدبهم وأخلاقهم وطبائعهم وسائر أحوالهم . ولذلك قال ابن خلدون : « ان الشعر ديوان علوم العرب وأخبارهم وشاهد صوابهم وخطئهم ، وأصل يرجعون اليه في الكثير من علومهم وحكمهم » ونزيد على ذلك « انه مستودع عاداتهم وأخلاقهم وأدواتهم وصنائعهم » وقد درس هذا الموضوع جرجي بنى الطرابلسي صاحب المباحث ، ونشر فيه مقالة ضافية في « المقتطف » سنة ١٣ و ١٥ بعنوان : « العرب قبل التاريخ » ودرسه أيضا محمد المويلحي وله مقالة في « رموز العرب وتخييلاتهم » نشرت في « المقتطف » سنة ١٩ استخرج فيها عاداتهم ومعتقداتهم من أشعارهم

والعرب يتفزلون بحيواناتهم ويتمثلون بها ، وخصوصا الناقة والفرس والقطا والحمام ، ويغلب فيهم ان يذكروا الحمام في الغزل ، والناقة في السفر ، والخيل في الحرب

٦ - المفاخرة والمعاظمة والمقارنة

كان العرب في جاهليتهم اهل اباة واستقلال وفخر ، فقامت المفاخرة بين قبائلهم وأحيائهم ، وأصبحوا يتنافسون في كل شيء حتى في المصائب وهي المعازمة . أشهرها معازمة الخنساء وهند بنت عتبة ، فكانت الخنساء تأتي الموسم وتبكي أباها وأخويها وقد سومت هودجها براية وتقول : « أنا أعظم العرب مصيبة » فأصيبت هند بنت عتبة المذكورة في واقعة بدر ، فقتل أبوها وعمها وأخوها فلما بلغها ما قالت الخنساء قالت : « أنا أعظم

العرب مصيبة » وأمرت يهودجها فسوم براية وشهدت الموسم بمكاظ
وفالت : « اقرنوا جملى بجمل الخنساء » ففعلوا ، فلما تقاربنا تعارفتا
وتعاطمتا نظما ونثرا (١)

فاذا كان هذا شأن التنافس بين عامة الناس ، فأحرى به أن يكون بين
الشعراء . ومن أنواعه المقارعة على الاحساب كالتى جرت بين عامر وليبد
والاعشى من جهة ، وعلقمة والحطيئة وفتيان من بنى الاحوص من جهة
أخرى . . واخذوا يتناشدون فى المقارعة فى حديث طويل (٢)

ومن هذا القبيل المنازعة بين قبيلتين أيهما أشعر ، كما جرى بين عمر بن
أبى ربيعة والفضل بن العباس اللهبى فى المسجد الحرام . . فأخذ كل منهما
يورد أشعارا لابناء قبيلته ، ويبرهن على أنها أحسن مما قاله الشعراء
من القبيلة الأخرى (٣)

ولما جاء الاسلام ذهب عصبية القبائل وصارت المفاخرة بين المهاجرين
والانصار (٤) ، وعندهم أيضا المراجعة (٥) وهى المقارعة بالرجز ومنها
المناشدة بالاشعار

٧ - الأنفة والعفة

كان العربى فى الجاهلية صاحب أنفة وشرف يأبى الضيم ويفار على
العرض ، اذا قال فعل واذا وعد وفى واذا اضطر الى رهن فى امر عظيم رهن
قوسه . . ولا قيمة للقوس بنفسها ، ولكنها عندهم شرف الرجل فهو قائم
بما رهنها له مهما كلفه (٦)

ولم يكن أشد منهم غيرة على العرض ، وفى أخبارهم ما لا يحصى من الدفاع
عن المرأة وعرضها ، وكثيرا ما نشبت الحرب فى هذا السبيل . وقد كان
سبب الحرب التى قتل فيها زهير بن جذيمة العبسى ، أن ابنه شأسا
اغتسل بجانب أبيات لبنى غنى بماء لبنى عامر فناداه رجل غنىسوى أن
يستتر فلم يحفل به فرماه بسهم فقتله ، وجر ذلك الى حرب قتل فيها
زهير المذكور وغيره

وكانوا يفتخرون بالعفة خلافا لما صارت اليه طبائعهم حين امتزجوا
بالموالى من الامم الأجنبية . وتمثيلا للفرق بين الحاليين ، قابل ما قاله
عنتر بما قاله أبو نواس الفارسى . . قال عنتر :

وأغض طرفى إن بدت لى جارتى حتى يوارى جارتى مأواها
وقال أبو نواس :

(٢) الاغانى ٥٥ ج ١٥
(٤) الاغانى ١١٢ ج ١٥
(٦) المقد الفريد ٥٢ ج ٢

(١) الاغانى ٣٥ ج ٤
(٣) الاغانى ٨ ج ١٥
(٥) الاغانى ١٠٠ ج ٧

كان الشباب مطية الجهل ومحسن الضحكات والهزل
والباعث والناس قد رقدوا حتى أتيت حيلة البعل

ولذلك قل التهتك في تغزلهم . وبعض القبائل تعد الغزل رذيلة ، (١)
وتجد ذلك ظاهرا في اشعارهم . . فالجاهل متعفف بألفاظه وأخلاقه بعيد
عن الفحش في القول أو السباب إلا ما يرى به تمثيل الطبيعة كما تقدم

٨ - لا يستجدون

الجاهلي لا ينظم التماسا للعطاء وإنما ينظم لداع يحركه ، أما دفاعا عن
مرض ، أو تحمسا لحرب ، أو تشكيا من الفراق ، أو بكاء على فقيد ، أو
بحو ذلك . وقد يمدح ولكن مدحه يكون على الغالب شكرا على صنيع
لاستدرازا لجائزة ، كما صار إليه الشعراء في الاسلام بالتقرب والتزلف .
وكان موضوع مدائح الجاهليين شيوخهم وامراءهم ، كهرم بن سنان ، وعامر
ابن الظرب ، والاقرع بن حابس ، وربيع بن مخاشن وغيرهم

فقد مدح زهير هرم بن سنان ومدح غيره لا للاستجداء . على أن بعضهم
انتجع بشعره ، وأول من فعل ذلك الاعشى . . ونظم بعض الجاهليين في
مدح المناذرة أو الفساسنة أو بعض أمرائهم . وأشهر المداحين في الجاهلية
الاعشى والربيع بن زياد والناطقة الذبياني والمنخل الشكري وابو
زبيد الطائي ومعن بن أوس وزهير بن أبي سلمى والحطيئة . وسنأتي على
أخبارهم في أماكنها

٩ - منزلة الشاعر في الجاهلية

كان للقبيلة عدة شعراء ، تقدم واحدا منهم تسميه شاعر القبيلة . وهي
تهتم بأعداد الشاعر ، كما تهتم بأعداد القائد والخطيب . . فيقال ان قائد
القبيلة الفلانية فلان وفارسها فلان وشاعرها فلان (٢) لان الشعراء حماة
الاعراض وحفظة الآثار وثقله الاخبار . وربما فضلوا نبوغ الشاعر فيهم على
نبوغ الفارس ، ولذلك كانوا اذا نبغ فيهم شاعر من قبيلة . . أتت القبائل
الآخري فهنأتها به وصنعت الأطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما
يصنعن في الاعراس ، وتتباشر الرجال والولدان لاعتقادهم أنه حماية
لأعراضهم ودفاع عن أحسابهم وتخليد لآثرهم وإشادة لذكورهم (٣) . وفي
الواقع أن ما بقي لنا من أخبار عرب الجاهلية وآدابهم وعلومهم وأخلاقهم ،
أما هو منقول عن أشعارهم

وكانوا يتخذون الشعراء واسطة في الاسترضاء أو الاستعطاف أو يجعلونهم
وسيلة لاثارة الحروب ، فيكون الشاعر لسان القبيلة يعبر عن غرضها

(٢) الاغانى ١٤٦ ج ٤

(١) الاغانى ١١١ ج ٧

(٣) الزهر ٢٢٦ ج ٣

وينطق بلسانها شأن الصحف الرسمية اليوم .. فان الصحيفة الرسمية اذا قالت قولا ، علم الناس ان الحكومة تريده . وهذا هو سبب ما كان يظهر من تأثير الشعر في السياسة . ولذلك فالقبيلة مطالبة برعاية شاعرها والتقيام بما يحتاج اليه واكرامه وتقديمه

ولم يكونوا يقدمون الشاعر لانه يدافع عنهم فقط ، ولكنهم كانوا يجلون الشعر نفسه لما كان له من الوقع في نفوسهم .. بذلك على ذلك تعليق المعلقات بأستار الكعبة اجلالا لها (١) وسنعود الى ذلك

١٠ - تأثير الشعر في نفوس العرب

قد علمت مما تقدم ان طبيعة العرب شعرية ، لانهم ذوو نفوس حساسة وشعور دقيق تقعدهم الكلمة وتقيمهم ، شأن صاحب الفروسية والنجدة المعبر عنهما عند الافرنج بالشفاليرى . وكان العرب على الاجمال اهل حافظة اذا أعجبهم البيت حفظوه وتناقلوه .. فيشيع على السنتهم كبارا وصغارا ويتحدثون به في انديتهم ومجتمعاتهم . فاذا كان هجوا سقط المقول فيه ، واذا كان مدحا اشتهر اسمه . ولكن الهجو كان غالبا عليهم ، وقد وفق بعض الشعراء الى شيوع اشعارهم لخفتها . وكان الاعشى من أسير الناس شعرا ، وكذلك زهير والنابغة وامروء القيس

فالقبيلة اذا هجاها شاعر فحل ، حط الهجو منها خصوصا اذا كان الهجو مطابقا للواقع ، والا رد شاعرها عنها فتعود الى مقامها . وليس في العرب قبيلة الا هجيت ، فمن القبائل التي لم يؤثر الهجو فيها قبائل تميم وبكر وائل واسد وامثالها . ومن القبائل التي اثر فيها الهجاء مع مقامها في الشجاعة احياء من قيس منهم غنى وبأهله ومحارب واحياء من أد بن طابخة منهم تيم وعكل وغيرهما . وهناك قبائل كان حظها من الشعراء المديح ، كبنى مخزوم من قريش

وكانت القبيلة اذا مدحت فاخرت سائر القبائل لا سيما اذا كان مادحها من غير انائها . ويحكى ان شعراء تميم كانوا يذكرون قيسا بالمديح والاعجاب ، فافتخرت قيس على تميم . وما زالت تميم منكسة رؤوسها حتى قام لبيد العامري وهو من قيس ، فذكر تميما في شعره وأطراها وفعل ذاك شاعر آخر من قيس ، فتكلمت عند ذاك تميم وافتخرت (٢)

ومن امثلة تأثير هجو الشعراء في القبائل شعر حط من قدر الحبيطات وهم بطن من تميم ، فقال الشاعر فيهم :

رأيت الحُمَرَ من شَرِّ المطَايا كما الحبيطات شرُّ بنى تميم
وهل اهلك ظليم البراجم الا قول الشاعر :

إِنَّ أَبَانَا فَقَّحَةً لِدَارِمِ كَمَا الظَّلِيمُ فَقَّحٌ (١) البراجم
وقد أهلك بنى العجلان قول الشاعر :

إذا الله عادى أهلَ لُؤْمٍ ودَقَّةٍ فعادى بنى العجلان رهطَ ابنِ مُقْبِلِ
قِيلَتِهِ لَا يَفْعِدُونَ بِذِمَّةٍ وَلَا يَظْلُمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ
وَلَا يَرُدُّونَ الْمَاءَ إِلَّا عَشِيَّةً إِذَا صَدَرَ الْوَرْدُ أَدْعُنْ كُلَّ مَنَهْلٍ (٢)
ويشبه ذلك بيت جرير في بنى نعيم من عامر بن صعصعة في الدولة
الأموية ، فانه جعل كل نعيمى اذا سئل عن نسبه قال انه عامرى ، وهذا هو
البيت :

فَعُضُّ الطَّرْفِ إِنْكَ مِنْ ثَمِيرٍ فَلَا كَعْبًا بَلَعْتَ وَلَا كَلَابًا
وبعكس ذلك ما أصاب بنى أنف الناقة من الرفعة ، فقد كان الرجل
منهم اذا سئل عن نسبه قال من بنى قريع وهو نسب آخر لهم ، حتى قال
الخطيئة فيهم :

قَوْمُ هُمُ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ وَمَنْ يُسَوِّي بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنْبَا
فَأَصْبَحُوا يَفَاخِرُونَ بِقَبِيلَتِهِمْ ..

على ان الشعراء لم يكونوا يتعمدون هجاء غير القبائل الظاهرة النابهة ،
فسلمت القبائل الخاملة من هجومهم . وشأنهم في ذلك مثل شأن الصحف
السياسية في البلاد الاجنبية .. فان الاحزاب يهملها انحياز احدى الصحف
المهمة الى جانبها ، كما كان يهمل القبيلة او الجماعة في الجاهلية ان ينصرها
شاعر مشهور فتبذل له ما يريد في سبيل نصرتها . ولذلك فان الاعشى لما
وقد على الرسول ومدحه ، فبلغ ابا سفيان ذلك ، جمع رجال قريش وقال
لهم : « والله لئن اتى محمدا واتبعه ليضرم عليكم نيران العرب بشعره
فأجمعوا له مائة من الابل ، ففعلوا فأخذها وانطلق الى بلده (٣)

وكان لشعر الاعشى تأثير كبير في النفوس ، ويحكى من هذا القبيل ان
رجلا من كلاب اسمه الملق كان له ثلاث بنات لم يزوجهن ، وكان معسرا .
وجاء الاعشى يقصد مكة فسمعت امرأة الملق به ، فحثت زوجها ان يدعو
للضيافة قبل سواه ويذبح له لانه اذا قال شعرا شاع . فدعاه الملق ونحر
له ناقة ، وبالغت المرأة في اكرامه واکرام رفاقه وكان في عصابة قيسيه ..
فلما جرى الشراب في عروقه سأل المحلة عن عياله فشكا له حال بناته ،
ولما وافى سوق عكاظ أنشد قصيدة مطلعها :

أَرَقْتُ وَمَا هَذَا السَّهَادُ الْمُورَقُّ وَمَا بِي مِنْ سَقَمٍ وَمَا بِي مَعَشَقٌ

ثم تخلص الى مدح المخلق واطرائه في السخاء وكرم الاخلاق والناس يسمعون ، فلما فرغ من الانشاد انسل الناس الى المخلق يهنئونه وهرع الاشراف من كل قبيلة يتسابقون اليه يخطبون بناته ، فلم تمس منهم واحدة الا في عصمة رجل أفضل من أبيها ألف ضعف (١) ، وكذلك فعل سكين الدارمي في انفاق الخمر السود (٢) ، ومن شدة تأثرهم بالشعر ان الشاعر ربما لقب بلفظ ورد في بيت من اشعاره كما لقب المرقش والنابغة والمخرق وافنون وغيرهم (٣) حتى في الغناء ، فان السامع ربما تأثر من معنى الشعر أكثر من نغمه

١١ - أشعر شعراء الجاهلية

ما برح العرب منذ صدر الاسلام مختلفين فيمن هو أشعر شعرائهم، ولهم في ذلك أقوال كثيرة .. على ان تقسيم الشعراء الى طبقات قد يعد حكما اجماليا في ذلك . ويستدل منه ان اصحاب المعلقات هم أشعر الشعراء في حكمهم ، وأشعر هؤلاء ثلاثة : امرؤ القيس ، وزهير بن أبي سلمى ، والنابغة . وقد اجمعوا تقريبا على تفضيلهم ، وانما اختلفوا فيمن هو أشعرهم اختلافا كثيرا .. قال أبو عبيدة : « أشعر الناس أهل الوبر خاصة وهم امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة ، فان قال قائل ان امرأ القيس ليس من أهل نجد فلمعري ان هذه الديار التي ذكرها في شعره ديار بني اسد بن خزيمة . وفي الطبقة الثانية الاعشى وأبيد وطرفة » . وقيل ان الفرزدق قال : « امرؤ القيس أشعر الناس » ، وقال جرير : « النابغة أشعر الناس » ، وقال الاخطل : « الاعشى أشعر الناس » ، وقال ابن احمر : « زهير أشعر الناس » ، وقال ذو الرمة : « لبید أشعر الناس » ، وقال ابن مقبل : « طرفة أشعر الناس » ، وقال الكميت : « عمرو بن كلثوم أشعر الناس » والقول الراجح ما قال أبو عبيدة : « امرؤ القيس ، ثم زهير ، والنابغة ، والاعشى ، ولبيد ، وعمرو ، وطرفة »

على اننا نرى في الحكم على شاعر انه أشعر أهل زمانه على الاطلاق حيفا، اذ قد ينفرد كل شاعر بمزية تفضله على سواه .. فيجيد شاعر في انحماسة ، وآخر في المديح ، أو الغزل ، أو غير ذلك من أغراض الشعر . وعلى ذلك قالوا : « أشعر الشعراء أربعة : زهير اذا رغب ، والنابغة اذا رهب ، والاعشى اذا طرب ، وعنترة اذا غضب »

والذي عليه الاكثرون في وصف اصحاب المعلقات ، ان امرأ القيس صاحب النصيب الاوفر في الشعر .. لان الشعر في تعبيرهم كان جملا فنحرا ، فأخذ امرؤ القيس رأسه . وان زهيرا يمتاز بأنه لا يعاقل بين كلامين ولا يتبع وحشي الكلام ولا يمدح احدا بغير ما فيه ، ولشعره ديباجة ان شئت قلت شهد ان مسسته ذاب ، (٤) وان النابغة أوضح الشعراء معنى وأبعدهم

(٢) تاريخ التمدن الاسلامي ٢٩ ج ٣
(٤) جمهرة اشعار العرب ٢٥

(١) العمدة ٢٥ ج ١
(٢) لطائف المعارف ١٧

غاية وأكثرهم فائدة . وإن الأعشى أمدهم لملوك وأوصفهم للخمر وأقدرهم شعرا وأحسنهم قريضا . وإن لبيدا أقلهم لغوا وعمرو بن كلثوم أعزهم نفسا وأكثرهم امتناعا واجودهم واحدة . وطرفة أشهرهم إذ بلغ مع حداثة سنه ما بلغ القوم في طول أعمارهم

١٢ - رواية الشعر

من عادة العرب في رواية الشعر ، أنهم كانوا في أيام الجاهلية إذا نبغ الشاعر صاحبه رجل يروى له أشعاره . ويقلب في الراوية أن يكون مرشحا للشاعرية ، كأنه تلميذ يتدرب على يد استاذ يأخذ عنه . وكان اعتمادهم في الجاهلية على الحفظ ، لأنهم لم يكونوا يكتبون . . فكان كثير عزة راوية جميل بثينة ، وجميل راوية هدية بن خشرم ، وهدية راوية الحطيئة ، والحطيئة راوية زهير وابنه (١) . وكان الراوية في الجاهلية وأوائل الإسلام يروى للشاعر الواحد ويصحبه وينشد له ، ويعجب به أعجاب التلميذ بأستاذه ، ويناضل عنه ويفضله على سواه

وليست هذه العادة خاصة بالعرب ، فإن اليونان القدماء كان عندهم أناس يروون الشعر وغيره ويسمون واحدهم Rhapsodist ، أشهرهم في القديم رواة الإلياذة . . على أن بعض الأدباء أهل الذكاء من العرب ، كان يروى الشعر بدون التخصص بشاعر دون آخر . . وإنما كان يفعل ذلك رغبة في الأدب والعلم . فقد كان في القديم أربعة من قريش كانوا رواة الناس للأشعار وعلماءهم بالأنساب والأخبار ، وهم : مخزومة بن نوفل بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وأبو الجهم بن حذيفة بن غاثم بن عامر ابن عبد الله بن عوف ، وحويطب بن عبد العزى ، وعقيل بن أبي طالب . وكان عقيل أكثرهم ذكرا لمثالب الناس . . فعادوه لذلك وقالوا فيه وحمقوه حتى ألف بعض الأعداء فيه الأحاديث

١٣ - شعراء الجاهلية من حيث أغراضهم

تقدم ما للشعر الجاهلي من الخصائص التي يمتاز بها على الإجمال ، ولكن هذه الخصائص تختلف باختلاف أغراض الشعراء . . وينقسم الشعراء من هذا الوجه إلى مجاميع ، لكل منها غرض أو أسلوب أو منحى خاص . وسنتوخى في تقسيمهم غير ما نراه في كتب القدماء ، فنقسم الشعراء بالنظر إلى أغراضهم في النظم

وقد علمت أن الشعراء الجاهليين الذين بلغت أخبارهم نحو مائة شاعر وبعض المائة من القبائل على اختلاف أصولها . . وكلهم عرب إلا واحدا كان عبدا لبنى الحسحاس وهو أعجمي . فلا عجب إذا خلص الشعر الجاهلي من العجمة لفظا وتركيبا ، خلافا لما آلت إليه حال الشعراء بعد الإسلام إذ

نبلغ فيهم طبقة من الموالي غير العرب ، كما سيجيء . . فالشعراء الجاهليون كلهم عرب ، وأكثرهم من عدنان كما تقدم . . ومعظمهم أهل بادية ورحلة متشابهون في أخلاقهم وأغراضهم ، وأهمها في القرنين الأخيرين قبل الإسلام : الحرب فيما بينهم ، يوم كان البدوى يبيت وسيفه أو رمحه ضجيجه ، كأنه يتحفز للنهوض في الصباح للغزو التماسا للرزق أو الفخر أو للثأر . فيقضى أيامه في الحرب أو يتأهب للحرب ، والشاعر لسان حال قبيلته أو مرآة أخلاقها وآدابها . فلذلك كان أكثر شعراء الجاهلية من أهل الحرب الفرسان الشجعان ، وقد اشتهر جماعة منهم في وقائع مشهورة نظموا فيها قصائد الحماسة والفخر . وإذا اعتبرنا عدد شعراء الجاهلية مائة ، كان نصفهم من الفرسان وأهل الحرب ، وأكثر أشعارهم في الحماسة والفخر . . وبينهم طائفة من الملوك والأمراء ، أى كانت لهم الرياسة في قبائلهم وهى أكبر المناصب السياسية في ذلك العصر . ومنهم طائفة من الحكماء وأهل التعقل والعلم والحكمة . وطائفة أخرى من العشاق الميمين الذين هاج العشق شاعريتهم . وآخرون يدخلون في صف الفرسان ، لكنهم يختصون بصفة مشتركة هى العدو والغزو ، ويسمونهم الصعاليك . ومنهم طائفة تجمعها طبيعة الهجو ففيهم ميل الى المهاجة . وآخرون اختصوا بوصف الخيل وغيرهم بالغناء . ومن الشعراء من يجمعهم المذهب ، وأخيرا النساء الشواعر ، وهناك طائفة لا تدخل في احدى هذه الطبقات

فهذا تقسيم الشعر من حيث أغراض الناظمين وطبائعهم ومراتبهم ، لكن علماء الشعر تعودوا تقديم أصحاب المعلقات على سواهم وهم مختلفون غرضا ووجهة متشابهون قوة وشاعرية ، فنجعلهم في باب على حدة . وعليه فتكون طبقات الشعراء الجاهليين من حيث أغراضهم ومراتبهم ١٣ طبقة ، وهذه هى مع عدد الشعراء من كل طبقة :

عدد الشعراء	عدد الشعراء
٤ النساء الشواعر	١٠ أصحاب المعلقات
٤ الهجاءون	١٤ الشعراء الامراء
٤ الوصافون للخيل	٢٨ الشعراء الفرسان
١ الموالي	٤ الشعراء الحكماء
٣٦ سائر الشعراء	٨ العشاق
	٧ الصعاليك
	١ المفسنون
١٢١ المجموع	

هؤلاء شعراء الجاهلية وعددهم ١٢١ شاعرا ، وليس هم كل من قال شعرا في الجاهلية ، اذ لم يوجد بينهم ذكى لم يقل الشعر لانه كان سجية في العرب كما تقدم . وانما وصلنا من اخبار أولئك نخبتهم وأشعارهم ، ولم نذكر كل من وصلنا أخبارهم وانما اخترنا أكثرهم شعرا وأقواهم شاعرية . والا ففى ديوان الحماسة وجمهرة أشعار العرب والمفضليات وأشعار الهذليين

والاغاني وسائر كتب الادب واللغة أسماء مثلث من الشعراء لم يصلنا من أقوالهم الا بيت أو بضعة آيات

ومن الذين اخترنا ذكرهم نفر أدرك الاسلام وعاش في أيام الراشدين ، وقد عددناه جاهليا لانه نشأ على طبائع الجاهلية وأما المؤرخون فيسمونهم مخضرمين

لكل طبقة مزية

ولكل طائفة من هؤلاء الشعراء صبغة في أشعارهم حسب غرضها .. فالشعراء الامراء أو الملوك تمتاز أشعارهم بأنفة الملك وعزه ، فيفتخرون بالسيادة أكثر من السيف والرمح والقبيلة .. فمن أقوال أحدهم وهو الافوه الاودي :

معاشر ما بنوا مجداً لقومهم وإن بنى غيرهم ما أفسدوا عادوا
وبعد هذا البيت من حكمة العرب . وإذا مدحوا لا نجد في مدحهم تزلفاً أو استجداء ، وإنما يكون للشكر على خدمة سلفت كقول امرئ القيس بمدح بنى ثعل :

فأبلغ معداً والعباد وطياً وكندة أنى شاكر لبنى ثعل
وترى في تشابيههم عند الوصف ذكر آنية الترف الذى يألها الملوك والامراء ، فامرؤ القيس لما أراد وصف عين فرسه شبهها بالمرآة وهى من آنية الترف عندهم ، قال :

وعين كمرآة الصنّاع تديرها لمحجرها من النّصيف المنقّب (*)

ووصف بعض حر الوحش ، ف شبه ألوانها بأنواع الوشى الجميلة . ولما وصف قروحه شبهها بنقش الخواتم

ولا يخلو شعر الامراء من ذكر المجد السالف ، ويشيرون الى مواليتهم وأعوانهم وغير ذلك مما ستراه في مكانه

ويقال نحو ذلك في شعراء سائر الطبقات ، فان كلا منها تختص بأسلوب أو بشئ يميزها عن الطبقات الاخرى .. فشعر العشاق المتيمين أكثره فى انتشيب وشكوى الغرام والهجران . وشعر الحكماء أكثره حكم وعظات وعبر . ولا يمنع ذلك أن يشترك الشاعر فى غير غرض من هذه الأغراض ، أى أن يكون متحمساً وحكيماً وعاشقاً وغير ذلك .. فان كثيرين من الفرسان عشقوا وهاموا ، وإنما جعلناهم من طبقة الفرسان لقلبة ذلك عليهم

(*) الصنّاع : الحاذقة ومرآتها تكون نظيفة صافية ، والنصيف : الخمار ، والمنقّب : الذى ينتقّب به

وقد آن لنا أن نصف أشهر هؤلاء الشعراء وأشعرهم وفيهم الكثير من الشعر والمقل ، وبعضهم نظموا كثيرا ، ولم يصلنا من أشعارهم الا القليل ولا فائدة لطالب تاريخ آداب اللغة من أراد تراجم هؤلاء . . وانما نختص بالوصف الشعراء الذين كانوا قدوة لسواهم او خلفوا آثارا يمكن الحصول عليها ومطالعتها . ونكتفى في الآخرين بذكر المآخذ التي يمكن الرجوع اليها في مطالعة أخبارهم لمن أراد

أشهر شعراء الجاهلية

١ - أصحاب المعلقات

اختلف الرواة في عدد المعلقات وأصحابها ، فأبو زيد القرشي صاحب جمهرة أشعار العرب يجعلهم ثمانية كما رأيت .. وهم امرؤ القيس ، وزهير والنابغة ، والاعشى ، ولييد ، وعمرو بن كلثوم وطرفة ، وعنترة(*) . ولكن الزوزني جعل المعلقات سبعة ، ليس بين أصحابها النابغة ولا الاعشى ، وأضاف الحارث بن حلزة . وأضاف أبو زكريا التبريزي فوق ذلك قصيدة عبيد بن الأبرص ، فصارت المعلقات وملحقاتها عشرة .. هذه أسماء أصحابها :

امرؤ القيس - النابغة - زهير - طرفة بن العبد - لييد - عنترة - عمرو بن كلثوم - الحارث بن حلزة - الاعشى - عبيد بن الأبرص . وذكر أبو جعفر النحاس المتوفى سنة ٣٣٨ هـ ، وهو شارح المعلقات ، أنها سبع ، وأن بعضهم أضاف إليها قصيدتي النابغة والاعشى وأن لم يعد هما من المعلقات . وذكر ابن خلدون سبعة من أصحاب المعلقات فيهم علقمة ابن عبدة (١) لكنه لم يعين معلقته ، وسنأتى هنا على ترجمة كل من نسبت إليه معلقة معينة .. فان الشاعرية تجمعهم جميعا

هل علفت المعلقات بالكعبة ؟

اختلف أصحاب الاخبار في شأن هذه المعلقات في الجاهلية ، فقال بعضهم أن العرب بلغ من تعظيمهم إياها أن علقوها بأستار الكعبة ، وانكر بعضهم ذلك واكبروه . وأقدم المنكرين أبو جعفر النحاس النحوي المتقدم ذكره ، فقد قال في شرحه المعلقات بالنسخة الخطية الموجودة منه في مكتبة برلين ما نصه : « واختلفوا في جمع هذه القصائد السبع ، وقيل ان العرب كان أكثرهم يجتمع بعكاظ ويتناشدون الأشعار .. فاذا استحسن الملك قصيدة قال علقوها وأثبتوها في خزائني . فأما قول من قال انها علفت في الكعبة فلا يعرفه أحد من الرواة . وأصلح ما قيل في هذا » ان حمادا الراوية لما

(*) أكبر الظن أن صاحب الجمهرة أسقط عنترة من أصحاب المعلقات وجعله من أصحاب المجهرات ، لان كل مجموعة عنده تشتمل على سبعة من الشعراء فقط . ويظهر ان فصله من أصحاب المجهرات والحقه بأصحاب المعلقات من عمل النساخ للكتاب قبل أن يطبع (١) ابن خلدون ٥٠٩ ج ١

رأى زهد الناس في الشعر جمع هذه السبع وحضهم عليها ، وقال لهم هذه هي المشهورات . . فسميت القصائد المشهورة « وتقل ذلك عنه ابن الأنباري فقال : « وهو (حماد) الذي جمع السبع الطوال ، هكذا ذكره أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس ، ولم يثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقة على الكعبة » فهو يستغرب مخالفة النحاس لما ذكره الناس

والاكثرون يذهبون الى أنها علقت في الكعبة . وهذا ابن عبد ربه كان معاصرا للنحاس المذكور وتوفي قبله (سنة ٣٢٨ هـ) قال : « وقد بلغ من كلف العرب به (بالشعر) وتفضيلها له أن عمدت الى سبع قصائد ميزتها من الشعر القديم ، فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة وعلقتها في استار الكعبة ، فمنه يقال مذهب امرؤ القيس ، ومذهب زهير ، والمذاهب سبع ، وقد يقال لها المعلقات » (١) وأيد ذلك كثيرون في عصور مختلفة ، منهم ابن رشيق صاحب كتاب العمدة وهو من أكبر نقدة الشعر ، قال : « وكانت المعلقات تسمى المذاهب وذلك لأنها اختيرت من سائر الشعر فكتبت في القباطي بماء الذهب وعلقت على الكعبة ، فلذلك يقال مذهب فلان اذا كانت أجود شعره . ذكر ذلك غير واحد من العلماء ، وقيل : بل كان الملك اذا استجيدت قصيدة الشاعر يقول علقوا لنا هذه لتكون في خزائنه » (٢) فترى ان ابن رشيق أميل الى القول بتعليقها لأنه ينسب القول بذلك الى « غير واحد من العلماء » ويضعف الرأي الآخر بقوله « وقيل »

أما ابن خلدون فانه يقطع بتعليقها ولا يذكر سواه ، وهذا قوله : « حتى انتهوا (أي العرب) الى المناغاة في تعليق أشعارهم بأركان البيت الحرام موضع حجهم وبيت ابراهيم كما فعل امرؤ القيس بن حجر ، والنابغة الذبياني ، وزهير بن أبي سلمى ، وعنترة بن شداد ، وطرفة بن العبد ، وعلقمة بن عبدة ، والاعشى ، وغيرهم من أصحاب المعلقات السبع » (٣)

وقد وافقهم أكثر العلماء والباحثين في هذا الموضوع ، وانما استأنف انكار ذلك بعض المستشرقين من الأفرنج ووافقهم بعض كتابنا رغبة في الجديد من كل شيء

وأي غرابة في تعليقها وتعظيمها بعدما علمنا من تأثير الشعر في نفوس العرب وتعظيمهم لأصحابه ؟ أما الحجة التي أراد النحاس ان يضعف بها القول بتعليقها فهي غير وجيهة ، لأنه قال : « ان حمادا رأى زهد الناس بالشعر الخ » والحقيقة ان الناس لم يكونوا راغبين في الشعر مثل رغبتهم في أيامه . ألم يكن الخلفاء يستقدمون حمادا من العراق الى الشام ليسألوه عن بيت من قاله أو فيم قيل ؟ . . واليك تراجم أصحاب المعلقات ومن يلحق بهم

١ - امرؤ القيس بن حجر

توفي نحو سنة ٥٤٠ هـ م

هو أشهر شعراء الجاهلية وأشرفهم أصلاً وارفهم منزلة ، يتصل نسبه بملوك كندة (**) ، وهم في قول العرب بطن من كهلان . وكانوا يقيمون في البحرين والمشقر ، ثم أجلوا عنهما إلى منازل كندة في حضرموت ، وإليها ينسبون . أقاموا هناك دهرًا يتولون بعض مناصب الدولة على عهد التبابعة الحميريين ، وقد ضاع أكثر أخبارهم . وأقدم من عرفت أخباره منهم حجر بن عمرو آكل المرار جد جد امرئ القيس الشاعر . ونزح حجر إلى نجد ونزل بطن عاقل في أوائل القرن الخامس للميلاد ، وكان اللخميون (المناذرة) قد ملكوا كثيرا من تلك البلاد ولا سيما بلاد بكر بن وائل ، وهم يومئذ بنجد . . . فنهض البكريون معه لمحاربة اللخميين واستقلوا عن سلطانهم ، فاجتمعت كلمتهم على تعظيمه وملكوه عليهم حتى توفي بأواسط القرن الخامس للميلاد فخلفه ابنه عمرو بن حجر . فلما مات خلفه ابنه الحارث بن عمرو . وفي أيامه فتح الأحباش اليمن فضعف شأن دولته ، فوجه مطامعه نحو اللخميين في الحيرة ، وكان يحسداهم لتقربهم من الأكاسرة . . . واغتنم تغير كسرى قباذ على المنذر بن ماء السماء بسبب المزدكية وتقرب إليه ، فوافقوه وولاه الحيرة مكان المنذر . فعظم الحارث في نظر القبائل وجعلوا يتقربون إليه بالطاعة وسألوه أن يولي عليهم من أراد . وكان له أربعة أولاد أقام كلا منهم حاكما على بعض القبائل ، ومنهم حجر ابن الحارث والد امرئ القيس تولى على بني أسد وغطفان

ثم انقلب الأمر على الحارث بعد موت قباذ لان أنوشروان ابنه وافق المنذر وعزل الحارث ففر . وطمع فيه المنذر فطارده حتى قتله ، وجعل يفسد بين أولاده بالتحاسد حتى تحاربوا فقتل اثنان منهم وبقي اثنان : هما حجر والد امرئ القيس ومعد يكرب أمير قيس . ورأى بنو أسد تضعف دولة كندة ، فاجتمعوا على خلاف ملوكهم حجر وأمسكوا عن أداء الاتاة فحاربهم فقتلوه . . .

وكان امرؤ القيس عند مقتل أبيه غائبا (**) ، فلما علم بقتله رجع وهو يعتقد عجزه عن الأخذ بثأره لان عدوه قوى . وعلم أيضا أن ذلك العدو إذا عرف مقره قبض عليه . فقضى برهة من الدهر وهو يتجول متنكرا في اليمن ونجد والحجاز يستجير القبائل ، فلم يجره أحد حتى أتى السموءل صاحب حصن الأبلق فاستجاره فأجاره ، فاستودعه أدرعه وأمتعته وهو لا يرى من

(**) أنظر في كندة وملوكها أبناء امرئ القيس تاريخ العرب (مطول) لفيليب حتى ، الجزء الأول وتاريخ العرب قبل الإسلام لجواد على ج ٣ ص ٢١٥ ، وأولندر Olinder في ملوك كندة (**) هكذا يقول ابن الكلبي في روايته لمقتل حجر أبي امرئ القيس ، كما جاء في ترجمته كتاب الأغاني ، وتذهب رواية أوثق من روايته إلى أن امرأ القيس كان حاضرا مقتل أبيه . راجع الأغاني (طبع دار الكتب المصرية) ج ٩ ص ٨٥ وما بعدها

يستنصره على أعدائه الا قيصر الروم . لان ملوك الحيرة عمال الفرس
نصروا أعداءه على جارى عادة العرب فى ذلك العهد ، اذا تظلموا من احدى
هاتين الدولتين استنصروا الاخرى . ولم يكن لامرئ القيس سبيل الى
القيصر فوسط الحارث بن أبى شمر الغسانى صاحب النفوذ عند قيصر الروم
يومئذ وطلب منه أن يوصله اليه ففعل ، فسار امرؤ القيس الى القيصر .
ويقول العرب ان القيصر بعد أن اجاب دعوته وسمع مدائح وشى به احد
بنى أسد أعدائه ، وقال للقيصر : « ان امرأ القيس شتمك » فصصدق
الوشاية ، وألبس الشاعر حلة مسمومة قتلتة . ولا نعرف سما يفعل هذا
الفعل . وعلى كل حال ان امرأ القيس قتل ولم ينل أربا

وجاء فى شعراء النصرانية بعد ذكر موت امرئ القيس بالجدرى ما نصه :
« وذكر فى كتاب قديم مخطوط أن ملك قسطنطينية لما بلغه وفاة امرئ
القيس أمر بأن ينحت له تمثال وينصب على ضريحه . ففعلوا ، وكان تمثال
امرئ القيس هناك الى أيام المأمون ، وقد شاهده هذا الخليفة عند مروره هناك
لما دخل بلاد الروم ليغزو الصائفة »

شعر امرئ القيس

وكان امرؤ القيس قوى الشاعرية ولولا ذلك لم يقل الشعر ، لان الملوك
كانوا قبله يأنفون من قوله . ولكنه كان مطبوعا عليه يقوله وأبوه حى ،
وكثيرا ما زجره وهو يعصاه حتى اضطر أبوه أن يبعده عنه . فلم يبال بل
جعل يجول فى الاحياء مع بعض الاخلاط من شذاذ العرب من طيء وكلب
وبكر بن وائل ، فاذا صادف غديرا أو روضة أو موضع صيد أقام فذبح
لمن معه فى كل يوم ، وخرج الى الصيد فتصيد ثم عاد فأكل وأكلوا معه
وشرب الخمر وسقاهم وغنته قيانة . ولا يزال كذلك حتى يتفد ماء ذلك الغدير
ثم ينتقل عنه الى غيره

فلما أتاه نعي أبيه كان يدمون من أرض اليمن ، فغضب غضبا شديدا ،
وغضبه أهاج شاعريته . وأسفاره فى البلاد زادت اختباره . ولعله جاء
بلاد الروم قبل سفرته الاخيرة ، والأسفار توسع الخيال الشعري ، واذا
عاشر الناس وخالطهم اطلع على آدابهم واستفاد معانى جديدة أو تتفق
فريحته فتستنبط صورا جديدة ، وذلك من الاسباب التى جعلت امرأ القيس
يسبق الى اشياء فى الشعر لم تكن معروفة قبله وتبعه الشعراء فيها

واذا أمعنت النظر فيما استنبطه من المعانى والاسباب ، رأيتها من
ثمار الاسفار وسعة الاطلاع . فمنها استيقاف الصحب فى الديار كقوله :
« قفا نبك الخ » فانه طبيعى فيمن قضى معظم حياته فى توديع ديار واستقبال
ديار . وقد كان الوفا ، اذا أقام فى المكان ألفه واذا عاش الرجل كلف به

ومنها دقة وصفه واجادته على الخصوص فى وصف الفرس والنساقة ،
وهذا طبعا من ثمار الاسفار لانه كان يقضى الساعات والايام على فرسه

لا شيء يشغله عنه مع تعلقه به ، لانه أكبر مساعد له على النجاة في فراره من أعدائه . ولذلك لا تكاد تقرأ له قصيدة الا وجدت فيها أبياتا يصف بها فرسه أو ناقته . وقد فتقت الاسفار والمعاشرة قريحته لاستنباط المعاني أو اقتباسها ، فمن ذلك قوله في قصيدته البائية التي يصف بها الفراق وناقته وفرسه مطلعها : (※)

تبصّر خليلي هل ترى من ظعائن

سلكن ضحيا بين حزمي شعيب

ولكن القارئ لا يستأنس بالمعنى الا بعد أن يتعرف الالفاظ الغريبة ، وعند ذلك يرى وصفا بديعا لم يأت الشعراء بأحسن منه كقوله في وصف الفرس :

وقد أعتدى قبل الشروق بسابح أقب كيعفور الفلاة مُحْتَبِ
بمنجرد قيند الأوابد لاحه طراد الهوادي كل شأو مغرب
له أبطلا ظبي وساقا نعامة وصهوة عير قائم فوق مرقب
ويخطو على صم صلاب كأنها حجارة غيل وارسات بطحلب
نه كفّل كالدعص لبده انتدى إلى حارك مثل الغبيط المذاب
وعين كمرآة الصنّاع تديرها لمحجرها من النصيف المنقب
له أذنان تعرف العتق فيهما كسامعتي مذعورة ومطر رب رب

روصف الفرس كثير في شعره ، فليراجع في ديوانه . وقد أجاد في سائر ضروب الوصف ، وله قصيدة في وصف المطر وأخرى في الوصف على الاجمال مطلعها :

(※) الغريب في هذا البيت والايات التالية له من نفس القصيدة - ضحيا : أوائل الضحى ، حزمي : الحزن والارض الغليظة ، شعيب : ماء لتيم ، السابح : الفرس ، أقب : ضامر ، اليعفور : الظبي ، محنب : معوج اليدين - وذلك أقوى فيه وفي الفرس إذ يساعدهما على العدو - منجرد : قصير الشعر ، الأوابد : جمع أبدة وهي الوحش ، وقيدها : تثقيده به ولاستطيع خلاصا منه ، ولاحه ، أضمره وأهزله ، طراد : مطاردة ، الهوادي ، السوابق ، الشار : الجري ، مغرب : بعيد - ابطلا : خاصرتا ، والصهوة : الظهر ، العير : الحمار ، والمرقب : المكان المرتفع - الغيل هنا : الماء الجاري ، وارسات : مصفرة كلون الوز ، والطحلب : خضرة تعلو سطح الماء - الكفل : العجز ، الدعص : الكتيب الصغير المستدير - لبده : قواه وجعله صلبا - الى حارك : مع حارك والحارك : أعلى الكامل - والغبيط : الرجل - والمذاب : الواسع ، الصنّاع : المرأة العاذقة ، ومرآتها نظيفة صافية لانها شديدة العناية بها - المحجر : ما دار بالعين - والنصيف : الخمار - المنقب : الذي ينتقب به - العتق : الاصالة والجودة - السامعتين : الاذنين - المذعورة : البقرة من الوحش ، تنعر ، فترهف السمع خوفا من الصائد - الربرب : قطيع الوحش

ألا انعم صباحاً أيها الرّبُّع فانطلق

وحدّثْ حدِيثَ الركب إن شئت واصلق

ومع ما فى شعره وسائر أشعار البجاهلية من اللفظ الغريب ، فقد امتاز
امرؤ القيس برقة الالفاظ ولطف التشبيه كقوله :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً

لدى وكرها العُتَابُ والحَشَفُ البالى (*)

وقوله :

كأن عيونَ الوحش حول قبابنا

وأرْحَلْنَا الجَزْعَ الذى لم يثَقَبْ

وقوله :

كأنى غداةَ البين لما تحمّلوا لدى سَمَرَاتِ الحى ناقفٌ حنظل

وقد اجاد فى وصفه الفرس بقوله :

مِكَرٌّ مِقرٌّ مِقبلٌ مِديرٌ معاً كجلمود صَخْرٍ حطه السيلُ من عِلى

وله أبيات كثيرة جوت مجرى الامثال على السنة الناس ، واتخذ الشعراء
بعضها قواعد لنظمهم ، وهو أول من رقق المعانى ، ومما بلغ حد النهاية
فى الرقة واللفظ قوله :

وما ذرفت عيناك إلا لتضربى بسَهْمِيكَ فى أعشار قلبٍ مُقَتَّلٍ

وهو أول من وصف النساء بالطباء والمها ، وشبه الخيل بالعقبان ،
والعصى ، وفرق بين النسيب وسواه فى القصيدة ، وقرب مأخذ الكلام
فقيده الاوابد وأجاد الاستعارة والتشبيه (١) ومن تشبّيه وهو مما
يتغنى به :

وثغرٍ أغرٍّ شتيت الثنايا لذيد المقبلِ والمبتسمِ

وما ذقتَه غير ظَنٍّ به وبالظن يَقْضى عليك الحَكمُ

ويقال ان امرأ القيس أول ما شبب بالنساء ، شبب بأبيات مطلعها :

(*) الغريب فى هذا البيت والابيات التالية : العتاب : ثمر أحمر ، والحشف : التمر اليابس ،
والجزع خرز بمانى فيه خطوط سود وبيض - تحملوا : ارتحلوا ، سمرات : جمع سمرة -
ضرب من شجر البادية ، وناقف الحنظل الذى يشقه ليستخرج ما فيه فتسيل ما فيه - أعشار :
قطع - شتيت : مفلج ، الثنايا : الاسنان - الجمّة : مجتمع شعر الرأس - الرجل : الشعر
بين السبوط والجموده - والاقب : الضامر

عهدتني ناشئاً ذا غِسرثة خَجِلَ الجُمَّةَ ذا بطنٍ اقْبَ (١)
وله محاوراة شعرية في أوابد العرب مع عبيد بن الأبرص، أولها قول عبيد:
«ما حية» مَيْتة قامت بميتتها درداء ما أنبت سنًا وأخراسا
فأجابه امرؤ القيس :

تلك الشعيرة تُسْقَى في سنايلها فأخرجت بعد طول المكث أكدا
وهي طويلة

معلقته وسبب نظمها

أما معلقته فقد نظمها في وصف واقعة جرت له مع حبيبته وابنة عمه
عنيزة بنت شرحبيل إذ حذر عليه لقاءها ، ولعلمهم منعوه منها لما كان من
رغبته في الشعر . أما هو فكان ينتهز الفرص للملاقاتها . . . فاعتنم فرصة
ظعن الحى ، وكانوا إذا ظعنوا مشى الرجال أولاً ثم النساء ، فتخلف امرؤ القيس
عن الرجال وتربص حتى ظعنن النساء ، وكان في طريق الظاعنين غدير
يسمى دارة جلجل في منازل كندة بنجد . فسبقهن امرؤ القيس إلى الغدير
وفيهن عنيزة ، فنزعن ثيابهن ونزلن في الماء فبرز هو من مخبئه وجمع الثياب
وجلس عليها وحاف : لا يعطى الواحدة منهن ثيابها إلا إذا خرجت إليه عارية ،
فخرجن وبقيت عنيزة وأقسمت عليه أن يعدل عن شرطه ، فأبى وألح
عليها أن تخرج فخرجت ، ثم دفع إليها ثيابها فلبستها واجتمع النسوة
عليه ، وأخذن يعتفنه وقلن له : « انك أخرتنا عن الحى وجوعتنا » ، فقال :
« سأعتر لكن راحلتى تأكلن منها » فعقرها وأتين بالحطب ، وجعلن يشوبن
اللحم حتى شبعن . وكان معه ركوة فيها خمر فسقاهن منها . . . فلما
ارتحلن حملن أمتعته على رواجلهن وبقي هو لا مركب له ، فقال لعنيزة :
« لا بد لك من أن تحملينى » وساعده صواحبها على طلبه فحملته على مقدم
هودجها ، فجعل يدخل رأسه في الهودج يقبلها ويحادثها ثم نظم معلقته
ومطلعها :

قِفَا نَبْكَ من ذكرى حبيبٍ ومنزل

بسِقط اللّوى بين الدّخول فحومل

وصف بها ما تقدم أحسن وصف ، وهي مدرجة مع سائر المعلقات في
كتاب ، شرح عدة شروح

أما سائر أشعاره فإنها جمعت في ديوان منه نسخة خطية في دار الكتب
المصرية ، وقد طبع في باريس سنة ١٨٣٧ وفي غيرها وقد شرحه البطلينوسى

النحوى المتوفى سنة ٤٩٤ هـ وطبع الشرح بمصر سنة ١٢٨٢ هـ (**) وللنحاس
شرح للمعلقة طبع فى هال سنة ١٨٧٦

وقد ترجمت معلقته الى اللغة الروسية وطبعت مع الاصل العربى من
بترسيورج سنة ١٨٨٥ بعناية موركوس

وتجد كثيرا من أشعار امرئ القيس وأخباره فى كتاب الاغانى ج ٦٢ و ١٩٨
ج ٢ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٣٧ ، وفى شرح المعلقات ،
وفى كتاب الشعراء الستة الجاهليين طبع لندن سنة ١٨٧٠ ، وخزانة الادب
٥٣٢ ج ٣ وفى شعراء النصرانية صفحة ٦ وفى جمهرة أشعار العرب ٢٩
وفى أكثر كتب الادب والتاريخ (**)

٢ - زهير بن أبى سلمى

توفى نحو سنة ٦١٥ م

هو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء ، وهم : امرؤ القيس وزهير
والنابغة ، وانما اختلفوا فى تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه . وكما امتاز
امرؤ القيس باستنباط الافكار والاساليب وتلطيف المعانى ، فقد امتاز زهير
بما فى نظمه من الحكمة البالغة وكثرة الامثال مع القدرة على المدح ، وهو
لا يعاظم فى الكلام ويتجنب وحشيته ولا يمدح أحدا إلا بما فيه ، وكثيرون
يفضلونه على صاحبيه ، ويقولون انه احسنهم شعرا وأبعدهم عن سخف ،
واجمعهم لكثير من المعانى فى قليل من الالفاظ

وهو من مزينة إحدى قبائل مضر ، وكان يقيم هو وأبوه وولده فى منازل
بنى عبد الله بن عطفان بالحجاز من نجد . وأول من نزل هناك منهم أبوه
أبو سلمى لانه تزوج امرأة من بنى قهر بن مرة من ذبيان بن غطفان فولدت له
زهيرا ، وتزوج زهير امرأة من سحيم بن مرة ، ولذلك كان زهير يذكر فى شعره
بنى مرة وغطفان ويمدحهما . وكان لزهير اخلاق عالية ونفس كبيرة مع سعة
صدر وحلم . . فرفع القوم منزلته وجعلوه سيدا . وكثر ماله واتسعت
ثروته ، وكان مع ذلك عريضا فى الشاعرية فكان أبوه شاعرا وكذلك خاله
واختاه وابناؤه . وكان لشعره تأثير كبير فى نفوس العرب وكان مقسرا من
امراء ذبيان وخصوصا هرم بن سنان والحارث بن عوف . وأول قصيدة
نظمها فى مدحها معلقته المشهورة التى مطلعها :

أَمِنْ أُمَّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانَةَ الدَّرَّاجِ فَالْمُتَلِّمِ

(*) بجانب هذه الطبقات طبع ايضا ديوان امرئ القيس فى مصر بتحقيق حسن السندوبى ،
وفى مجموعة مختار الشعر الجاهلى لمصطفى السقا ، وطبع فى بمباى بالهند سنة ١٩١٣ ، وفى
الشماع مع ديوانى طرفة وزهير

(**) وانظر ايضا كتاب الموشح للمرزبانى ص ٢٧ والمؤلف للامدى ، ومعاهد التنصيص
للعباسى ، وشرح العيون لابن نباتة (طبعة بولاق) ص ١٨١ وشرح شواهد الغنى للسيوطى
٦ - ٩ : وابن بدرون طبعة دوزى ص ١١٧ - ١٢٠ ، وطبقات الشعراء لابن سلام فى مواضع
متفرقة ، واعجاز القرآن للباقلانى ، وتاريخ العرب قبل الاسلام لجواد على ج ٣ ص ٢٥٢ ، وفى
الادب الجاهلى لعل حسين ، ودائرة المعارف الاسلامة وما بها من مراجع وبروكلمن ٢٤ ج ٩

قالها على اثر مكرمة اتيها بحقن الدماء بين عبس وذبيان (١)
ثم مدح هرما بقصائد كثيرة حتى حلف هرم الا يمدحه زهير الا اعطاه ،
ولا يسأله الا اعطاه ، ولا سلم عليه الا اعطاه عبداً أو وليدة أو فرساً .
فاستحيا زهير من كثرة ما كان يقبل منه فأصبح اذا رآه في ملا من الناس
قال : « عموا صباحا غير هرم .. وخيركم استثنيت » وقال عمر بن الخطاب
لبعض ولد هرم : « أنشدني بعض مدح زهير أبلك » فأنشده ، فقال عمر :
« انه كان ليحسن فيكم القول » فقال « ونحن والله كنا نحسن له العطاء » ،
فقال عمر : « قد ذهب ما اعطيتموه وبقي ما اعطاكم » ومدح زهير ايضا سنان
بن ابي حارثة المري وحسن بن حذيفة بن بدر وغيرهما
ومما قاله في مدح هرم ، ولم يسبقه اليه أحد قوله :

قد جعل المبتغون الخير في هرمٍ والسائلون الى أبوابه طرُقًا
من يلقَ يوماً على علاقته هرما يلق السباحة منه والتددي خلقا
يطلب شأواً امرأين قدما حسبا بذئا الملوك وبذا هذه الشوقا(*)
هو الجواد فإن يلحق بشأوهما على تكاليفه فمثلته لحقا
او يسبقاه على ما كان من مهلٍ فمثل ما قدما من صالح سبقا
ومن بليغ مدحه قوله في مدح حصن بن حذيفة بعد ان استهل بوصف
الصيد ثم تخلص الى المدح في قصيدة طويلة جئنا بمثال منها في فصل
سابق من هذا الكتاب ، وتجد أمثلة من نظمه في أماكن أخرى منه
ويؤخذ من بعض أقواله أنه كان مؤمنا بالبعث ، كقوله :

بؤخرٍ فيودع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينتقم
ومما يدل على تعقله وحنكته وسعة صدره حكمه في معلقته التي نقلنا
بعضها في الصفحات الاولى من هذا الكتاب . وقد جمع خلاصة التقاضي في
بيت واحد وهو :

وإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نيفار أو جلاء

فزهير يمتاز بمدحياته وحكمياته وبلاغته . وقد جمعت أشعره في
ديوان شرحه ثعلب المتوفى سنة ٢٩١ هـ ومنه نسخة خطية في دار الكتب
المصرية (**) ، وقد طبع سنة ١٣٢٣ هـ وشرحه الشنتمري المعروف بالأعلم
المتوفى سنة ٤٧٦ هـ . وقد طبع هذا الشرح في لندن سنة ١٣٠٦ هـ ، وله
شروح أخرى ضاعت أو لم نقف عليها . وكتب ديروف Dyroff الألماني

(١) الاغانى ١٤٩ ج ٩
(*) الشاؤ : الغاية ، وامرايين : ابيه وجده ، والسوق : الناس غير الملوك
(**) نشرت دار الكتب المصرية رواية ثعلب للديوان التي ذكرها المؤلف ، وقد طبع الديوان
أيضا في مجموعة العقد الثمين لالورد ، وفي مجموعة مختار الشعر الجاهلي للسقا ، ومع ديواني
طرافة ، امرئ القيس في الشام

كتاباً بالامانية في زهير واشعاره ، وما لم ينشر منها طبع في منشئ سنة ١٨٩٢

وقد جمعت أخباره وأقواله في كتاب الاغانى ٤٨ و ١٤٦ ج ٩ وفي ديوان الشعراء الستة الجاهليين ، وخزانه الادب ٣٧٥ ج ١ والشعر والشعراء ٥٧ (*) وجمعت معلقته مع سائر المعلقات وفي الجمهرة ص ٤٧ ، وقد شرحها كثيرون منهم النحاس المتقدم ذكره وهو أهم شروحا . وقد نشره الدكتور هوسهر الالماني سنة ١٩٠٥ في برلين مع مقدمة المانية مفيدة

٣ - النابغة الفياثى

توفى سنة ٦٠٤ م

هو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء واسمه زياد بن معاوية من ذبيان من قيس . وهو من الاشراف الذين غص الشعر منهم كما غص من امرئ القيس . وكان يفد على النعمان صاحب الحيرة فيمدحه ، فوقعت العداوة بينه وبين المنخل الشاعر ، فوشى به الى النعمان . . فهرب النابغة الى بنى غسان ونزل بعمر بن الحارث الاصغر ملك الغساسنة فمدحه . ومازال مقيما عنده حتى مات عمرو وخلفه النعمان اخوه ، فمكث معه حتى اصطلح مع النعمان صاحب الحيرة فعاد اليه

وكان يفد على صاحب الحيرة ايضا حسان بن ثابت الانصارى ، ولكن النابغة كان مقدما على الجميع . فجمع من عطايا النعمان صاحب الحيرة ثروة طائلة وصار يأكل ويشرب فى آنية الفضة والذهب . وله منزلة كبرى عند شعراء عصره ، فاذا جاء سوق عكاظ ضربوا له قبة من جلد وجاء الشعراء ينشدون أشعارهم . وأول من أنشده ذات مرة الاعشى ثم حسان ثم الخنساء ، وهذا شرف لم ينله أحد من الشعراء سواه

ويمتاز النابغة عن صاحبيه بأنه احسنهم ديباجة شعر واكثرهم رونق كلام واجزلهم بيتا ، فكان شعره كلام ليس فيه تكلف . وذلك ظاهر فى كل اقواله حتى جرى كثير منها مجرى الامثال ، واقتبس الشعراء كثيرا من اقواله منها :

تَبَيَّنْتُ أَنَّ أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَنِي وَلَا قَرَارَ عَلَى زَأْرِ مِنَ الْأَسَدِ
تمثل به الحجاج بن يوسف حين سخط عليه عبد الملك بن مروان ، وقوله :

فَلَوْ كَفَيْتِ الْيَمِينَ بِغَتَّتِكَ خَوْثًا لِأَفْرَدَتِ الْيَمِينَ مِنَ الشَّامِ
أخذه المثقب العبدى فقال :

(*) انظر أيضا شرح شواهد المفتى للسيوطى ص ٤٨ ، وطبقات الشعراء لابن سلام . ومعامد النسيب للعباسى ، والموشح للمرزبانى ص ٤٥ وخاص الخاص للثعالبى ص ٧٥ ، وكتابه الاعجاز والابجاز ص ٣٧ ، وشعراء النصرانية لنسخر ٥١٠ - ٥٩٥ ، وفي الادب الجاهلى لطف حسين ، وتاريخ الادب العربى من الجاهلية حتى عصر بنى أمية لكارلو نالينو طبع دار المعارف ص ٦٢ ودائرة المعارف الاسلامة وما بها من مراجع

ولو أنى تخالفنى شمانى بنضري لم تصاحبها يمينى
وقوله :

فحملتني ذنب امرى وتركته
كذى العرّ يَكْوَى غيره وهو راتع
أخذه الكميت فقال :

ولا أكوى الصحاح براتعات بهن العرّ قبلى ماكوينا
وقوله :
واستبق ودّك للصديق ولا تكن قتباً يعرض بغارب ملحاحاً (*)
أخذه ابن ميادة فقال :

ما إن ألح على الاخوان أسألهم كما يلح بعض الغارب القتب
ومما يتمثل به من شعره قوله :

لو أنها عرضت لأشمط راهب
عبد الإله ضرورة المتعبّد (**)
لرنا لبهجتها وحسن حديثها
ولخاله رشداً وإن لم يرشداً
أخذه ربيعة بن مقروم الضبي فقال :

لو أنها عرضت لأشمط راهب
فى رأس مشرفة الذرى يتبّل
لرنا لبهجتها وحسن حديثها
ولهم من ناموسه يتزّل
ومما يتمثل به أيضاً من شعره :

ومن عصاك فعاقبه معاقبة
تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمّد (***)
وقال فى العفة وهو أحسن ما قيل فيها :

(*) القتب : الرجل ، والغارب : الكاهن أو ما بين السنام والعنق
(**) الاشمط : الذى خالط شعره الشيب ، والضرورة : الذى لا ذنب له
(***) الضمّد : الحقد

رَقَّاقُ النِّعَمِ طَيِّبٌ حُجُزَاتُهُمْ
يَحْيَوْنَ بِالرِّيحَانِ يَوْمَ السَّبَّاسِ (*)

أخذه عدي بن زيد فقال :

أَجَلٌ إِنْ اللَّهُ قَدْ فَضَّلَكُمْ فَوْقَ مَنْ أَحْكَى بِصَلْبٍ وَإِزَارٍ
فَالصَّلْبُ الْحَسْبُ وَالْإِزَارُ الْعَفَافُ ، وَفِي أَمْثَالِهِمْ : أَصْدَقُ مِنْ قِطَاةٍ - قَالَ
النَّابِغَةُ :

تَدْعُو قِطَاً وَبِهَا تُدْعَى إِذَا تُسَبِّتُ
يَا حُسْنَهَا حِينَ تَدْعُوهَا فَتَنْتَسِبُ
وَذَلِكَ لِأَنَّهَا تَلْفِظُ بِاسْمِهَا . أَخَذَهُ أَبُو نَوَاسٍ فَقَالَ : « أَصْدَقُ مِنْ قَوْلِ
قِطَاةٍ قِطَاً »

وقد مدح النابغة النعمان وعمرو بن هند من أصحاب الحيرة ، وعمرو
ابن الحارث الفسائي وأخاه النعمان ووائل بن الحلاج الكلبي وهجا ابن زرعة
ورثي واعتذر وفاخر . ولكن الشعر الوصفى قليل في منظومه الا القصيدة
التي نظمها في وصف المتجردة زوجة النعمان صاحب الحيرة وقد تقدم
مطلعها . ومن قوله في وصفها : (**)

نَظَرْتُ بِمُقَلَّةٍ شَادَنٍ مَتَرَبَّبٍ أَحْوَى أَحَمَّ الْمُقَلَّتَيْنِ مَقْلَدٍ
وَالنَّظْمُ فِي سَلَكٍ يَزِيْنُ نَحْرَهَا ذَهَبٌ تَوَقَّدَ كَالشَّهَابِ الْمَوْقَدِ
صَفْرَاءُ كَالسَّيْرَاءِ أَكْمَلَ خَلْقَهَا كَالْفُصْنِ فِي غُلُوَائِهِ الْمَتَاوُدِ
قَامَتْ تَرَاءَى بَيْنَ سِجْنَفَى كِلْتَا كَالشَّمْسِ يَوْمَ طُلُوعِهَا بِالْأَسْعَدِ
أَوْ دُرَّةٍ صَدْفِيَّةٍ غَوَّاصِهَا بَهْجٌ مَتَى يَرَاهَا يَهْلُ وَيَسْجَدُ
أَوْ دَمِيَّةٍ مِنْ مَرْمَرٍ مَرْفُوعَةٍ بَنِيْتُ بِأَجْرٍ يُشَادُ وَقَرْمَدُ
سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تَرُدْ إِسْقَاطَهُ فَتَنَاوَلْتَهُ وَاثْقَنَّا بِالْيَدِ
بِمَخْضَبٍ رَخْصٍ كَأَنَّ بَنَانَهُ عَنَمٌ يَكَادُ مِنَ اللَّطَافَةِ يُعْقَدُ

(*) يصف في هذا البيت الفسائنة بالتروى والنميمة ، والحجرات : الأوساط ، ويريد
بطيبتها العفة والشرف . يوم السباسب : يوم الشعانين

(**) الغريب في الأبيات : الشادن : الطي الصغير ، المتربب : المحبوس في البيت ، أحوى :
فيه حمرة الى سواد . أحمر : أسود ، ومقلد : ولد بالحلي وزين - السيرا : لوب من حرير فيه
خطوط ، وغلواء الفصن : ارتفاعه ، المتأود : المتثنى ، السجف : الستر ، الأسعد : برج الحمل
- يهل : يرفع صوته بالتكبير - تشاد : تبني وتطلي ، والقرمد : خرف مطبوخ - النصيف :
الحمار ، المخضب هنا : الكف ، والرخص : اللبن ، البنان : الأصابع ، والمنع : شجر لين
الأغصان أو ثمر أحمر مستطيل كالأصابع

وهي طويلة وفيها ابيات لا يليق نشرها ، ولكنه وصف فيها الطبيعة كما هي عادة الجاهليين في تمثيل الواقع ، وكما فعل سليمان الحكيم في نشيد الانشاد . ومن احسن شعره معلقته التي مطلعها :

عوجوا فحيثوا لنعم دمنة الدار ماذا نحيثون من ثؤي وأحجار
وهي ستون بيتا ذكرها صاحب جمهرة اشعار العرب

وللنابغة ديوان مطبوع غير مرة ، وشرح منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية ، وقد ترجمه الى الفرنسية وطبعه مع الاصل العربي المسمى «دربنبرج في المجلة الاسيوية الفرنسية سنة ١٨٦٨» ، وصدر كتاب اسمه التوضيح والبيان لاشعار نابغة ذبيان طبع بمصر (*)

واخباره متفرقة في الاغانى ١٦٢ ج ٩ والشعر والشعراء ٧٠ و ١٢٦ والجمهرة ٥٢ وفي دواوين الشعراء الستة الجاهليين وفي شرح المعلقات وسائر كتب الادب (**)

٤ - أعشى قيس

توفي سنة ٦٢٩ م

اسمه ميمون بن قيس بن جندل بن بكر بن وائل من ربيعة ، وهو احد الاعلام من شعراء الجاهلية وفحولهم . والبعض يقدمونه على سائرهم اذا طرب ، كما يتقدم امرؤ القيس اذا غضب ، والنابغة اذا رهب ، وزهير اذا رغب (١) ويحتج الذين يقدمونه بكثرة طوالة الجياد وتصرفه في المسديح والهجاء وسائر فنون الشعر مما ليس لسواء . ويقال انه اول من سأل بشعره وانتجع به اقاصى البلاد ، وكان يقنى به فسموه صناجة العرب ، وقد تقدم انه قدرى المذهب لقوله :

استأثر الله بالوفاء وبالعدل وولكى الملامة الرجال

ويظن انه اخذ ذلك من نصارى الحيرة . وهو الذى زوج بنات الملقق بأبيات قالها فيه . ولم يكن يمدح قوما الا رفعمهم ، ولم يهيج قوما الا وضعهم ، لانه من أسير الناس شعرا وأعظمهم فيه حظا (٢) وله منافرة مع

(*) طبع ديوان النابغة أيضا مع الشعراء الستة في مصر بشرح البطليموس ، وفي مجموعة مختار الشعر الجاهلى للسقا ، ونشر في بيروت مع مجموعة دواوين أخرى باسم خمسة دواوين العرب : النابغة وعروة بن الورد والفرزدق وحاتم طي وعلقمة الفحل ، وهو مطبوع بين شعراء النصرانية بعناية شيخو . وعثر ديرنبرج بعد نشرته التي ذكرها المؤلف للديوان على مخطوطة جديدة ، ووجد بها زيادات قاصدة بها ملحقا سنة ١٨٩٩ ، وفي دار الكتب المصرية غير مخطوطة من الديوان

(**) وأنظر أيضا طبقات الشعراء لابن سلام والموشح للمرزبانى ص ٢٨ وتاريخ ابن عساکر ٤٢٤/٥ وشرح شواهد الغنى للسيوطي ص ٢٨ ، وفي الادب الجاهلى لطف حسين ، وتاريخ الاداب العربية لنالينو ص ٦٩ - ٧١ واثرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع

(٢) المدة ١٤٦ ج ٢

(١) الاغانى ٧٧ ج ٨

علقة الفحل . ويمتاز الأعشى عن معظم شعراء الجاهلية بوصف الخمر ،
اذ قل فيهم من ذكره واما هو فقد وصفها بقوله :

وأدكن عاتقٍ جَحَلٍ رِبَحِلٍ صَبَحَتْ بِرَاحَةٍ شَرِّ بَاكِراما (*)
من اللأئي حُمِلن على المطايا كريح المسك تستل الزكاما
وقوله :

من خمرٍ عانةٍ قد أتى لختامها حَوْلٌ تسل غمامة المزكوم
وقد ادرك الرسول ووفد عليه فمدحه بقصيدة مطلعها :

ألم تغمض عيناك ليلة أرمدًا وعادك ما عاد السليم المسهدا
وما ذاك من عشق النساء وإنما تناسيت قبل اليوم خلة مهندا (١)
وفيهما يقول لناقته :

فأليت لا أرثي لها من كلالَةٍ ولا من حَقٍّ حتى تزور محمدًا
نبيُّ يرى ما لا ترون وذكره أغارَ لعمري في البلاد وأنجدًا
متى ما تناخى عند باب ابن هاشم تراحي وتلقَى من فواضله يَدًا
فلما علم أبو سفيان بذلك حرض قومه على ارضائه بالرجوع خوفًا من أن
يسلم فينصر الرسول بشعره على قريش ، فجعلوا له مائة من الإبل فأخذها
ورجع . وله معلقة مطلعها :

ما بكاءُ الكبير في الأطلال وسؤالي وما ترد سؤالي (٢)

وللأعشى ديوان خط في دار الكتب المصرية . وله قصيدتان ترجمتا إلى
الألمانية ترجمهما المستشرق الألماني « جاير Geyer » الأولى المعلقة المتقدم
ذكرها ، والثانية أولها : « ودع هريرة أن الركب مرتحل » وقد عني
بشرحهما مطولا حتى بلغت صفحات شرح الأولى وحدها ٢٢٣ صفحة .
وللمستشرق المذكور ولع خاص بشعر الأعشى وهو يطبع ديوانه عن
النسخة الوحيدة الكاملة الموجودة في الاسكوريان (**)

وتجد أخبار الأعشى وأشعاره في الأغاني ٥٢ ج ١٥ و ١٦٠ ج ١٦ و ٧٧

(*) الأدكن : المائل إلى السواد ، والعاتق : القديم ، جحل : سقاء واسع ، ربحل :
ضخم

(٢) جمهرة أشعار العرب ٥٦

(١) مهدد : صاحبة الأعشى

(**) أعتمد حابر في نشره لديوان الأعشى على ست مخطوطات ، وقد نشره سنة ١٩٢٨ بعد
جهود قام بها في هذا السبيل لمدة أربعين عاما ، وأضاف إليه ملحقين : ملحقا بما وجده
من شعر الأعشى في كتب الأدب والتاريخ ، وملحقا بأشعار من سموها باسم الأعشى وهم
كثيرون - وطبع محمد حسين الديوان بمصر معتمدا على هذه النشرة

ح ٨ و ١٤٣ ج ١٠ والشعر والشعراء ١٣٥ والجمهرة ٥٦ وغيرها وفي سيرة الرسول ومعجم البلدان (*) وفي سائر كتب الادب

٥ - لبید بن ربیعہ

توفي سنة ٦٦٢ م

هو لبید بن ربیعہ العامري (من قيس) وكان من اشراف الشعراء المجيدين والفرسان المعمرين . يقال انه عمر ١٤٥ سنة عاش معظمها في الجاهلية ، وقد أدرك الاسلام وأسلم وهاجر وحسن اسلامه ونزل الكوفة أيام عمر بن الخطاب ، فأقام بها حتى مات في أوائل خلافة معاوية . فكان عمره ١٤٥ سنة منها ٩٠ في الجاهلية . وكانت الشاعرية ظاهرة في عينيه منذ صباه . . . ذكروا أن النابغة رآه وهو غلام جاء مع اعمامه الى النعمان ابن المنذر فتوسم فيه الشاعرية ، فسأل عنه فنسبوه ، فقال له : « يا غلام ان عينيك لعينا شاعر ، افتقرض من الشعر شيئا ؟ » قال : « نعم يا عم » قال : « فأنشدني » فأنشده قوله : « ألم ترجع على الدمن الخوالى الخ » فقال له : « يا غلام أنت أشعر بنى عامر زدني » فأنشده قوله : « طلل لخولة في الرسيس قديم » . ف ضرب بيده على جبينه ، وقال : « اذهب فأنت اشعر قيس كلها »

واكثر شعره في الجاهلية لان الخلفاء الراشدين شغلوا الناس عن الشعر بالقرآن ، ذكروا أن عمر بن الخطاب بعث الى المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يقول له : « استنشد من قبلك من شعراء مصر ما قالوا في الاسلام » فأرسل الى الاغلب الراجز العجلي ، فقال له أنشدني ، فقال :

أرجزاً تريد أم قصيدا لقد طلبت هيناً موجوداً

ثم أرسل الى لبید ، فقال : « أنشدني ما قلته في الاسلام » فكتب سورة البقرة في صحيفة ، ثم أتى بها وقال : أبدلني الله هذا في الاسلام مكان الشعر » فكتب المغيرة بذلك الى عمر ، فنقص من عطاء الاغلب خمسمائة وجعلها في عطاء لبید (١)

فمعظم ما يروونه من شعره قيل في الجاهلية . وكان من أجود العرب ، ويقال انه آلى على نفسه في الجاهلية أن لا تهب صبا الا أطعم ، وكان له جفنتان يغدو بهما ويروح في كل يوم على مسجد قومه فيطعمهم . فهبت الصبا يوما والوليد بن عقبة في الكوفة ، فصعد الوليد المنبر فخطب الناس ، ثم قال : « ان أخاكم لبید بن ربیعہ قد نذر في الجاهلية أن لا تهب صبا الا أطعم ، وهذا يوم من أيامه قد هبت صبا فأعينوه ، وأنا أول من فعل »

(*) انظر أيضا طبقات الشعراء لابن سلام ، في مواضع متفرقة ، والمؤلف للأمدى ، والوشح للمزباني ص ٤٩ ومعاهد التنصيص وشرح شواهد المعنى للسيوطي ، وشعراء النصرانية للويس شيخو ، وكتاب في الادب الجاهلي لطلح حسين ، وتاريخ الادب العربية لنالينو ص ٧١ ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع

ثم نزل عن المنبر فأرسل إليه بمائة بكرة ، وكتب إليه بأبيات قالها :

أرى الجزارَ يشحذُ شفرنيه إذا هبت رياحُ أبي عَقِيلِ
أشم الأنفَ أصْبَدُ عامري طويلُ الباع كالسيف الصقيلِ
وفى ابن الجعفرى بحلقتيه على العِلاتِ والمالِ القليلِ
بنحر الكُومِ إذ سحبت عليه ذبولُ صَبَا تَجاذب بالأصيل (١)

فلما بلغت أبياته ليبدأ قال لابنته : « أجيبه فلعمري لقد عشت برهة
وما أعيا بجواب شاعر » فقالت ابنته :

إذا هبت رياحُ أبي عَقِيلِ دعونا عند هَبَّتْهَا انوليدا
أشم الأنفَ أروعَ عَشْمِيًّا أعان على مروءته ليبدأ
بأمثال الهضاب كأن ركبًا عليها من بنى حامٍ قعودًا
أبا وهب جزاك الله خيرًا نحرناها فأطعمتنا الشريدًا
فعدَّ إن الكريم له معادٌ وظنى لا أبا لك أن تعودًا

فقال لها ليبدأ : « قد أحسنت لولا أنك استطعته » ، فقالت : « ان الملوك
لا يستحي من مسئلتهم » ، فقال : « وانت يابنية في هذه أشعر »
ومما يستجاد من قوله قصيدة مطلعها :

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلٌ
ويقال انه لم يقل في الاسلام الا بيتا واحدا ، هو :
الحمد لله أن لم يأتني أجنى حتى لبست من الإسلام سربالا
أما معلقته فمطلعها :

عَفَّتِ الديارُ محلها فمقامها بمنى تأبَّدَ غَوْلُهَا فرجامُها
وقد جمعت أشعاره في ديوان طبع في فينا للمرة الاولى سنة ١٨٨٠ بعناية
يوسف ضياء الدين الخالدي ، ثم ترجمت هذه الطبعة الى الألمانية مع
تعليقات بالمقابلة على نسخ خطية في ستراسبورج وليدن مع ترجمة حياة
الشاعر بعناية « هوبر Huber » ، وطبع في ليدين سنة ١٨٩١ . وله سيرة
بالألمانية بقلم المستشرق هوبر المذكور طبعت في ليدين سنة ١٨٨٧ وأخرى
« لكريمير Kremer » ، طبعت في فينا سنة ١٨٨١ ، وأخباره في الاغانى
٩٣ ج ١٤ و ١٣٧ ج ١٥ والشعر والشعراء ١٤٨ والمستطرف ٤٣ ج ٢
والجمهرة ٦٣ ، وغيرها من كتب الادب (*)

(١) الكوم : القطعة من الابل

(*) وانظر في لبيد الموشع للمرباني ص ٧١ وكتب طبقات الصحابة مثل الاصابة ج ٦ ص
٤ وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٦٠ ونيكلسون Nicholson في كتابه التاريخ الادبي للعرب :
A literary History of the Arabs ص ١١٩ - ١٢١ وتاريخ الادب العربي لئالينوس ص ٦٢
وفى الادب الجاهلي لطف حسين ودائرة المعارف الاسلامة وما بها من مراجع

٦ - عمرو بن كلثوم

توفي سنة ٦٠٠ م

هو من قبيلة تغلب ، وأمه ليلى بنت المهلهل أختى كليب المشهور ، فهو حفيد المهلهل . واشتهرت أمه ليلى بالأنفة وعظم النفس تفاخرا بأبيها . وساد عمرو بن كلثوم قومه تغلب وهو في الخامسة عشرة ، وقد عمر طويلا وكان أعز الناس نفسا وأكثرهم امتناعا وأنفة ، وكان شاعرا مطبوعا اشتهر بمعلقته التي مطلعها :

ألا هبى بصحنك فاصبحينا ولا تبقى خمور الأتدرين

وهي حماسية فخرية يقال انها كانت تزيد على ألف بيت وانما وصل إلينا بعضها . وقد نظمها غضبا لامه وقبيلته من عمرو بن هند صاحب الحيرة . وكان عمرو هذا معجبا بنفسه ، فقال يوما للندماء : « هل تعلمون أحدا من العرب تأنف أمه من خدمة أمي ؟ » فقالوا : « نعم .. أم عمرو ابن كلثوم » قال : « ولم ؟ » قالوا : « لان أباهما المهلهل بن ربيعة ، وعمها كليب بن وائل أعز العرب ، وبعلمها كلثوم بن مالك أفرس العرب ، وابنها عمرو وهو سيد قومه »

فأرسل عمرو بن هند صاحب الحيرة الى عمرو بن كلثوم يستزيه ، ويسأله أن يزير أمه أمه . فأقبل ابن كلثوم من الجزيرة الى الحيرة في جماعة من بني تغلب ، وأقبلت ليلى بنت مهلهل في ظعن من بني تغلب . وأمر عمرو بن هند برواقه ، فضربه فيما بين الحيرة والفرات ، وأرسل الى وجوه أهل مملكته فحضروا في وجوه بني تغلب . فدخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند في رواقه ، ودخلت ليلى وهند في قبة من جانب الرواق ، وقد كان عمرو بن هند أمر أمه أن تنحى الخدم اذا دعا بالطرف وتستخدم ليلى . فدعا عمرو بمائدة ، ثم دعا بالطرف . فقالت هند : « ناوليني يا ليلى ذلك الطبق » فقالت ليلى : « لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها » فأعادت عليها وألحت ، فصاحت ليلى : « وا ذلاه يا لتغلب » فسمعها عمرو ابن كلثوم ، فثار الدم في وجهه ، ونظر اليه عمرو بن هند فعرف الشر في عينيه . فوثب عمرو بن كلثوم الى سيف لعمرو بن هند معلق بالرواق ليس هناك سيف غيره ، فضرب به رأس عمرو بن هند ونادى في بني تغلب فانتهبوا ما في الرواق وساقوا نجائبه وساروا نحو الجزيرة

فجاشت نفس ابن كلثوم وحمى غضبه وأخذته الأنفة والنخوة ، فنظم معلقته او لعلة نظم بعضها في ذلك الحين ، ثم اتى في حادثة أخرى جرت له مع عمرو بن هند المذكور على أثر خلاف جرى بين قومه التغلبيين وأخوانهم البكرين وتقاضوا الى عمرو هذا . وكان قد أصلح بينهما بعد حرب البسوس وشرط عليهما شروطا اذا اختصما . فلما جاوره للمقاضاة كان ابن كلثوم سيد تغلب والنعمان بن هرم سيد بكر . وجرى بين الاميرين جدال بين يدى صاحب الحيرة . وكان هذا يؤثر تغلبا على بكر فطرد ابن هرم ، فنهض ابن كلثوم وانشد معلقته ، وكان حاضرا هناك الحارث بن

حلزة من بكر وائل فأنشد معلقته كما سيجيء . فالغالب ان ابن كلثوم نظم معلقته على مرتين في حادثة أمه وهذه الحادثة . ولذلك رأيت فيها إشارة الى كليهما وقد وقف عمرو بن كلثوم بهذه في سوق عكاظ فأنشدها في موسم مكة ، وكان بنو تغلب يعظمونها ويروونها صغارهم وكبارهم لما حوته من الفخر والحماسة مع جزالتها وسهولة حفظها . فقد استهلها بذكر الخمر ووصف شاربها وتأثيرها ، وهذا قليل في شعر الجاهلية كما تقدم . ثم وصف ليلي نحو وصف النابغة المتجردة ، ثم خاطب عمرو بن هند وافتخر بنفسه وأهله ، وأشار الى ما أراده ابن هند من احتقار والدته ، وذكر واقعة لهم في ذي أراط فازوا بها وابلعوا ، ثم تخلص الى الفخر في أبيات هذا بعضها :

وقد علم القبائل غير فخرٍ	إذا قَبَبَ "بأبطحها بثبنا
بأنا العاصمون إذا أطعنا	وأنا العارمون إذا عصبنا
وأنا المنعمون إذا قدرنا	وأنا المهلكون إذا أتينا
وأنا الحاكمون بما أردنا	وأنا النازلون بحيث شينا
وأنا التاركون لما سخطنا	وأنا الآخذون لما هويننا
وأنا الطالبون إذا تقمنا	وأنا الضاربون إذا ابتلينا
وأنا النازلون بكل ثغر	يخاف النازلون به المنونا
ونشرب إن وردنا الماء صفوا	ويشرب غيرنا كدراً وطينا

وليس لعمرو بن كلثوم ديوان معروف . ولكن اشعاره متفرقة في الاغاني ١٨١ ج ٩ وفي الشعر والشعراء ١١٧ والجمهرة ٧٤ وشعراء النصرانية ١٩٧ وشرح القصائد العشر ١٠٨ وفي معجم البلدان وديوان الحماسة وغيرها (*)

٧ - الحارث بن حلزة الشكري

توفي سنة ٥٨٠ م

هو من بكر وائل ، وقد اشتهر بين أهل العراق . وكان به وضع أي برص ، وهو قليل النظم وانما اشتهر بمعلقته وهي قصيدة واحدة كما اشتهر بمثلها عمرو بن كلثوم وطرفه بن العبد الآتي ذكره . وقد تقدم أن الحارث كان في وفد البكرين الذين اتوا عمرو بن هند وخطيبهم النعمان بن هرم . فلما غضب ابن هند عليه واوشك أن يقضى لبنى تغلب ، قال الحارث

(*) انظر أيضا طبقات الشعراء لابن سلام ، وتاريخ الاداب العربية لنالينو ص ٦١ وفي الادب الجاهلي لطلح حسين . وقد طبع ديوان عمرو بن كلثوم مع ديوان الحارث بن حلزة في مجلة المشرق ص ٥٩١ - ٦١١ من السنة العشرين ١٩٢٢ . وراجع أيضا الشعراء الفرساني لبطرس البستاني

ابن حلزة لقومه : « انى قد قلت خطبة فمن قام بها ظفر بحجته وفلج على خصمه .. فرواها اناسا منهم ، فلما قاموا بين يدي الملك لم يرضه انسادهم » ، فقال : « انى لا ارى احدا يقوم بها مقامى لكنى اكره ان اكلم الملك من وراء سبعة ستور ، وينضح اثرى بالماء اذا انصرفت عنه » . وكانوا يفعلون ذلك بمن فيه برص ، وقيل بل كان ابن هند يفعل ذلك لعظم سلطانه ولا ينظر الى أحد به سوء . ثم خاف ابن حلزة على قسومه وقال : « أنا محتمل ذلك واقرب من الملك » فقيل لعمر بن هند : « ان به وضحا » فأمر ان تمد بينه وبين الحارث سبعة ستور . فجعلت ، فلما نظر عمرو بن كلثوم قال للملك : « أهذا يناطقنى وهو لا يطيق صدر راحلته » فأجابه الملك حتى افحمه . وانشد الحارث قصيدته التى مطلعها :

آذتْنَا بِبَيِّنِهَا أَسْمَاءُ رَبِّ ثَاوٍ يَمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ
وكانت هند أم عمرو صاحب الحيرة تسمع ، فقالت : تالله ما رايت كاليوم قط رجلا يقول مثل هذا القول يكلم من وراء سبعة ستور » فقال الملك : « ارفعوا سترا وادنوا الحارث » حتى اذا ازيلت الستور السبعة أقعده الملك قريبا مثله وبالف في اكرامه ، وضرب بالحارث المثل بالفخر ، فقيل : « أفخر من الحارث بن حلزة » وخصوصا لانهم يزعمون انه قالها ارتجالا ، وذلك بعيد لانه ذكر فيها عدة من أيام العرب غير ببعضها بنى تغلب تصرحا وعرض ببعضها بعمر بن هند ، فهى من قبيل الملاحم في وصف الوقائع والحارث غير معلقته ابيات قليلة منشورة مع أخباره في الاغانى ١٧٧ ج ٩ وشرح القصائد العشر ١٢٥ والشعر والشعراء ٩٦ وشعراء النصرانية ٤١٦ وفى سائر كتب الادب (*)

٨ - طرفة بن العبد

توفى سنة ٥٠٠ م

هو ابو عمرو طرفة بن العبد من بكر وائل من ربيعة ابن اخت جرير ابن عبد المسيح المعروف بالتملس ، وقد نبغ في الشعر منذ حداثة حتى صار يعد من الطبقة الاولى وتوفى صغير السن . ومع كونه من المقلين فان أشعاره كانت معول اصحاب اللغة في الاستشهاد ، وكان في صباه عاكفا على الملاهى يعاقر الخمر وينفق ماله عليها ، ولكن مكائه في قومه جعله جريئاعلى الهجاء ، ومات ابوه وهو صغير فأبى أعمامه ان يقسموا ماله وظلموه حقا لاهم وردة ، فنظم في هجائهم قصيدة ابدع فيها مطلعها :

ما تنظرون بحق وردة فكم صغر البنون ورهط وردة غيب
واشتهر في الاكثر بمعلقته .. ويقال فى سبب نظمها ان اخاه معبدا كانت

(*) أنظر فى الحارث ايضا ، طبقات الشعراء لابن سلام ، والمفضليات رقم ٢٥ ، ٦٢ ومعجم الهذبانى ، وقد طبع ديوانه كما مر مع ديوان عمرو بن كلثوم ، وانظر تاريخ الادب العربية للنالينو ص ٦٠ وفى الادب الجاهلى لطفه حسين

له ابل ضلت فذهب اخوه طرفه الى ابن عمه مالك ليعينه في طلبها فلامه وانتهره ، وقال : « فرطت فيها ثم اقبلت تتعب في طلبها » فهاجت قريحة طرفه ، فقال معلقته التي مطلعها :

لخولة أطلال^{*} بـبـرقة^{*} تهمـد^{*} تلوح^{*} كباقي الوشم في ظاهر اليد^{*}

وفيها يشبه حدوج حبيبته بالسفن السابحة في الماء ، ثم يصف ناقه وصفا جميلا يوهمك لاول وهلة انه يصف حبيبته . ولكنك لا تلبث ان ترى وصفه الدقيق لكل عضو من اعضائها حتى ذيلها ، ثم ينتقل الى الحكم والموعظة ثم العتاب يعاتب ابن عمه على تعنيفه ، ويأسف لانه لا يقدر ان يرد تعنيفه لمقامه عنده

ولطرفة حديث مع عمرو بن هند صاحب الحيرة والمتلمس الشاعر كان سببا في قتله . وذلك ان طرفه كان في صباحه معجبا بنفسه يتخلج في مشيته ، فمشى تلك المشية مرة بين يدي عمرو بن هند فنظر اليه نظرة كادت تبثله من مجلسه . وكان المتلمس حاضرا ، فلما قاما قال له المتلمس : « يا طرفة اني أخاف عليك من نظرتك اليك » فقال طرفه : « كلا » ثم انه كتب لهما كتابين الى المكعب ، وكلن عامله على البحرين وعمان ، فخرجا من عنده وسارا حتى اذا هبطا بأرض قريبة من الحيرة رايا فيها شيخا دار بينهما وبينه كلام نبه المتلمس الى ما قد يكون في الكتاب الذي يحمله من الاذى . ولم يكن يعرف القراءة فاذا هو بـغلام من اهل الحيرة يسقى غنما له من نهر الحيرة ، فقال له المتلمس : « يا غلام اقرأ ؟ » قال : « نعم » قال : « اقرأ هذه » فاذا فيها « باسمك اللهم من عمرو بن هند الى المكعب اذا اتاك كتابي هذا من المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيا » فألقى المتلمس الصحيفة في النهر ، وقال : « يا طرفة معك والله مثلها » فقال : « كلا ما كان ليكتب لي مثل ذلك » ثم أتى طرفه الى المكعب ، فقطع يديه ورجليه ودفنه حيا ، ف ضرب المثل بصحيفة المتلمس لن يسعى في حتفه بنفسه

وقد جمعت أشعار طرفه في ديوان طبع بشالون بفرنسا سنة ١٩٠٠ مع ترجمة فرنسية بعناية « سلكسن » . وتجد أخبار طرفه مع بعض اقواله متفرقة في الاغانى وفي شرح المعلقات وامثال الميداني وحياة الحيوان للدميري ٢٠٩ ج ٢ والجمهرة ٨٣ وفي ديوان الشعراء الستة الجاهلين وخزانة الادب ٤١٤ ج ١ والشعر والشعراء ٨٨ وفي شرح القصائد العشر ٣٠ وفي الحماسة وغيرها . وفي المجلة الآسيوية الفرنسية Journal Asiatique لسنة ١٨٤١ مقالة عنه وعن المتلمس (*)

(*) أنظر في طرفه أيضا طبقات الشعراء لابن سلام ، والموشح للمرزباني ص ٥٧ وتاريخ الاداب العربية للنابغة ص ٦٨ وفي الادب الجاهلي لطلح حسين ، ودائرة المعارف الاسلامية . وقد طبع ديوانه طبعة أخرى غير التي أشار اليها المؤلف في العقد الثمين ، وأيضا في مجموعة مصطلحي السقا

٩ - عنتره بن شداد العبسي

توفي سنة ٦١٥ م

هو عنتره بن شداد من قبيلة عبس من قيس ، وهو من الشعراء الفرسان الشجعان ، وعشق فهاجت شاعريته واتسع خياله . وأخباره مدونة في قصته المشهورة ، لكن أكثرها موضوع من قبيل القصص الروائية . أما عنتره فلا شك في وجوده ، وله حروب وأشعار . والصحيح من خبره أن أمه زبيبة كانت حبشية فلما أنجبت ابنها وظهرت مواهبه اعترف به أبوه والحقه بنسبه على اصطلاحهم في ذلك العصر

وهو أحد أغربة العرب ، ممن أمهاتهم أماء وهم ثلاثة : عنتره وخفاف بن عمير والسليك بن السليكة . وشهد عنتره حرب داحس والغبراء وهو شاب ووقعت ملاحاة بينه وبين بنى عبس في ابل أخذها من حليف لهم اقتتلوا عليها . وحدثت حروب بين جديلة وثلعل ، وكان عنتره مع جديلة فنصرهم فانتصروا فشكته ثعل إلى غطفان . ووقائعه كثيرة يشتهر فيها الصحيح بالموضوع وهم في اختلاف في سبب قتله . وأحب عبلة بنت عمه وهو يذكرها في أكثر أشعاره

ولعنتره أشعار كثيرة تدخل في ديوان كبير ، والرواة مختلفون فيما هو له وما هو موضوع . وما هو ثابت له المعلقة التي مطلعها :

هل غادر الشعراء من متردّم أم هل عرفت الدار بعد توهّم

ويقال في سبب نظمها انه جلس يوما في مجلس بعدما كان قد ابلى واعترف به أبوه وأعتقه ، فسأبه رجل من بنى عبس ذكر سواده وأمّه وأخوته . فسبه عنتره وفخر عليه ، وقال فيما قال له : « أنى لاحضر البأس وأوفى المغنم وأعف عند المسئلة وأجود بما ملكت يدي وأفضل الخطة الصماء » قال له الرجل : « أنا أشعر منك » قال : « ستعلم ذلك » فقال عنتره يذكر قتل معاوية بن نزال وهي أول كلمة قالها

فبدأ بذكر الديار ديار عبلة وخاطبها يشكو البعد والغرام ، ثم استأنف . الفخر والحماسة . وأكثر الرواة ينكرون أن يكون مطلع المعلقة له ومنهم الأصمعي وابن الأعرابي ، وكلهم يقولون أن أول المعلقة الحقيقي :

يا دار عبلة بالجِواءِ تكلمى وعمى صباحا دار عبلة واسلمى .
ومن غرر القصائد المنسوبة إليه قصيدة يذكر فيها واقعة يوم الفروق مطلعها :

ألا قاتل الله الطلول البواليا وقاتل ذكراك السنين الخواليا

وصف فيها الواقعة وافتخر . . وله قصيدة فخمة يتوعد بها النعمان ويفتخر بقومه كلها حكم وحماسة مطلعها :

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلى من طبعه الغضب
وفي هذا البيت من الحكمة البالغة ما ليس بعده غاية . ومن أقواله قصيدة
يهدد بها عمارة والربيع ابنى زياد العبسى معرضاً بذكر قومهما مطلعها :
لغير العلا منى القلا والتجنب ولولا العلا ماكنت فى العيش أرب
وغير هذه شئ كثير يراجع فى ديوانه وفيه معان لم يسبق إليها ، منها
قوله :

وخلا الذبابُ بها فليس يبارح غرداً كفعل الشارب المترنم
هَزَجاً يحكُّ ذراعه بذراعه فعل المكبَّ على الزناد الأجذم
وقوله :

وإذا شربت فانتى مسـنـهـلك مالى وعرضى وافرٌ لم يُكنـامـ
وإذا صحوت فما أقصّر عن ندى وكما علمت شـمـائلى وتكرمى
ومن ذلك قوله :

انى امرؤ من خير عبس متـصـيباً شطرى وأحمى سائرى بالمتـصـل
وإذا الكتيبة أحجت وتلاحظت ألفت خيراً من مُعِمٍ محول
يقول النصف من نسبى شريف فى خير عبس وأحمى النصف الآخر وهو
نسبه فى السودان بالسيف فأشرفه أيضاً ، ومن أحسن شعره قوله :

بكرتْ تخوِّفنى الحتوف كأننى أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل
فأجبتها إن المنية منهـلٌ لا بد أن أسقى بذاك المنهل
فاقتنى حياءك لا أبالك واعلمى أنى امرؤ سأموت إن لم أقتل
إن المنية لو تمثـل مثـلت مثلى إذا نزلوا بضـنـك المنزل
ومن افراطه قوله :

وأنا المنية فى المواطن كلها والطعن منى سابق الآجار
وفى هذه يفخر بأخواله من السودان اذ يقول :

إنى لتعرف فى الحروب مواطنى فى آل عبسٍ مشهدى وفعالى
منهم أبى حقاً فهم لى والد والأُم من حامٍ فهم أخوالى
وأشعار عنتره كلها واردة فى قصته وقد أفردتها بعضهم فى ديوان على
حدة ، وطبع فى بيروت بغیر تحقيق فيما هو له وما ليس له (**) . قصيد

(*) هذا المطلع بعنه للشريف الرضى فى قصيدة مشهورة له
(**) طبع ديوان عنتره أيضاً فى مجموعة العقد الثمين لالورد ، ومجموعة مختار الشعر
الجاهلى لمصطفى السقا

وردت أخباره في الأغاني ١٤٨ ج ٧ والشعر والشعراء ١٣٠ وشعراء النصرانية ٧٩٤ والجمهرة ٩٢ وخزانة الأدب ٦٢ ج ١ والعقد الفريد ٣٤ ج ١ وشرح القصائد العشر ٩٠ وترجمناه في السنة الخامسة من الهلال . وللمستشرق الألماني توربكي Thorbecke كتاب بشأنه طبع في هيدلبرج سنة ١٨٦٨ (*)

قصة عنتره

أما قصته فقد اختلفوا في واضعها ، ويظهر أنها وضعت بالتدريج ومعنى ذلك أنهم توسعوا فيها وأضافوا إليها زيادات على مر التاريخ حتى بلغت ما هي عليه الآن . وكان من عادة المسلمين في صدر الإسلام أن يستنهضوا همم الجند للحرب بتلاوة أخبار الشجعان وفرسانهم الجاهليين ، وقد رأيناهم يفعلون ذلك في القرن الأول للهجرة في زمن الحجاج بن يوسف سنة ٧٧ في الواقعة التي قتل فيها شبيب عتاب بن ورقاء . ذكر ابن الأثير أن عتابا سار في أصحابه قبل المعركة يحرضهم على القتال ويقص عليهم ، ثم قال : « ابن القصاص ؟ » فلم يجبه أحد ، فقال : « ابن من يروى شعر عنتره ؟ » فلم يجبه أحد الخ

فكانوا أولا يروون أشعار عنتره للحماسة ، ثم صاروا يجمعون أخباره وأحاديثه ويتناقلونها رواية عن الأصمعي وهي تتسع حتى جمعت بمصر في أواخر القرن الرابع للهجرة في زمن الخليفة العزيز بالله الفاطمي . وقد جاء في سبب جمعها وتدوينها أن رجلا اسمه الشيخ يوسف بن اسماعيل كان يتصل بالعزيز بالله . . فاتفق أن يحدث ربة في دار العزيز ، لهجت الناس بها في المنازل والأسواق فساء العزيز ذلك ، وأشار على الشيخ يوسف المذكور أن يطرف الناس بما عساه أن يشغلهم عن هذا الحديث

وكان الشيخ يوسف هذا واسع الرواية في أخبار العرب كثير النوادر والأحاديث ، وكان قد أخذ روايات شتى عن أبي عبيدة وابن هشام وجهينة الأخبار والأصمعي وغيرهم من الرواة ، فأخذ يكتب قصة عنتره ويوزعها في الناس فأعجبوا بها واشتغلوا عن سسواها . ومن تلافقه في الحيلة أنه قسمها إلى ٧٢ كتابا والتزم في آخر كل كتاب أن يقطع الكلام في حادث مهم يشتاق القارئ والسماع إلى الوقوف على تمامه . . فلا يفتر عن طلب الكتاب الذي يليه ، فإذا وقف عليه انتهى به مثل ما انتهى في الأول وهكذا إلى نهاية القصة . وقد أثبت في هذه الكتب ما ورد من أشعار العرب المذكورين فيها ، ولكن تداول النساخين الجهلاء للقصة أفسد روايتها . . والقصة مشهورة ومطبوعة مرارا

(*) أنظر أيضا في عنتره تاريخ الأدب العربية لنالينو ص ٦١ ودائرة المعارف الإسلامية . وقد كتب ألورد بحثا في صحة أشعاره

١٠ - عبيد بن الأبرص الأسدي

توفي سنة ٥٥٥ م

هو من بني أسد من مضر من شعراء الطبقة الأولى قديم الذكر عظيم الشهرة ، لكن الباقي من شعره أقل من شهرته ، وكان عبيد لا يقول الشعر في صباه . وذكروا في سبب ما بعثه على النظم انه كان ضيق الرزق قليل المال ، فأقبل ذات يوم بغنم له ومعه اخته ماوية ليوردا غنمهما . فمنعه رجل من مالك وجبهه .. فانطلق حزينا مهموما ثم ابتهل الى الله : ان كان فلان ظلمني ورماني بالبهتان فأدلني منه وانصرني عليه . ووضع رأسه فنام ، فرأى في المنام ان رجلا اتاه بكبة من شعر القاها في فيه ثم قال : قم ، فقام وهو يرتجز ، واستمر بعد ذلك ينظم الشعر حتى صبح شاعر بني أسد غير مدافع ، فنظم قصيدته البائية وهي التي تعد من المعلقات مطلعها :

أَقْفَرُ من أهله مَلْحُوبٌ فَاَلْقُطِيَّاتُ فَاَلذُّثُوبُ

وهي ٤٨ بيتا نشرها التبريزي ملحقة بالمعلقات السبع مع قصيدتي الاعشى والنابغة في شرح القصائد العشر . وهو معدود من اصحاب المجمرات عند صاحب جمهرة أشعار العرب ، وجمهرته عنده هي نفس هذه المعلقة مع بعض التغيير (١)

وفي أيامه كان حجر بن الحارث الكندي والد امرئ القيس ملكا على بني أسد كما تقدم ، وكان عبيد يناديه فنظم فيه قصائد من جملتها قصيدة يغنى بها ، مطلعها :

طاف الخيالُ علينا ليلة الوادي من أمٍّ عمرو ولم يَلْمِ ببيعاد

وأبى بنو أسد مرة ان يدفعوا الاتاة لحجر وقتلوا رسله ، ففضضب دحاربهم واستباح اموالهم واخرجهم الى تهامة وحبس بعض ساداتهم وفيهم عبيد بن الأبرص .. فذهب منهم وقد اليه ، وجاء عبيد فوقف وانشد قصيدة جاء فيها :

وَمَنْعَتَهُمْ نَجَّدَا فَقَدْ حَلَّثَا عَلَى وَجَلٍ تِهَاءَ
بَرِمَتْ بنو أسد كما بَرِمَتْ بِيضَتَا الحِمَامِ
جَعَلْتَ لَهَا عودين من نَشْمٍ وَاخْرَ من ثَمَامِ (٢)
مهما تركت تركت عَفَسُوا أو قَلَّتْ فِلا مَسْلَامِ
أنت المليكُ عَلَيْهِمْ وَهمُ العبيد الى القِيَامِ
ذَلُّوا لِسُوطِكَ مَثَلُ ما ذَلَّ الْأَشْيَقِرُّ ذُو الْخِزَامِ (٣)

(١) الجمهرة ١٠٠ (٢) النشم : شجر ، والثمارة : نبت
(٣) الاشيقر : الاحمر من الابل ، والخزامة : حلقة من شعر تجعل في أنف البعير

فأطلق حجر سبيلهم . ثم ثارت أسد ثانية عليه وقتلوه كما ذكرنا في ترجمة امرئ القيس . وغضب امرؤ القيس ولم يقبل منهم دية أبيه ووعدهم فقال عبید قصيدة مطلعها :

يَا إِذَا الْمَخُوفُنَا بَقَّتْ لَ أَيْسَهُ إِذْ لَالَا وَحَيْنَا
وَزَعَمْتَ أَنَّكَ قَدْ قَتَلْتَ سَرَائِنَا كَذِبًا وَمَيْنَا

وعمر عبید طويلا حتى قتله المنذر بن ماء السماء في حديث، خلاصته أن المنذر قتل نديمين له من بنى أسد وهو غضبان ، فلما أصبح تدم فبنى على قبريهما ضريحين سماهما الغريين وجعل لنفسه يومين في السنة يجلس فيهما هناك ، أحدهما يوم نعيم والآخر يوم بؤس . فأول من يطلع عليه في يوم النعيم يعطيه مائة من الإبل وأول من يطلع عليه في يوم البؤس يقتله ويطلق بدمه الغريين . فاتفق لعبيد أن أتاه في يوم بؤسه فقتله . وهذا الحديث يشبه ما ذكروه عن حنظلة والنعمان ، لكن حادثة حنظلة تمثل الوفاء أحسن تمثيل اذ يطلق النعمان حنظلة بضمانة على أن يغيب سنة ثم يعود ليقتل ، فلما حان الوقت جاء وسأله النعمان عما حمله على المجيء بعد أن نجا بنفسه ، فقال : « الوفاء »

فلعل الاصل فيها قصة عبید فزاد عليها العسرب وعد حنظلة ووفاء ليمثلوا بها الوفاء على نحو ما كما يفعل اليونان في الروايات التمثيلية ، وقد أشرنا الى ذلك قبلا

ومن أحسن شعر عبید ، قصيدته الدالية التي مطلعها :

لَمِنْ ذِمْنَةٍ أَقْوَتْ بِحَرَّةٍ صَرْغَدٍ تَلُوحُ كَعَنُوانِ الْكِتَابِ الْمَجْدُودِ

ولعبيد ديوان تحت الطبع على يد لجنة تذكاري جيب بانجلترا مع ديوان عامر بن الطفيل بتصحيح المستشرق لايل Lyall (*)

وتجد اخبار عبید في الاغانى ٨٤ ج ١٩ والشعر والشعراء ١٤٣ وشعراء النصرانية ٥٩٦ والجمهرة ١٠٠ وفي مجمع الامثال للميداني ومعجم البلدان والعمدة ومعجم البكري وغيرها (**)

الملاحظات والمستشرقون

وقد عني غير واحد بشرح الملاحظات وان اختلفوا في عددها كما تقدم . وعنى جماعة من علماء أوربا المستشرقين بترجمتها . وأشهر من فعل ذلك منهم وأبهم جونز W. Jones الانجليزى فقد نشرها مع ترجمة

(*) نشر لايل الديوانين مع بحث طريف عن الشاعرين
(**) انظر أيضا في عبید أمالي القالى ج ٢ ص ١٩٩ وشرح شواهد الفنى للسيوطى ص ٢٩٢ ، وفي الادب الجاهلى لطف حسين ، وتاريخ الادب العربية لنالينو ص ٦٧ ومقدمة لايل لديوانه

وشرح في لندن سنة ١٧٨٣ ، وابل Abel النمساوى ترجمها الى
 النمساوية ونشرها مع الاصل العربى فى برلين سنة ١٨٩١ . ثم جنسن
 Johnson الانجليزى ترجمها الى الانجليزية ونشرها فى لندن سنة ١٨٩٤ ،
 مع مقدمة للشيخ فيض الابهى . وقد كتب عنها وعن غيرها من شعير
 الجاهلية لاييل Lyall المذكور كتابا طبع فى لندن سنة ١٨٨٥ ونولدكى
 Nældeke الالماني وغيرهما

الشعراء، الأمراء

الشعراء من الملوك والأمراء بضعة عشر شاعرا ، منهم اثنان من أصحاب المعلقات هما امرؤ القيس وعمرو بن كلثوم وقد ترجمنا لهما ، واليك من بقى :

١ - الافوه الاودى

توفي سنة ٥٧٠ م

هو صلاءة بن عمرو من أود ، وينتهى نسبة الى مذحج من قبائل اليمن . وكان سيد قومه وقائدهم ، وكانوا يصدرون عن رأيه ، والعرب تعده من حكمائها ، وله قصيدة دالية تدل على حكمة وصدق نظر منها قوله : (*)

إن النجاة إذا ما كنت ذا بصيرٍ من أجّة الغى إبعاد
والخير تزداد منه ما لقيت به والشر يكفيك منه قلّما زاد
والبيت لا يثبتنى إلا له عمد ولا عماد إذا لم تثرس أوتاد
فإن تجمّع أوتاد وأعمدة وساكن بلغوا الأمر الذى كادوا
لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهّالهم سادوا
تلفى الأمور بأهل الرأى ماصلحت فإن تولوا فبالأشرار تنقّساد
إذا تولى سراة الناس أمرهم نمت على ذاك أمر القوم فازدادوا
ومن حماسياته قوله :

تقاتل أقواما فنسبى نساءهم ولم يرَ ذو عزٍّ لنسوتنا حَجَلا
نقود ونأبى أن نقساد ولا ترى لقوم علينا في مكارمهم فضلا
وأنا بطاء المشى عند نسائنا كما قيّدت بالصيف نجدية بزلا

(*) الغريب فى أبيات الافوه الاودى - الاجة : من أحج النصار - السراة : الاشراف والسادة - الحجل : الخلل - البزل : جمع بازل وهو البعير المسن

وقد جمعت أقواله في الاغانى ٤٤ ج ١١ وشعراء النصرانية ٧٠ والشعر والشعراء ١١٠ وله أبيات متفرقة في كتب الادب ونحوها وليس أنه ديوان مجموع (*)

٢ - المهلهل بن ربيعة

توفي نحو سنة ٥٣١ م

هو عدى بن ربيعة التغلبى أخو كليب من نجد من الطبقة الاولى ، وهو خال امرئ القيس الشاعر الملك . وكان المهلهل فصيحاً شديداً البأس في الحروب ، وقد شهد حرب يوم السلان مع أخيه كليب ، وأبلى بلاء حسناً . وكان المهلهل في أول أمره صاحب لهو كثير المحادثة للنساء ، فسماه أخوه كليب « زير النساء » أى جليسهن ، ولم يكن يرجو منه خيراً . فلما قتل كليب فى أمر البسوس المشهور (١) كان المهلهل يعاقر الخمر ، فهاجه مقتل أخيه وذهب الى قومه واستحثهم على الاخذ بالثأر . وجز شعره وقصر ثوبه ، وهجر النساء وترك الغزل ، وحرم القمار والشراب ، ونهض للحرب ، وما أشبه عمله هذا بعمل ابن أخته امرئ القيس . ولعل هذا ورث الساعرية عن خاله لان كليهما وصاف ومستنبط . وطالت الحروب بين بكر وتغلب نحو أربعين سنة كان النصر فيها سجلاً ثم تصافوا واصطلحوا

وكان المهلهل فى أثناء ذلك يقول الشعر على مقتضيات الاحوال بين فخر وحماسة وغيرهما . . فمن ذلك قوله يوم علم بمقتل أخيه وجاء الى قومه فرأى النساء يبكين ، فقال : « استبقين للبكاء عيونا الى آخر الابد » وقال وهو أول شعره :

كنا نغار على العواتق أن ترى بالأمس خارجة عن الأوطان
فخرجن حين ثوى كليب حُسراً مستيقناتٍ بعده بهوان
فترى الكواعب كالظباء عواناً إذ حان مصرعه من الأكفان
يخمشن من أدم الوجوه حواسراً من بعده ويعدن بالآزمان
متسلبات تكدهن وقد ورى أجوافهن بحسرة ووراني
ثم تخلص الى الرثاء والوعيد بالثأر . ومن مراثيه فى أخيه قوله من قصيدة :

كليب لا خير فى الدنيا ومن فيها ان أنت خلّيتها فيمن يخلّيها

(*) طبع ديوان الافوه بمصر فى مجموعة الطرائف الادبية سنة ١٩٣٧ ، وراجع الامال للقالى ج ٢ ص ٢٢٨ : وسط اللالى ٢٦٥ ، ٨٤٤ والعينى ج ١ ص ٤٢١ وانظر تاريخ الاداب العربية لتالينو ص ٦٤

(١) اقرا تفصيله فى كتابنا « العرب قبل الاسلام » صفحة ٢٢٢

كليبُ أي فتى عزٌّ ومسكرمة تحت السقائف اذ يعلوك مافيها
نعي النعاة كليباً لي فقلت لهم مادت بنا الأرض أم مادت رواسيها
ليت السماء على من تحتها وقعت وانشقَّت الأرض فانجابت بمن فيها
ومن أقواله قصيدته الممدودة من المنتقيات ومطلعها :

حَلَّكَتْ رَكابَ البغي من وائلٍ في رهط جَسَّاسٍ ثقال الوسوق
والعرب تسميها الداهية . وقد وضع القصاصون قصة حماسية بطلها
المهلل تعرف بقصة الزير ، كما وضعوا قصة عنتره ولكنها متأخرة وعبارتها
أقرب الى العامية . وللمهلل ذكر في تاريخ الشعر العربي فانه أول من
طول قصائده كما تقدم

وقد جمعت أشعاره في ديوان ، وهو أقدم شاعر جمع له ديوان ولم يصل
إينا هذا الديوان . ولكن بعض المعاصرين جمع له ديواناً أخذه من أقواله
في كتب الادب وغيرها ولم نقف عليه . ولكنك تجد معظم أشعاره في الاغاني
١٤٨ ج ٤ وخزانة الادب ٣٠٠ ج ١ والشعر والشعراء ١٦٤ والجمهرة
١٦٥ وفي تاريخ ابن الاثير ومعجم ياقوت ومعجم البكري وشعراء النصرانية
١٦٠ وفي ديوان الحماسة وغيرها (*)

٣ - عبد يغوث

توفي سنة ٥٨٠ م

هو عبد يغوث بن صلاءة من بنى الحارث بن كعب من كهلان . كان فارساً
سيداً أقومه ، وكان قائدهم في يوم الكلاب الثاني الى بنى تميم وقد أسر يومئذ
وقتل . وهو عريق في الشاعرية ونبغ من أهله غير شاعر وكلهم فحول .
وأحسن شعره قصيدة قالها وهو يتأهب للموت ، وكان قد أسر وشهد
لسانه بنسعة ، وخبروه في الطريقة التي يريد ان يقتل بها فقال :
« اسقوني الخمر ودعوني أنح على نفسي » فسقوه وقطعوا له عرق الاكل
وتركوه ودمه ينزف ومعه ابناه ، فجعلوا يلومانه على ما أركبهما من المشاق
فنظم هذه القصيدة ومطلعها :

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما يسا فما لكما في اللوم نفع ولا ليا
ومنها قوله : (**)

(*) راجع ترجمة له في امالي القالي ج ٢ ص ١٣٠ . وانظر الموشح للمرذبانى ص ٧٤
وكتاب في الادب الجاهلي وتاريخ الادب العربية لنالينو ص ٥٣
(**) الغريب في هذه الابيات : النسعة : سر يضفر من جلد - أسجع : سهل ويسر
في الامر - حربه ماله : سلبه اباه - الرعاء : جمع راع ، العزيزين : جمع معزب وهو
المنتحى بابل ، التالي : الأبل - الجزور : البعير الذي يجزر ويدبح - المطية هنا :
الناقة ، والشرب : جمع شارب ، واصدع : اشق ، والقينة : المغنية ، يقول انه كان
ينحر جزوره للشرب وبشق قميصه أو رداءه للمغنيين ، فيعطى كلا قطعة - وعادية أي
وفرس عادية تسبح في الارض سباحاً ، سوم الجراد أي تمرمر الجراد في السرعة ،
وزعتها : كفتها ، العوالي : الرماح - أسبأ : اشترى الخمر ، والروى : الممتلىء ،
والايسار : الذين يضربون القداح في القمار

أقول وقد شدوا لساني بنسعة أمعشر تيم أطلقوا عن لساني
 أمعشر تيم قد ملكتم فأسجحو فان أخاكم لم يكن من بوانيا
 فان تقتلونى تقتلوا بى سيذا وان تطلقونى تحر بونى بمالييا
 أحقا عباد الله أن لست سامعا تشيد الرعاء المعز بين المتاليا
 وقد كنت نحاتر الجزور ومعمل ال مطى وأمضى حيث لا حى ماضيا
 وأنحر للشرب الكرام مطيتى وأصدع بين القينتين ردائيا
 وعادية سؤم الجراد وزعتها بكفى وقد أنحوا الى العوانيا
 كأنى لم أركب جوادا ولم أقل لخليى كرى نقسى عن رجاليا
 ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل لأيسار صدق أعظموا ضوء ناريا
 وأخباره فى الاغانى ٧٣ ج ١٥ وخزانة الادب ٣١٧ ج ١ وشعراء النصرانية
 ٧٥ والكامل لابن الاثير ومعجم البلدان وغيرها (*)

٤ - زهير بن جناب

توفى سنة ٥٠٠ م

هو زهير بن جناب الكلبي من قضاة ، وهو من مشاهير امراء العرب فى
 الجاهلية . ولد فى آخر القرن الرابع للميلاد وعمر طويلا ربما بلغ عمره ١٥٠
 سنة ، وله حروب كثيرة مع قبائل العرب وتولى الامارة على بكر ونفـ
 صاحب اليمن ، وما زال عليهم حتى حاولوا الاستقلال من اليمن كما تقدم
 ولما كبر زهير وشاخ ثقلت همته وكف بصره ، وظل مع ذلك مقدما عند
 ملوك اليمن والشام وكان الغساسنة يستشيرونه حتى توفى نحو سنة
 ٥٠٠ وهو من أقدم الشعراء وأجودهم ولم يصلنا من شعره الا القليل . هذه
 أمثلة منه فى الحماسة (***)

أبى قومنا أن يفلوا الحق فانتهاوا اليه وأنياب من الحرب تحرق
 فجاءوا الى رجراجة مستمزة يكاد المرنى نحوها الطرف يصعق
 دروع وأرماح بأيدي أعزة وموضونة مما أفاد مخرق
 وخيل جعلناها دخیل كرامة عتقارا ليوم الحرب تحفى وتغبق
 فما برحوا حتى تركنا رئيسهم يعقر فيسه المضحى المذللق

(*) انظر ايضا ذيل الامالى ص ١٣٣ والفضليات رقم ٣٠
 (**) الغريب فى الابيات التالية : الرجراجة : الجماعة الكثيفة ، مستمزة : متميزة
 من الفيظ ، أو مستمرة من المرة أى تطلبها - الموضونة : الدروع ، ومخرق : لقب غير
 ملك من ملوك المناذرة ، يقال كان يحرق العرب ، وكان تلك كانت عادة لهم فى بعض
 حروبهم أن يحرقوا الاسرى - تغبق هنا : تشد عليها السروج - المضحى : الضعيف
 العظيم ، المذللق : المحدد نابه

ويقال انه صاحب البيت المشهور :

إذا قالتَ حذامُ فصدقوها فان القول ما قالتَ حذامُ
وجاءت اخباره في الاغانى ١٧ ج ٣ والشعر والشعراء ٢٢٣ وشعراء
النصرانية ٢٠٥ وأمثال الميداني وغيرها (*)

٥ - عامر بن الطفيل العامري

توفي سنة ٦٣٣ م

هو ابن عم لبيد الشاعر ، وكان فارس قيس وسيدهم . وكان عقيماً
لا يولد له ، ومن جيد شعره في الحماسة قوله :

وما الأرض الا قيسُ عَيْلانُ أهلُها لهم ساحتها سهلها وحزومها
وقد نال آفاقَ السموات مجدنا لنا الصحو من افاقها وغيومها
ومن قوله في الفخر :

فاني وان كنت ابنَ فارسٍ عامرٍ وسيدَها المشهورَ في كل موكبٍ
فما سَوَّدتني عامرٌ من وراثَةٍ أبى الله أن أسمو بأُم ولا أب
ولكنني أحمى حماها وأتقى أذاها وأرمى من رماها بمنكب

ولعامر المذكور ديوان أخذت في نشره لجنة تذكاري جيب الانجليزية مع
ديوان عبيد بن الابرص بعناية المستشرق لايل Lyall (**) وله أخبار
في الشعر والشعراء ١٩١ والاغانى ٤٦ ج ١ وخزانة الادب ٤٩٢ ج ٣ (***)

٦ - ابو قيس بن الاسلت

هو عامر بن جشم من الاوس وهو سيدهم أسسندوا اليه حروبهم
وحملوه رئيساً عليهم في حرب يوم بغاث ، فقام فيها خير قيام . ومن شعره
قوله في امرأة خفرة :

ويكرمها جاراتها فيزرنها وتعتل عن اتيانهن فتعذرُ
وليس لها أن تستهين بجارةٍ ولكنها منهن تحيا وتخفّرُ

(*) أنظر أيضاً ابن الأثير الجزء الاول وتاريخ أبي الفداوإمامي المرتضى (طبعة الحلبي ج
اول ص ٢٢٨ والمصريين طبع ليدن ص ٢٦ ولانسن في كتابه Le Berceau de l'Islam
وتاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي ج ٥ ص ١٩٣

(**) طبع لايل الديوانين كما مر بنا . وقدم لكل من الشعراء بمقدمة طريفة

(***) وأنظر أيضاً الخزانة ج ١ ص ٤٧٣ - ٤٧٤ ، والمؤلف ص ١٥٤ ، ومعجم
المرزباني ص ٢٢٢ والمفضليات رقم ١٠٦ ، ١٠٧ والاصمعيات رقم ٧٧ ، ٧٨ ، وشرح
النقائض لابن الانباري طبع لايل في يوم فف الريح ٤٦٩ - ٤٧٢ ، ويوم شعب جيلة
٦٥٤ - ٦٧٨ ، وسيرة ابن هشام والشعراء الفرسان لبطرس البستاني ، ودائرة المعارف
الاسلامية

وهو من أصحاب المذاهب ومطلع مذهبه :
 قالت ولم تقصد لقول الخنئ مهلا فقد أبلغت أسماعى
 وأخباره في الاغانى ١٦٠ ج ١٥ والجمهرة ١٢٦ (*)

٧ - الحصين بن الحمام

توفى سنة ٦٢١ م

هو الحصين بن الحمام بن ربيعة سيد بنى سهم بن مرة من قيس ، وكان
 يعرف بمانع الضيم . وأحسن ما وصل إلينا من أقواله قصيدة حماسية
 فخرية قائمها على أثر نصر في موضع يقال له دارة موضوع ، مطلعها :

جَزَى اللهُ أَفْنَاءَ الْعَشِيرَةِ كُلِّهَا بِدَارَةِ مَوْضُوعٍ عَقُوقًا وَمَأْتِمًا

وهي من جملة المفضليات التي اختارها المفضل الضبي . أخباره في
 الاغانى ١٢٣ ج ١٢ والشعر والشعراء ٤١٠ وشعراء النصرانية ٧٣٣ والسيرة
 النبوية لابن هشام والحماسة والعمدة (***)

٨ - قيس بن عاصم

من تميم ويكنى أبا على ، وهو شاعر فارس شجاع حكيم كثير الفارات
 مظفر في غزواته ، أدرك الجاهلية والإسلام وساد فيهما . وهو أحد من
 وأد بناته في الجاهلية ، وله حديث عن إحدى بناته يؤثر في النفس (١) وكان
 مشهورا بالكرم لا يستطيع الأكل وحده . ومن نظمه في ذلك قوله وقد جاءته
 امرأته بالطعام :

أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ وَيَا ابْنَةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْفَرَسِ الْوَرْدِ
 إِذَا مَا صَنَعْتَ الزَادَ فَالْتَمِسِي نَهْ أَكِيلًا فَا نِي لَسْتُ آكُلُهُ وَحَسْدِي
 أَخَا طَارِقًا أَوْ جَارَ بَيْتٍ فَانْتِي أَخَافُ مَلَامَاتِ الْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي
 وَأَنْنِي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مِنْ غَيْرِ ذَلَّةٍ وَمَا بِي إِلَّا تَلْكُ مِنْ شَيْمِ الْعَبْدِ

وعنه يروون وصية أوصى بها أولاده ، ضرب لهم فيها مثل الاتحاد بالرمح
 إذا ضمت معا يعسر كسرهما وإذا تفرقت كسرت
 وأخبار قيس في الاغانى ١٤٩ ج ١٢ وخزانة الادب ٤٢٨ ج ٣ والمستطرف

(*) أنظر أيضا الإصابة لابن حجر ج ٧ ص ١٥٧ وابن الأثير الجزء الاول ، والمفضليات
 رقم ٧٥ ، والبيان والتبيين في مواضع متفرقة (أنظر الفهرس)

(**) أنظر أيضا كتاب طبقات الشعراء لابن سلام ، والاستيعاب لابن عبد البر ، وأسد
 الغابة لابن الأثير ، والإصابة لابن حجر
 (١) أقرأه في الاغانى ١٥٠ ج ١٢

٩٧ ج ١ والعقد الفرند ١٦٤ ج ١ (*)

ومن الشعراء الامراء ايضا :

٩ - ورقاء بن زهير الغطفاني سيد بني عبس . ترجمته في الاغانى ٨ ج ١١

١٠ - حجر بن عمرو والد امرئ القيس . ترجمته في شعراء النصرانية ص ١

١١ - أمية بن الاسكر التيمي (مضر) ترجمته في الاغانى ١٥٦ ج ١٨

١٢ - منظور بن زبان سيد فزارة وقائدهم . ترجمته في الاغانى ٥٥ ج ١١

١٣ - الاخشن بن شهاب من سادات تغلب . ترجمته في شعراء النصرانية ١٨٤

١٤ - دريد بن الصمة (توفي سنة ٦٣٠) من هوازن سيد جشم ، وهو من اصحاب المنتقيات ، ترجمته في الاغانى ٢ ج ٩ ، والشعر والشعراء ٤٧٠ ، وشعراء النصرانية ٧٥٢ ، وأجمهرة ١١٧

وقد ذكرنا بجانب كل واحد من هؤلاء المأخذ الذي يمكن الرجوع اليه في مطالعة خبره أو أمثلة من شعره ، ولهم أخبار وأشعار أيضا في سائر كتب الأدب .. وخصوصا الشعر والشعراء والحماسة

(*) أنظر أيضا في قس أمالي المرتضى طبعة الحلبي ج ١ ص ١٠٧ - ١١٤ ، ٥٩٢ ، ج ٢ ص ١٦١ ، ٢٨٦ والحماسة لأبي تمام وعيون الأخبار لابن قتيبة ج أول ص ٢٨٦ وكتب تراجم الصحابة والسيرة النبوية لابن هشام والبيان والتبيين والكامل للمبرد في مواضع متفرقة . وقد نسبت الأبيات المروية له إلى حاتم . أنظر حماسة أبي تمام ، وراجع الشعراء الفرسان للبستاني

الشعراء الفرسان

هم أكثر شعراء الجاهلية لان الفروسية والحرب من طبائع أهل البادية ،
وقل من الشعراء من لم يركب أو يغز . ولكننا اختصصنا في هذا الفصل
من غلبت عليهم الفروسية ، وفيهم الفرسان المشهورون وغير المشهورين .
وهم نحو ٤٠ فارسا ، لو أردنا إيراد تراجمهم لاستغرق ذلك مكانا كبيرا مع
قلة الحاجة الى التفصيل في هذا المقام . فنكتفى بذكر الأشهر منهم أو من
كان له ديوان محفوظ يمكن الرجوع اليه ، ونكتفى فيمن بقي منهم بذكر
الماخذ التي يمكن الرجوع اليها في مطالعة أخبارهم ، وهاك تراجم الأشهر .

١ - أبو محجن الثقفي

توفي سنة ٦٥٠ م

هو فارس شجاع ينسب الى ثقيف، وكان مولعا بالشراب ، وقد أدرك
الإسلام فهو مخضرم ، وحبيه سعد بن أبي وقاص لشرب الخمر . واتفق
بعد قليل أن المسلمين أصابهم جهد في القادسية ، وكان عند أم ولد لسعد
المذكور ، فهاجت حماسته ونظم هذه الأبيات :

كفى حزنًا أن تُطعنَ الخيلُ بالقنا وأتركُ مشدودا على وثاقيا
إذا قت عتاني الحديد وغلقت مغاليق من دوني تصم المناديا
وقد كنت ذا أهلٍ كثيرٍ واخوة فقد تركوني واحدا لا أخا لي
هلم سلاحي لا أبا لك انني أرى الحرب لا تزاد الا تماديا
ثم احتالت أم ولد سعد المذكورة في اطلاق سراحه . ومن قوله في حب
الخمر :

إذا مت فادفني الى جنبِ كربةٍ تروى عظامي بعد موتي عروقتها
ولا تدفني بالفلاة فاني أخاف اذا ما مت أن لا أذوقها

ولأبي محجن ديوان شعر مطبوع في لندن سنة ١٨٨٧ ، ومنه نسخة
خطية في دار الكتب المصرية . وأخباره متفرقة في الشعر والشعراء ٢٥١ ،

وخزانة الادب ٥٥٣ ج ٣ ، وفى الاغانى وغيره (*)

٢ - الاغلب العجلى

توفى سنة ٦٤٣ م

هو الاغلب بن عمرو من جشم من بنى عجل من ربيعة . وهو احد
العمرين فى الجاهلية ، وأدرك الاسلام وأسلم . وكان فى جملة من توجه الى
الكوفة مع سعد بن أبى وقاص ، ومات فى واقعة لها ولد سنة ٢١ هـ ، وهو
أول من رجز الارجيز الطوال . . فقد كان العرب ينشدون الرجز فى
الحرب والحداء والمفاخرة فيأتون منه بأبيات يسيرة . ثم جاء الاغلب فكان
أول من قصد الرجز وأطاله ثم سلك الناس طريقته . والاسلام أم يمنعه من
النظم كما منع لبيدا ، وقد تقدم خبر ذلك فى ترجمة لبيد . ولم تقف له على
شعر أو خبر غير ما فى الاغانى ١٦٤ ج ١٨ ، والشعر والشعراء ٣٨٩ .
وخزانة الادب ٣٣٣ ج ١

٣ - حاتم الطائى

توفى سنة ٥٠٦ م

هو حاتم بن عبد الله من قبيلة طى ويكنى أبا سفانة . وهو من أجواد
العرب وله أخبار فى السخاء مشهورة حتى جرى ذكره مجرى الامثال ،
فيقال : « أجود من حاتم طى » وكانت والدته من أسخى الناس حتى
أضطر اخوتها ان يحجروا على أموالها خوفا من تبذيرها . وكانت ابنته
سفانة سخية أيضا ، فكان أبوها يعطيها القطعة بعد القطعة من ابله فتهبها
للناس . وكان حاتم مع ذلك شاعرا وشجاعا ويشبهه جوده شعره . واذا
قاتل غلب ، واذا غنم أنهب ، واذا سابق سبق . وكان اذا أهل الشهر
الاصم الذى كانت مضر تعظمه فى الجاهلية وتنحرف له ، ينحرف فى كل يوم عشرة
من الابل فيطعم الناس . وكانت الشعراء تفد عليه كاللحيطه وبشر بن أبى
خازم . ويروون عن سخاء حاتم وقائع يغلب أن تكون موضوعة أو مبالغا
فيها ، لتمثيل فضيلة السخاء وتحسبها الى الناس من قبيل الشعر التمثيلى
وقد أشرنا الى ذلك فى كلامنا عن اقسام الشعر عند اليونان . ومن أقواله
فى السخاء :

أماوى قد طال التجنب والهجر وقد غدرتني فى طلابكم العُدَر
أماوى ان المال غاد ورائح ويبقى من المال الأحاديث والذِّكْرُ
أماوى انى لا أقول لسائل اذا جاء يوما حل فى مالنا النذر

(*) انظر فى أبى محجن أيضا طبقات الشعراء لابن سلام والبيان والتبيين طبع لجنة
التأليف ج ٢ ص ٢٣٨ وعيون الاخبار لابن قتيبة ج ١ ص ٢٨ ودائرة المعارف الاسلامية
وبروكلمن ٤٠ ج ١

أماوى" أما مانع" فمُبَيَّن" وأما عطساء" لا ينهنه الزجر
أماوى ما يغنى الشراء عن الفتى اذ حشرجت نفس وضاق بها الصدر
وقوله :

إذا كان بعض المال ربًّا لأهله فانى بحمد الله مالى معبَّد
أخذه ابن يعفر فقال :

ذرىنى أكن للمال ربًّا ولا يكن لى المال ربًّا تحمدى غبته غذا
أرىنى جوادا مات هزًّا لا لعلى أرى ما ترين أو بخيلا مخلدًا
ويستحسن له قوله :

ألا أبلغا وهم بن عمرو رسالة فانك أنت المرء بالخير أجدر
رأيتك أدنى من أناس قرابة وغيرك منهم كنت أجبو وأنصر
إذا ما أتى يوم يفرق بيننا بموت فكن أنت الذى يتأخر

ولحاتم ديوان مطبوع فى لندن سنة ١٨٧٢ بعناية المرحوم رزق الله حسون،
وطبع أيضا فى بيروت . وأخباره منشورة فى الاغانى ٩٦ ج ١٦ ، والشعر
وانشعراء ١٢٣ ، وخزانة الادب ٤٩٤ ج ١ ، والمستطرف ١٣٧ ج ١ ،
والعقد الفريد ٨١ ج ١ ، وشعراء النصرانية ٩٨ (*)

٤ - زيد الخيل

هو زيد بن مهلهل من طى ، وكان رجلا جسيما طويلا جميلا فارسا
مفوارا مظفرا شجاعا بعيد الصيت فى الجاهلية ، وأدرك الاسلام ووفد على
النبي . . فسر به ولقبه وقرظه وسماه زيد الخير . وهو شاعر مقل لانه
انما كان يقول الشعر فى مفاخراته ومغازيه واباديه عند من مر عليه وأحسن
فى قراه اليه . وقد سمي زيد الخيل لكثرة خيله يوم لم يكن لسواه من
العرب الا الفرس والفرسان ، فكانت له خيل كثيرة . . منها المسماة
المعروفة التى ذكرها فى شعره وهى ستة : الهطال والكميت والورد وكامل
ردوول ولاحق . وله فى كل منها شعر وكان له ثلاثة بنين كلهم شاعر ، وأكثر

(*) وانظر أيضا مروج الذهب للمسعودى طبعة باريس ج ٢ ص ٢٢٧ ، وذيل الامالى
للقالى ص ١٥٤ ، وتاريخ دمشق لابن عساكر ج ٣ ص ٤٢٤ والبيان والتبيين فى مواضع
متفرقة ، وكذلك حماسة ابي تمام . والظنون انه عاش بعد منتصف القرن السادس
للمسيح وربما لحق القرن السابع . اذ يقال ان ابنته وصفت للنبي صلى الله عليه
وسلم . وانظر تاريخ الاداب العربية لالنيز ص ٦٤ ، والشعراء الفرسان لبطرس
البيستاني ، ودائرة المعارف الاسلامية وبروكلمن ٢٦ ج ١

أشعاره في الحماسة والفخر وذكر المواقع والطعن والضرب كقوله : (*)
 أنا لنكثر في قيسٍ وقائنا وفي تميمٍ وهذا الحي من أسدٍ
 وعامر بن طفيل قد نحوت له صدر القناة بماضي الحد مطرد
 لما أحسن بأن الورد مدركه وصارما وربط الجأش ذالبدر
 نادى اليه بسلم بعد ما أخذت منه المنية بالحيزوم واللغز
 ولو تصبر لي حتى أخالطه أسعرته طعنة كالنار بالزند
 وجرت بينه وبين بعض القبائل معركة أسر فيها الحطيئة الشاعر فحبسه
 ضيق عليه ، وقال في ذلك :

أقول لعبدى جرولٍ إذ أسرته أثبني ولا يفررك أنك شاعر
 أنا الفارس الحامي الحقيقة والذي له المكرمات واللشهي والمآثر
 وقومي رءوس الناس والرأس قائد إذا الحرب شبتها الأكف المساعر
 فلست إذا ما الموت حوذر ورده وأترع حوضاه وحمج ناظر
 بوقافة يخشى الحتوف تهيبا ياعدني عنها من القب ضامر
 ولكنني أغشى الحتوف بصعدتي مجاهرة ان الكريم يجامر
 واروي سناني من دماء عزيزة على أهلها إذ لا ترجى الأياصر
 ولا نعرف لزيد الخيل ديوانا مجموعا ولكن أخباره منشورة في الاغانى ٤٧
 ج ١٦ ، والشعر والشعراء ١٥٦ ، والدمري ٢٠١ ج ١ ، وخزانة الادب
 ٤٨٨ ج ٢ (***)

ه - سلامة بن جندل التميمي

تولى سنة ٦٠٨ م

هو شاعر جليل من قدماء الشعراء ، وكان من فرسان تميم المعدودين
 وأخوه أحمر مثله . شعره سلس يستشهد به أهل اللغة لمسانته ، وكان

(*) الغريب في الابيات الآتية والاخرى التي تليها : نحوت له : قصدت له ، مطرد :
 متسق - الورد : اسم فرس له ، وذو لبد : الاسد يشبه نفسه به - الحيزوم : الصدر ،
 واللغز هنا : الحلق . اللهى : العطايا - شب : أوقد ، والماسر : جمع مسر وهو
 المتعبد على ايقاد الحرب ، التحميم : شدة النظر مع فتح العينين وإدارة الحدقة فرما
 ورعبا - القب : وسط المعركة ، والضامر : الجواد - الصعدة : القناة - الأياصر :
 القرايات والعهود

(**) وأنظر في زيد الخيل السيرة النبوية لابن هشام (الفهرس) وكتب طبقات الصحابة
 مثل الاصابة لابن حجر ج ٢ ص ٢٤ وأسد الغابة ج ٢ ص ٢٤١ وذيل الامالى ص ٢٤ ،
 وراجع الشعراء الفرسان للبستاني

معاصرا لعمر بن هند صاحب الحيرة والنعمان ابي قابوس وله فيهما
اشعار . ومن احسن شعره قصيدته التي مطلعها :

يا دارَ أسماءَ بالعَلَياءِ من اضمٍ بين الدَّكَادِكِ من قوٍّ فَمَعصوبٍ (*)
كانت لنا مرة دارا فغيرها مَرَّ الرياح بساقى التَّشربِ مجلوب
وترى امثلة من شعره في كتاب الشعر والشعراء ١٤٧ ، وشعراء النصرانية
٤٨٦ ، وخزانة الادب ٨٦ ج ٢ ، ومعجم البلدان (***)

٦ - علقمة الفحل

هو علقمة بن عبدة من تميم ، وكان معاصرا لامرئ القيس وينازعه
اشعر . وتحاكما الى أم جندب زوجة امرئ القيس ، فقالت لهما انظما
قصيدتين من وزن واحد وقافية واحدة تصفان بها الخيل (***)
فنظم امرؤ القيس قصيدته التي مطلعها :

خليلىَ مرَّأى بى على أم جندبٍ لِنَقْضِ لَباناتِ الفؤادِ المعذبِ
ونظم علقمة قصيدة مطلعها :

ذهبت من الهجران في كلِّ مذهبٍ ولم يك حقاك كلُّ هذا التجنبِ
وانشدها القصيدتين فحكمت لعلقمة ، لان امرأ القيس قال في وصف
سرعة الفرس :

فللسوط ألُهب وللحاق درَّةٌ وللزجر منه وقع أهوج مَنعِبٍ (١)
وقال علقمة :

فأدركهنَّ ثانيًا من عِنانِه يسرُّ كمر الرائح المتحلَّبِ
ومرجع حكمها الى أن امرأ القيس أجهد فرسه بسوطه وساقه ، أما
علقمة فان فرسه أدرك طريدته وهو ثان عنانِه . ففضب امرؤ القيس
وطلق امرأته فتزوجها علقمة
ومن جيد شعره قوله :

(*) الدكادك القطع من الرمل والارض العظيمة . واضم وفو ومعصوب من منازل تميم
(**) وانظر المفضليات رقم ٢٢ ، والاصمعيات (طبع دار المعارف) رقم ٤٢ ، والكامل
للمبرد وجمهرة اشعار العرب ، وطبقات الشعراء لابن سلام حيث وضعه في الطبقة
السابعة مع الحصين بن الحمام والمتلمس والمسيب بن علس . وقد طبع ديوانه في بيروت
(***) يظن ان هذه القصة منتحلة ، وبالتالي يظن ان قصيدتي الشاعرين
المتصلتين بها منتحلتان أيضا . ومن شكك فيها من القدماء ابن المعتز . انظر الموشح
للمرزبانى في ترجمة امرئ القيس
(١) الالهوب : شدة جرى الفرس ومثله اللرة ، والاهوج : الاحمق ، والمنعِب :
الذى يمد عنقه في الجرى

فان تسألوني بالنساء فانتى بصير بأدواء النساء طيب
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله فليس له في ودّه من نصيب
يُردّ ن ثراء المال حيث علمنّه وشرّخ الشباب عندهن عجيب

ولعلّمة ديوان مطبوع في ليبسك سنة ١٨٦٧ مع تعاليق بعناية البرت
سوسين Socin وطبع في بيروت في بضع عشرة صفحة (*) . وله
أخبار متفرقة في خزانة الأدب ٥٦٥ ج ١ ، والأغاني ١٢٨ ج ٧ ، وشعراء
النصرانية ٤٩٨ ، والشعر والشعراء ١٠٧ ، والعمدة وسائر كتب
الأدب (**)

٧ - عمرو بن معدى كرب

توفي سنة ٦٤٣ م

هو من زبيد من مذحج (كهلان) فارس من فرسان اليمن أو هو فارس
اليمن ويقدمونه على زيد الخيل في البأس ، وقد أدرك الاسلام واسلم
وجاهد حتى مات في آخر خلافة عمر بن الخطاب . وهو ممن يصدق عن
نفسه في شعره فلا يفاخر بالمحال . ومن ذلك قوله (***)

ولقد أجمع رجلتي بها حذر الموت وانى لقرو
ولقد أعطفها كاوهة حين للنفس من الموت هرير
كل ما ذلك منى خلشق وبكل أنا في الروع جدير

ومن اشعاره الذاهبة مذهب الامثال قوله :

إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه الى ما تستطيع
وصله بالزّماع فكل أمر سما لك أو سموت له ولوع

وأخباره في الأغاني ٢٥ ج ١٤ ، والشعر والشعراء ٢١٩ ، وخزانة الأدب
٤٢٥ ج ١ ، والمستطرف ١٧٩ ج ١ (****)

(*) وطبع الديوان أيضا في مجموعة المقد الثمين لآلورد ، ومجموعة السقا « مختار
الشعر الجاهلي » ، وطبع أيضا في الجزائر

(**) وانظر المفضليات رقم ١١٩ ، ١٢٠ والاشتقاق لابن دريد وشرح الانباري ٧٧٢
وجعله ابن سلام في الطبقة الرابعة مع طرفة وعبيد بن الأبرص ومعدى بن زيد

(***) الغريب في الابيات : القرو : كثير الهرب والفرار ، اعطف هنا : اكر ، يقول
أن الكر والفر من عادتي في الحرب ، والهرير : الصياح . وما في الشطر الاول من البيت
الثالث زائدة

(****) انظر أيضا الإصمعيات رقم ٢٤ ، ٦١ ، ٦٢ وديوان الحماسة « الفهرس »
والاشتقاق ٢٤٥ ومعجم المرزبانى ٢٠٨ وذيل الامالى ص ١٤٥ والسيحط ٧٤ والعيني جزء
٢٧٩ ص ٢٧٩ وكتب طبقات الصحابة مثل الاستيعاب وأسد الغابة والاصابة

٨ - قيس بن الخطيم

توفي سنة ٦١٢ م

هو شاعر فارس من الاوس ، اعتدى رجل من الخزرج على أبيه وهو غلام فقتله ، وعلم أن جده قتله رجل من عبد القيس . . فلما عرف موضع ناره لم يزل يلتمس غرة من قاتل أبيه وجده في المواسم ، فظفر بقاتل أبيه في يثرب فقتله وظفر بقاتل جده في ذي المجاز ، ولكنه رآه في ركب عظيم فاستنجد خدش بن زهير فنهض معه ببني عامر حتى أتوا القاتل ، فطعنه قيس بحربة قتله وفر . فأراد رهط الرجل أن يتبعوه فمنعهم بنو عامر ، وفي ذلك يقول قيس : (*)

ثارت عديًا والخطيم فلم أضع^١ ولاية أشياخ جعلت ازاءها
ضربت بذي الزجج^٢ ربقة مالك فأبئت بنفس قد أصبت شفاءها
وسامحنى فيها ابن عمرو بن عامر خدش^٣ فأدنى نعمة وأفادها
طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر^٤ لها نقتل^٥ لولا الشعاع أضاءها
ملكته بها كفى فأنهرت فتقها يرى قائم^٦ من دونها ما وراءها
وهو معدود من اصحاب المذاهب ، ومطلع مذهبه :

أتعرف رسما كاطراد المذاهب لعمرة وحشا غير موقف راكب
تبدعت^١ لنا كالشمس تحت غمامة^٢ بدا حاجب^٣ منها وضئت^٤ بحاجب
ومن اقواله في الفخر :

ونحن الفـوارس^١ يوم الري^٢ ع قد علموا كيف قرأناها
ولقيس بن الخطيم ديوان منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية (***)
وله أخبار متفرقة في كتب الادب وخصوصا الاغانى ١٥٦ ج ٢ والجمهرة
١٢٣ (***)

سائر الشعراء الفرسان

ومن الشعراء الفرسان أيضا طائفة ، أخبارهم قليلة أو ليس لهم دواوين

(*) المريب في هذه الابيات : عدى ابوه والخطيم جده - الزج : الحديدة في أسفل الرمح ، والربقة هنا : موضع العروة - سامحنى : تابعنى وحماني ، وخدش : هو خدش بن زهير العبسي ، وأفاء : أنعم وأدى - النفذ : الخرق والثقب ، والشعاع : حمرة الدم ، ملكت : شددت ، أنهرت : أوسعت . اطراد : تتابع ، المذاهب : جمع مذهب وهو جلد به خطوط مذهب

(**) طبع ديوان قيس في ليبك

(***) وأنظر الاصمعيات رقم ٦٨ ، وطبقات الشعراء لابن سلام وديوان الحماسة
لابي تمام والخزانة ج ٢ ص ١٦٨

محفوظة ، فنكتفى بذكر المصادر التي يمكن الرجوع اليها في تراجمهم
وأخبارهم :

اسم الشاعر	أسماء المصادر
٩ - أحيحة بن الجلاح (توفي سنة ٥٦١ م) من الاوس ومن أصحاب المذاهب	الآغانى ١١٩ ج ١٣
١٠ - جندب بن ضبيعة من بكر وائل (٥٣٠)	شعراء النصرانية ٢٦٨
١١ - أفنون هو صريم بن معشر من تغلب	» » ١٩٢ والشعر والشعراء ٢٤٨
١٢ - بسطام بن قيس الشيباني من بكر	» » ٢٥٦
١٣ - جابر بن حنى التغلبى (٥٦٤)	» » ١٨٨
١٤ - الحارث بن الطفيل وقد على كرى	الآغانى ٥٣ ج ١٢
١٥ - خفاف بن ندبة السلمى من قيس	الآغانى ١٣٩ ج ١٦ وخزانة الادب ٨١ ج ٢
١٦ - ذو الاصبع العدواني (٦٠٢)	الآغانى ٢ ج ٢ وخزانة الادب ٤٠٨ ج ٢ وشعراء النصرانية ٦٢٥
١٧ - الربيع بن زياد العبسى (٥٩٠)	الآغانى ٢٠ ج ١٦ وشعراء النصرانية ٧٨٧
١٨ - زهير التميمى من أشرف مازن	الآغانى ١٥٦ ج ١٩
١٩ - الحارث بن عباد من بكر بن وائل	شعراء النصرانية ٢٧٠
٢٠ - صخر بن عبد الله من هذيل	الآغانى ٢٠ ج ٢٠
٢١ - العباس بن مرداس وأخوه سراقه	الشعر والشعراء ١٦٦ ج و ٤٦٧ والآغانى ٦٤ ج ١٣ وخزانة الادب ٧٣ ج ١
٢٢ - عبدة بن الطبيب	الآغانى ١٦٣ ج ١٨ والشعر والشعراء ٤٥٦
٢٣ - سويد بن أبى كاهل	الآغانى ١٧١ ج ١١ وشعراء النصرانية ٤٢٥ والشعر والشعراء ٢٥٠
٢٤ - عمرو بن العجلان	الآغانى ٢٢ ج ٢٠
٢٥ - الفند الزمانى (٥٣٠)	الآغانى ١٤٣ ج ٢٠ وخزانة الادب ٥٨ ج ٢ وشعراء النصرانية ٢٤١
٢٦ - متمم بن نويرة من أصحاب المرائى	الآغانى ٦٦ ج ١٤ وابن خلكان ١٧٢ ج ٢ والشعر والشعراء ١٩٢ وخزانة الادب ٢٣٦ ج ١ والجمهرة ١٤١
٢٧ - نبيه بن الحجاج	خزانة الادب ١٠١ ج ٢
٢٨ - كعب بن سعد الفزوى	الخزانة ٦٢١ ج ٢ وشعراء النصرانية ٧٤٦

الشعراء الحكماء

نريد بالحكماء من الشعراء الذين كان لهم علم غير الشعر وكانت لهم
حكمة وقد دخل بعضهم في طبقة الشعراء الامراء وفي اصحاب المعلقات
كالافوه الاودي وزهير بن ابي سلمى . ونحن ذاكرون فيما يلي من غلبت
فيه الحكمة على سواها مع الشاعرية

١ - أمية بن أبي الصلت

توفي سنة ٦٢٤ م

يتصل نسبه بثقيف ، وكان عالماً بغير العربية على ما يظهر . . فاطلع على
كتب القدماء وخصوصاً التوراة وقد أورد في شعره الفاظاً غريبة لم تكن
العرب تعرفها . وكان يسمى الله في بعض أشعاره « السلطيظ » وفي بعضها
« التغرور » فربما اقتبسهما من الحبشة أو صاغهما على صيغ تلك اللغة .
فالاحباش يسمون الله في اللغة الامهرية « اغزا بهر » فلعلها كانت قبلاً
اقرب الى لفظ التغرور . والسلطيظ نظنها صيغة من تلك اللغة صاغ عليها
اسماً من السلطة (١)

وكان أمية مفطوراً على التدين ، فلقى في تجارته الى الشام بعض أهل
الدين ، فزهد في الدنيا ولبس المسوح وتعبد . وقد ذكر ابراهيم واسماعيل
والحنيفة ووصف الجنة والنار في شعره وحرّم الخمر وشك في الاوثان
وطمع في النبوة . وكان العرب ينتظرون نبياً يهديهم ، فكان يرجو ان يكون
هو . فلما ظهر النبي أسقط في يده ، وقال : « انما كنت أرجو أن أكونه »
ولكنه ما أنفك يختلف الى الاديرة والكنائس يجالس الرهبان
والقسوس حتى غلب على ظن البعض انه مسيحى ، ومن قوله وفيه
فلسفة :

الحمد لله مُمْسِنَانَا وَمُصْبِحُنَا بِالْخَيْرِ صَبَّحْنَا رَبِّي وَمَسَّانَا
رَبُّ الْحَنِيفَةِ لَمْ تَنْفَدْ خَزَائِنَهَا مَمْلُوءَةً طَبَّقَ الْآفَاقَ سِلْطَانَا
أَلَا نَبِيُّنَا مَنَّا فَيُخْبِرُنَا مَا بَعْدَ غَايَتِنَا مِنْ رَأْسِ مَحْيَانَا

(١) راجع ترجمة أمية بن أبي الصلت مطبوعة في « الهلال » السنة التاسعة

بينا يُرَبِّبُنَا آبَاؤُنَا هَلَكُوا وَبَيْنَمَا نَقْتَنِي الْأَوْلَادَ أَفْنَانَا
وقد علمنا لو أنَّ العلمَ ينقصنا أنْ سوفَ يَلْحَقَ آخرانا ما أولانا
وله قصيدة يصف بها الله وملائكته مطلعها :

لك الحمد والتَّعْمَاءُ وَالْمَلِكُ رَبُّنَا فَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْكَ مَجْدًا وَأَمْجَدَ
وبعد ان يصف العزة الالهية ومجلسها يصف الملائكة بقوله :

ملائكة أقدامهم تحت عرشه بكفَّيه لولا الله كلثوا وأبلدوا
قيام على الأقدام عانين تحته فرائصهم من شدة الخوف ثرَّ عَدُ
وسبَّطُ صفوف ينظرون قضاءه يُصَيِّخُونَ بِالْأَسْمَاعِ لِلوحي رُكَّدُ
أمينُ لُوحى القدس جبريل فيهمُ وميكَالُ ذو الروح القوى المسدَّدُ
وحرَّاسُ أبواب السماوات دونهم قيامُ عليها بالمقاليد رُصَّدُ
وله عدة قصائد في حوادث التوراة كخراب سدود وقصة اسحق
وابراهيم . وله قصيدة معدودة في المجهرات مطلعها :

عرفت الدار قد أقوت سنينا لزنب اذ تحلُّ بها قطينا
وفي أشعاره معان وأساليب لم تكن العرب تعرفها اخذها من كتب غيره
وادخلها في شعره (١)

وأخباره في الاغانى ١٨٦ ج ٣ و ٣ ج ٨ و ٧١ ج ١٦ والدميرى ١٥٤ ج ٢
وخزانة الادب ١١٩ ج ١ وشعراء النصرانية ٢١٩ والعمدة وغيرها (*)

٢ - ورقة بن نوفل

توفى سنة ٥٩٢ م

هو ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى من قريش . وهو احد من
اعتزل الاوثان في الجاهلية وقرأ الكتب وامتنع عن أكل ذبائح الاوثان .
وكان يكتب اللغة العربية بالحرف العبراني وقد شاخ وكف بصره . وله
ذكر في السيرة النبوية عندما سمع الرسول جبريل يكلمه وجاء خديجة

(١) الاغانى ١٨٧ ج ٣

(*) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ، وكتاب الحيوان للجاحظ في مواضع متفرقة ،
وكتاب البدء للمقدسى ، والسيرة النبوية لابن هشام ، والموشح للمرزبانى وديوان
الحماسة ولهيار بحث في شعره نشره في المجلة الاسيوية ج ١٠ قسم ٤ (١١٠٤) ص ١٢٥
والظنون انه حمل عليه أكثر ما ينسب اليه من شعر ، وخاصة ما يشبه منه المواد التي
ذكرها القصاص في تفسير القرآن الكريم - وراجع دائرة المعارف الاسلامية ، وتاريخ
الادب العربية لنالينو ص ٧٧ وفي الادب الجاهلى لطلح حسين ، وتاريخ العرب قبل الاسلام
لجواد على ج ٥ ص ٣٧٨ وما بصدها ، وقد طبع ديوانه في ليبسك سنة ١٩١١ وبه ثبت
بمصادره وطبعت مجموعة أخرى له في بيروت سنة ١٩٣٤

امراته خائفاً ، فسألت ورقة وهو ابن عمها (١) عما رآه الرسول فقال :
« انه الناموس الاكبر الذي كان يأتي موسى وانه لنبي هذه الامة »
وله اشعار كان يغنى بها المغنون في صدر الاسلام منها قوله :

ولقد غزوتُ الحيَّ يُخْشَى أهله بعد الهدؤٍ وبعدهما سقط التَّدَى
فلتلك لذاتُ الشباب قضيتها غنى فسائلُ بعضَهم ماذا قضى
ومن شعره في التوحيد والدين قصيدة مطلعها :

لقد نصحتُ لأقوامٍ وقلت لهم أنا النذير فلا يغركمُ أَحَدُ
وقصيدة أخرى مطلعها :

رشدتُ وأنعمت ابنَ عمرو وانسا تجنبتَ تَنَثُورا من النار حاميا
وتجد شيئا من اخباره في السيرة النبوية لابن هشام ٧٦ و ٨٠ ج ١ ،
والاغاني ١٣ ج ٢ ، وشعراء النصرانية ٦١٦ ، والسيرة الحلبية ٢٥٦ ج ١ ،
ومعجم البلدان

٣ - زيد بن عمرو

توفي سنة ٦٢٠ م

هو أيضا من عبد العزى من قريش ، وقد اعتزل الاوثان مثل ورقة ،
وكان يقول : « يا معشر قريش ايرسل الله قطر السماء وينبت يقل الارض
ويخلق السائمة فترعى فيه وتذبحوها لغير الله ؟ » . فأخرجه القرشيون
من مكة ، ومنعوه أن يدخلها . وكان أشدهم عليه الخطاب بن نفيل والد
عمر . وكان قد تخلف عن عبادة الاوثان أربعة من قريش هم : ورقة وزيد
المذكوران ، وعبيد الله بن جحش ، وعثمان بن الحويرث ، فاجتمع هؤلاء
وتواطأوا على رفض الوثنية ، وعلى أن يضربوا في البلدان يلتمسون الحنيفية
دين ابراهيم . فلما أجمع زيد على الخروج منعه الخطاب عمه وعاتبه على
فراق دين آبائه . ثم خرج سائحا ويقال انه قتل في الشام ، وله اشعار في
التدين منها :

وأسلمتُ وجهي لمن أسلمتُ له الأرض تحمل صَخرا ثِقِلا
دَحَاها فلما رآها استوت على الماء أرسى عليها الجبالا
وأسلمتُ وجهي لمن أسلمت له المِزَنُ تحمل عَذْباً زَلالا
إذا هي سبيقت الى بِلدة أطاعت فصبَّت عليها سَجالا
وتجد اخباره في الاغاني ١٥ ج ٣ ، والسيرة النبوية لابن هشام
٧٦ ج ١ ، وشعراء النصرانية ٦١٩ ، وخزانة الادب ٩٩ ج ٣ (*)

(١) ابن هشام ٨١ ج ١
(*) انظر ابن سعد ج اول قسم اول ص ١٠٥ ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من
مراجع وجواد على ج ٥ ص ٢٧٥

٤ - قس بن ساعدة

توفي سنة ٦٠٠ م

هو من أباد يعدونه من الخطباء ، ولكنه كان خطيب العرب وشاعرها
وحكيمها في عصره . وهو أسقف من نجران ، والمشهور أنه أول من علل
على شرف وخطب عليه ، وأول من قال : « أما بعد » . ويشبون إليه
قوله : « البينة على من ادعى واليمين على من أنكر » . وقد أدركه الرسول
ورآه في عكاظ فكان يروى عنه كلاما سمعه منه . وكان فصيحاً يضرب
المثل بفصاحته . وكان يفد على قيصر زائراً فيكرمه ويعظمه ، ولكنه كان
زاهداً في الدنيا ينظر إليها نظر الفلاسفة فلا يرغب في البقاء فيها كما يؤخذ
من خطبته التي قالها في عكاظ ورواها أبو بكر الصديق وهي مشهورة ،
ختمها بقوله :

في الذاهبين الأوَّلَين من القرون لنا بصائرٌ
لما رأيت موارد الموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها يَمْضِي الأصاغر والأكابرُ
لا يرجع الماضي ولا يبقى من الباقيين غابرُ
أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائرُ

ولعل الذي زهده في الدنيا وكرهها إليه المصيبة التي انتابته بفقد
أخوين كانا يعبدان الله معه ، فماتا ودفنهما معا وشق عليه مصابه بهما
فكان يتردد على قبريهما ويندبهما ، ومن قوله في قصيدة : (*)

خليليَّ هُبًّا طالما قد رقدتما أجِدَّكما لا تقضيان كراكما
ألم تعلمَا أني بسمَّعان مفردٌ وما ليَ فيها من خليل سواكما
أقيم على قبريكما لست بارحاً طوال الليالي أو يجيب صدَاكما
جري الموت مجرى اللحم والعظم منكما كأن الذي يسقى العُتَّار سقاكما

وله اشعار كثيرة ضاع معظمها وله أقوال جرت مجرى الامثال وجمعت
في كتاب شعراء النصرانية ٢١١ وفي الاغانى ٤١ ج ١٤ وخزانة الادب ٢٦٧
ج ١ وغيرها من كتب الادب والتاريخ والبيان (**)

(*) روى أبو الفرج في كتاب الاغانى ج ١٤ ص ٤٠ روايات مختلفة في نسبة هذه
الابيات ، فهي تنسب الى قس أو الى عيسى بن قدامة الاسدي أو الى الحزين بن
الحارث أحد بني عامر أو أحد الكوفيين ، وقد خرج في بحث للحجساج الى الديلم ،
والكرى : النوم ، والعتار : الخمر
(**) انظر أيضا البيان والتبيين للجاحظ في مواضع متفرقة ، وأمالى القالى ج ٢
ص ٢٩ ودائرة المعارف الاسلامية وجواد على ج ٥ ص ٢٧١

الشعراء العشاق

قل من الشعراء من لم يحرك قلبه الحب ، واذا لم يحركه كان شعره جافا قاسيا . ولذلك فالعشاق من الشعراء كثيرون ، ومنهم في الجاهلية طائفة كبيرة : فعترة عشق عبلة ، والمخبل السعدي عشق الميلاء ، وحاتم الطائي عشق ماوية ، والمرقس الأكبر عشق اسماء ، والنمر بن تولب عشق جمرة ، وسحيم عبد بنى الحسحاس عشق عميرة (١) ، غير الذين اشتهروا في صدر الاسلام من آل عذرة وغيرهم . وسيأتى ذكرهم عند كلامنا عن الشعر والشعراء في أيام الامويين

والحب يحرك الشاعرية ويشحذ القريحة - وخصوصا مع الفرة ليس للشعر فقط ، بل في كل ما يقتدر الى خيال . وبين الشعراء الفرسان الذين تزجنا لهم غير واحد من المحبين ، وكذلك في سائر الطبقات . لكننا خصصنا هذا الباب فيمن لم يكن له باعث على النظم غير العشق ، وكان أكثر شعره او كله في معشوقته . وهذه الطبقة كانت قليلة قبل الاسلام لاشتغال القوم بالحرب عن سواها ، ولأن بعض القبائل كانت تحرم الغزل على الاطلاق

ثم تكاثر الشعراء العشاق بعد الاسلام لانتشار التسرى وركون القوم الى الرخاء ، حتى اذا نضج التمدن الاسلامي ودخلت العناصر الاجنبية تحول ذلك الى التهلك والتخنت كما سيجيء . أما في الجاهلية ، فالشعراء المتبحرون يعدون على الاصابع ، أشهرهم :

١ - المرقش الأكبر

توفي سنة ٥٥٢ م

اسمه عوف بن سعد بن مالك من بكر وائل ، وهو من الشعراء المقدمين . ويمتاز عن أكثر شعراء الجاهلية بأنه كان يعرف الكتابة لان اياه دفعه واخاه حرملة الى نصراني من أهل الحيرة علمهما الخط . ويندر في أهل الجاهلية من فعل ذلك خصوصا الشعراء ، فإن معولهم في حفظ أشعارهم على الرواة . ويختلف عن أكثر شعراء الجاهلية بأنه مات متيما . وسبب موته أنه كان يهوى ابنة عم له اسمها اسماء عشقها وهو غلام ،

فقال له عمه : « لا أزوجك حتى تعرف بالبأس » فسافر المرقش في طلب العلا ، وأصيب عمه في أثناء غيابه بضيق فأتاه رجل من بنى مراد أطمعه بالمسال فزوجه اسماء على مائة من الابل . فلما عاد المرقش أخفوا خبر الزواج عنه . ثم اكتشف خبره ، فركب في طلب ذلك المرادى مع صديق له من غفيلة ، فمرض في الطريق فنزلا كهفا في أسفل نجران ، وهى أرض مراد ومعه صديقه الغفيلة وامراته ، وسمعهما يتآمران على تركه ياسا من شفائه .. فاختلس فرصة كتب فيها على مؤخر الرجل هذه الآيات :

يا صاحبيّ تلبّثا لا تعجّـلا ان الرّواحَ رهينُ أن لا تعذّلا
يا راكبا اما عرضت فبلّغـن أنسَ بنَ سعد ان لقيت وحرّ مـلا
لله درّكـما ودر أيبـكما ان أفلت العبدان حتى يّقـتـلا
من مبلغ الأقوام أن مرقشـا أضحي على الأصحاب عبنا مـثـقلا
وكأنما ترد السباع بشـلـنـوه ، اذ غابَ جمعُ بنى ضُبَيْعَة ،منهـلا

ورأينا بعض الآيات ينسب الى المهلهل ايضا . وانطلق الغفيلي حتى أتى أهله وأخبرهم أن المرقش مات ، ولكن أخاه حرملة قرأ ما على الرجل ، فشك في صدق الرجل واستنطقه فاعترف له بالحقيقة فركب في طلبه .. فلما بلغ الكهف اخبر أن المرقش علم وهو هناك بوجود اسماء وزوجها ، فاحتال حتى حمل اليهما في حديث طويل ولم يطل مكثه فمات عندهما . وقال في موته شعرا مطلعـه :

سرى ليلا خيال من سُـلـيـمى فأرّقنى وأصـحـابى هجـود
وهو من أصحاب المنتقيات .. وله اقوال في الحماسة يصف بها بعض المارك واخرى في الفخر . ومن أحسن شعره في الحماسة قصيدته التى استهلها بذكر حبيبته :

أمن آل أسماءَ الطلولُ الدوّارسُ تخطّط فيها الطير ، قفّر بسابـس .
ثم تخلص الى وصف خروجه وسفره . وقصيدة اخرى فى وصف الطلول ونجائب الابل وغيرها . واتصل المرقش الاكبر بالحارث بن ابي شمر الفسائى ، وناداه سنة ٥٢٤ ومدحه

وترى اشعاره واخباره فى الاغانى ١٨٩ ج ٥ ، والشعر والشعراء ١٠٢ ، وشعراء النصرانية ٢٨٢ ، وخزانة الادب ٥١٤ ج ٣ ، والجمهرة ١١٢ ، وغيرها من كتب الادب (*)

(*) وانظر له ١٤ قصيدة ومقطوعة فى المفضليات وقد اشتهرت من بينها ذات الرقم ٥٤ لانها لا تجرى على عروض الخليل ، وله مقطوعات اخرى فى الاغانى (طبع بولاق) ج ٧ ص ١٩٢ ، ج ١٠ ص ١٢٨ وانظر ايضا معجم الرزبانى ٢٠١ ودائرة المعارف الاسلامية.

٢ - عبد الله بن عجلان

توفي سنة ٥٦٦ م

هو من نهد من قضاة شاعر متيم قتله الحب ، وكان له زوجة يقال لها
هند طلقها لأنها لم تلد له فتزوجها غيره ، ثم ندم على ذلك ومات أسفا
عليها . وكان سيدا في قومه وابن سيد من ساداتهم ، وكان أبوه أكثر بني
نهد مالا ، وكان يجدر بنا ادخاله في جملة الشعراء الامراء لولا تغلب
العشق عليه . ومن اقواله فيها :

فارقت هندا طائعا فندمت عند فراقها
فالعين تذكري دمة كالدرد من آفاقها
متحلبا فوق الرداء يجول من رفاقها
خود رداح طفلة ما الفحش من أخلاقها
ولقد ألد حديثها وأسر عند عناقها

وله أخبار وأشعار جمعت في الاغانى ١٠٢ ج ١٩ ، والشعر
والشعراء ٤٤٩ (*)

٣ - عروة بن حزام العنري

توفي سنة ٢٠ هـ (١١٠)

هو من الشعراء المتيمين الذين ادركوا الاسلام . وقد قتلهم الهوى ،
لا يعرف له شعر الا في عفراء بنت عمه . وتسببه بها وكان قد خطبها من
أبيها فوعده ثم زوجها لغيره . فآثر ذلك في مزاجه فضعف واضطرب حتى
ظنوا فيه الخبل وأصابه هزال ، فرآه ابن مكحول عراف اليمامة فجالسه
وسأله عما به وهل هو خبل أو جنون ؟ فقال له عروة : « هل لك علم
بالاوجاع ؟ » قال : « نعم » فأنشأ يقول :

وما بى من خبل ولا بى جنة ولكن عى يا أخى كذوب
أقول لعراف اليمامة داوئى فانك ان داوئتنى لطيب
فواكبدا أمست رفاقا كأنما يلذعها بالموقدات طيب
عشيّة لا عفراء منك بعيدة فتسلو ولا عفراء منك قريب
فوالله لا أنساك ما هبت الصبا وما عقتبها في الرياح جنوب

(*) ويراجع تزيين الاسواق لداود الانطالى ٧٦ وديوان الحياصة لابي تمام ، انظر
الفهرس
(١) قوافل الوفيات ٢٢ ج ١

وانى لتغشاني لذكراك هزة لها بين جلدى والعظام ديب
وقال يخاطب صديقين له رافقاه :

متى تكشفا عنى القميصَ تَبَيَّنَا بى الضرب من عفراء يا فتيان
إذا تريا لحمًا قليلًا وأعظمًا رقاقا وقلبا دائم الخفقان
جعلت لعراء اليمامة حكمه وعرف حجرا ان هما شفياني
فما تركا من حيلة يعرفانها ولا شربة الا وقد سسقياني
ورشا على وجهى من الماء ساعة وقاما مع العواد يتسدراني
وقالا شفاك الله والله ما لنا بما ضمنت منك الضلوع يدان
وتجد أخباره فى الاغانى ١٥٢ ج ٢٠ ، وفوات الوفيات ٣٣ ج ٢ ،
والشعر والشعراء ٣٩٤ ، وخزانة الادب ٥٣٤ ج ١ (*)

٤ - مالك بن الصمصامة

هو من جعدة كان يهوى جنوب بنت محصن الجعدى فمنعه أخوها منها،
وكان مالك شاعرا فارسا شجاعا جميلا فبلغه ان اخاها اقسام اذا تعرض
مالك لاخته اسره وجز ناصيته فقال :

وما الحلق بعد الأسر شرَّ بقية من الصد والهجران وهى قريب
ألا أيها الساقى الذى بلّ دثوه بقريان يسقى هل عليك رقيب
أحقا عباد الله أن لست خارجا ولا والجا الا على رقيب
ولا زائرا وحدى ولا فى جماعة من الناس الا قيل أنت مريب
وهل رية فى أن تحن نجية الى التفها أو أن يحن نجيب
وله أشعار أخرى فى الاغانى ٨٣ ج ١٩

٥ - مسافر بن ابى عمرو

هو من قريش ، كان سيدا جوادا احب هند بنت عتبة التى تزوجها
ابو سفيان بعد ذلك . وهى أم معاوية واخوته فخطبها مسافر وهو ذو ثروة
فلم تقبله ، فلما بلغه زواجها بأبى سفيان اعتل ومات وله فيها اشعار .
واخباره فى الاغانى ٤٨ ج ٨

(*) انظر ايضا خزانة الادب ج ٣ ص ٦١٥ وذيلى الامالى للقالى ص ١٥٩ ، وامالى
المرتضى (طبعة الحلبي) ج ١ ص ٤٥٩ ولعروة ديوان مخطوط بدار الكتب المصرية

ومن الشعراء الجاهليين المتيمين :

– منظور بن زيان من فزارة كان عاشقا، وهو من الامراء ايضا وقد تقدم ذكره.

– مسعود بن خراشة من تميم ، وهو من المخضرمين

– عنتره العبسي ، وقد تقدمت ترجمته

الشعراء الصعاليك

هم طائفة من الشعراء اشتهروا بالعدو والاغارة على القبائل للنهب ، أشهرهم :

١ - الشنفرى

توفي سنة ٥١٠ م

هو من الاواس بن الحجر من الازد شاعر من اهل اليمن معدود في العدائين الذين لا تلحقهم الخيل ، منهم هذا ، وسليك بن السلكة ، وعمرو ابن براقه ، وأسيود بن جابر ، وتأبط شرا . ويقال أن الشنفرى حلف ليقتلن مائة رجل من بنى سلامان فقتل تسعة وتسعين ، فاحتالوا عليه فأمسكه رجل منهم عداء هو أسيود بن جابر ثم قتله ، فمر به رجل منهم فركل جمجمته . . فدخلت شظية منها في رجله فمات ، فتمت القتلى مائة . وللشنفرى اشعار في الفخر والحماسة اشهرها لاميته المعروفة بلامية العرب ومطلعها : (*)

أقيموا بنى أمى صدور مطيكم فانى الى قوم سواكم لأمنيل
وقصيدة اختارها صاحب المفضليات مطلعها : (**)

الأم أم عمرو أجمعت فاستقلت وما ودعت جيرانها اذ تولت
وقد عنى الاستاذ المستشرق ردهوس Redhouse بترتيب لامية العرب وترجمتها الى الانجليزية ، وقد طبعت في المجلة الاسيوية الانجليزية سنة ١٨٨١ وترجمها الى الالمانية ريس Reuss في المجلة الالمانية الشرقية سنة ١٨٥٣

وأخبار الشنفرى مفرقة في الاغانى ٨٧ ج ٢١ ، والشعر والشعراء ١٨ ،
وخزانة الادب ١٦ ج ٢ ، والمفضليات وغيرها (***)

(*) اشتهرت هذه اللامية بشروحها ، وأقدم رواية لها في ذيل الامالى للقالي ص ٢٠٨ وقد زعم ان خلفا الاحمر هو الذى صنعها ونحلها الشنفرى
(**) اجمعت : مزمت أمرها ، واستقلت : ارتحلت
(***) وأنظر أيضا حماسة ابي تمام وكتاب المفتالين لابن جيب واماالى القالي ج ١ ص ١٥٧ والذيل كما قدمنا وتاريخ الاداب العربية لنالينو ص ٥٧ ودائرة المعارف الإسلامية والشعراء الفرسان للبستاني وقد طبع ديوانه في مجموعة الطرائف الادبية بالقاهرة

٢ - ثابت بن جابر

توفي سنة ٥٢٠ م

هو ثابت بن جابر من فهم من قيس كان أسمع العرب وأبصرهم وأكيدهم، وكان أعدي رجل، ينظر إلى الأطباء فينتقى على نظره أسمها، ثم يعدو خلفه فلا يفوته. وله أخبار كثيرة يضيق عنها هذا المكان. ومن شعره في وصف الغول: (*)

ألا من مبلغ فتيسان فهم بما لا قيت عند رحي بطسان
بأنى قد لقيت الغول تهوى بسهب كالصحيفة صحصحان
فقلت لها كلانا نضسو أين أخو سفر فخلّى لي مكانى
فشدت شدّة نحوى فأهوى لها كفّى بمصقول يسانى
فأضربها بلا دهش فخرت صريعا للبدن وللجيران
فقلت ثنّ قلت لها رويدا مكانك انى ثبت الجنان
فلم أنفك متكئا عليها لأنظر مصبحا ماذا أتسانى
إذا عينان في رأس قيسح كرأس الهر مشقوق اللسان
وساقا مخدج وشوأة كلب وثوب من عباء أو شيسانان

وأخباره في الاغانى ٢٠٩ ج ١٨، والشعر والشعراء ١٧٤، وخزانة الادب ٦٦ ج ١، وكتب عنه بور Baur بالالمانية مقالة في سيرة حياته وشعره في المجلة الشرقية الالمانية سنة ١٨٥٦ (***)

٣ - السليك بن السلكة

توفي سنة ٦٥٠ م

هو من تميم، أمه أمة سوداء. وكان من عاداته إذا كان الشتاء استودع بيض النعام ماء السماء ثم دفنه. فإذا كان الصيف وانقطعت اغارة الخيل أغار. وكان أدل من قطاة يجيء حتى يقف على البيضة. وكان لا يغير على مضر وإنما يغير على اليمن، فإذا لم يمكنه ذلك أغار على ربيعة. ويعده

(*) الغريب في هذه الابيات: رحي بطن: اسم موضع. السهب: الفلاة. الصحصحان: الأرض المستوية. النضر: المهزول. الابن: السحب. المصقول الماني: السيف. الجران: مقدم العنق، وخرت للبدن وللجيران: سقطت على الأرض. المخدج: ناقص الخلق. الشوأة: الأطراف. الشنان جمع شن وهو القربة البالية (***) وأنظر قطعا مختلفة له في حماسة أبي تمام، والتبريزي على هذه الحماسة، وحماسة ابن الشجري، وشرح شواهد الغنى ص ١٩، ٤٣، ٨٢، ومروج الذهب للمسعودي طبعة باريس ج ٣ ص ٢١٠، وأعجاز القرآن للباقلاني، ودائرة المعارف الإسلامية، وتاريخ الادب العربية لنالينو ص ٥٧ والشعراء الفرسان للبستاني

المفضل الضبي من اشد رجال العرب وانكرهم واشعرهم . وكان ادل الناس بالارض واعلمهم بمسالكها ، وله اخبار كثيرة مدهشة . ومن شعره على اثر غزوة رابحة :

بكى صرّداً لما رأى الحيّ أعرضت . مهامه رملٍ دونهم وسهوبٌ
فقلت له لا تبك عينك انها قضية ما يقضى لها ، فتثوبٌ
سيكفيك فقد الحيّ لحم مقدّ دوماً قدورٍ في الجفان مشوبٌ
ألم تر أن الدهر لوان لونهِ وطوران بشرٍ مرة وكذوبٌ
فما ذرّ قرن الشمس حتى أريته مصاد المنايا والغبار يثوب
واخباره في الاغانى ١٣٣ ج ١٨ والشعر والشعراء ٢١٣

٤ - عروة بن الورد

توفي سنة ٥٩٦ م

هو من عبس ، وكان شاعرا فارسا وصعلوكا مقدما . وكان يلقب عروة الصعاليك لانه كان كالرئيس عليهم يجمعهم ويقوم بأمرهم اذا أخفقوا في غزواتهم ويعولهم اذا لم يكن عندهم معاش . وكان لشعره تأثير في نفوس قبيلته . سئل الحطيئة كيف كنتم في حربكم ؟ قال : « كنا الف حازم » . فقيل وكيف ذلك ؟ قال : « كان فينا قيس بن زهير وكان حازما وكنا لا نعصيه وكنا نقدم اقدام عنتره ونأثم بشعر عروة بن الورد وننقاد لامر الربيع بن زياد » . ومن شعر عروة قوله : (*)

واني امرؤ عافى انائى شركة وأنت امرؤ عافى انائك واحد
أتهزأ منى أن سممت وأن ترى بجسمى شحوب الحق ، والحق شجاهد
أفرّق جسمى في جسوم كثيرة وأحسو قراح الماء ، والماء بارد
ومن قوله في الاقدام :

دعيني للغنى أسعى فانى رأيت الناس شرّهم الفقير
ومن ذلك قوله :

لعلّ ارتيادى في البلاد وبغيتى وشدّى حيازيم المطية بالرحل
سيدفعنى يوما الى رب هجمة يدافع عنها بالعقوق وبالبحل

(*) الغريب في هذه الابيات : العافى : طالب المعروف ، يقول عروة لصاحبه انه يأكل معى جماعة يشاركوننى فى انائى ، وانت تأكل وحلك ، فعافى انائك واحد - ويريد بالحق حقوق القبيلة عليه - الماء القراح : الذى لا يخالطه لبن أو غيره

والهجمة من الابل مازاد على الاربعين . وله قصيدة تعد من المنتقيات
مطلعها :

أقلى على اللوم يا ابنة منذر ونامى فان لم تشتهى النوم فاسهرى
ذرينى أطوَّف° فى البلاد لعلى أخليك أو أغنيك عن سوء محضرى
فترى الهمة والنشاط والاقدام ظاهرة فى كل اقواله

ولعروة ديوان طبع فى غوتنجن سنة ١٨٦٤ مع ترجمة المانية وشروح
لنولدكى وطبع أيضا فى بيروت . وله أشعار متفرقة فى الاغانى ١٩٠ ج ٢ ،
والشعر والشعراء ٤٢٥ وشعراء النصرانية ٨٨٣ والجمهرة (**) ١١٤ وكتب
بوشر Boucher الفرنسى مقالة عنه وعن ذى الاصبع العدوانى فى المجلة
الاسيوية الفرنسية سنة ١٨٦٧

ومن الشعراء الصعاليك :

٥ - حاجز الازدى (٥٧٠) كان يسبق الخيل . ترجمته فى الاغانى
٤٩٠ ج ١٢

٦ - قيس بن الحدادية الازدى . ترجمته فى الاغانى ٢ ج ١٣

٧ - ابو الطمحان القينى من قضاة مخضرم . ترجمته فى الاغانى ١٣٠ ج
١١. والشعر والشعراء ٩٢٩ وخزانة الادب ٤٢٨ ج ٣

شعراء اليهود

لا يتجاوز شعراء اليهود فى الجاهلية عدد اصابع اليد الواحدة أشهرهم:

١ - السموال بن غريص بن عاديا

توفى سنة ٥٦٠ م

ويلحقون نسبه بالكاهن هرون اخى موسى . وهو صاحب حصن ابلق
بتيماء ويضرب المثل بوفائه . وحديثه مع امرئ القيس الشاعر ودروعه
أشهر من أن يذكر حتى يتبادر الى الذهن أن العرب وضعوا ذلك الحديث
أو بالغوا فيه على سبيل التمثيل ترغيبا فى الوفاء فان الطبيعة تأبى على
الرجل أن يضحى بابنه فى سبيل الوفاء . ولا نقول ان ذلك مستحيل لكنه
بعيد الحدوث وقد أشرنا الى ذلك قبلا . وكانت العرب تنزل بالسموال
فيضيفها واشتهر بتصيدته الفخرية التى مطلعها : (***)

(*) وانظر حماسة ابي تمام والتبريزى ، والكامل للمبرد « راجع الفهارس » وديوانه
مطبوع فى الجزائر بشرح ابن السكيت وفى مصر
(**) تنسب هذه القصيدة الى عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثى ، ولعل ذلك هو
الاصح والاقر الى الصواب . انظر شرح التبريزى على ديوان الحماسة

إذا المرء لم يَدْنَسْ من اللؤم عرضة فكلُّ رداءٍ يرتديه جميل

وقد خمسها غير واحد أشهرهم صفى الدين الحلبي

وللسموال ديوان شعر طبع في بيروت سنة ١٩٠٩ وله أخبار في الاغانى
٩٨ ج ١٩ و ١٢ ج ٣ و ٨٧ ج ٦ و ٣٧ ج ٩ والمستطرف ١٦٢ ج ١ والشعر
والشعراء ٤٥ والمشرق مجلد ٩ و ١٠ و ١٢. (*)

ومن الشعراء اليهود (**) أيضا :

- ٢ - أوس بن دنى من قريظة ترجمته في الاغانى ٩٤ ج ١٩
- ٣ - الربيع بن أبى الحقيق من رؤساء قريظة ترجمته في الاغانى ٦١ ج ٢١
- ٤ - كعب بن الاشرف من النضير له مناقضات . ترجمته في الاغانى
١٠٦ ج ١٩

(*) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام، البيان والتبيين في مواضع متفرقة او امالى
القالى ج ١ ص ٢٧٢ ودائرة المعارف الاسلامية
(**) عنيت طائفة من المستشرقين بالبحث في يهود جزيرة العرب قبل الاسلام وجمع
اشعارهم ، مثل مرجليوث ونولدكي وفرانز دلتش وليفى دلافيدا . انظر تاريخ الاداب
العربية لتالينو ص ٥٦ وراجع فيهم طبقات الشعراء لابن سلام

النساء الشواعر

قد ذكرنا ما كان من رقى المرأة في الجاهلية وعزة نفسها وذكائها ، والشعر لا ينمو ويزهر الا في ظل العز والارتقاء . ويندر نبوغ الشعراء البلغاء في امة ذليلة . . فظهر في الجاهلية عدة شواعر جاء ذكر عشرات منهن في الحماسة وغيرها ، وذكرنا أسماء بعضهن فيما تقدم . وهاك تراجم أشهرهن :

١ - الخنساء

وفيت سنة ٦٤٦ م

هي تماضر بنت عمرو بن الشريد من سراة سليم (قيس) من اهل نجد . وقد أجمع رواة الشعر على انه لم تقم امرأة في العرب قبلها ولا بعدها اشعر منها . وقد أنشدت شعرها النابغة في عكاظ ، فأعجب به وقال لها : « لولا ان هذا الاعمى أنشدني قبلك (يعنى الاعشى) لفضلتك على شعراء هذا الموسم » على ان اكثر قولها في رثاء أخيها صخر ، وكان قد قتل في واقعة يوم الكلاب من أيام العرب ودفن في أرض سليم . . فأخذت تنظم فيه المراثي كأن الحزن أثار شاعريتها . وقد أدركت الخنساء الاسلام وهي عجوز ولها أربعة اولاد ، فشهدت حرب القادسية وحرضت اولادها على الثبات في القتال . فلما حمى الوطيس تقدموا واحدا واحدا ينشدون انرجز يذكرون فيه وصية والدتهم حتى قتلوا عن آخرهم . فلما بلغها الخبر ، قالت : « الحمد لله الذي شرفنى بقتلهم »

ومن اشعارها في رثاء صخر أخيها قولها :

ألا ما لعينيك أم مالهـا لقد أخضـل الدمعُ سربالها
أبعد ابن عمرو من آل الشـريد د حكت به الأرض أثقالها
فان تك مـررة أودت به فقد كان يكـثر تـقتالها
سأحمل نفسى على خطـئة فاما عليها وإما لها
فان تصبر النفس تـلق السرور وان تجزع النفس أشقى لها

وللخنساء ديوان شعر كبير طبع في بيروت مشروحا سنة ١٨٨٨ ، وفيه مراث لستين شاعرة . وترجم الى الفرنسية وطبع سنة ١٨٨٩ ، ولها

أخبار كثيرة متفرقة بالاغانى ٦٤ و ١٣٦ ج ١٣ و ٣٤ ج ٤ ، وخزانة الادب ٢٠٨ ج ١ ، والشعر والشعراء ١٩٧ (*)

٢ - خرقى بنت بدر بن هفان

توفيت سنة ٥٧٠ م

هى أخت طرفة بن العبد لأمه ، ولها أشعار كثيرة فى أخيها وزوجها لم يصلنا منها الا بضعة وخمسون بيتا جمعت فى ديوان ، منه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية . وقد طبعت أخبارها وأشعارها فى شعراء النصرانية ٢٢١ ، وأفردت فى ديوان على حدة طبع فى بيروت . ولها أخبار فى خزانة الادب ٣٠٦ ج ٢

٣ - ليلي العفيفة

توفيت سنة ٤٨٢ م

هى بنت لكيز من ربيعة من أقدم الشعراء ، وكانت تامة الحسن كثيرة الادب . ولها شعر حسن نشر بعضه فى كتاب شعراء النصرانية ١٤٨

٤ - جليلة بنت مرة

توفيت سنة ٥٢٨ م

هى أخت جساس الشيبانى قاتل كليب بن ربيعة . وهى أيضا زوجة كليب المقتول ، فلما قتل زوجها رحلت من بيته وشمنت بها أخت كليب فأجابتها بشعر مطلعته :

يا ابنة الأقوام ان لمت فلا تعجلى باللوم حتى تسألى
وتجد أخبارها فى شعراء النصرانية ٢٥٢ ، والاغانى ١٥١ ج ٤

(*) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ، وديوان الحماسة لابی تمام ، والتكامل ، والبيان والتبيين وأمالى المرتضى ، وتاريخ الطبرى طبع ليدن ج ١ ص ١٩٠٥ وقد درس شيخو وجبريلى Gabrieli ورودوكتاكس Rhodokanakis أشعارها .. انظر تاريخ الادب العربية لنالينو ص ٦٥ وانظر دائرة المعارف الاسلامية فى مادة الخنساء ، وقد طبع ديوانها أيضا بالقاهرة

الشعراء الرجاءون

لا تكاد تجد في شعراء الجاهلية شاعرا يتوخى الهجو فيفرد له قولا ، وانما كان هجوهم يأتي في اثناء مفاخراتهم وحماسياتهم . ولكن ظهرت طبقة من الهجائيين في اواخر عصر الجاهلية ، واكثرهم من المخضرمين الذين ادركوا الاسلام .. منهم الحطيئة العبسي ، وحسان بن ثابت وابنه عبد الرحمن ، وعبد الرحمن بن الحكم ، وعبد الله بن الزبير السهمي ، فأفردنا لهم هذا الفصل

١ - الحطيئة

هو جرول بن اوس من بني عبس من فحول الشعراء ومقدميهم وفصحائهم ، متين الشعر شرود القافية متصرف في جميع الفنون من المديح والهجاء والفخر والنسيب مجيد في ذلك كله . ولكنه كان ذا شر وسفه ، دنىء النفس لا رأى له ، وانما يساق الى مايرجو منه مصلحة فينتهي الى كل واحدة من القبائل اذا غضب من غيرها . فاذا غضب من بني عبس ، قال انه من بني ذهل والعكس بالعكس . لكنه كان شديد الهجاء يخاف العرب لسانه ويسترضونه بالمال خوفا من شره . وكان يعتمد تخويف الناس بالهجو استدرارا لاموالهم بما يعبر عنه الافرنج اليوم بقولهم *chantage* وذلك نادر في طباع اهل الجاهلية

وكان اذا نزل مدينة او نجعا دب الخوف في اهله ، وارصدوا له العطايا خوفا من لسانه ، وهو يبالغ في الطمع كثيرا .. ذكروا انه نزل المدينة مرة فمشى اشرافها بعضهم الى بعض فقالوا : « قد قدم علينا هذا الرجل وهو شاعر والشاعر يظن فيحقق ، وهو يأتي الرجل من اشرافكم يسأله فان اعطاه جهد نفسه بهرما (فوق ماتستطيع) وان حرمه هجاه » فاجمع رأيهم على ان يجعلوا له شيئا معدا يجمعونه بينهم .. فكان اهل البيت من قريش والانصار يجمعون له العشرة والعشرين والثلاثين من الدنانير حتى جمعوا له اربعمائة دينار وظنوا انهم قد اغنوه فأتوه ، فقالوا له : « هذه صلة آل فلان ، وهذه صلة آل فلان ، وهذه صلة آل فلان » فأخذها فظنوا انهم قد كفوه عن المسئلة ، فاذا هو يوم الجمعة قد استقبل الامام ماثلا ينادي : « من يحملني على بفلين » .. هكذا كان يفعل مع كل قوم ينزل فيهم والا سلقهم بهجوه

وأكثر هجوه الذي وصل إلينا في الزبرقان وبغيض . وكان الزبرقان من عمال عمر بن الخطاب ، وقد عرف شدة وطأة الحطيئة فأحب أن يقربه فدعاه إليه وأنزله في قومه ، وضمن له مؤونة عياله على أن يستصفي له مدحه . وكان بغيض بن عامر من بنى أنف الناقة وأخوته وأهله يتنازعون الزبرقان الشرف . فاغتنموا استهانة أم شذرة أم الزبرقان مرة بالحطيئة ودعوه إليهم ، وفي مقدمتهم بغيض هذا وعلقمة بن هوذة . فسار معهم وضربوا له قبة بكل طنب من أطناها جلة (وعاء تمر) هجرية وأراحوا عليه أبلهم وأكثروا من التمر واللبن وبالفوا في إكرامه ، فمدحهم بالبيت المشهور الذي رفع رءوسهم وهو :

قوم " هم الأنف والأذنان غيرهم " ومن يسوَّى بأنف الناقة الذئب
ثم جاء الزبرقان يطلب الحطيئة منهم لانه جاره فأبوا وتنازعوا . ثم اتفقوا على أن يخبروه في الذهاب إلى أحد الحيين فاختر بغيضا ، فرجع الزبرقان مضيا فحرض بغيض الحطيئة على هجوه ففعل . ومن قوله يهجو الزبرقان ويناضل عن بغيض : (*)

والله ما معشر " لاموا امرأ جثبا في آل لاي بن شمَّاس بأكياس
ما كان ذئب بغيض لا أبا لكم في بأس جاء يحدو آخر الناس
وقد مدحتكم عمدا لأرشدكم كما يكون لكم مئحي وامراسي
لما بدا لي منكم عيب أنفسكم ولم يكن لجراحي فيكم آسى
أزمت يأسا مينا من نوالكم ولن يرى طاردا للحر كالياس
جار " لقوم أطالوا هون منزله وغادروه مقيما بين أرماس
مكثوا قراه وهرته كلابهم وجرحوه بأنياب وأضراس
دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس
وشكاه الناس لعمر بن الخطاب فسجنه ، فكتب إليه من السجن أبياتا يشكو إليه حال أهله بسبب سجنه منها :

ماذا تقول لأفراخ بذي مَرخ حمر الحواصل لاماء ولا شجر

(*) الغريب في هذه الأبيات : الجنب هنا : القريب في آل لاي : أي في مدحهم . أكياس : جمع كيس وهو الذكي . المتح : الاستقاء من البئر . الامراس : وضع جبل البئر في البكرة : يقول انه مدح الزبرقان وقومه قبل أن يتحول إلى بغيض وقومه ، آسى : طبيب ، الهون : الدلة ، والامراس : القبور ، القرى : الضيافة ، وهرته كلابهم : نبخته ، وهو كناية عن بخلهم ، الطاعم هنا : الطوم ، الكاسي : المكسر أي انه لا يعطى ولا يكسو أحدا

ألقيت كاسِبَهُمْ فِي قَعْرِ مَظْلَمٍ فَأَغْفِرْ عَلَيْكَ سَلامَ اللَّهِ يَا عَمْرُ
ثم أخرجهُ من السَّجْنِ وهدده بقطع لسانه وأذنيه فتوسط له بعض
الصحابة ، فأطلقه وأوصاه أن يكف لسانه عن الهجو . وبلغ من شغف
الخطيئة بالهجو أنه هجا أمه وأباه وهجا نفسه .. فمما هجا به أمه قوله :
أَغْرِ بِالَا إِذَا اسْتَوْدَعْتَ سِرًا وَكَانُوا عَلَى الْمُتَحَدِّثِينَ (*)
جزاك الله شرا من عَجْـوَزٍ وَلَقَّـاكَ الْعُقُوقُ مِنَ الْبَنِينَ
وقال لآبيه :

لِحَاكَ اللَّهُ ثُمَّ لِحَاكَ حَقًّا أَبَا وَلِحَاكَ مِنْ عَمٍّ وَخَسَانٍ
فَنِعْمَ الشَّيْخُ أَنْتَ لَدَى الْمُخَازَى وَبِئْسَ الشَّيْخُ أَنْتَ لَدَى الْمُعَالَى
جَمَعْتَ اللَّؤْمَ لَا حَيَّاكَ رَبِّي وَأَبْوَابَ السَّفَاهَةِ وَالضَّلَالِ
وقال لنفسه :

أَبْتُ شَفَتَايَ الْيَوْمَ الْإِلا تَكَلَّمَا بِسَوْءٍ فَمَا أَدْرَى لِمَنْ أَنَا قَائِلُهُ
أَرَى لِي وَجْهًا شَوْءَهُ اللَّهُ خَلَقَهُ فَقُبِّحَ مِنْ وَجْهِ وَقُبِّحَ حَامِلُهُ
وهو من أصحاب المشوِّبات ومطلع مشوبته :

نَأْتِكَ أَمَامَةً الْإِلا سِوَالَا وَأَبْصَرْتَ مِنْهَا بَعِينَ خِيَالَا
والخطيئة أشعار كثيرة جمعت في ديوان طبع في ليبسك سنة ١٨٩٣ ،
وفي مصر وبغروت مع شروح . وله شرح خطي في دار الكتب المصرية .
وأخاره في الشعر والشعراء ١٨٠ ، وفي الأغاني ٤٣ ج ٢ و ٣٩ ج ١٦ ، وفي
العقد الفريد ٨٠ ج ١ و ١١١ ج ٣ ، وفي المستطرف ١٣٩ ج ١ ، وخزانة
الأدب ٤٠٩ ج ١ ، والجمهرة ١٥٣ (**)

٢ - حسان بن ثابت

توفي سنة ٥٤ هـ

هو من الخزرج من أهل المدينة ، وقد عاصر الجاهلية والإسلام .. فهو
من المخضرمين . واشتهر في الجاهلية بمدح ملوك غسان وملوك الحيرة ،
وله مع النابغة الذبياني أحاديث . واختص بعد الإسلام بمدح النبي والدفاع
عنه ، وهو يعد أشعر أهل المدن في ذلك العصر . وكان شديد الهجاء حتى

(*) الغرناط : التمساح ، والكانون : الثقل
(**) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ، الكامل ، والبيان والتبيين في مواضع
متفرقة ، والاشتقاق ، وزهر الآداب ج ١ ص ١٩ ، وتاريخ أبي الفدا ج ١ ص ٣٧٥ ،
ودائرة المعارف الإسلامية مادة الخطيئة

فيل لو مزج البحر بشعره لمزجه . قال أبو عبيدة : « فضل حسان الشعراء بثلاثة : كان شاعر الانصار في الجاهلية ، وشاعر النبي (ص) في النبوة ، وشاعر اليمن كلها في الاسلام » . ومن شعره في الجاهلية قوله يمدح جبلة ابن الابهم الفسائي :

أولاد جَفَنَةَ عند قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ عَلَيْهِمْ بِرَدَى يَصْفَقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ
يَغْشَوْنَ حَتَّى مَا تَهَرُّ كِلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمَقْبَلِ
يَبْضُ الْوُجُوهَ كَرِيمَةً أَحْسَابُهُمْ شَمُّ الْأَنْوَفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ

اما في الاسلام ، فكان حسان في جملة من أسلم وأخذ ينصر الرسول . ولم يكن رجل حرب فنصره بلسانه ، وكان الرسول يسر به ويستنشده الاشعار في الدفاع عن المسلمين اذا هجاهم هاج من المشركين أو غيرهم . وقد حمله الرسول على ذلك ليرد عنه هجو الهاجين . . فقد كان يهجو الرسول والمسلمين ثلاثة من قريش هم : عبد الله بن الزبعرى ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وعمرو بن العاص . فقال قائل لعلى بن أبى طالب : « اهج عنا القوم الذين قد هجونا » فقال على : « ان اذن لى رسول الله فعلت » فقال رجل : « يا رسول الله ائذن لى كى يهجو عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا » قال : « ليس هناك أو ليس عنده ذلك » ثم قال : « ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم ان ينصروه بالسنتهم ؟ » فقال حسان بن ثابت : « انا لها » وأخذ بطرف لسانه وقال : « والله ما سرنى به مقول بين بصرى وصنعاء » قال : « كيف تهجوهم وانا منهم » فقال : « اتى أسلك منهم كما تسلك الشعرة من العجين » فكان يهجوهم ثلاثة من الانصار : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة . فكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والانام والمآثر ويعيرانهم بالمثالب . وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر . . فكان في ذلك الزمان أشد القول عليهم قول حسان وكعب ، وأهون القول عليهم قول ابن رواحة . . فلما أسلموا وفقهوا الاسلام ، كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة ومن أمثلة دفاعه عن الرسول ان وقدما من تميم جاءوا الرسول وهم سبعون أو ثمانون رجلا فيهم خيرة الشعراء من تميم . . وفيهم الزبرقان بن بدر ، فأنشد الزبرقان قصيدة فخر فأمر الرسول حسانا أن يجيبهم فقال :

ان الذوائب من فِهْرٍ واخوتهم قد بَيَّنُّوا سُنَّةً لِلنَّاسِ تَتَّبَعُ
يرضى بها كلٌّ من كانت سريره تَقْوَى الْإِلَهِ وَبِالْأَمْرِ الَّذِى شَرَعُوا
قومٌ اذا حاربوا ضَرَّشُوا عَدُوَّهُمْ أَوْ حَاوَلُوا النِّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ تَفْعُوا
سَجِيَّةً تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحْذِثَةٍ انِ الْخُلَاقُ فَاعْلَمْ شَرُّهَا الْبِدْعُ

لا يَرْقِعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُسُهُمْ عِنْدَ الرَّقَاعِ وَلَا يَوْهُونَ مَا رَقَعُوا
 إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَّاقُونَ بَعْدَهُمْ فَكُلُّ سَبْقٍ لَأَدْنَى سَبْقِهِمْ تَبَعَ
 أَعْفَى ذَكَرْتُ فِي الْوَحْيِ عِفَّتَهُمْ لَا يَطْمَعُونَ وَلَا يُزْرِي بِهِمْ طَمَعُ
 يَسْتُمُونَ لِلْحَرْبِ تَبَدُّوْهُمُ وَهِيَ كَالْحَةِ إِذَا الزَّعَانِفُ مِنْ أَظْفَارِهَا خَشَعُوا
 لَا يَفْرَحُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمْ وَإِنْ أَصَابُوا فَلَا خُورٌ وَلَا جُزْعٌ
 إِلَى أَنْ قَالَ :

أَكْرَمُ بِقَوْمٍ رَسُولٌ اللَّهُ قَائِدُهُمْ إِذَا تَفَرَّقَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيَيعُ
 وَانْهَمَ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جَدُّ الْقَوْلِ أَوْ شَمِعُوا (*)
 وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ الْمَذَاهِبِ وَمُطْلِعِ مَذَهَبِهِ :

لَعَمْرُ أَيْبِكَ الْخَيْرِ حَقًّا لَمَّا نَبَا عَلَى لِسَانِي فِي الْخُطُوبِ وَلَا يَدِي
 وَقَدْ جُمِعَتْ أَشْعَارُهُ فِي دِيْوَانٍ وَطُبِعَ فِي الْهِنْدِ وَتُونِسَ ، ثُمَّ طُبِعَتْهُ لَجْنَةُ
 تَذْكَارِ جَيْبٍ فِي أَنْجَلْتِرَا سَنَةِ ١٩١٠ ، وَضَبَطَتْهُ عَلَى النُّسخِ الْخَطِيَّةِ الْمَوْجُودَةِ
 فِي مَكَاتِبِ لَنْدُنْ وَبِرْلِينْ وَبَارِيْسْ وَبَطْرِسْبُورْجْ بَعْدَ الْإِطْلَاعِ عَلَى النُّسخِ
 الْمَطْبُوعَةِ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرَهَا

وَتَجَدُّ أَخْبَارُهُ فِي الشُّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ ١٧٠ ، وَالْأَغَانِي ٢ ج ٤ ، وَ ١٦٩ ج ٨
 ، وَ ١٦٩ ج ١٠ ، وَ ١٥٠ ج ١٣ ، وَ ٢ ج ١٤ ، وَخَزَانَةُ الْأَدَبِ ١١١ ج ١
 ، وَالْجُمُهرَةُ ١٢١ ، وَفِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنَ الْهَلَالِ ٤٨٢ (***)

٣ - عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ

هُوَ أَخُو مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ الَّذِي تَوَلَّى الْخِلَافَةَ فِي الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ ، وَافْضَتْ
 بَعْدَهُ إِلَى أَوْلَادِهِ وَأَحْفَادِهِ . وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ هَذَا يَهَاجِي عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ
 حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ ، الْأَوَّلُ يَدَافِعُ عَنْ قُرَيْشٍ وَبَنِي أُمِيَّةٍ ، وَالثَّانِي عَنْ الْأَنْصَارِ .
 وَقَدْ هَجَا ابْنُ الْحَكَمِ أَخَاهُ الْحَارِثَ لِأَنَّهُ ذَهَبَ فِي غَزْوَةٍ وَلَمْ يَفْلَحْ ، فَقَالَ فِيهِ
 أَبْيَاتًا مِنْهَا :

كَفَاكَ الْغَزْوُ إِذَا أَحْجَمْتَ عَنْهُ حَدَثُ السَّنِّ مُقْتَبِلُ الشَّبَابِ
 فَلَيْتَكَ حَبِضَةً ذَهَبَتْ ضَلَالًا وَلَيْتَكَ عِنْدَ مَنْقَطَعِ السَّحَابِ

(*) شَمِعُوا : مَزَحُوا

(**) وَأَنْظُرْ طَبَقَاتِ الشُّعْرَاءِ لِابْنِ سَلَامٍ وَالسِّيرَةَ النَّبَوِيَّةَ لِابْنِ هِشَامٍ ، وَتَارِيخَ الطَّبَرِيِّ
 « فَهْرَسُ كُلِّ مِنْهُمَا » وَالْوَشِيحَ لِلْمَرْزُبَانِيِّ وَالْبَيْسَانَ وَالتَّبْيِينَ (الْفَهْرَسُ) وَدَوَاوِينَ
 الْحِمَاةِ ، وَتَجَدُّ مِنْ شُعْرِهِ مَقْتَطَفَاتٌ كَثِيرَةٌ فِي كُتُبِ الْأَدَبِ الْمُخْتَلَفَةِ ، وَأَنْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي
 دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ

وهجا اخاه مروان فضلا عن هجوه الانصار وغيرهم
وتجد اخباره في ذلك مدونة في الاغانى ٧٢ ج ١٢ و ١٥٠ ج ١٣
ومن الشعراء الهجائين ايضا :
٤ - عبد الله بن الزبيرى : هو احد شعراء قريش العدودين لكنه كان
هجاء فاكثر من هجو المسلمين وحرض عليهم كفار قريش . ثم اسلم فقبل
اسلامه وتجد اخباره في الاغانى ١١ ج ١٤ (*)

(*) وراجع ديوان الحماسة لابی تمام ، والبيان والتبيين ج ٣ ص ٢٤٨ ، وانظر فهرس
السيرة النبوية لابن هشام

الشعراء الوصافون للخيـل

قد رأيت وصفا كثيرا في اشعار من تقدم ذكرهم ، وخصوصا أصحاب المعلقات ولا سيما امرأ القيس . ولكننا نريد أن نضمن هذا الباب الشعراء الذين اشتهروا بوصف الخيل دون سواها ، وهم ثلاثة ، نضيف اليهم شاعرا اشتهر بوصف الحمير وهم :

١ - أبو دؤاد الأيادي

هو من أقدم شعراء الجاهلية ، واكثر اشعاره في وصف الخيل وله اشعار في المدح والفخر ومن قوله في وصف الفرس : (*)

ولقد أعتدى يدافع ركني أحوذى ذو مَيْعةٍ اضريـجٌ
مِخْلَطٌ مِزْيَلٌ مِكرٌ مفرٌ مِثْقَحٌ مِطْرَحٌ سبوحٌ خروج
سَلْهَبٌ سَرْحَبٌ كأن رماحا حملته وفي السَّراة دُمُوجٌ (١)
وليس له ديوان معروف ، ولكن اخباره في الاغانى ٦٥ ج ١٥ و ٤٧ ج ٢ ،
والشعر والشعراء ١٢٠ (***)

٢ - طفيل الغنوى

هو طفيل بن عوف ، شاعر جاهلي من الفحول المعدودين ، ومن اشعر شعراء قيس ، ومن اوصف العرب للخيـل حتى سموه طفيل الخيل لكثرة وصفه اياها ، وهو يدخل وصفها في كل باب من شعره . ومن قوله : (***)

(*) الغريب في هذه الابيات : الاحوذى : الطارد السريع السير من الخيل ، وذو مَيْعة : ذو فتوة ، والاضريج : الجواد ، مِخْلَطٌ مِزْيَلٌ : يخالط الامور ويزايدها أى يفارقها ، مِثْقَحٌ : يدخل في كل شيء ، مطرح : بعيد النظر ، سَلْهَبٌ : طويل ومثلها سَرْحَبٌ ، والسراة : الظهر ، دُمُوجٌ : انتظام واتساق

(**) وله قصيدتان في الاصمعيات رقم ٦٥ ، ٦٦ وانظر في اخباره واشعاره شواهد المعنى للسيوطى ١٢٤ والمعنى ج ٢ ص ٣٩١ واللائى والخزانة ج ٣ ص ٤٢٨ ، ج ٤ ص ١٩٠ (***) الغريب في ابيات طفيل الغنوى : عواوير : جمع عوار وهو الضعيف الجبان ، والردى : الموت . أرسان : جمع رسن وهو الحبل ، والجرد : جمع أجرد ، وهو الفرس قصر الشعر وذلك أجود فيه ، والبادى : المغير أولا : والمعقب ، المغير ثانيا ، تد : نسيل ، ومن غريب واشيب أى في هؤلاء القوم الغزاة الشيب والشبان

بخيلٍ إذا قيل اركبوا لم يَقُلْ لهم عواويرٌ يخشون الرَّدَى أين نركبُ
ولكن يجاب المستغيث وخيلهم عليها حماة بالمنية تضرب
ومن قوله في وصف بيته :

وأطنابه أرسانٌ جرْدٌ كأنها صدورُ القنا من بادىء ومعقَّبٍ
نصبتُ على قومٍ تدرُّ رماحهم عروقَ الأعادي من غريرٍ وأشيب

ولطفيل الفنوى ديوان تحت الطبع بنفقة لجنة تذكّار جيب الانجليزية
مع ديوان الطرماح بن حكيم بعناية المستشرق كرنكو Krenkow وأخباره
في الاغانى ٨٨ ج ١٤ ، والشعر والشعراء ٢٧٥ (*)

٣ - النابغة الجعدي

هو غير النابغة الذبياني ، وهو من جعده (قبس) مخضرم قال الشعر في
الجاهلية ، وسكت دهرًا ثم نبغ في الاسلام . ويقال مع ذلك انه كان أسير
من الذبياني . وهو ممن فكر في الجاهلية فأنكر الخمر والمسكر وهجر الازام
والاوثان . وكان مغلبًا اذا هوجى غلب ، وله مهاجاة مع ليلى الاخيلة
وغيرها . ويقول علماء الشعر في وصف شعره : « خمار بواف ومطرف
بالاف » يريدون ان بين أشعاره تفاوتًا كبيرًا . ومن قوله في وصف
الفرس :

كأن مقطَّ شراسيفه إلى طرف القتب فالنقب (١)
لطمن بترس شديد الصَّتْل من خشب الجوز لم يُثَقَّب

وله قصيدة جمعها أبو زيد مع المشوبات في جمهرة أشعار العرب ، يصف
بها حاله منذ كان عند المنذر ، وكيف سار الى الرسول وأسلم ، ووصف
ناقته وفرسه وبعض المواقع وغير ذلك مطلعها :

خليلى عوجا سساعةً وتهجرا ولو ما على ما أحدث الدهر أو ذرا
وللنابغة الجعدي أخبار متفرقة في الاغانى ١٢٨ ج ٤ ، والشعر والشعراء
١٥٨ ، وجمهرة أشعار العرب ١٤٥ ، وفي خزانة الادب ٥١٢ ج ١ (***)

(*) طبع الديوان كما قدمنا في سنة ١٩٢٧ ، وانظر في طفيل ايضا الاشتقاق ١٦٥ ،
والؤتلف ١١٤٧ ، ١٨٤ والاقتضاب ٢٢٧ ، والعينى ج ٢ ص ٢٤ والخزانة ج ٢ ص ٦٤٢
والحماسة لابي تمام وشرح التبريزي

(١) الشراسيف : أطراف الاضلاع ، النقب : وسط البطن ، والقتب : الرجل
(**) وانظر أيضا طبقات الشعراء لابن سلام حيث جعله في الطبقة الثمانية من
الشعراء الجاهليين ، ومعجم الرزبانى ٣٢١ ، والموشح ٦٤ ، والؤتلف ١٩١ ، والمعمرن ٦٤ ،
وامالى المرتضى ج ١ ص ٢٦٣ - ٢٦٩ ، واللال ٢٤٧ ، والاستيعاب ٣٢٠ ، واسد الغابة
ج ٥ ، والاصابة ج ٦ ، والسيرة النبوية لابن هشام

٤ - الشماخ بن ضرار

ويدخل في هذا الباب الشماخ بن ضرار الذياني ، فانه وصاف للحمير وهو مخضرم ، ويقولون ان الحطيئة كتب في وصيته : « أبلغوا الشماخ انه أشعر غطفان كلها » وقد أجمع علماء الشعر على انه اوصف الشعراء للحمير ، وأوصفهم للقوس ، وأرجزهم على البديهة . وكان فيه ميل الى الهجاء حتى انه يهجو أهله وضيغه . وقد يصح عده من الشعراء الهجائيين ، ولكن الوصف غالب عليه . ومن وصفه القوس ، قوله : (*)

وذاق فأعطته من اللّين جانباً كفى ولها أن يغرّق السهمَ حَجزُ
إذا أتبضّ الرامون عنها ترنمت ترثم ثكلى أوجعتها الجنائز
وهذان البيتان من قصيدة عدها أبو زيد من المشوبات ومطلعها :

عفا بطنٌ قوٌّ من سليمي فعالزٌ فذاتُ الصفا فالمشرفات النواشِرُ
وقد جمعت اشعار الشماخ في ديوان منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية (* *) ، وله أخبار متفرقة في الاغانى ١٠١ ج ٨ ، والشعر والشعراء ١٧٧ ، وخزانة الادب ٥٢٦ ج ١ ، والجمهرة ١٥٤

ومن وصاف الخيل ايضا سلامة بن جندل وقد ترجمنا له مع الشعراء الفرسان ، وفاتنا ان نذكر هناك ان له ديوانا طبع في بيروت

الشعراء الموالى

١ - عبد بنى الحسحاس

ليس فيمن وصلنا خبرهم من الجاهليين شاعر من الموالى أو العبيد الا عبد بنى الحسحاس ، وهو حبشي واسمه سحيم . كان مطبوعا على الشعر ، اشتراه بنو الحسحاس وهم بطن من اسد ، ومن نظمه قوله :

أشعارُ عبد بنى الحسحاس قمن له عند الفخار مقام الأصل والورقِ
إن كنتُ عبداً فنفسى حرّةٌ كرمًا أو أسودَ اللونِ إني أبيضُ الخلقِ
وذكروا ان صاحبه كان اسمه مالكا جاء به لبيعه لعثمان بن عفان ،

(*) الغريب في هذه الابيات : البيت الاول يصف القوس بأنها وسط بين اللينة والسديدة ، انبض القوس : حركها ليرمي بها ، قو وعانز وذات الصفا : مواضع ، المشرفات والنواشِر : المرتفعات

(*) طبع ديوان الشماخ بمصر وانظر فيه طبقات الشعراء لابن سلام والمؤلف ٢٨ : ديوان الحماسة واللالى ٥٨ والاشتقاق ١٧٤ وسيرة ابن هشام وكتب طبقات الصحابة والموشح للمزباني

فقال : « لا حاجة لى به اذ الشاعر لا حريم له ، ان شبع تشيب بنساء
اهله وان جاع هجاهم » فاشتراه غيره فلما رحل قال فى طريقه :

أشوقاً ولما تمض لى غيرُ ليلةٍ فكيف إذا سار المطيُّ بنا شهراً
وما كنت أخشى مالكا أن يبيعنى بشيءٍ ولو أمستُ أنا ملته صِفراً
أخوكم ومولى مالكم وحليفكم ومن قد ثَوَى فيكم وعاشركم دهرًا!

فلما بلغهم شعره هذا رثوا له فاستردوه ، فكان يشيب بنسائهم ،
ويفحش غايه الفحش ، فقتلوه . واخباره فى الاغانى ٢ ج ٢٠ ، والشعر
والشعراء ٢٤١ (*)



سائر الشعراء الجاهليين

بقيت طائفة من شعراء الجاهلية لا يدخلون في باب من الابواب التي تقدمت ، وان كانت تلك الابواب كثيرا ما تختلط اغراضها .. اذ لا يتفق ان يستقل شاعر او بضعة شعراء بالحكم او الفخر او الوصف او الهجاء دون سواه . ولكننا جمعنا المتقاربين في بعض تلك الاغراض ليسهل تعليقهم بالذاكرة ، وبقي جماعة منهم لا يجتمعون في باب .. وهم كثيرون نكتفي بذكر أشهرهم وخصوصا الذين لهم آثار باقية يمكن الحصول عليها وهم :

١ - ابن الدمينه (*)

هو عبد الله بن عبيد الله أحد بني عامر من خثعم وأمه الدمينه من سلول - اشتهر بحديث امراته حمادة - وذلك انه بلغه ان بعض اخواله من سلول يأتيها خلصة ، فرصده حتى اتاها فقتله وقتلها . على انه قبل ان يقتل الرجل منعه عن المجيء اليها فغضب واراد ان ينتقم منه ، فنظم قصيدة يصف بها المرأة وصف من تفحص بدنها .. فذهب ابن الدمينه الى امراته وسألها : « كيف عرف ذلك فيك ؟ » قالت : « وصفته له النساء » فغضب وقال : « والله ان لم تمكنيني منه لاقتلنك » فبعثت اليه وواعدته . وكان زوجها كامنا له .. فقام وقتله ضغطا على كبده حتى يخفى جرمته . لكن اهله تحققوا فعلته . وعشق في أثناء ذلك امرأة من قومه اسمها أميمة وهام بها ، فلما وصلتته تجنى عليها وجعل ينقطع عنها ثم زارها فقالت هذه الابات :

وأنت الذي أخلقتني ما وعدتني وأشمت بي من كان فيك يلوم
وأبرزتني للناس ثم تركتني لهم غرضا أُرْمَى وأنت سَلِيمٌ
فلو أن قولاً يَكَلِّمُ الجسمَ قد بدا بجسمي من قول الوشاة كلوم
فأجابها بمثل عتابها وهو اللف أساليب العتاب : (*)

(*) أخطأ المؤلف في مد ابن الدمينه من شعراء الجاهلية ، فهو اسلامي
(**) الغريب في هذه الابيات : الحزاة : وجع في القلب او هو الوجد ، وكليسم : محروح دلج الري : السير بالليل ، وجون : سود ، والجلهتين : موضع ، جثوم : راقدة ، يقول انه كان يركب الخطر بالليل والطيور ساكنة في اعشاشها ، الحفظه : اقضيه ، كظم : غاضب

وَأَنْتِ الَّتِي قَطَّعْتِ قَلْبِي حَزَازَةً وَقَرَّحْتِ قَرَحَ الْقَلْبِ فَهُوَ كَلِيمٌ
وَأَنْتِ الَّتِي كَلَّفْتَنِي دَلَجَ الشَّرَى وَجُئُونَ الْقَطَا بِالْجَلْهَمَيْنِ جُئُومٌ
وَأَنْتِ الَّتِي أَحْفَظْتِ قَوْمِي فَكُلَّهُم بِعِيدُ الرِّضَا دَانِي الصَّدُودِ كَظِيمٌ
ثم تزوجها بعد ذلك وقتل وهي عنده . وهذه الابيات تغنى بها المسلمون
أجيالا ، واليه تنسب الابيات المشهورة :

ولى كبدٌ مقروحةٌ مَنْ يبيعنى بها كبداً ليست بذات قروح
ولابن الدمينه ديوان شعر منه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية . وله
اخبار فى الاغانى ١٥١ ج ١٥ والشعر والشعراء ٤٥٨ (*)

٢ - أوس بن حجر

هو من نمر أحد بطون تميم من فحول الشعراء الجاهليين ، يقرنه بعضهم
بالحطيئة وبالنابغة . قالوا : كان أوس شاعر مضر كلها حتى حل مكانه
النابغة وزهير ، فأصبح شاعر تميم فى الجاهلية غير مدافع . وكان غزلا
مغرما بالنساء فخرج فى سفر ، وبينما هو فى أرض بنى أسد يسير على ناقته
ليلا صرخته فاندقت فخذة ، فظل فى مكانه لا يستطيع انتقالا حتى خرحت
بنات الحى يجتنين الكمامة . . فبصرن بالناقاة ورأين أوسا ملقى ففزعن ،
فنادى أحدهن وسألها عن من هى ، فقالت : « حليلة بنت فضالة » وكان
يعرف أباهما ، فدفع اليها حجرا وقال : « اعطى هذا الى أبيك ، وقولى له
أن هذا يقرؤك السلام » فمضت وبلغت ما قاله فأتى فضالة فاحتمله الى
بيته وعالجه ، فنظم فيه أوس مدائح كثيرة وأحب ابنته ونظم فيها ، ثم
توفى فضالة فرثاه أحسن الرثاء ، منه قوله : (**)

آيتها النفسُ أجملَى جزعا إن الذى تحذرين قد وقعا
إن الذى جمعَ السماحة والند جدّة والحزم والقوى جمعا
المُخْلِيفُ المثلَفُ المرزأ لم يُمْتَعْ بضعفٍ ولم يمت طبعها
أودى وهل تنفع الإشاحة من شئٍ لمن قد يحاول النزعا

ولأوس بن حجر ديوان طبع فى فينا مع ترجمة المانية سنة ١٨٩٢ بعناية
المستشرق جاير Geyer وعليه تعليقات . وأخباره فى الاغانى ٦ ج ١٠ ،

(*) طبع ديوان ابن الدمينه بالقاهرة وانظر حماسة ابى تمام فى مواضع متفرقة ،
والبيان والتبيين « ومعاهد التنصيص ج اول واللالى ١٢٦ وامالى المرتضى « الفهرس »
ودائرة المعارف الاسلامية

(**) الغريبه فى هذه الابيات : جمع فى اخر البيت الثانى : مات ، المرزأ : المصاب
فى ماله لكثرة ما يجود به ، يمتع : يصاب ، والطبع بكسر الباء : الدنس اللئيم ،
الإشاحة : الجد فى طلب الامر ، النزعا : النزوع فى طلب الحاجة

والشعر والشعراء ٩٩ ، وخزانه الادب ٢٣٥ ج ٢ (*)

٣ - المتلمس

توفي سنة ٥٨٠ هـ

هو جرير بن عبد المسيح من ضبيعة (ربيعة) وهو خال طرفة بن العبد ، واليه تنسب صحيفة المتلمس كما مر في حديثه مع طرفة وعمرو ابن هند صاحب الحيرة . ولهذه الحكاية مثال في تاريخ قدماء اليونان تعزى الى بيلروفت (١) فلما علم المتلمس بفحوى الصحيفة كما تقدم في ترجمة طرفة رماها في النهر قرب الحيرة وهرب الى الشام ولحق بملوك آل غسان ، ونظم في ذلك قصيدة ذكر فيها نجاته ، وكان قد استحث طرفة على رمي ورقته بقوله : (**)

أَلْقِ الصَّحِيفَةَ لَا أَبَا لَكَ إِنَّهُ يَخْشَى عَلَيْكَ مِنَ الْحَبَاءِ النَّقَرِسُ
فلما بلغه انه قتل بها قال :

عصاني فما لاقى الرشاد وإنما تَسْبِيْنُ من أمر الغوى عواقبه
فأصبح محمولا على آلة الرندى تمجُّ نجيع الجوف منه ترائبه
ونظم في مجو عمرو بن هند قصيدة طويلة هي من خيرة شعره
مطلعها :

يَا آلَ بَسْكَرٍ أَلَا اللَّهُ أَمْكُمُ طَالَ الثَّوَاءُ وَثُوبُ الْعَجْزِ مَلْبُوسُ
وأقام المتلمس في حوران عند الغساسنة الى وفاته . ومن قوله وفيه
افراط في الفخر من قصيدة عاتب بها خاله الحارث الشكري :

أَحَارِثُ إِنَّا لَوْ تُسَاطُ دِمَاؤُنَا تَزَايَلُنَ حَتَّى لَا يَمَسَّ دَمٌ دِمَا
يريد أن دماءهم تمتاز عن دماء غيرهم أو تآبى الامتزاج بها ، ومنها :
وكنا إذا الجبار صَعَّرَ خَدَّهْ أَقْمَنَا لَهُ مِنْ مَيْلِهِ فَتَقَوَّمَا
لذي الحلم قبل اليوم ما تفرَّعُ العصا وما عُلِّمَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لِيَعْلَمَا
ولو غير أخوالى أرادوا تَقِصَّتِي جَعَلْتُ لَهُمْ فَوْقَ الْعَرَانِينَ مِيسَمَا

(*) وانظر في أوس الموشح للمزباني، مصادر جابر ناشر ديوانه ويذكر الجاحظ في الجزء السادس من الحيوان أن شعره اختلط بشعر شريح بن أوس وراجع دائرة المعارف الإسلامية وكتاب في الأدب الجاهلي لطلحة حسين
(١) شعراء النصرانية ٣٣٠

(**) الغريب في أبيات المتلمس : الحباء : العطاء ، النقرس : مرض يصيب الفاسل .
نمج : تلفظ ، والنجيع : الدم السائل ، تساط : تخط ، تزايلن : أفرقن وتمايزن ،
سعر خده : أماله كبرا ، العرائن : جمع عرنين وهو أول الأنف ، والميسم : العلامة ،
المستعمل : الطريق ، والقلف البعبد ، والعيس الأبل

ومما يتمثل به من شعره قوله :

وأعلم علم حق غير ظنٍ وتقوى الله من خير العتاد
لحفظ المال أيسر من بغاء وضرب في البلاد بغير زاد
وإصلاح القليل يزيد فيه ولا يبقى الكثير على الفساد

وهو من اصحاب المنتقيات ومطلع قصيدته :

كم دون مئة من مستعملٍ قذِفٍ ومن فلاةٍ بها تستودع العيسُ
وفد جمع شعر المتلمس في ديوان منه نسختان خطيتان في دار الكتب
المصرية وأخبره في الاغانى ١٢٠ ج ٢١ ، والشعر والشعراء ٨٥ ، وحياة
الحيوان للدميرى ٢٠٩ ج ٢ ، وابن خلكان ١٩٩ ج ٢ ، والجمهرة ١١٣ ،
وشعراء النصرانية ٣٣٠ ، والحماسة وشرحها ، ومعجم البلدان ، ولسان
العرب ، وغيرها (*)

٤ - المثقب العبدى

توفي سنة ٥٨٧ م

هو عائد بن محصن بن ثعلبة من ربيعة ، وكان فى جملة الذين كانوا
يترددون على عمرو بن هند ويمدحونه وله فيه قصائد . وله فى وصف
راحلته قصيدة مطلعها :

هل عند عانٍ لفؤادٍ صَدٍ من نهلةٍ فى اليوم أوفى غدٍ (***)
وله قصيدة يمدح بها عمرا المذكور مطلعها :

أفاطمَ قبل بينك ودَّعيني وَمَنَعَكَ ما سألتُ كأن تبينى
ومما سبق اليه وأخذ عنه قوله من هذه القصيدة فى وصف ناقته :

كأن مواقعَ الشَّفِناتِ منها معرَّسٌ باكراتِ الورْدِ جُونِ

الباكرات القطا . فأخذ هذا المعنى عنه ذو الرمة والطرماح

وله قصيدة منها البيت المشهور :

حسنٌ قولُ نَعَمٍ من بعد لا وقبيحٌ قولُ لا بعد نَعَمٍ

(*) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام والبيان والتبيين والخزانة ج ٢ ص ٧٣
والخزانة ص ٧١ والاصمعيات والموشح للمرزبانى والعيشى فى شرح النوادر الكبرى
معجم البلدان ج ٧ ص ٢٠٨ وآمالى المرتضى ج ١ ص ١٨٣ - ١٨٥ ودائرة المعارف الاسلامية
وقد طبع ديوانه

(**) القريب فى ابيات المثقب : عان : من العناء ، صد : عطشان ، تبينى : من البين
نأى البعد . الشفنات : مواصل الذراعين والمضدين من باطن وهى التى على الارض منها
إذا بركت ، والجون : السود ، والمعرس : مكان النزول آخر الليل ، وباكرات الورود :
القطا يكرن بالورود الى الماء . شبه ما حسن من الارض من ناقته بتعريس القطا فى منازلها

وللمثقب ديوان حوى شعره مع شروح منه نسخة خطية في دار الكتب
المصرية واخباره في الشعر والشعراء ٢٣٣ وخزانة الادب ج ٤ ،
وشعراء النصرانية ٤٠٠ (*)

٥ - المنخل اليشكرى

توفي سنة ٥٩٧ م

هو المنخل بن عبيد من يشكر من بكر وائل (ربيعة) شاعر مقل كان
ينادم النعمان مع النابغة الذبياني ، ولكن النعمان كان يؤثر شعر النابغة
على شعره ، فسعى المنخل بالنابغة واوغر صدر النعمان عليه حتى هم
بقتله فهرب النابغة وخلا المنخل بمجالسته . ثم اتهمه النعمان بامراته وامر
بقتله فقتل ، ويقال انه دفن حيا . والعرب تضرب المثل به كما تضربه
بمن هلك منهم ولم يعلم خبره . ومن مشهور شعره ابيات من قصيدة له
في الفخر مطلعها :

إن كنت عاذلتى فسيرى نحو العراق ولا تحورى
الى أن يقول :

ولقد شربت من المدا مة بالصغير وبالكبير
فإذا اتشسيت فإنى ربّ الخور نق والسدير
وإذا صبحت فإنى ربّ الشوَيْهة والبعر

واخبار المنخل فى الاغانى ١٥٢ ج ١٨ و ١٦٦ ج ٩ ، والشعر والشعراء
٢٣٨ ، وشعراء النصرانية ٤٢١

٦ - كعب بن زهير

توفي سنة ٢٤ هـ

هو كعب بن زهير بن ابي سلمى ، ولكعب ذكر خاص عند ظهور الاسلام
لانه من المخزمين . وكان هجا الرسول ثم جاءه واسلم ، ومدحه
بقصيدته المشهورة التى مطلعها : (**)

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيّم عندها لم يَجْزَ مَكْبُولٌ
وهى من المشوبات .. ولما أقبل على النبى وطلب الامان انشده اياها
والمجلس حافل بالصحابة من قريش وغيرهم ، فلما وصل الى قوله :

(*) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام والفضليات للضبى ارقام ٢٨ ، ٧٦ ، ٧٧
(**) الفريب فى ابيات كعب بن زهير : بانت : فارقت ، المتبول : السقيم من الحب ،
المكبول : المقيد ، زولوا : هاجروا ، النكس : الضعيف ، كشف : جمع اكشف وهو من
لا يحمل ترسا ، والخور : الضعفاء ، معاذيل : جمع معزول : من لا سلاح معه

إِنَّ الرِّسُولَ لَنُورٌ يَسْتَضَاءُ بِهِ مَثْنَدٌ مِنْ سِوْفِ اللَّهِ مَسْلُولٌ
فِي فِتْيَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ يَبْطِنُ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُولُوا
زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كَشَفٌ عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلَا خُورٌ مَعَاذِلُ

أشار الرسول الى الناس ان يسمعوا شعر ابن زهير . ولما فرغ من الانشاد
خلع الرسول عليه بردته وهي التي تداول الخلفاء لبسها (١)

وقد طبعت هذه القصيدة مرارا بمصر وأوربا ، وشرحها كثيرون منهم
ابن دريد والتبريزي وغيرهما في العصور المختلفة الى الآن . ومن الاصل
والشروح نسخ كثيرة في مكاتب برلين ولندن والاسكوريال ومصر وغيرها .
وشطرها غير واحد مما يطول شرحه . واخبار كعب في الاغانى ١٤٧ ج ١٥ ،
والشعر والشعراء ٥٨ ، و ٦٧ ، والجمهرة ١٤٨ والحماسة وغيرها (*)

٧ - معن بن اوس

توفي سنة ٢٩ هـ

هو معن بن اوس بن نصر من مزينة (مضر) شاعر مجيد فحل من
المخضرمين وله مدائح في جماعة من الصحابة ، ووفد على عمر بن الخطاب
مستعينا به على امره وخاطبه بقصيدته التي اولها :

تَأْوِيَّهِ طَيْفٌ بِذَاتِ الْجِرَاثِمِ فَنَامَ رَفِيقَاهُ وَلَيْسَ بِنَائِمِ

ويقال انه لقي معاوية ايضا ، وكان معاوية يفضل مزينة في الشعر
ويقول : « كان أشعر أهل الجاهلية منهم وهو زهير » وأشعر أهل الاسلام
منهم ، وهما ابنه كعب ومعن بن اوس . وكان معن مثنانا ، يحسن
صحبة بناته وتربيتهن . ومن شعره قوله :

وَذِي رَحِمٍ قَلَّمْتُ أَظْفَارَ ضِغْنِهِ بِحِلْمِي عَنْهُ وَهُوَ لَيْسَ لَهُ حِلْمٌ
إِذَا سُمْتُهِ وَصَلَّ الْقَرَابَةَ سَامِنِي قَطِيعَتَهَا تِلْكَ السَّفَاهَةُ وَالظُّلْمُ
فَأَسْعَى لِكِي أَبْنَى وَيَهْدِمُ صَالِحِي وَلَيْسَ الَّذِي يَبْنِي كَمَنْ شَأْنُهُ الْهَدْمُ
يَحَاوِلُ رَغْمِي لَا يَحَاوِلُ غَيْرَهُ وَكَالْمَوْتُ عِنْدِي أَنْ يَحِلَّ بِهِ رَغْمٌ
فَمَا زِلْتُ فِي لَيْنٍ لَهُ وَتَعَطَّشٍ عَلَيْهِ كَمَا تَحْنُو عَلَى الْوَلَدِ الْأُمُّ
لَأَسْتَلَّ مِنْهُ الضَّغْنُ حَتَّى سَلَّتْهُ وَإِنْ كَانَ ذَا ضَغْنٍ يَضِيقُ بِهِ الْحِلْمُ
وله ديوان مطبوع في ليبسك سنة ١٩٠٣ ، واخباره في الاغانى ١٦٤ ج

(١) راجع تاريخ البردة النبوية في تاريخ التمدن الاسلامى ١١٥ ج ١ « طبعة ثالثة »
(*) طبع ديوان كعب في دار الكتب المصرية وانظر اخباره في السيرة النبوية لابن هشام .
وفي كتب التاريخ وطبقات الصحابة - وراجع دائرة المعارف الاسلامية

١٠ ، وخزانة الادب ٢٥٨ ج ٣ (*)

٨ - الباقي من هذه الطبقة

وفي هذه الطبقة من الجاهليين والمخضرمين جماعة ضاق المقام عن تراجمهم، وفيهم بضعة من الفحول . ولكن اكثرهم مقلون ، فنكتفى بأسمائهم مرتبة حسب الحروف الابجدية مع الاشارة الى المآخذ التي يمكن الرجوع اليها في معرفة اخبارهم :

اسم الشاعر	المصادر
٨ - كثير بن الغريرة من تميم شاعر مخضرم	الاعاني ٦٧ ج ١٠
٩ - أبو خراش الهذلي من هذيل	» ٢٨ ج ٢١
١٠ - أبو فؤيد » » من اصحاب المراهي	» ٥٨ ج ٦ والشعر والشعراء ٤١٢
١١ - أبو زييد الطائي كان يزور عثمان	» ٢٤ ج ١١ » » ١٦٧
١٢ - أبو العيال من هذيل شاعر فصيح أدرك معاوية	» ١٦٧ ج ٢٠
١٣ - الأسود بن يعفر من تميم شاعر فصيح	الشعر والشعراء ١٢٤ والاعاني ١٢٤ ج ١١ والخزانة ٩٥ ج ١ وشعراء النصرانية ٤٧٥
١٤ - جران العود (١)	النسر والشعراء ٤٥٠
١٥ - الحادرة المازني (٢) شاعر مقل	الاعاني ٨٢ ج ٣
١٦ - حنظلة الطائي صاحب الوفاء	شعراء النصرانية ٨٩ والمستطرف ١٦١ ج ١
١٧ - خزيمه بن نهد من قضاة شاعر قديم	الاعاني ١٥٩ ج ١١
١٨ - ربيعة بن مقروم من ضبة	» ٩٠ ج ١٩ والشعر والشعراء ١٨٠ وخزانة الادب ٥٦٦ ج ٣
١٩ - سويد بن أبي كاهل من يشكر	» ١٧١ ج ١١ والشعر والشعراء ٢٥٠
٢٠ - عدى بن زيد العبدي من تميم من اصحاب المجهرات شاعر ، كاتب كسرى	» ١٨ ج ٢ والشعر والشعراء ١١١ والجمهرة ١٠٢
٢١ - عدى بن نوفل من قريش شاعر مقل	» ١٢٥ ج ١٣
٢٢ - عمرو بن شأس من أسد	» ٦٣ ج ١٠ والشعر والشعراء ٢٥٤
٢٣ - عمرو بن سعيد من قريش	» ٨٧ ج ٨
٢٤ - عمرو بن براقه شاعر قديم	» ١٢٠ ج ٢١

(*) وانظر نكت الهميان ٢٩٤ ، والبيان والتبيين « الفهرس » وحماسة ابي تمام وشرح التبريزي والاصابة وغيرها من كتب طبقات الصحابة

(١) له ديوان مطبوع

(٢) له ديوان خطي في دار الكتب المصرية وفي المتحف البريطاني وطبع شيء منه في لندن سنة ١٨٥٨ « وقد طبع في مصر »

- ٢٥ - عمرو بن قميئة من ربيعة
الآغانى ١٦٣ ج ١٦ والخزانة ٢٤٩ ج ٢
والشعر والشعراء ٢٢٢
» ١٤٢ ج ١٩
» ٤٥ ج ١٢
» ١٧١ ج ١٠
٢٦ - عيينة بن مرداس شاعر مقل
٢٧ - غيلان الثقفى من أهل الطائف
٢٨ - فضالة بن شريك من مضر وفد على ابن
الزبير
٢٩ - كعب بن مالك من الخزرج مخضرم
٢٠ - لقيط بن يعمر الأبادى شاعر جاهلي
قديم (١)
٣١ - المتخل من هذيل شاعر فحل
٣٢ - المخبل السعدي من تميم مات أيام عمر
» ١٤٥ ج ٢٠ وخزانة الادب ١٣٧ ج ٢
» ٤٠ ج ١٢ والشعر والشعراء ٢٥٠
وخزانة الادب ٥٢٥ ج ٢
٢٣ - المزرق العبدي (٤٨٠ م) شاعر قديم
الشعر والشعراء ٢٢٥
٢٤ - النمر بن تولب من عكل من أصحاب
الآغانى ١٥٧ ج ١٩ والشعر والشعراء ١٧٣
والجبهة ١٠٩
٢٥ - هدية بن الخشم (٢) من بادية الحجاز
» ١٦٩ ج ٢١ والشعر والشعراء ٤٣٤
كان راوية الخطبة
وخزانة الادب ٨٤ ج ٤
٢٦ - يزيد بن عبد المدان
شعراء النصرانية ٨٠

هؤلاء شعراء الجاهلية والمخضرمون ممن وقفنا لهم على تراجم مستقلة مع بيان اغراضهم ومراتبهم . وهناك طائفة كبيرة عرفوا بأبيات او قصائد ومنهم كثيرون في كتب الادب والحماسة والمجمهرات والمفضليات وغيرها

٩ - مآخذ الشعراء الجاهليين (*)

بحسن بنا أن تأتي على ذكر الكتب التي يمكن لطلاب الشعر التوسع بها في معرفة الشعراء الجاهليين أو المخضرمين ، غير الدواوين التي تقدم ذكرها وغير المعاجم اللغوية . وهذه أهمها مما طبع ويقرب تناوله ، ونذكر هنا الطبقات التي عولنا عليها في المصادر التي بين أيدينا مرتبة حسب الحروف الأبجدية لتسهيل المراجعة على المطالع :

(١) له ديوان في مكتبة أبا صوفيا

(٢) عنه مقالة بالفرنسية لدوجات في المجلة الآسيوية الفرنسية سنة ١٨٥٥

(*) يمكن الرجوع أيضا الى ما أضفناه من مراجع في تعليقاتنا ، وكذلك ينبغي الرجوع الى المراجع التي تذكرها دائرة المعارف الإسلامية ، فيمن تترجم لهم من الشعراء الجاهليين ، والمراجع الأخرى التي يذكرها بروكلمان في تاريخ الادب العربية

اسم الكتاب	سنة الطبع ومكانه
١ - اشعار الهذليين رواية السكري	لندن سنة ١٨٥٤
٢ - الاصمعيات	ليبسك » ١٩٠٢
٣ - الاغانى لابي الفرج الاصبهاني ٢١ جزءا	بولاق » ١٢٨٥
٤ - امالي القالي	مصر » ١٢٢٦
٥ - امثال العرب للضبي	الاستانة » ١٢٠٠
٦ - البيان والتبيين للجاحظ جزآن	مصر » ١٢١٢
٧ - جمهرة اشعار العرب لابي زيد بن ابي الخطاب	بولاق » ١٢٠٨
٨ - جمهرة الامثال لابي الحسن العسكري	بعباي » ١٢٠٧
٩ - الحماسة لابي تمام وشرحها للتبريزي ٤ اجزاء	بولاق » ١٢٩٦
١٠ - » للبحري	بيروت » ١٩٠٩
١١ - خزانة الادب ولب لباب لسان العرب ٤ اجزاء	بولاق » ١٢٩٩
١٢ - سيرة الرسول لابن هشام ٢ اجزاء	بولاق » ١٢٩٥
١٣ - شرح القصائد العشر للتبريزي	كلكتة » ١٨٩٤
١٤ - شرح المقامات الحبرية للشريشي	بولاق » ١٢٨٤
١٥ - الشعر والشعراء لابن قتيبة	ليدن » ١٩٠٢
١٦ - شعراء النصرانية للاب شيخو ٦ اجزاء	بيروت » ١٨٩٠
١٧ - طبقات الشعراء لاسكندر ابكاربوس	بيروت » ١٨٥٨
١٨ - العقد الثمين في الشعراء الستة الجاهليين	لندن » ١٨٧٠
١٩ - العقد الفريد لابن عبد ربه ٣ اجزاء	مصر » ١٢٠٥
٢٠ - العمدة لابن رشيق جزءان	مصر » ١٢٢٥
٢١ - قواعد الشعر لشعلب	ليدن » ١٨٩٠
٢٢ - الكامل لابن الاثير ١٢ جزءا	مصر » ١٢٠٢
٢٣ - الكامل للمبرد	مصر » ١٢٨٦
٢٤ - الكشكول وعلى هامشه ادب الدنيا والدين	مصر » ١٢٠٥
٢٥ - مجمع الامثال للميداني مشروح	بيروت » ١٢١٢
٢٦ - مصارع العشاق للسراج	الاستانة » ١٢٠٨
٢٧ - معجم البلدان لياقوت الحموي ٦ اجزاء	ليبسك » ١٨٧٠
٢٨ - معجم ما استعجم للبكري جزءان	غوتنجن » ١٨٧٧
٢٩ - المملكات وشروحها	مصر » ١٢١٩
٣٠ - المفضليات للمفضل الضبي	ليبسك » ١٨٨٥
٣١ - نقد الشعر لقدامة بن جعفر	الاستانة » ١٢٠٢

ولا يخفى ان للمستشرقين عناية كبرى بالشعر العربي ، ولهم فيه ابحاث وانتقادات . واليك أشهر ما كتبوه بهذا الشأن لعل القاريء يحب الاطلاع عليها نذكرها باللغات التي كتبت بها مع مكان طبعها وسنته :

- Ahlwardt, Ueber Poesie Poetik der Araber, Gotha 1856.
 Clouston, Arabian Poetry for English readers, Glasgow, 1881
 Guyard, Théorie nouvelle de la métrique arabe précédée de Considération gén, sur le rythme naturel du langue J.A. 1876.
 Muir. Ancient Arabic Poetry; its genuinness & its Authenticity, J.R.A.S. 1879
 Noeldeke, Beitroege Zur Kenntness der Poesie der alten Araber, Hanover 1864.
 Slane, Le diwan d'Amrou 'L' Kais précédé de la vie de ce poète, Paris 1837.

Lyall, Translation of Ancient Arabic poetry, London 1887.

وهناك شرح للمعلقات بالعربية والفارسية والهندية اسمه رياض الفيض طبع في لاهور (الهند) سنة ١٢٩٩

١٠ - الخطابة في الجاهلية (*)

الخطابة تحتاج الى خيال وبلاغة ، ولذلك عددناها من قبيل الشعر أو هي شعر منشور ، وهو شعر منظوم ، لكل منهما موقفه . . فالخطابة تحتاج الى الحماسة ، ويغلب تأثيرها في أبناء عصر الفروسية واصحاب النفوس الالية طلاب الاستقلال والحرية مما لا يشترط في الشعر . ولذلك تشابهت جاهلية العرب وجاهلية اليونان من هذا الوجه ، لان كليهما اهل شعر وخطابة واهل اباء واستقلال . ولذلك أيضا كانت الخطابة رائجة عند الرومان مع تأخر الشعر عندهم . ولنفس هذا السبب قصر العبرانيون في الخطابة مع تقدمهم في الشعر لغلبة الذل والضعف على طباعهم ، فتحول خيالهم الشعري الى الشكوى والتضرع وانصرفت قرائحهم الى نظم المراثي والحكم

أما العرب فقد قضى عليهم الاقليم بالحرية والحماسة وهم ذوو نفوس حساسة مثل سائر اهل الخيال الشعري ، فأصبح للبلاغة وقع شديد في نفوسهم . . فالعبارة البليغة تقعدهم أو تقيمهم بما تثيره في خواطرهم من النخوة . واقتضت المنازعات بينهم أن يتفاخروا ويتنافروا ، فاحتساجوا الى الخطابة في الاقناع وتأليف الاحزاب ، وان غلب في موضوعات خطبهم المفاخرة بالاحساب والآداب في المجالس والاندية العمومية والخصوصية . وكانوا يخطبون وعليهم العمائم ، وهم وقوف في أيديهم المخاصر ، ويعتمدون على الأرض بالقسي ويشيرون بالعصى والقنا ، وقد يخطبون وهم جلوس

(*) أنظر في الخطابة الجاهلية كتاب في الادب الجاهلي لطلح حسين ، وتاريخ الادب العربية لثالبينو وتطور الاساليب النثرية لانيس المقدسي ، وكتابنا « الفن ومذاهبه في النثر العربي » وكلمة خطيب في دائرة المعارف الاسلامية

على رواحلهم (١) . ومما يدل على تشابه الشعر والخطابة ان الغالب في الشعراء ان يخطبوا والخطباء ان ينظموا ، فيكون الواحد شاعرا وخطيبا . . . فاذا غلب عليه الشعر سموه شاعرا او الخطابة سموه خطيبا . والقبائل التي كثر خطباؤها هي غالبا التي كثر شعراؤها . ومن اقوالهم في تاريخ الشعر والخطابة ، ان عبد القيس بعد محاربة اباد تفرقوا فرقتين . فرقة وقعت بعمان وشق عمان وفيهم خطباء العرب ، وفرقة وقعت الى البحرين وشق البحرين وهم من اشعر القبائل ، ولم يكونوا كذلك حين كانوا في سرا البادية وفي معدن الفصاحة (٢) ويدل ذلك على نتائج احتكاك الافكار عند الاختلاط بالاعاجم . ولهذا السبب كثر الخطباء ايضا في اليمن لاختلاطهم بالفرس ، وكان الفرس اهل خطابة مثل العرب

موضوعات الخطب

وكان العرب يخطبون بعبارة بليغة فصيحة وهم اميون لا يقرأون ولا يكتبون ، وانما كانت الخطابة فيهم قريحة مثل الشعر . وكانوا يدربون فتياتهم عليها من حدائتهم (٣) لاحتياجهم الى الخطباء في ايفاد الوفود مثل حاجتهم الى الشعراء في حفظ الانساب والدفاع عن الاعراض . ولسكنهم كانوا يقدمون الشاعر على الخطيب في الجاهلية ، ولما جاء الاسلام صار الخطيب مقدما لحاجتهم اليه في الاقناع وجمع كلمة الاحزاب . ولكن نظرا لحاجة العرب الى الخطباء في الوفود ، فقد كان خطيب القبيلة عندهم عميدها وزعيمها ، وهو واحد يعدل قبيلة ولسان يعرب عن السنة

اما ايفاد الوفود فقد كان شائعا في تلك العصور ، فكانت دول الروم والهند والصين والفرس يتبادلون الوفود لمبادلة العلاقات او للمفاخرة . ولم يكن للعرب دول تستوفد من قبلها ، ولكن المناذرة ملوك العرب في العراق نانوا يذكرون فصاحة العرب بين يدي الاكاسرة وخصوصا كسرى انوشروان فكان يميل الى مشاهدتهم . . فاتفق مرة ان النعمان خاطبه في ذلك ، فطلب اليه ان يريه واحدا منهم فاستقدم جماعة من خطباء العرب اختار من كل قبيلة اثنين او ثلاثة هم بالحقيقة حكماؤها ووجهائها ، ومنهم اكثم ابن صيفي ، وحاجب بن زرارة من قبيلة تميم ، والحارث بن ظالم ، وقيس ابن مسعود من قبيلة بكر ، وخالد بن جعفر ، وعلقمة بن علاثة ، وعامر ابن الطفيل من بني عامر ، وغيرهم . فقدموا على كسرى ، وخطب كل منهم بين يديه خطابا ذكره ابن عبد ربه مفصلا في الجزء الثالث من العقد الفريد (*)

على ان عرب اليمن وشرقي جزيرة العرب كانوا يقدمون على كسرى

(١) البيان والتبيين ٢٠ ج ٢ و ١٢٩ ج ١

(٢) البيان والتبيين ٥٨ و ٩٨ ج ١

(٣) البيان ٤٢ ج ١

(*) المظنون ان وفود العرب على كسرى وخطابتهم بين يديه على هذا النحو الذي رواه ابن عبد ربه في العقد الفريد من خيال القصاص

للسكوى من عماله هناك ، وكان غيرهم من العرب يقدون عليه بالهدايا من الخيل ونحوها على سبيل الاستجداء كما فعل ابو سفيان والد معاوية .
 وكانوا يقدون على الامراء من العرب وغيرهم كوفود حسان بن ثابت .
 على النعمان بن المنذر بالحيرة وعلى آل جفنة في البلقاء . ووفود وجهاء قريش على سيف بن ذي يزن في اليمن بعد انتصاره على الحبشة . . وفدوا عليه للتهنئة بالنصر ، وكان في جملة خطباء ذلك الوفد عبد المطلب جد النبي .
 ومن هذا القبيل وفود القبائل على النبي بعد ان استتب له الامر ، فقد جاءه من كل قبيلة وجهاتها وخيرة بلغائها للدخول في الاسلام او للاستفهام او غير ذلك . ومن هذا القبيل ايضا وفود العرب على الخلفاء للتسليم والتهنئة . . كوفود جبلة بن الايهم ، وعمرو بن معدى كرب على عمر بن الخطاب ، ووفود اهل اليمامة على ابي بكر وغيرهم مما يطول شرحه

الخطباء

وجملة القول ان الخطباء كانوا كثيرين في النهضة الجاهلية كالشعراء ، والغالب فيهم ان يكونوا امراء القبائل او وجهاءها او حكماءها . وكان لكل قبيلة خطيب او اكثر كما كان لها شاعر او اكثر . واشهر خطباء الجاهلية قيس بن ساعدة من بني اباد وقد ادركه الرسول فرآه في سوق عكاظ على جمل احمر ، وهو يقول في خطابه : « ايها الناس اجتمعوا فاسمعوا وعوا ، من عاش مات ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت » (١) وقد تقدم ذكره بين الشعراء

ومنهم سحبان وائل الباهلي الذي يضرب المثل بفصاحته ، فيقال : « هو اخطب من سحبان وائل » وكان اذا خطب يسيل عرقا ولا يعيد كلمة ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ . ومنهم جماعة كبيرة من حمير كدويد ابن زيد ، وزهير بن جناب . ومرثد الخير ، وغيرهم من سائر القبائل كالحارث بن كعب المذحجي ، وقيس بن زهير العبسي ، وذى الاصبع النعدواني ، واكثم بن صيفي التميمي ، وعمرو بن كلثوم ، وغيرهم

وكانوا يتخيرون في خطبهم الالفاظ الرقيقة والمعاني المألوفة . وكانت خطبهم على ضربين : الطوال ، والقصار . والقصار اكثر عددا لانهم كانوا يفضلونها لسهولة حفظها . وكانوا لشدة عنايتهم بالخطب يتوارثونها ويتناقلونها في الاعقاب ويسمونها بأسماء خاصة كالعجوز ، خطبة لال رقية ، والعدراء خطبة قيس بن خارجة ، والشوهاء خطبة سحبان (٢)

وتجد امثلة من خطب الجاهلية او اثناء الفتوح في كتب الادب ، ولا سيما العقد الفريد لابن عبد ربه ، والبيان والتبيين للجاحظ ، والافغانى ونهج البلاغة (خطب على) وفي كتب المغازي والفتوح كفتوح الشام لابي اسماعيل البصري ، وفتوح الشام للواقدي ، وفتوح البلدان للبلاذري ، والسير النبوية لابن هشام ، وتاريخ الطبري ، وابن الاثير ، وغيرها

١١ - الانساب في الجاهلية (*)

للانساب في عصور الجاهلية عند الأمم القديمة شأن كبير ، اذ يكون للناس عناية عظمى في حفظ انسابهم للتناصر على الأعداء أو للتفاخر بالآباء . وقد بالغ اليونان في ذلك حتى حفظوا انساب آلهتهم وكيفية تسلسلها بعضها من بعض ، ثم نسبوا انفسهم اليها فلم يكن في جاهلية اليونان اسرة كبيرة من الاشراف ورجال السلطان الا وحبل نسبها يتصل ببعض تلك الالهة . وقد نظم بعضهم الاشعار للتفاخر بذلك قبل المسيح ببضعة قرون . وكذلك كان الرومان في اقدم أجيالهم . . فالتبقة التي تعرف عندهم بالبطارقة ، كانوا يدعون الانتساب الى آباء أعلى طبقة من البشر

نسب العرب

العرب العدنانيون من حيث انسابهم يرجعون في أصل آبائهم الاولين الى اسماعيل بن ابراهيم ، والقحطانيون ينتسبون الى يقطان بن عابر . وقد زادت عناية العرب بالانساب رغبة في التناصر على الغرباء . وقد رتب انساب العرب في ست مراتب او طبقات ، اولها : الشعب ، ثم القبيلة ، فالعمارة ، فالبطن ، فالفخذ ، والفصيصة . فالشعب هو النسب الأبعد مثل عدنان وقحطان ، ثم القبيلة وهي ما انقسمت فيها انساب الشعب مثل ربعة ومضر ، ثم العمارة وهي ما انقسمت فيها انساب القبائل مثل قريش وكنانة ، ثم البطن وهو ما انقسمت فيه أنساب العمارة مثل بني عبد مناف ، وبني مخزوم ، ثم الفخذ وهو ما انقسمت اليه انساب البطن مثل بني هاشم ، وبني أمية ، ثم الفصيصة مثل بني ابي طالب ، وبني العباس (١) وبالعرب في الرجوع الى الاجداد حتى رجعوا بأسماء المدن الى أسماء بعض اجدادهم . والغالب ان ينتهي النسب بأحد آباء التوراة . . فاذا سئل احدهم مثلاً عن الاندلس من بناها ، قال : « بناها اندلس بن يافث بن نوح » (٢) وكان النسابون يحفظون أسماء القبائل وما يتفرع منها حفظاً دقيقاً ، فاذا عرض لهم رجل فقال : انا من بني تميم مثلاً انسبني ، فانه يبدأ من قبيلة تميم وما تفرع منها من العماثر والبطون والافخاذ حتى ينتهي الى الفصيصة ، ومنها الى والد السائل او اليه هو نفسه وكثر النسابون في الجاهلية ، ولم تخل قبيلة او عمارة او بطن من نسابة . ومن اشهرهم دغفل السدوسي من بني شيبان ، وعميرة ابو ضمضم ، وابن لسان الحمرة من بني تيم اللات ، وزيد بن الكيس النمرى ، والنخار بن أوس القضاعى ، وصعصعة بن صوحان ، وعبد الله بن عبد الحجر بن عبد المدان وغيرهم (٣) ، وظل النسب محفوظاً في صدر الاسلام ، واشتهر كثير من النسابين ، فلما آلت الدولة الى الموالى والمصطنعين صار الناس ينتسبون الى مواليتهم ومصطنعتهم

(*) انظر في الانساب كتاب دراسات اسلامية لجولدسهر جزء اول ص ١٧٧ وتاريخ العرب قبل الاسلام لجواد على جزء رابع ومصادره

(٢) ابن خلكان ١٤ ج ١

(١) الماوردي : الاحكام السلطانية ١٩٤

(٣) بلوغ العرب ١٩٦ ج ٢ والبيان ١١٨ ج ١

١٢ - الاخبار او التاريخ في الجاهلية

لم يكن عند عرب الجاهلية تاريخ من قبيل ما نفهمه من هذه الكلمة اليوم ، ولكنهم كانوا يتناقلون اخبارا متفرقة بعضها حدث في بلادهم والبعض الآخر نقله اليهم الذين عاشروهم من الامم الاخرى (*) . فمن امثال اخبارهم حروب القبائل المعروفة بأيام العرب ، وقصة سد مأرب واستيلاء ابي كرب تبارك اسعد على اليمن وبعض من خلفه ، وملك ذي نواس ، وقصة اصحاب الاخدود وفتح الحبشة لليمن ، وقصة اصحاب الفيل وقدومهم الى الكعبة وحرب ذي يزن الحميري الى آخر ما انتهى اليه امر الفرس في اليمن ، وقصة عمرو بن لحي واصنام العرب وحكاية جرهم ودفن التماثيل في زمزم ، وتاريخ الكعبة الى ايام قصي بن كلاب ، وولاية الحج وامر عامر بن الظرب ، ثم ما كان من تغلب قصي على امر مكة ، وقصة حلف المطيبين وحلف الفضول وحفر بشر زمزم وحرب الفجار وحديث بنيان الكعبة .. غير اخبار عاد وثمود وغيرهما من العرب البائدة ، وحكاية بلقيس وسليمان ونحوهما من اخبار التوراة وغير ذلك من الاخبار التي كان العرب يتناقلونها عند ظهور الاسلام

١٣ - الاسواق ومجالس الادب في الجاهلية

١ - اسواق العرب

السوق مكان يجتمع فيه اهل البلاد او القرى في اوقات معينة ، يتبايعون ويتداولون ويتقايضون . ولا تزال امثال هذه الاسواق تقام الى اليوم في القرى او في البلاد البعيدة عن التمدن الحديث ، على ان في بعض المدن الكبرى كالقاهرة مثلا اسواقا تنعقد في بعض ايام الاسبوع وتعرف بها ، كسوق السبت او السبئية وسوق الثلاثاء او الاربعاء .. فيجتمع اليها الناس من الضواحي للبيع والشراء

ومن هذه الاسواق ما ينعقد كل اسبوع ، ومنها ما لا ينعقد الا مرة في الشهر او في السنة ، ومنها ما ينعقد مرة في بضع سنين . فان للهنود سوقا يقيمونها في هردوار على ضفاف الكنج كل سنة ، ويبلغ عدد المجتمعين هناك في الموسم ٣٠٠٠٠٠ نفس . وقيمون في ذلك المكان حجا مرة كل ١٢ سنة ، يبلغ عدد الحاجين اليه نحو مليون نفس ، وهو اكبر اسواق العالم . وامثال هذه الاسواق كثيرة في روسيا وتركيا والمانيا وفرنسا وانجلترا وأمريكا . ففي روسيا سوق تقام في مدينة نوفكروود مرتين

(*) أكثر ما تداوله العرب عن الجاهلية الاولى لبلادهم يعد من قبيل الاساطير ، وقد استطاع المستشرقون في العصر الحديث أن يكتبوا تاريخ العرب كتابة علمية ، تعتمد على النقوش التي وجدوها منشورة في اليمن وفي الشمال ، كما تعتمد على التوراة والكتب العبرانية والسوربانية واليونانية والرومانية . وبذلك دونوا التاريخ الجاهلي ندوينا صحيحا . انظر في ذلك تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي ، الفصل الاول من الجزء الاول

فى السنة ، يبلغ عدد الذين يؤمنونها ١٢٠٠٠ نفس يجتمعون هناك من سائر بلاد روسيا ومن شرقى أوربا . ويقدرّون قيمة ما يباع من البضائع فى أسواق روسيا بنحو ١٢٠٠٠٠٠٠ روبل فى العام ، وقس على ذلك سائر الأسواق الكبرى

وقد كان كثير من أمثال هذه الأسواق فى العالم القديم ، ولكن الأقوام لا تتزاحم فيها الا اذا كان الغرض من الاجتماع حجا دينيا . فاذا اجتمع الناس فى مكان الحج وتكاثروا ، احتاجوا الى من يبيعهم الاطعمة والاشربة وغيرها فتقام الأسواق لهذه الغاية ، كذلك كان شأن العرب فى سوق عكاظ وغيرها من أسواق الجاهلية

وكان للعرب فى الجاهلية أسواق يقيمونها فى أشهر السنة ، وينتقلون من أحداها الى الأخرى . . يحضرها العرب من قرب منهم ومن بعد ، فاذا فرغوا من سوق انتقلوا الى سواها . فكانوا ينزلون دومة الجندل فى أعلى نجد أول يوم من شهر ربيع الأول ، فيقيمون فيها الأسواق للبيع والشراء والاخذ والعطاء ثم ينتقلون الى سوق هجر . . فيقيمون هناك شمسها ويرتحلون منها الى عمان حيث يقيمون سوقا ثم يرتحلون الى حضرموت فعدن ، وبعضهم ينزل صنعاء فيقيمون بعض أسواقهم ثم يرتحلون الى عكاظ فى الأشهر الحرام . وكانت لهم أسواق أخرى فى صحار والشحر والمجنة وحباشة والمشقر وغيرها (١)

وأشهر أسواق عرب الجاهلية سوق عكاظ، وهى مكان بين الطائف ونخلة، صحراء مستوية لا علم فيها ولا جبل الا ما كان من الانصاب التى كانت لاهل الجاهلية ، وبها من دماء البدن ، كالارحاء العظام (٢) . . فكانت العرب اذا قصدت الحج اقامت بهذه السوق من أول ذى القعدة ، يبيعون ويشتررون، الى عشرين منه ، ثم يتوجهون الى مكة فيقضون مناسك الحج ثم يعودون الى أوطانهم . وكان كل شريف انما يحضر سوق بلده الا سوق عكاظ ، فانهم كانوا يتوافدون اليها من كل ناحية ، ومن كان له أسير سعى فى فدائه هناك ، ومن كانت له حكومة ارتفع الى الذى يقوم بأمر الحكومة فى ايام الموسم وهم أناس من تميم . ومن كان له ثار على أحد ولم يعرف مكانه ، طلبه فى المواسم . . واذا أراد أحد ان يعمل عملا تعرفه العرب او يشهدا فيه ، عمله فى عكاظ (٣) واذا أراد أن يفاخر احدا على مشهد من الناس فاخره هناك . وكانوا يتفاخرون حتى فى المصائب ، كما تقدم عن معاذمة الخنساء وهند بنت عتبة

ويهمنا فى هذا المقام ان العرب كانوا يفتنمون وقت المواسم واجتماع القبائل وقيمون مجالس للبحث فى كل موضوع كالمناشدة والمفاخرة ، فينشد الشعراء ويخطب الخطباء . . فيختارون كبيرا من وجهائهم يجعلونه حكما فيا يختلفون فيه . وكان النابغة الذبياني اذا أتى سوق عكاظ فى الموسم

ضربوا له قبة حمراء من ادم ، وتأتيه الشعراء فتعرض عليه اشعارها (١) ليحكم فيها . ويقال انهم كانوا اذا اعجبته قصيدة علقوها في الكعبة ، ومنها المعلقات السبع

وشأن العرب في ذلك شأن اليونان القدماء في الجمناسيوم ، وهي ابنية كانوا يجتمعون فيها للالعاب البدنية وفيهم الفلاسفة والعلماء .. فكانوا يفتنمون فرصة وجودهم هناك ويتباحثون ويتناظرون ويتنافرون كما كان يفعل العرب في عكاظ (٢) . ولا يخفى ما في ذلك من تمحيص الحقائق واستحثاث القرائح ، فضلا عما كان يترتب على ذلك الاجتماع من تنقيح اللغة ونموها .. فان قريشا كانوا يسمعون لغات القبائل في اثناء تلك الاجتماعات ، فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به ، فصاروا افصح العرب ، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستقبح الالفاظ كالكشكشة والكسكسة والعنينة والفحفحة والوكم والوهم والعججة والاستنطاء وغير ذلك من العيوب في لغات الامم الاخرى (٣)

٢ - مجالس الادب

وكان للعرب مجالس يجتمعون فيها لمناشدة الاشعار ومبادلة الاخبار والبحث في بعض شؤونهم العامة . وكانوا يسمون تلك المجالس الاندية ، ومنها نادى قريش ودار الندوة بجوار الكعبة . وكان لكل بيت فناء بين يديه للاجتماع (٤) ، ولكل قوم مجتمع عام في المضارب (٥) ، على انهم كانوا حينما اجتمعوا تناشدوا وتفاخروا

وتجد اخبار اسواق العرب واماكنها في جملة التاريخ الجاهلي . وفي كتب الاقاليم والمعاجم الجغرافية ، وخصوصا معجم البلدان لياقوت الحموي ، ومعجم ما استعجم للبكري ، وصفة جزيرة العرب للهمداني ، وكلها مطبوعة . فضلا عما جاء من اخبارها في الاغانى ٩ ج ١ و ٦١ ج ٢ و ٢٢ و ١١٠ و ١٣٦ ج ٤ و ٩٢ ج ٦ و ٤٦ ج ٧ و ١٠ ج ٩ و ١٢ و ٢٩ و ١٤٨ ج ١٠ و ٥٤ ج ١٢ و ١٤١ ج ١٣ و ٤١ ج ١٤ و ٧٣ ج ١٩ وفي السير النبوية وغيرها (*)

(٢) Lit. Gr. 132

(٤) الاغانى ٥٢ ج ٢

(١) الشعر والشعراء ١٩٧

(٣) الزهر ١٠٩ ج ١

(٥) ١٢٩ ج ١١

(*) انظر أيضا في اسواق العرب تاريخ يعقوب « طبع ليدن » ج ١ ص ٢١٢ وما بعدها ، والحبر لابن حبيب « طبع حيدر اباد » ص ٢٦٣ وما بعدها

العلوم الطبيعية

١ - الطب

الطب من جملة العلوم التي اشتهر بها الكلدان كهنة بابل ، ويقال انهم اول من بحث في علاج الامراض . . فكانوا يضعون مرضاهم في الازقة ومعابر الطرق حتى اذا مر بهم احد اصيب بذلك الداء اخبرهم بسبب شفائه ، فيكتبون ذلك على الواح يعلقونها في الهياكل . ولذلك كان التطبيب عندهم من جملة اعمال الكهان . وعن الكلدان اخذت سائر الامم القديمة ، وفي جملتها العرب . وهو متشابه عند الامم ، في مصر وفينيقية واشور . وكان لمصر شأن خاص فيه . ثم تناوله اليونان فأتقنوه ورتبوا أبوابه ، وعنهم أخذ الرومان والفرس . ونظرا لمعاصرة العرب لهذه الدول فقد اقتبسوا شيئا من طبها اضافوه الى ما جاءهم به الكلدان ، والى ما استنبطوه من عند انفسهم بالاختبار . فتألف من ذلك ما عبرنا عنه بالطب في الجاهلية . ولا يزال كثير منه الى اليوم في قبائل البادية . وكان للتطبيب عندهم طريقتان : الاولى طريقة الكهان والعرافين ، والثانية طريقة العلاج الحقيقية . فالكهان كانوا يعالجون بالرقى والسحر او بذبح الذبائح في الكعبة والدعاء فيها او بالتعزيم او نحو ذلك

وكان التطبيب بالرقى شائعا في الامم القديمة كلها ، وقد وجدوا في الآثار المصرية كثيرا من العزائم التي كانوا يصفونها لمعالجة المرضى . وجاء في اخبارهم ان كاهنهم كان اذا سار لمعالجة مريض صحبه خادمان أحدهما يحمل كتاب العزائم ، والثاني يحمل صندوق العقاقير الطبية وهم يعالجون بالاثنتين معا . وكانوا يوجهون كلامهم في العزيمة او الرقية الى حد آلهتهم وخصوصا ايزيس وأوزيريس ورع ، ولهم عبارات يقولونها عند وضع الادوية وعند تناولتها للمريض . فمن امثلة العزائم التي كانوا يتلونها عند تناول الدواء : « هذا هو كتاب الشفاء لكل مريض ، فهل لايزيس ان تشفيني كما شفت حوريس من كل ألم أصابه من ست حينما قتل أباه أوزيريس ؟ فيا ايزيس انت الساحرة الكبيرة اشفيني وخلصيني من كل شيء مكدر ردىء شيطاني ومن امراض اللبسة والامراض القاتلة والخبثية بأنواعها التي تعتريني كما خلصت ابنك حوريس ... » (١) وكان عندهم عزائم لاجراج الارواح الشريرة التي تسبب الامراض في زعمهم

فعلى هذه الكيفية كان العرب يتلون العزائم لاصنامهم ويرقون لاجراج الجن او الشياطين . وكان اعتقادهم من هذا القبيل انهم اذا خافوا وباء نهقوا نهيق الحمير ، يزعمون ان ذلك يمنعهم من الوباء وان شرب دماء الملوك يشفى من الخبل

واما معالجتهم بالعقاقير فشيبة بما كان عند المصريين وغيرهم من الامم القديمة ، فقد كانوا يعالجون بالعقاقير البسيطة او الاشربة وخصوصا العسل . . فانه كان قاعدة العلاج فى امراض البطن ، على ان اعتمادهم فى معالجة الامراض كان معظمه عائدا الى الجراحة كالجمامة والكى . ومن اقوالهم : كل داء يحسم بالكى آخر الامر . . وآخر الطب الكى . . وكثيرا ما كانوا يعالجون بالقطع او البتر ، والغالب ان يكون ذلك بالنار . . فان النار عندهم كانت تقوم مقام مضادات الفساد عندنا . فاذا ارادوا فصل عضو حموا شفرة بالنار وقطعوه بها كما فعلوا بصخر بن عمرو اخى الخنساء لما نتأت قطعة من جوفه مثل الكبد على أنر طعنة ، فاحموا له شفرة وقطعوها (١) وكانوا يعالجون الحول فى البصر بادامة النظر الى حجر الرحى فى دورانه ، ويزعمون ان العين تستقيم به . ومن معالجتهم التى نعلها اليوم خرافة ان المجروح اذا شرب الماء مات (٢) واذا خافت المرأة حتى يرد قلبها سقوها ماء حارا (٣)

٢ - الاطباء

واما الاطباء فقد كانوا فى اول الامر من الكهنة ، ثم تعاطى الطب جماعة العرب ممن خالطوا الروم والفرس ، واخذوا الطب عنهم ، فاشتهروا بهذه الصناعة واكثرهم من اهل النهضة الاخيرة قبل الاسلام حوالى القرن السادس للميلاد . . على ان بعضهم اقدم من ذلك كثيرا ، واقدم اطبايهم لقمان وهو حكيمهم وفيلسوفهم . وفى اصله وزمن وجوده اختلاف . يليه رجل من تيم الرباب يقال له ابن حزيم ويضربون به المثل بالحدق فى الطب ، فيقولون لمن ارادوا وصفه بذلك : « اطب من ابن حزيم » وفيه يقول اوس بن حجر :

فهل لكم فيها إلى فاتنى بصير^١ بما أعيا^٢ النطاسي^٣ حزيما

ومن احدث اطباء الجاهلية الحارث بن كلدة ، توفى سنة ١٣ للهجرة . وهو من بنى ثقيف من اهل الطائف ، رحل الى ارض فارس واخذ الطب من جنديسابور وتعاطى صناعة الطب هناك واكتسب مالا ثم عاد الى بلاده واقام فى الطائف . ونال شهرة واسعة وقد ادرك الاسلام ، وكان الرسول يأمر من كان به علة ان ياتيه فيستوصفه . ومنهم ابن ابى رومية التميمي والنضر بن الحارث بن كلدة

وأكثر هؤلاء الأطباء ثقفوا الطب من بلاد الفرس أو الروم ، وبعضهم أخذوا عن الكهان أو الاحبار من الاديان ونحوها . وربما أخذوا عنهم شيئا من الفلسفة القديمة كما فعل النضر المذكور . والظاهر ان بعضهم كان يخصص نفسه للأعمال الجراحية فيغلب عليه لقب الجراح ، وأشهر جراحى الجاهلية ابن أبى رومية التميمى المتقدم ذكره ، فقد كان جراحا مزاولا لأعمال اليد

ويؤخذ مما حوته اللغة العربية قبل الاسلام من أسماء العلل والأمراض والعقاقير ، ان العرب عرفوا كثيرا من الأمراض ومعالجتها (*) وناهيك بما عرفوه وتوسعوا فيه من احوال الاعضاء وأوصافها وهو من قبيل علم التشريح ، وهم يعبرون عنه بخلق الانسان . وقد ألف أدباء المسلمين كتباً كثيرة في هذا الموضوع نقلا عن العرب سيأتى ذكرها بين مؤلفات اهل اللغة . والتأمل فيما حوته من أسماء الاعضاء وأوصافها يتبين له ان أولئك الجاهليين كانوا على معرفة بتشريح الاعضاء ، لان عندهم لكل عضو اسما ووصفا من الرأس وما يتركب منه وما له من الصفات ، الى الشعر وأقسامه وألوانه . . فالاذن وما تتركب منه وأقسامها . . فالوجه وما تتركب منه . . فالحاجب وانواعه وما يحمد منه وما يذم . . والعين واصنافها وطبقاتها ومجارى دمعها ، وغير ذلك مما اشتملت عليه . والانف وما تتركب منه وبيان أقسامه . والفم وما تتركب منه . والاسنان وعددها وأسماء اصنافها واجزائها ومنابتها . واللسان وما اشتمل عليه من الاجزاء والعظام التى فى اسفله . والحلق وبيان ما فيه من اللغزاد والحنجرة والغصنة والبلعوم والحلقوم . واللحيتين ، وبيان محلها وأسماء ما تتركب منه . واللحية وأسماء اجزائها واقسامها والوانها وسائر اوصافها . والعنق وما تتركب منه . والمنكب والكتف وما اشتملا عليه . واليد وما تتركب منه من العظام والاعصاب والعضلات والعروق ، وما وضع لذلك من الاسماء . والاصابع واسماؤها واجزاؤها . والظفر واقسامه واسماؤه . والصدر وما تتركب منه . والجنبان وعدد اضلاعهما ، واسمائهما ، وما يلحق ذلك . والبطن وما حوى ، وكذلك سائر الاعضاء . وقد توسعوا فى بعضها حتى وضعوا لكل عضو عدة أسماء وتجد نتفا من الطب الجاهلى فى العقد الفريد والاغنى والكشكول وحياة الحيوان وسواها من كتب الادب وغيرها ، ويستخرج شئ كثير من أشعارهم

(*) ينبغى الا نبالغ فى معرفة عرب الجاهلية بالطب ، فان ما كان عندهم من ذلك لا يتجاوز ملاحظات أولية بسيطة ، وفى ذلك يقول ابن خلدون فى مقدمته : « للبادية من اهل العمران طب يبنونه فى غالب الامر على تجربة قاصرة على بعض الاشخاص ، متوارثة من مشايخ الحى ومجائزه ، وربما يصح منه البعض ، الا انه ليس على قانون طبيعى ولا على موافقة المزاج . وكان عند العرب من هذا الطب كثير ، وكان فيهم أطباء معروفون كالحارث بن كلدة وغيره »

٣ - البيطرة والخيول وعلوم طبيعية أخرى (*)

وكان للعرب معرفة حسنة في شئون الخيل وأحوالها لم يسبقهم اليها سواهم ، لعنايتهم بأفراسهم ويعبرون عنها بالبيطرة . ونبغ فيهم غير واحد من أطباء الحيوان ، منهم العاص بن وائل . وظلت هذه المعرفة تتناقل في أفراد منهم إلى اليوم ، وهم يجولون في البادية يعالجون الخيل معالجة الحاذقين . وروى عنهم الرواة في صدر الدولة العباسية ، ووضعوا الكتب فيما جمعوه من هذا العلم . وخصص الالوسي صاحب بلوغ الأرب فصلا في هذا الموضوع بالجزء الثالث من كتابه ، ذكر فيه كثيرا من عيوب الخيل وما يستحب منها نقلا عن كتاب الخيل لأبي عبدالله الاسكافي وقد ألف الأدباء كثيرا من الكتب في الخيل ، وهي ترمى إلى نحو هذا الغرض وتعد من كتب اللغة سيأتي ذكرها ومن المعارف الطبيعية التي توصلوا إليها :

أولا - استنباط الماء ويسمونه الريافة ، فانهم كانوا يعرفون وجود الماء في مكان بشم التراب أو برائحة بعض النباتات أو نحو ذلك

ثانيا - الاهتداء في البراري بأمارات يعرفونها بالآتربة أو بالنجوم
ثالثا - نزول الغيث وهو من قبيل الظواهر الجوية

رابعا - الملاحة وقد اضطروا إلى معرفتها لاسفارهم إلى الهند والحبشة للاتجار من عهد دول اليمن . ونجد أمثلة من معارفهم هذه في الجزء الثالث من كتاب بلوغ الأرب في أحوال العرب للالوسي ، وهو المطبوع في بغداد سنة ١٣١٤

٤ - الانواء ومهاب الرياح

ويراد بالانواء عندهم ما يقابل علم الظواهر الجوية عندنا مما يتعلق بالمطر والرياح ، ولكنهم كانوا ينسبون الظواهر المذكورة إلى طلوع الكواكب أو غروبها . ولذلك كان علم الانواء فرعاً من علم النجوم ، وكانوا يسمون طلوع المنزلة نوعاً أي نهوضها وسموا تأثير الطلوع بارحا وتأثير السقوط نوعاً . ومن طلوع كل واحدة منها إلى طلوع التي تليها ثلاثة عشر يوما سوى الجبهة ، فإن بين طلوعها وطلوع التي تليها ١٤ يوما . ومن أقوالهم في ذلك :

والدهر فاعلم كله أرباع لكل ربع واحد أسباع
وكل سبع لطلوع كوكب ونوع نجم ساقط في المغرب

(*) انظر أيضا البيطرة عند الاعراب في مجلة المشرق ج أول عام ١٨٩٨ للاب انستاس الكرملي . ويظن هل G. Heil كاتب مادة بيطرة في دائرة المعارف الاسلامية أنه كان في مصر الجاهلي بباطرة جوالون ، نزحوا من الامبراطورية البيزنطية وبلاد الشام إلى الجزيرة العربية

ومن طلوع كل نجم يطلع الى طلوع ما يليه أربع
من الليالي ثم تسع تتبع

ثم اختلفوا فيها ، فزعم بعضهم ان كل تأثير يكون بعد طلوع منزلة الى
طلوع التي تليها فهو منسوب اليها . وزعم آخرون ان لطلوع كل واحدة
وسقوطها مقدارا من الزمن ينسب اليها ما يكون فيه ، فاذا انقضت تلك المدة
لم ينسب اليها ما يكون بعدها . وكانوا اذا تحقق التأثير فلم يظهر منه
شيء في تلك الأزمدة قالوا : خوى النجم او خوت المنزلة يعنون بذلك انه
مضت مدة نوء ولم يكن فيه مطر او حر او برد او ريح (١) ومن امثالهم
« اخطأ نوؤك » يضرب لمن طلب حاجة فلم يقدر عليها (٢)

وكانوا اذا أمطرت السماء نسبوا المطر الى تأثير النجم المتسلط في ذلك
الوقت ، فيقولون مثلا مطرنا بنوء المجرة أو هذا نوء الخريف ومطرنا
بالشعري . وقالوا : ان النوء سقوط نجم ينزل في المغرب مع الفجر وطلوع
رقيبته في الشرق من أنجم المنازل ، ولذلك كانت الانواء ٢٨ نوءا أو نجما ،
كانوا يعتقدون أنها هي علة الامطار والرياح والحر والبرد . وفي أشعارهم
أمثلة كثيرة تدل على علاقة أحوال الجو أو فصول السنة باقتترانات الكواكب
أو طلوعها ، وقد نظموها شعرا ليسهل حفظها على الناس لقلة الكتابة
عندهم ، ومن ذلك قولهم :

إذا ما قارن القمر الثريا لثالثة فقد ذهب الشتاء
وقول الآخر :

إذا ما البدر تمَّ مع الثريا أذاك البرد أوله الشتاء
وقول الآخر :

إذا ما قارن الدبران يوما لأربع عشرة قمر التمام
فقد حَفَّ الشتاء بكل أرض فوارس مؤذات باحتمام
وحلَّتْ في السماء البدر حتى يقلَّص ظل أعمدة الخيام
وذلك في اتصاف الليل شطراً ويصفو الجو من كدر الغمام
وقول الآخر :

إذا ما هلال الشهر أول ليلة بدأ لعيون الناس بين النعائم (٣)
أتاك رياح القر من كل جهة وطاب قبيل الصبح كور العمام

(٢) مجمع الامثال للميداني ٢٠٢ ج ١

(١) الآثار الباقية للبيروني ٢٢٦
(٣) النعائم : من منازل القمر

وقول الآخر :

وقد برد الليلُ التمام بأهله وأصبحت العواءُ للشمس منزلاً (١)

وكان عندهم لمطلع كل كوكب أو منزل وصف يدل على تأثير ذلك في الطقس على اعتقادهم . ومن هذا القبيل اعتقادهم تأثير النجوم في أعمال البشر على ما كان عند الكلدان ، (٢) على أنهم كثيراً ما كانوا يستدلون على المطر أيضاً بالوان الفيوم وأشكالها فأقل الفيوم مطراً عندهم البيضاء ثم الحمراء ثم السوداء . ومن أقوالهم : « السحابة البيضاء جفل والحمراء عارض والسوداء هطلة » (٣) .

وكان العرب في حاجة الى معرفة مهاب الرياح للاهتداء في أسفارهم ، ولذلك فقد وضعوا لها الاسماء . . ولكنهم اختلفوا في عدد جهاتها فحسبها بعضهم ستة والبعض الآخر أربعة . فهي عند أصحاب القول الثاني : ١ - مهب الصبا من الشمال ٢ - مهب الشمال من الغرب ٣ - مهب الدبور من الجنوب ٤ - مهب الجنوب من المشرق . ويزيد عليها أصحاب القول الاول النكباء بجانب الشمال والمحوة بجانب الجنوب ، واليك قول ذي الرمة في ذلك : (*)

أهاضيب أنواءٍ وهيفان جرّاً على الدار أعترافَ الحبال الأعافرِ
وثالثة تهوى من الشام حرّ جَفَ لها سننٌ فوق الحصى بالأعاصرِ
ورابعة من مطلع الشمس أجفَلتْ عليها بدَقَعاءِ المعافقِ
فحسّتْ بها النكَبُ السوافي فأكثرن حنينَ اللقاحِ القارباتِ العواشرِ (٤)

وتجد امثلة من هذا الموضوع فيما يأتي ذكره من الكتب التي تبحث في الفلك

(١) البيروني ٢٢٧ . والعواء : من منازل الشمس والقمر

(٢) Rawlinsons Ancient Monarchies 111.425.

(٣) الميداني ١٠٩ ج ٧

(*) الغريب في هذه الابيات : اهاضيب : أمطار ، وهيفان . جمع هيف وهي الريح الحارة ، والحبال : الرمل ، واعرافها : أعاليها ، والأعافر : الحمر ، ثالثة : ريح شمال باردة ، حرجف شديدة ، سنن : طريق ، الأعاصر : جمع اعصار ، الرابعة هنا : الصبا ، أجفَلتْ ، تحركت وأسرعَتْ ، دَقَعاء : غبار ، والمعافق : موضعان ، النكَب : ريح تهب منحرفة ، السوافي : تسفى التراب ، اللقاح : التي ولدت ، القاربات : يريد من الماء ، العواشر : التي ترد العشر

(٤) البيروني ٢٤٠

العلوم الرياضية

١ - الفلك والنجوم

معظم هذه العلوم دُخِل على العرب ، اقتبسوه من الأمم الأخرى ممن هاجر اليهم وقام بين ظهرانيهم أو التقوا بهم في أسفارهم ، وأكثر أخذهم عن الكلدان . فقد أخذوا عنهم علم النجوم وتعلموا منهم مواقع الأبراج . ومناطقها ومنازل القمر والشمس . وربما كان لهم علم بشيء من أحكامها من عند أنفسهم أو مما وصل اليهم من طريق الهند أو غيرها . ولكن يقال بالاجمال ان العرب مدّنون بعلم النجوم للكلدان ، وهم يسمونهم الصابئة . والصابئة ان لم يكونوا الكلدان انفسهم ، فهم خلفاؤهم أو تلاميذهم . (١) وكان الصابئة كثيرين في بلاد العرب ، ولهم مثل منزلة النصاري ، فأخذ العرب عنهم علم النجوم باصطلاحاته وأسمائه ، وان كان معظم أسماء السيارات لا يرد الى أصله الكلداني . . . وربما كان له أسباب عارضة ضاعت أخبارها

على أن بعضها لا يزال أصله الكلداني ظاهرا فيه كالمرخ مثلا ، فانه يقابل « مرداخ » الكلدانية لفظا ومعنى . ولكن معظم تلك الأسماء قد ضاعت المشابهة اللفظية بينها ، وبقيت المشابهة المعنوية . فان « زحل » معناه في العربية الارتفاع والعلو ، وهي نفس دلالة « كاون » اسم هذا السيار في الكلدانية . وأما الأبراج ومنازل القمر فلا تزال كما كانت عند الكلدان لفظا ومعنى . واليك أسماء الأبراج عند كليهما :

اسمائها العربية	اسمائها الكلدانية	اسمائها العربية	اسمائها الكلدانية
الحمل أو الكبش	امرا	الميزان	ماسا
الثور	ثورا	العقرب	عقربا
الجوزاء أو التوامين	نامى	القوس أو الرامى	قشتا
السرطان	سرطان	الجدي	كديا
الأسد	أريا	الدلو	دولا
السنبلة	شيلنا	الحوت أو السمكة	تونا

وأما منازل القمر والشمس ، فقد تبدل بعض اسمائها على نحو ما أصاب السيارات . ولكن العبرة بالاكثـر في قواعد هذا العلم ومصطلحاته ، فإنها عند العرب كما كانت عند الكلدان تماما حتى لفظ « منازل القمر » و « منازل الشمس » فان هذا التعبير هو نفس ما كان يعبر به الكلدان عن هذه المنازل . وقد أبدلته الامم الاخرى التي اخذت هذا العلم عن الكلدان بتعبير آخر الا العرب والعبرانيين

ومعرفة العرب بالنجوم مشهورة ، فقد رأيت أنهم عرفوا السيارات والابراج ، وعرفوا عددا كبيرا من الثوابت . ولهم في ذلك مذهب يختلف عن مذاهب المنجمين في الامم الاخرى (١) . وفي قدم أسماء تلك النجوم في العربية دليل على قدم معرفة العرب بها وبمواقعها مثل : بنات نعش الكبرى والصغرى ، والسها ، والظباء ، والربيع ، والرابض ، والعوائذ ، والذئبين ، والنثرة ، والفرقد ، والقدر ، والراعى ، وكلب الراعى ، والاغنام ، والرامح ، والسماك ، وعصا الضياع ، وأولاد الضياع ، والسماك الرامح ، وحارس السماء ، والاظفار ، والفوارس ، والكف المخضب ، والخباء ، والعيوق ، والعنز ، والجديين ، وغيرها

أما منازل القمر ، فقد قسموها الى ثمانية وعشرين قسما خلافا لما كان عند الهنود فإنها ٢٧ قسما عندهم . وأراد العرب منها غير ما أراده أولئك ، اذ كان مرادهم منها معرفة احوال الهواء في الازمنة وحوادث الجو في فصول السنة ، لانهم كانوا أميين فلم تمكنهم معرفتها الا بشيء يعاين فأشاروا اليها بالكواكب كما رأيت في الكلام على الانواء . واليك أسماء منازل القمر في العربية وهي ٢٨ :

الثريا	الجبهة	الاكليل	سعد السعود
الدبران	الدبرة	القلب	سعد الاخبية
الهقعة	الصرفة	الشولة	الفرغ المقدم
الهنعة	العواء	النعام	الفرغ المؤخر
الذراع	السماك	البلدة	بطن الحوت
النثرة	الفقر	سعد الذابح	الشرطان
الطرف	الزبانيان	سعد بلع	البطين

وكان العرب اذا عهدوا المنازل بدأوا بالشرطين لاسباب تتعلق باقليمهم . وقد بالغ المتعصبون للعرب في صدر الدولة العباسية في براعة العرب في علم النجوم . ومن جملة المتعصبين ابن قتيبة ، فقد قال في كتابه « تفضيل العرب على العجم » ان العرب اعلم الامم بالكواكب ومطالعها ومساقطها (٢) . ومع اعترافنا بما في ذلك من المبالغة ، فاننا نستدل منه على توسع العرب في هذا العلم

(١) القزويني على هامش الديمري ٥٠ ج ١

(٢) البيروني ٢٢٨

ولا غرابة في اتقانهم معرفة النجوم ومواقعها ، فانها كانت دليـلهم في أسفارهم وأكثر احوالهم . . فكانوا اذا سألهم سائل عن الطريق المؤدى الى البلد الفلاني ، قالوا : « عليك بنجم كذا وكذا » فيسير في جهته حتى يجد المكان ، وربما استعانوا على ذلك أيضا بذكر مهاب الرياح يعبرون بها عن الجهات . ومن أمثلة ذلك ان سليك بن سعد سأل قيس بن مكشوح المرادي ان يصف له منازل قومه ثم يصف هو له منازل قومه ، فتوافقا وتعاهدا الا يتكاذبا ، فقال قيس بن مكشوح : « خذ بين مهب الجنوب والصبا ثم سر حتى لا تدري أين ظل الشجرة » فاذا انقطعت الميساء قسر اربعا حتى تبدو لك رملة وقف بينها الطريق . . فانك ترد على قومي مراد وخشم » فقال السليك : « خذ مطلع سهيل ويد الجوزاء اليسرى العاقد لها من أفق السماء ، فثم منازل قومي بني سعد بن زيد مناة » واشتهر في جاهلية العرب في اتقان علم النجوم جماعة منهم : بنو مارية بن كلب ، وبنو مرة بن همام الشيباني (١)

وقد ألف الادباء في صدر الاسلام كتباً في الانواء ضاعت . وتجد أشياء متفرقة في كتاب الآثار الباقية للبيروني ، والامثال للميسداني ، وعجائب المخلوقات للقزويني ، وحياة الحيوان للدميري (*) ، وكلها مطبوع ومتداول

٢ - الميثولوجيا

ومما يلحق بعلم النجوم أيضا ما يعبر عنه الافرنج بالميثولوجيا ، وهي عبارة عما كانوا يزعمون وقوعه بين الكواكب ، وهي الالهة عندهم ، من الحروب او الزواج او نحو ذلك ، من حوادث البشر على نحو ما ذكروه عن آلهة اليونان . . فالعرب ألّـهوا الاجرام وعبدوها ، وقد ضاع خبر ذلك لعدم تدوينه (**). على أننا نستدل عليه من بعض ما وصل اليـنا من أسماء أصنامهم وعبادة بعض رجالهم . فاللات اسم للزهرة ، وقد اشتهر كثيرون بعبادتها وعبادة الشمس والقمر والشعري . وكانوا يتناظرون في أفضلية بعضها على بعض ، قالوا : « وابو كبشة اول من عبد الشعري ، وكان يقول الشعري تقطع السماء عرضا ، ولا أرى في السماء شمسا ولا قمرا ولا نجما يقطع السماء عرضا غيرها » (٢)

أما تشخيص تلك الاجرام وانزالها منزلة البشر ، فقد كان معروفا عند العرب . ومن الاقاصيص الميثولوجية التي كانوا يتناقلونها أن الدبران خطب الشربا وأراد القمر أن يزوجه بها ، فأبت عليه وولت عنه وقالت للقمر : « ما اصنع بهذا السبروت الذي لا مال له ؟ » ، فجمع الدبران قلاصة يتمول بها فهو يتبعها حيث توجهت يسوق صداقها قدامه يعنون القلاص .

(١) البيروني ٢٤١

(*) انظر في المعارف الفلكية عند عرب الجاهلية ، كتاب علم الفلك عند العرب لنالينو ودائرة المعارف الاسلامية ، ومقدمة ابن خلدون

(**) انظر في ذلك جواد على ج ٥ ص ١٢٠ و ص ٢١٧ وما بعدهما

(٢) الخميس ٦٥ ج ١

وان الجدى قتل نعشا فبناته تدور به تريده . وان سهيلا ركض الجوزاء
فركضته برجلها فطرحته حيث هو وضربها هو بالسيف فقطع وسطها .
وان الشعرى اليمانية كانت مع الشعرى الشامية ففارقتهما وعبرت المجرة
فسميت الشعرى العبور ، فلما رأت الشعرى اليمانية فراقها اياها بكت
عليها حتى غمضت عينها فسميت الشعرى الغميصاء (١)
ومن هذا القبيل تأليفهم بعض المشاهير من الملوك او القواد او الاسلاف
واعتبار البعض الاخر من نتاج الملائكة او الجان . . فعندهم مثلا ان بلقيس
كانت امها جنية وان جرهما كان من نتاج الملائكة وبنات آدم . وكذلك كان
ذو القرنين عندهم امة آدمية وابوه من الملائكة (٢) ، وأما أصل هذه
الاعتقادات فاما هندی أو يوناني أو مصري . . اما الكلدان فقلما كانت لهم عناية
بأمثال ذلك

٣ - التوقيت

كان العرب يؤرخون بكل عام فيه أمر مشهور . وأشهر الحوادث التي
وصلت الينا أخبارها مما أرخوا بها عام القيل ، أى هجوم الاحباش على
مكة . وكان ذلك سنة ٣٨ من ملك كسرى أنو شروان . وأرخت قریش
بموت هشام بن المغيرة المخزومي . وكان عندهم تاريخ يسمى « زمن
الفتح » وهو أقدم ازمنتهم ، وفيه أقوال لا محل لها هنا (٣)
وكانت سنتها قمرية واشهرها ١٢ شهرا كما هي الان ، وكانوا يكبسون
أى يزيدون اباما كل سنة حتى تبقى النسبة محفوظة بين شهورهم وتوالى
الفصول . ولهم فى الكبس طريقة ذكرها البيرونى قال : (*)

« وكذلك كانت العرب تفعل فى جاهليتها فينظرون الى فضل ما بين
سنتهم وسنة الشمس وهو عشرة أيام واحد وعشرون ساعة وخمس
ساعة بالجليل من الحساب ، فيلحقون بها شهرا كلما تم منها ما يستوفى أيام
شهر . ولكنهم كانوا يعملون على أنه عشرة أيام وعشرون ساعة ، وتتولى
ذلك النساء من كنانة المعروفون بالقلامس ، وأحدهم قلمس وهو البحر
الغزير . وهم ابو ثمامة جنادة بن عوف بن أمية بن قلع بن عباد بن قلع
ابن حذيفة ، وكانوا كلهم نساء . وأول من فعل ذلك منهم كان حذيفة ،
وهو ابن عبد ققيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن كنانة وآخر
من فعله أبو ثمامة

« وكان أخذ ذلك من اليهود قبل ظهور الاسلام بقريب من مائتى سنة ،
غير أنهم كانوا يكبسون كل أربع وعشرين سنة قمرية بتسعة أشهر . .
فكانت شهورهم ثابتة مع الأزمنة جارية على سنن واحد لا تتأخر عن أوقاتها
ولا تتقدم ، الى أن حج النبى عليه الصلاة والسلام حجة الوداع وأنزل عليه

(١) الميدانى ٢١٢ جزء ٢

(٢) الدميرى ١٨ ج ٢

(٣) بلوغ الارب فى أحوال العرب ٢١٩ جزء ٢

(*) انظر فى الكبس أو النسب المجر لابن حبيب ص ١٥٦ وجواد على ج ٥ ص ٢٢٩

(انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما) فخطب عليه الصلاة والسلام وقال : (ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض) وتلا عليهم الآية في تحريم النسيء وهو الكبس . فأهملوه حينئذ وزادت شهورهم عما كانت عليه وصارت أسماؤها غير مؤدية لمعانيها « اهـ

وكان لعرب الجاهلية أشهر تعرف بأسماء غيرها اليوم ، (*) فيقولون انه كان لهم أشهر هذه أسماؤها : المؤتمر . ناجر ، اخوان ، صوان ، حنتم ، زباء ، الاصم ، العادل ، النافق ، الواغل ، الهواع ، البرك . وكان لايام الاسبوع أسماء غير المعروفة الآن وهي : أول ، أهون ، جبار ، دبار ، مؤنس ، عروبة ، شبار . وعندهم لكل ساعة من ساعات النهار اسم ، وكذلك لايام الشهر وغيره

وتجد أخبار ذلك مفرقة في كتاب الآثار الباقية للبيروني ، وفي الاغانى ، والعقد الفريد ، والكشكول ، وأمثال الميداني ، وغيرها من كتب الادب . وفي مروج الذهب للمسعودي ، وابن خلدون ، وأبى الفداء ، وغيرها في عرض الكلام عن العرب الجاهلية

(*) انظر في أسماء الشهور والايام جواد على ج ٥ ص ٢٢٤

ما وراء الطبيعة

١ - الكهانة والعرافة (*)

هما لفظان لمعنى واحد ، و فرق بعضهم بينهما فقال : الكهانة مختصة بالامور المستقبلية ، والعرافة بالامور الماضية . وعلى كل حال فالمراد بهما التنبؤ واستطلاع الغيب .. على ان العرب كانوا يعتقدون في الكاهن القدرة على كل شيء ، فكانوا يستشيرونه في حوائجهم ، ويتقاضون اليه في خصوماتهم ، ويستطبونه في امراضهم ويستفتونه فيما أشكل عليهم ، ويستفسرون منه عن رؤاهم ، ويستنبئون عنه مستقبلهم . وبالجمله فالكهان عندهم هم اهل العلم والفلسفة والطب والقضاء والدين ، شأن تلك الطبقة من البشر عند سائر الامم القديمة في بابل وفينيقيه ومصر وغيرها

والكهانة من العلوم الدخيلة على العرب ، جاءتهم من بعض الامم المجاورة لهم . والغالب في اعتقادنا ان الكلدان حملوها اليهم مع علم النجوم . ويؤيد ذلك ان الكاهن يسمى في العربية ايضا « حازي » او « حزاء » وهو لفظ كلداني معناه الاشتقاقى الناظر او الرائي او البصير ، وهو يدل عندهم على الحكيم والنبى . واما لفظ « الكاهن » فقد اقتبسه العرب بعدئذ من اليهود الذين نزحوا اليهم على اثر ما اصابهم من النكبات في اورشليم وخصوصا بعد خرابها على يد طيطس سنة ٧٠ للميلاد ، وقد اخذ عنهم العرب كثيرا من الآداب والعادات مما لا يدخل في بحثنا

واما الكهانة فاصلها من عند الكلدان ، ولعل الذين حملوا علم النجوم الى العرب هم الكهنة الكلدانيون انفسهم ، فكانت الكهانة في جملة ما حملوه اليهم . ويؤيد ذلك ان العرب كانوا يطلقون لفظ الحزاء على الكاهن والمنجم ، (١) على ان اهل بابل ما زالوا يتواردون على بلاد العرب الى ما بعد الاسلام ، والعرب يجلونهم لعلمهم وتعقلهم

فالعرب كانوا يعتقدون في الكهنة العلم بكل شيء ، وان ذلك يأتيهم بواسطة الارواح .. فمن كان منهم يعتقد التوحيد نسب ذلك الى استطلاع الغيب عن افواه الملائكة ، واذا كان من عبدة الاصنام اعتقد حلول الارواح في الاصنام واباحتها اسرار الطبيعة للكهان والسدنة . فيقول العرب ان الاصنام تدخلها الجن (اى الارواح) وتخاطب الكهان ، وان الكاهن يأتيه الجنى بخبر

(*) راجع في الكهانة والعرافة جواد على ج ٥ الفصل التاسع

(١) السيرة الحلبية ٤٨ ج ١

السماء وربما عبروا عنه بالهاتف . ومن اقوالهم « الاحبار فى اليهود ،
والرهبان فى النصارى ، والكهان فى العرب »

فكل ما كان يصنعه الكاهن انما مصدره الغيب ، فاذا استطببه مريض
من ألم أو صداع عالجه بالرقى ، واذا استشاره فى معضلة خط له فى الرمل
أو نفث فى العقد . واذا حكمه متخاصمان رمى لهما بالقداح ، واذا
استطلعه شخص أخذ قممها جعله بين يديه ونفث فيه ونحو ذلك من
الحركات الوهمية . واذا استفسره عن رؤيا تمت وتظاهر باستطلاع الغيب

قلنا ان الكهانة اتت العرب من بين النهرين ، فالكهان القدماء كانوا فى
الغالب كلدانيين (أو صائبية فى قولهم) وكان العلم عندهم ، ثم ما لبث
العرب انفسهم ان أخذوا ذلك عنهم فنشأ الكهان منهم . على أن بعض العرب
اقتصروا فيما تناولوه على علم دون آخر ، فكان بعضهم يتعاطى الطب فقط
وبعضهم تعبير الرؤيا أو القيافة أو القضاء

الكهان

واشتهر فى بلاد العرب جماعة كبيرة من الكهان والكواهن ، أقدمهم شق
وسطيح وحكاياتهما أشبه بالخرافات منها بالحقائق . فعندهم ان الاول كان
شق انسان (أى نصفه) بيد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة ، وأن
سطيحا كان لحما يطوى كما يطوى الثوب لا عظم فيه غير الجمجمة ووجهه فى
صدره ، ويزعمون أن هذين الكاهنين عاشا بضعة قرون ، الى غير ذلك من
الاهوام . ومن الكهان الذين تبغوا فى النهضة العربية قبل الاسلام : خنافر
ابن التوام الحميرى ، وسواد بن قارب الدوسى ، وفيهم من يعرفون بما
ينسبون اليه من البلاد أو القبائل . . كقولهم كاهن قریش ، وكاهن اليمن ،
وكاهن حضرموت ، وغيرهم

ويقال نحو ذلك فى العرافين ، واكثرهم ينسبون الى بلدانهم وقبائلهم
كعراف هذيل ، وعراف نجد ، وأشهرهم عراف اليمامة شهره عروة بن
حزام بيث قاله فيه - وكذلك الشعراء يشهرون معدوحيتهم - وهو قوله :

أقول لعراف اليمامة داونى فانك ان داويتنى لطبيب

وأما الكواهن من النساء فانهن كثرات منهن طريفة كاهنة اليمن ، وهى
أقدمهن . واليها ينسبون الانذار بخراب سد مأرب واتيان سيل العرم ،
وزبراء بين الشحر وحضرموت، وسلمى الهمدانية الحميرية، وعفراء الحميرية،
وفاطمة الخثعمية بمكة ، وزرقاء اليمامة وغيرهن . وينسبن الى القبيلة أو
المدينة ككاهنة بنى سعد ، يزعمون انها أقدم عهدا من شق وسطيح وانها
استخلفتها (١) . وما زالت الكهانة فى العرب حتى جاء الحديث بإبطالها
وهو : « لا كهانة بعد النبوة » (٢)

وكان للكهان عند العرب لغة خاصة تمتاز بتسجيع حصص يعرف بسجع الكهان مع تعقيد وغموض . ولعلمهم كانوا ينوخون ذلك للتمويه على الناس بعبارات تحتل غير وجه كما يفعل بعض مشايخ البنجيم في هذه الايام ، حتى اذا لم يصدق تكهنهم جعلوا السبب قصور الناس في فهم الكاهن . ومن امثلة سجع الكهان ما يروونه عن طريفة كاهنة اليمن حين خاف اهل مأرب سيل العرم وعليهم مزيقياء عمرو بن عامر ، فانها قالت لهم : « لا تؤموا مكة حتى أقول وما علمني ما أقول الا الحكم المحكم رب جميع الامم من عرب وعجم » قالوا لها : « ما شأنك يا طريفة » قالت : « خذوا البعير الشذقم فخضبوه بالدم تكن لكم ارض جرهم جيران بيته المحرم » (١)

٢ - القيافة وغيرها (*)

ومن قبيل الكهانة أيضا القيافة ، لكنها تختص بتتبع الاثار والاستدلال منها على الاعيان . وهي قسمان : قيافة الاثر ، وقيافة البشر . والاولى تختص بتتبع آثار الاقدام او الحوافر او الاخفاف والاستدلال من آثارها في الرمال او التراب على اصحابها . والفائدة من ذلك الاهتداء الى الفار من الناس او الضال من الحيوان ، وقد اتقن العرب ذلك حتى فرق بعضهم بين اثر قدم الشاب والشيخ وقدام الرجل والمرأة والبكر والشيب . وأما قيافة البشر فهي الاستدلال بهيئات أعضاء الشخصين على المشاركة والاتحاد بينهما في النسب والولادة وسائر احوالهما ، وهي من قبيل الفراسة

وكانت القيافة شائعة في العرب ثم اختصت بعض القبائل بها دون البعض الآخر ، واشهر العرب بقيافة الاثر بنو مدلج وبنو لهب . ولا تزال هذه القيافة شائعة الى اليوم في بعض قبائل نجد ، مثل بني مرة وهم أعلم الناس بها حتى لقد يعرف احدهم الانسان من اثره ، وربما نظر الى اثر بعير فقال هذا بعير فلان . وكثيرون منهم يميزون بين العراقي والشامي والمصري والمدني

والفراسة كانت شائعة عند العرب ، وكانت لهم فيها براعة يستدلون بهيئة الانسان واشكاله واقواله على أخلاقه ومناقبه . وهي من قبيل الذكاء وسرعة الخاطر ، وسجية طبيعية

ومن قبيل الكهانة تعبير الرؤيا ، وكان معروفا عند العرب . وكانوا يفرعون الى الكهان في تفسير الاحلام على ان كثيرين من غير الكهان كانوا يتعاطونها (٢) ومن هذا القبيل زجر الطير وخط الرمل . وقد اغضينا عنهما لضيق المقام

(١) الأغاني ١١٠ ج ١٣
(*) راجع في القيافة والفراسة والعيافة أو الزجر ، وهي التنبؤ بحركات الطيور ، جواد على ج ٥ ص ٢١٧
(٢) السيرة الحلبية ٢٩١ ج ١

وتجد اخبار كهاتهم في كتب التاريخ وكتب الادب وخصوصا الاغانى
والعقد الفريد وفي السيرة النبوية وكتب التفسير وفي الجزء الاول من
مروج الذهب للمسعودى والاول من ابي الفداء وفي معجم البلدان لياقوت
الحموى ومعجم ما استعجم للبكرى وحياة الحيوان للدميرى وفي كتب الادب
وغيرها ..

عصر صدر الإسلام

من ظهور الاسلام الى سنة ٤١ هـ

ظهر الاسلام في جزيرة العرب فشغل اهلها في اثناء حياة الرسول ومعظم ايام الراشدين بالفتوح والجهاد والاسفار . وجاء الاسلام بالقرآن والحديث فأخذوا بمجامع قلوبهم واستقروا في المساكن الاولى من اذهانهم ، وغيرا من عاداتهم وأخلاقهم وسائر احوالهم ، فظهر اثر ذلك في علومهم وآدابهم

١ - التغير الذي أحدثه الاسلام في العرب (*)

اجتماع كلمة القبائل

كان العرب في الجاهلية يتفاضلون بالعصبية ويتفاخرون بالانساب ، فلما جاء الاسلام كان في جملة ما بدله من احوالهم انه جمع كلمتهم وصاروا يدا واحدة على اختلاف انسابهم ومواطنهم . وبعد ان كان اليمنى يفاخر الحجازى ، والمضرى يفاخر الحميرى ، ونحو ذلك من مفاخرات القبائل والبطون والافخاذ ، جاء الاسلام فجمعهم تحت راية واحدة باسم واحد هو « الاسلام » فقال الرسول : « المسلمون أخوة » وقال من خطبة ألقاها يوم فتح مكة : « يا معشر قريش ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية ونعظمتها بالاباء . الناس من آدم وآدم من تراب » (١) وقال من خطبة في حجة الوداع : « ايها الناس ان ربكم واحد وأن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب واكرمكم عند الله اتقاكم ، ليس لعربى على عجمى فضل الا بالتقوى » (٢)

وافتنى بالرسول خلفاؤه الاولون لا سيما عمر بن الخطاب ، فان جبلة بن الايهم ملك غسان بعد ان اسلم اتفق وهو يطوف في الكعبة أن فزاريا وطىء أزاره فانحل ، فرفع جبلة يده وهشم أنف الفزارى فشكاه الى عمر ، فأراد عمر أن يهشم أنف جبلة فقال : « وكيف ذلك يا أمير المؤمنين

(*) انظر في ذلك فجر الاسلام لاحمد امين ، الفصل الاول من الباب الثانى ، وكذلك الفصل الاول في كتاب العقيدة والشريعة في الاسلام لجولدسيهر
(١) ابن هشام ٢١٩ ج ٢ (٢) البيان والتبيين ١٦٤ ج ١

وهو سوقة وأنا ملك ؟ » فأجابه عمر : « ان الاسلام جمعك واياه ، فلست تفضله بشيء الا بالتقى والعافية » فلم يحتمل جبلة ذلك فعمد الى الفرار

انتشار العرب في الارض

كان العرب محصورين في جزيرتهم القاحلة ، وهم اهل بادية وخشونة وشظف من العيش يسمعون بالرومي او الفارسي ، فيعظمون قسـدره ويتمثلون بسطوة قيصر وكسرى ، ولم يتجاوزوا جزيرة العرب الا قليلا . فلما ظهر الاسلام واجتمعت كلمة العرب ، نهضوا للفتح واوغلوا في البلاد وفتحوا الامصار . ولم يستطع شيء ان يقف تيارهم ، فانساحوا في الارض حتى نصبوا اعلامهم على ضفاف الكنج شرقا ، وشواطئ المحيط الاطلسي غربا ، وضفاف نهر لورا شمالا ، واواسط افريقيا جنوبا . وملأوا الارض فتحا ونصرا واحتلوا مدائن كسرى وقيصر ، واقاموا في المدن وركنوا الى الحضارة وتعودوا الترف واختلطت انسابهم بتوالي الاجيال . والقبائل التي قامت بنصرة الاسلام ونشره قبائل مضر وانصارها من العدنانية والقحطانية

ولم ينتشر العرب بالفتح فقط ، ولكنهم هاجروا ايضا باهلهم وخيامهم وانعامهم التماسا لسعة العيش في البلاد العامرة من مملكتهم الجديدة . فقد جلت بطون من خزاعة الى مصر والشام في صدر الاسلام ، لان ارضهم اجديت فمتسوا يطلبون الغيث والمراعى . وكذلك كانت تفعل العرب كلما اصابها جدد حتى كانت لهم اعوام خاصة يجلون فيها الى مصر والشام يسمونها اعوام الجلاء . وكانوا يفعلون ذلك قبل الاسلام ، اذا اجديت ارضهم يعموا العراق وفارس فيعطيهما الفرس التمر والشعير . ولكنهم كانوا لا يقيمون هناك بل يرجعون الى بلادهم خوفا من الذل في سلطان دولة اعجمية . اما بعد الاسلام ، فكان المقام يطيب لهم في بلاد فتحها آباؤهم واعمامهم واخوانهم وغرسوا فيها اعلامهم وجعلوها فينا لهم ولا يخفى ما يترتب على مثل هذا الاختلاط من الانقلاب في اللغة والآداب ، لكنه لم ينضج ويظهر الا في عصر الامويين فما بعده

انتشار القرآن الكريم

بعد ان كان هم عرب الجاهلية اذا اجتمعوا في ناد او سوق انشاد الاشعار والتناخر او التفاضل ، أصبح همهم القرآن وحفظه وتلاوته صباح مساء . واذا بعث الخليفة عاملا الى بلدة امره ان يحكم بالعدل وان يعلم المسلمين القرآن وكانوا يعلمونهم الحديث ايضا

٢ - تأثير ذلك التغير في آداب اللغة

ان ظهور الاسلام انقلاب ديني سياسي اجتماعي . ولا بد لكل انقلاب من آثار يخلفها في نفوس اصحابه وعقولهم ، فيحدث تغييرا في آدابهم

وعلمهم . والتغير الذى أحدثه الاسلام فى آداب الجاهلية يرجع الى ثلاثة أوجه :

أولا - أنه أبطل بعض تلك الآداب . ثانيا - أنه نوع البعض الآخر . ثالثا - أنه أحدث آدابا جديدة لم تكن من قبل . فالآداب التى أبطلها الاسلام الكهانة وفروعها اذ جاء الحديث بتحريمها (١) والآداب التى أحدثها ، بعضها اقتضاه الاسلام كالعلوم الشرعية واللسانية ، وبعضها نقل عن الأمم الأخرى كالفلسفة والطبيعات والطب . وسيأتى الكلام عنها فى حينه

أما النوع الذى أحدثه الاسلام فى آداب الجاهلية ، فأكثره فى الشعر والخطابة وهما من الآداب الجاهلية التى زأدها الاسلام رونقا . لكن الخطابة سبقت الشعر فى الرقى لحاجة المسلمين اليها فى الفتوح والغزوات (٢) . والعرب لا يزالون على بداوتهم تتأثر نفوسهم من التصورات الشعرية سواء سبكت فى قالب الخطابة او الشعر . والخطابة أقرب تناولا ، اذ لم يرد فى القرآن ما ينفر الناس منها كما ورد فى الشعر والشعراء . فكما كان الشاعر فى الجاهلية يقدم على الخطيب لفرط حاجتهم الى الشعر فى تقييد مآثرهم وتفخيم شأنهم والتهويل على عدوهم والتهيب من فرسانهم ، أصبح الخطيب فى الاسلام مقدما على الشاعر لفرط حاجتهم الى الخطابة فى استنهاض الهمم وجمع الأحزاب وارهاب الأعداء (٣)

٢ - الخطابة فى عصر صدر الاسلام (***)

والفرق بين الخطابة فى الجاهلية وفى الاسلام ان الاسلام زأدها بلاغة وحكمة بما كان يتوخاه الخطباء من تقليد أسلوب القرآن واقتباس الآيات القرآنية . وقد كان للقرآن نحو هذا التأثير فى الشعر أيضا . ولكن الخطابة أوسع مجالا للاقتباس ، فأخذ الخطباء يرصعون خطبهم بالآيات القرآنية تمثلا أو إشارة أو تهديدا حتى لقد يجعلون الخطبة برمتهما مجموع آيات ، كما فعل مصعب بن الزبير لما قدم العراق وأراد ان يعرض أهله على الطاعة لآخيه عبد الله ، فصعد المنبر وقال : « بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبي موسى وفرعون بانحق لقوم يؤمنون ، ان فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم انه كان من

(١) مشكاة المصابيح ٣٩٢
(*) لم تكن الخطابة فى صدر الاسلام تستخدم للغزوات والفتوح فقط ، كما اشار المؤلف ، بل كانت تستخدم أولا وقبل كل شيء للدعوة الدينية ، وقد جعلها الاسلام فرضا مكتوبا فى صلاة الجمعة من كل أسبوع وفى صلاة العيدين والاستسقاء

(٢) البيان والتبيين ٩٨ ج ١
(**) انظر فى الخطابة لعصر صدر الاسلام الفصل الثانى من كتابنا الفن ومذاهبه فى النشر العربى ، وجمهرة خطب العرب لآحمد زكى صفوت ، الجزء الاول ، وكلمة خطبة فى دائرة المعارف الاسلامية

المفسدين (وأشار بيده نحو الشام) ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين (وأشار بيده نحو الحجاز) ونمكن لهم في الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون (وأشار بيده نحو العراق) « (١)

وزادت الخطابة بعد الاسلام قوة ووقعا في النفوس بنهضة العسرب لحروب وانتصارهم في اكثر مواقعها ، فازدادوا انفة وسمت نفوسهم فسموا بها ذوقهم في البلاغة وشحذت قرائحهم بما شاهدوه في البلاد الجديدة والامم الجديدة والالسنه الجديدة ، فبلغت الخطابة عندهم مبلغا قلما سبقهم فيه أحد من الامم التي تقدمتهم بلاغة وايقاعا وتأثيرا .. حتى اليونان والرومان ، ولا ننكر ما كان من تفوق هاتين الامتين في الخطابة وما نبغ بين رجالهما من الخطباء الذين لا يشق لهم غبار : كديموستينيس ، وبروتاجوراس ، وبريكليس ، من خطباء اليونان ، وشيشرون ، ويوليوس قيصر ، من خطباء الرومان . ولكن العرب لم يأتوا بأقل مما أتى به أولئك بلاغة ووقعا . وربما كان الخطباء في الاسلام أكثر عددا ، وخطبهم أوفر وأبلغ مع اعتبار الفرق بين الامتين لغة وخلقا وأدبا

فقد ذكروا لديموستينيس اخطب خطباء اليونان ٦١ خطبة نصفها منسوب اليه خطأ ، وهذه خطب الامام على تعدد بالمئات . واما في كثرة الخطباء فالعرب كانوا في صدر الاسلام من اكثر الامم خطباء لان خلفاءهم وامراءهم وقوادهم كان معظمهم من الخطباء حتى النساك والزهاد (٢) . ولا غرابة في ذلك لان العرب اهل خيال وذوو نفوس حساسة ، وللبلاغة تأثير شديد في عواطفهم تقعدهم وتقيمهم . وقد كان ذلك من جملة ما ساعد على نشر الاسلام بينهم . وكثيرا ما توقف فتح انبلد او الحصن على خطاب يتلوه القائد على رجاله فتثور فيهم النخوة وتسرى في عروقهم الحماسة ، فيستमितون في الدفاع او الهجوم . وفي اخبار الفتوح أدلة كثيرة لا يساعد المقام على ايرادها . وكثيرون من القواد انما ساعدتهم على النصر قوة عارضتهم وتأثير خطبهم في نفوس رجالهم

واذا رجعت الى حوادث الفتح او جمع الاحزاب او اخماد الثورات ، رأيت نجبا . وأول ثورة كادت تهب في الاسلام ثورة أهل المدينة لما بلغهم موت الرسول ، فهاجوا حتى خاف الصحابة سوء العاقبة ، فقام ابو بكر خطيبا فقال : « أيها الناس ان يكن محمد قد مات فان الله حي لم يموت .. وتلا الآية الكريمة : » وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، افئن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم (٣) فهذه الكلمات القليلة كانت كافية لخماد تلك الثورة . وقس على ذلك خطب السقيفة وخطب من تولى بعده من الخلفاء الراشدين

واعظم الخطباء في عصر صدر الاسلام الرسول والخلفاء والقواد . وتري

(١) البيان ٢٩ ج ٢ (٢) البيان ١٢٥ ج ١

(٣) البيان ١٢٢ ج ١ والشهرستاني ٩ ج ٢

أمثلة من أقوالهم متفرقة في السيرة النبوية وكتب الغزوات والفتوح والتاريخ ، وفي العقد الفريد وغيره من كتب الادب ، وكلها مطبوعة مشهورة . وأشهر خطباء ذلك العصر الامام علي بن أبي طالب ، فقد جمعت خطبه في كتاب « نهج البلاغة » جمعها الشريف المرتضى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ ، (١) ولا نطن كل ما حواه من الخطب له . وقد شرح نهج البلاغة غير واحد ، وطبع مرارا في الشام ومصر . ومنها شرح مطول لعبد الحميد ابن أبي الحديد المعتزلي طبع في طهران في عشرين جزءا ، وفيه فوائد جمة عن تاريخ الاسلام وتعمده

٤ - الشعر في عصر صدر الاسلام

الرسول والشعر

علمت مما تقدم أن أكثر شعراء الجاهلية من الفرسان والامراء وأهل الحرب ، وأكثر اشعارهم في الفخر والحماسة بما بين قبائلهم من التنازع ، ومرجع ذلك كله الى العصبية . . كل قبيلة تطلب الفضل لنفسها على سواها . فلما جاء الاسلام وجمع كلمة العرب وذهبت العصبية الجاهلية لم تبق حاجة الى الشعر أو الشعراء . . ناهيك باشتغال أهل المواهب والقرائح بالحروب في الجهاد لنشر الاسلام وبالاسفار . وقد أدهشتهم أساليب القرآن وبهرتهم النبوة وانصرفت قرائحهم الشعرية الى الخطابة لحاجتهم اليها في استنهاض الهمم وتحريك الخواطر للجهاد ، وهي شعر منشور . وقد جاء الطعن على الشعراء في الآية الكريمة « والشعراء يتبعهم الغافلون الم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون »

وزد على ذلك إن الرسول لم يكن راغبا في الشعر لانه من عوامل التفريق ، وهو يدعو العرب الى الاجتماع . وكان اذا روى شعرا لا يلتفت الى وزنه (١) ، ومن أقواله : « لأن يمتليء جوف أحدكم قيعا حتى يريه خير من أن يمتليء شعرا » (٢) ولم يكن مع ذلك يبغض الشعر حقه ، أما الآية الكريمة التي نزلت في الشعراء إنما يراد بها شعراء قريش الذين تناولوه بالهجاء والأذى . وقد قبح الشعر في الذين غلب الشعر على قلوبهم حتى شغلهم عن الدين وفروضة ، وليس الشعر على إطلاقه . ولذلك فقد أبدى إعجابه به بقوله : « ان من الشعر لحكمة » يشير الى الاشعار التي فيها ندين أو دفاع عن الحق . ومن أقواله : « أصدق كلمة قالها شاعر

(*) يختلف السابقون في مصنف كتاب نهج البلاغة ، أهو الشريف المرتضى أم أخوه الشريف الرضى . ويجمع الباحثون في عصرنا على أن أكثر ما فيه من خطب ليس من عمل علي ، وإنما هو من عمل مؤلفه والعصور التي سبقتة ، ويقول الذهبي في كتاب ميزان الاعتدال : « من طالع كتاب نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين على رضي الله عنه ، فإن فيه السب الصريح والخط على السيد أبي بكر وعمر » . وأيضا فإن صناعته الأدبية من طراز العصور المتأخرة ، ويكفي أن نقرأ فيه وصف الطاووس لتعرف أنه ليس من صنع علي وإنما هو من صنع العصر العباسي

(٢) العمدة ١٢ ج ١ ، ويريه : يفسده

(١) الأغاني ٦٧ ج ١٣

قول لبيد . الا كل شيء ما خلا الله باطل » وكثيرا ما كان يجب ان يسمع شعر أمية بن أبي الصلت لما فيه من ذكر الله والبعث (١)

اما سائر أغراض الشعر فكان يعرض عنها ويرد عليها بكلام القرآن . يروى من هذا القبيل أن الطفيل بن عمرو الدوسي أتى الرسول ، فعرض عليه الاسلام فقال له : « انى رجل شاعر فاسمع ما اقول » فقال : « هات » فأنشد :

لا وإله الناس نألم حرّ بهم ولو حاربنا منهب^(٢) وبنو فهم
ولما يكن يوم^(٣) تزول نجومه تطير به الركبان ذو نبأ ضخم
أسلماً على خَسَفٍ ولست بخالد ومالى من واقٍ إذا جاءنى حَتَمى
فلا سلم حتى تحفر الناس خيفة^(٤) وتصبح طير كائنات (٢) على لحم

فأجابه النبی « وانا اقول : اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » وقرأ المعوذتين ، فأسلم الرجل (٣) وكان النبی مع ذلك يقرب الشعراء المسلمين ويشجعهم على قول الشعر لتأثيرهم فى الازهان (٤)

وعرضت قتيلة بنت النضر بن الحارث للنبي وهو يطوف ، وكان قد قتل أباهما فاستوقفته وجذبت رداءه حتى انكشف منكبه وانشدته ابياتا مطلعها :

يا راكباً إن الأثيلَ مَظِنَّةٌ من صُبْحِ خامسةٍ وأنت موفّق
الى أن قالت :

أمحمد^(٥) ها أنت نجبلٌ نجيبٌ من قومها والفحلُ فحلٌ مُعْرِقٌ
ما كان ضرّك لو مَنَنْتَ وربما مَنّ^(٦) الفتى وهو المَغِيظُ المَحْنَقُ
والنضرُ أقربُ من قتلٍ وسيلةٍ وأحقهم إن كان عِتَقٌ يعتق

فقال النبی : « لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته » (٥) . ولذلك لم يكن يرى بأسا من انتصار الشعراء له يدفعون عنه اقوال شعراء قريش الذين جاءت الآية بالطعن عليهم ، وتوعدهم الرسول ففر بعضهم من وجهه ومات البعض الآخر (٦) . وقد تقدم فى ترجمة حسان بن ثابت أن أشهر من هجا المسلمين ثلاثة : عبد الله بن الزبيرى ، وابو سفيان ، وعمرو بن العاص ، وأن النبی قال للانصار : « ما يمنع الذين نصروا رسول الله

(٢) كائنات : عاكفات

(٤) الاغانى ٦٧ ج ١٢

(٦) العمدة ٧ ج ١

(١) مشكاة المصابيح ٤٠٩

(٣) الاغانى ٥٣ ج ١٢

(٥) العمدة ٣٠ ج ١

بسلاحتهم أن ينصروه بالسنتهم » فانتصب للدفاع عنه ثلاثة هم : حسان بن ثابت ، ولعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة . وكان يرى لاشعارهم تأثيرا في أعدائه ، ومن أقواله : « هؤلاء النفر (الشعراء) أشد على قریش من نضح النبل » وقال لحسان مرة : « أهجم (يعنى قریشا) فوالله أمحاؤك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام . أهجم ومعهك جبريل روح القدس وألق أبا بكر يعلمك تلك الهنات » (١)

الشعر والخلفاء الراشدون

وسار الخلفاء الراشدون على خطة الرسول في تحريض الناس على حفظ القرآن . . . ذكروا أن غالبا أبا الفرزدق الشاعر جاء بابنه وهو غلام الى على بالبصرة بعد واقعة الجمل وقال له : « ان ابنى هذا من شعراء مضر فاسمع له » فأجابه على : « علمه القرآن »

وكانوا ينشطون من يعدل عن الشعر الى القرآن كما فعل عمر بن الخطاب باستنشاد الشعراء على يد المغيرة بن شعبة ففضل من عدل الى القرآن . وقد تقدم حديث ذلك في ترجمة ليث . على انهم اقتدوا بالنبي في التمييز بين شعر وشاعر وشاعر وشاعر . وحرص عمر المسلمين على حفظ الشعر فقال : « رووا اولادكم ماسار من المثل وحسن من الشعر » (٢) وقد أراد أحسنه ، ويؤيد ذلك قوله : « أرووا من الشعر أعفه » (٣)

وقد ازدادوا حاجة الى الشعر لما عمدوا الى تفسير القرآن فقال ابن عباس : « اذا قرأتم شيئا في كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب » (٤) وفي مقدمة جمهرة اشعار العرب لابی زبد القریشى أمثلة كثيرة من هذا القبيل (٥)

ولم يكن الراشدون يرون بأسا من أن يقولوا الشعر هم انفسهم ، فقد رووا لابی بكر قصيدة حماسية قالها في بعض الغزوات . ورووا لعمر أبياتا في الحكم ونحوها وكذلك لعثمان . اما على ، فالروى من شعره كثير بعضه قاله في صفين (٦) ، وليس بين الصحابة من لم يقل الشعر او يتمثل به (٧)

على انهم كانوا يمنعون الشعراء من هجو الاسلام والمسلمين وأشدهم وطأة في ذلك عمر ، فقد أخذ عهدا على الحطيئة ألا يهجو رجلا مسلما (٨) . ويقال بالاجمال ان الشعر في عصر الراشدين توقف لاشتغال المسلمين عنه بالفتوح إلا ما كان منه من قبيل الجهاد كأقوال حسان وأصحابه في الدفاع عن النبي والاسلام

(٢) البيان والتبيين ٢١٣ ج ١

(٤) العمدة ١١ ج ١

(٦) العمدة ١٢ ج ١

(٨) العقد الفريد ١١١ ج ٢

(١) العمدة ١٢ ج ١

(٣) الجمهرة ١٥

(٥) الجمهرة ٥

(٧) الجمهرة ١٦

وأما سائر الشعراء المخضرمين فقد ترجمنا لهم مع شعراء الجاهلية لانهم
نشأوا فيها وتطبعوا بطبائع أهلها

٥ - اللغة والانشاء

في عصر صدر الاسلام

وكان لظهور الاسلام تأثير كبير في اللغة العربية وأساليبها والفاظها لتشرب
قرائع المسلمين روح القرآن ، وحفظهم كلامه واعجابهم به . وطبيعى أن
الكاتب تتكيف ملكة اللغة فيه على مقتضى محفوظه من أشعارها وأمثالها
وأساليبها . فلا غرو اذا ظهرت أساليب القرآن والفاظه في لغة المسلمين :
شعرا ونثرا ، كتابة وخطابة . ويرجع ذلك التغير الى قسمين : تغير في
الاسلوب ، وتغير في الالفاظ

التغير في الاسلوب

أما الاسلوب الانشائي فلا يمكننا تعيين مقدار التغير الذى أصابه الا
بالرجوع الى ما وصلنا من انشاء الجاهليين ، والفرق بينه وبين اسلوب
القرآن كالفرق بين الثريا والنرى . . اين قول طريقة كاهنة اليمن حين
خاف أهل مارب سيل العرم وعليهم مزيقياء عمرو بن عامر ، فانها قالت
لهم : « لا تؤموا مكة حتى اقول وما علمنى ما اقول الا الحكم المحكم رب
جميع الامم من عرب وعجم الخ » من أساليب القرآن ؟

وتولد في صدر الاسلام ضرب من الانشاء من ابلغ ما يكون . واحسن
الامثلة عليه مخاطبات الخلفاء والقواد ، وكلها من السهل الممتنع . . ككتاب
عمرو بن الخطاب الى عمرو بن العاص لما بعث به الى فتح مصر ، ثم تخوف
فكتب اليه : « بسم الله الرحمن الرحيم . من الخليفة عمر بن الخطاب الى
عمرو بن العاص عليه سلام الله تعالى وبركاته . اما بعد فان أدركك كتابي
هذا وانت لم تدخل مصر فارجع عنها ، واما اذا أدركك وقد دخلتها او
شيئا من ارضها . . فامض واعلم انى معدك »

وكتب ابن الخطاب الى ابن العاص يستنجده في مجاعة بقوله : « من
عبد الله عمر امير المؤمنين الى العاصي ابن العاصي سلام . اما بعد فلمعمرى
يا عمرو ماتبالي اذا شبعنت انت ومن معك ان اهلك انا ومن معي فياغوثاه ثم
يا غوثاه » فكتب اليه عمرو : « الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب من عمرو
ابن العاص . اما بعد فيالبيك ثم يالبيك . قد بعثت اليك بعير اولها عندك
واخرها عندى والسلام »

ذلك اسلوبهم فيما يكتبونه او يقولونه من المخابرات السياسية او الخطب
الحماسية او العهود او العقود . . حتى انك اذا قرأت لهم رسالة تبينت
اسلوب صدر الاسلام فيها ، فيهن عليك التفريق بين الصحيح والموضوع
منها . .

وتجد أمثلة من المخابرات السياسية والخطب ونحوها على اسلوب صدر الاسلام في كتب الفتوح والغزوات ، كفتوح الشام للواقدي ، وفتوح البلدان للبلاذري . ومنها جانب كبير في خطط المقرئزي عن فتوح مصر . وتجد معظمها مجموعا في كتاب فتوح الشام للشيخ أبي اسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي البصري من أهل أواسط القرن الثاني للهجرة طبع في كلكتة سنة ١٨٥٤ ، وقد شاهدنا فيه مالم نشاهده في غيره مما وصل إلينا من كتب الفتح . . فانه عبارة عن مجموع المخابرات السياسية أو الاوامر الرسمية التي جرت بين الخلفاء الراشدين وقوادهم أو ما تكتب به القواد أو ماكتبوه الى كبار الروم وغيرهم . أو ما عقدوه من العهود في أثناء حروبهم في الشام الى فتحها وفتح أجنادها . . كأنها الاصول التي أخذت اخبار الفتح عنها

التأثير في الالفاظ

اما تأثير القرآن الكريم في الفاظ اللغة فضلا عن الاسلوب ، فظاهر فيما دخلها من الالفاظ الاسلامية مما اقتضاه الاصلاح الديني أو الشرعي . واكثر هذه الالفاظ كانت موجودة في اللغة قبل الاسلام ، لكنها كانت تدل على معان اخرى فتحولت للدلالة على مايقاربها من المعاني الجديدة . فلفظ « مؤمن » مثلا كان معروفا في الجاهلية ، ولكنه كان يدل عندهم على الامان أو الايمان وهو التصديق . . فأصبح بعد الاسلام يدل على المؤمن وهو غير الكافر ، وله في الشريعة شروط معينة لم تكن من قبل . وكذلك المسلم والكافر والفاسق ونحوها . ومما حدث من المصطلحات الشرعية الصلاة وأصلها في العربية الدعاء ، وكذلك الركوع والسجود والحج والزكاة . . فقد كان لهذه الالفاظ واشباهها معان تبدلت بالاسلام وتنوعت

وقس على ذلك المصطلحات الفقهية ، كالإيلاء والظهار والعدة والحضانة والنفقة والاعتاق والاستيلاء والتعزير واللقيط والأبق والوديعة والعارية والشفعة والفرائض والقسامة وغيرها

ويروون الفاظا وتراكيب نطق بها الرسول ولم تسمع من العرب قبله كقوله : « مات حتف أنفه » و « حمى الوطيس » و « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » (١)

وفي كتابنا « تاريخ اللغة العربية » بحث ضاف فيما دخل اللغة من الالفاظ والاساليب قبل الاسلام وبعده

٦ - العلوم التي حدثت في عصر صدر الإسلام

جمع القرآن وتدوينه (*)

لم يحدث في عصر صدر الإسلام علم ، ولكن فيه وضعت جرثومة العلوم الشرعية بجمع القرآن وحفظ الحديث . والقرآن لم ينزل مرة واحدة . وإنما نزل تدريجيا في اثناء عشرين سنة على مقتضى الاحوال من اول ظهور الدعوة الى وفاة النبي ، بعضه في مكة وبعضه في المدينة . فكان كلما قال آية أو سورة كتبوها على صحف الكتابة في تلك الايام ، وهي الرقاع من الجلود والعريض من العظام كالأكثاف والاضلاع وعلى العصب وهي قحوف جريد النخل واللخاف وهي الحجارة العريضة البيضاء . فتوفي النبي سنة ١١ هـ والقرآن اما مدون على امثال هذه الصحف او محفوظ في صدور الرجال . وكانوا يسمون حفظته « القراء »

وكان اكثر الناس عناية بتدوينه على عهد النبي على بن ابي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وابو الدرداء . ومعاذ بن جبل ، وثابت بن زيد ، وأبي بن كعب ، وغيرهم (١) . فلما قام أبو بكر بالامر وارتد أهل جزيرة العرب عن الاسلام ، بعث جندا لمحاربتهم فقتل من الصحابة في تلك الحروب جماعة كبيرة ، وخصوصا في غزوة اليمامة قتل فيها وحدها ١٢٠٠ من المسلمين فيهم ٧٠٠ من القراء . فلما بلغ ذلك أهل المدينة فزعوا فزعاً شديداً وخصوصاً عمر بن الخطاب رجل الاسلام والمسلمين ، فأشار على أبي بكر بجمع القرآن لئلا يذهب منه شيء بموت أهله ، فتوقف أبو بكر وقال : « كيف افعل امرا لم يفعله رسول الله ولم يعهد الينا فيه عهدا » فما زال به عمر حتى اقنعه بجمعه . فأحضر أبو بكر زيد بن ثابت لانه كان من كتبة الوحي ، فجمع ما كان مدونا عند الصحابة . وربما وجد السورة مكتوبة عند اثنين أو ثلاثة أو أكثر . وقد لا يوجد من الآيات الا نسخة واحدة كآخر سورة التوبة ، فانه لم يوجد منها الا نسخة واحدة عند أبي خزيمة الانصاري . (٢) فجمعه من تلك المحفوظات ومن صدور الرجال وسلمه الى أبي بكر . . فظلت الصحف عنده حتى توفي سنة ١٣ هـ . فلما تولى عمر تسلمها وظلت عنده حتى توفي سنة ٢٣ هـ ، فانتقلت الى ابنته حفصة من ازواج الرسول الكريم

وفي ايام عثمان اتسعت الفتوح وتفرق المسلمون في مصر والشام والعراق وفارس وافريقية وفيهم القراء . وعند بعضهم نسخ من القرآن ، وقد رتبها كل منهم ترتيبا خاصا . فعول أهل كل مصر على من قام بينهم من

(*) انظر في جمع القرآن وتدوينه ، كتاب الاتقان للسيوطي وتاريخ القرآن للزنجاني والقراءات واللهجات لعبد الوهاب حمودة ومذاهب التفسير الاسلامي لجولد تيهن ترجمة عبد الحليم النجار

القراء . فاهل دمشق وحمص مثلاً أخذوا عن المقداد بن الاسود ، واهل الكوفة أخذوا عن ابن مسعود ، واهل البصرة عن أبي موسى الأشعري (١) . ومع شدة عناية القراء بحفظ القرآن وضبطه ، لم ينجوا من الاختلاف في قراءة بعض آياته

واتفق في اثناء ذلك ان حذيفة بن اليمان كان في جملة من حضر غزوة ارمينيا واذربيجان ، فرأى في اثناء سفره اختلافا بين المسلمين في قراءة بعض الآيات ، وسمع بعضهم يقول لبعض : « قراءتي خير من قراءتك » فلما رجع الى المدينة أنبأ عثمان بذلك وأنذره بسوء العقبى ان لم يتلاف الامر الى ان قال : « أدرك هذه الامة قبل ان يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى » فبعث عثمان الى حفصة ان « ارسلى الينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها اليك » فأرسلتها ، فدعا عثمان زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وأمرهم أن ينسخوا القرآن ويستعينوا على القراءة بما حفظه القراء . وقال لهم : « اذا اختلفتم وزيد بن ثابت في شيء فاكتبوه بلسان قريش فانما أنزل بلسانهم ، ففعلوا (٢) سنة ٣٠ هجرية وكتبوا أربعة مصاحف بعثها عثمان الى الامصار الاربعة : مكة ، والبصرة ، والكوفة ، والشام ، (٣) واثنى ابن ابقاهما في المدينة واحد لاهلها وواحد لنفسه وهو الذي يسمونه « الامام » ثم أمر بجمع ما كان قبل ذلك من المصاحف والصحف (٤) وأمر بإحراقه

فأصبح المولى في المصاحف على ماكتبه عثمان ، واشتغل المسلمون في الامصار باستنساخ تلك المصاحف . فنسخوا منها شيئا كثيرا في مدة قليلة . ذكر المسعودي في عرض كلامه عن واقعة صفين بين علي ومعاوية وما كان من ظهور علي وما اشار به عمرو بن العاص من رفع المصاحف : « ورفع من عسكر معاوية نحو من خمسمائة مصحف » (٥) وليست هذه كل مصاحف المسلمين . فاعتبر هذا العدد وبين كتابة مصحف عثمان وواقعة صفين سبع سنين

ومع تشديد الصحابة في التعويل على مصحف عثمان دون سواه ، فقد ظل عند بعض المسلمين نسخ من مصاحف أخرى أشهرها مصحف علي . ويعتقد الشيعة ان عليا أول من خط المصاحف عند وفاة النبي . وتنقل مصحفه في شيعته وبقي عند أهل جعفر . وقد ذكر ابن النديم في كتاب الفهرست انه رأى عند أبي يعلى حمزة الحسنى مصحفا بخط علي يتوارثه بنو حسن (٦) ومنها مصحف عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب ، ولكل منها ترتيب خاص في سورة (٧)

(٢) الفهرست ٢٤
(٤) ابو الفدا ١٧٦ ج ١
(٦) الفهرست ٢٨

(١) ابو الفدا ١٧٦ ج ١
(٢) نفع الطيب ٢٨٨ ج ١
(٥) المسعودي ٢٠ ج ٢
(٧) الفهرست ٢٦

الخط العربي وتاريخه (١٠)

بمناسبة كلامنا على جمع القرآن في زمن الخلفاء الراشدين ، نأتى بتاريخ الخط وان تجاوزنا في تاريخه ما بعد هذا العصر استيفاء للكلام في موضوع واحد ، فنقول :

ليس في آثار العرب بالحجاز ما يدل على أنهم كانوا يعرفون الكتابة الا قبيل الاسلام ، مع أنهم كانوا محاطين شمالا وجنوبا بأمة من العرب خلفوا نقوشا كتابية كثيرة . واشهر تلك الامم حمير في اليمن ، كتبوا بالحرف المسند ، والانباط في الشمال كتبوا بالحرف النبطي . وآثارهم باقية الى هذه الغاية في ضواحي حوران والبلقاء . وقد عثر المنقبون على آثار كتابية في الحجاز لكنها بالخط المسند . والسبب في ذلك ان الحجازيين او عرب مضر كانت البداوة غالبية على طباعهم ، والكتابة من الفنون الحضرية

على ان بعض الذين رحلوا منهم الى العراق او الشام قبل الاسلام تخلقوا بأخلاق الحضار واقتبسوا الكتابة منهم على سبيل الاستعارة ، فعادوا وبعضهم يكتب العربية بالحرف النبطي او العبراني او السرياني . ولكن النبطي والسرياني ظلّا عندهم الى ما بعد الفتوح الاسلامية ، فتخلف عن الاول الخط النسخي (الدارج) وعن الثاني الخط الكوفي نسبة الى مدينة الكوفة . وكان الخط الكوفي يسمى قبل الاسلام الحيري نسبة الى الحيرة . . . وهي مدينة عرب العراق قبل الاسلام ، وابتنى المسلمون الكوفة بجوارها . . .

ومعنى ذلك ان السريان في العراق كانوا يكتبون ببضعة أقلام من الخط السرياني في جملتها قلم يسمونه « السطرنجيلي » كانوا يكتبون به أسفار الكتاب المقدس (١) فاقتبسه العرب في القرن الاول قبل الاسلام ، وكان من اسباب تلك النهضة عندهم . وعنه تخلف الخط الكوفي وهما متشابهان حتى الآن . . .

واختلفوا فيمن نقله الى بلاد العرب ، والاشهر ان اهل الانبار نقلوه . . . وذلك ان رجلا منهم اسمه بشر بن عبد الملك الكندي أخو أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل تعلم هذا الخط من الانبار وخرج الى مكة فتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية اخت أبي سفيان ، فعلم جماعة من اهل مكة ، فكثرت من يكتبه من قريش (٢) عند ظهور الاسلام . اما الخط النبطي فكتبوا به اللغة العربية قبل ذلك ببضعة قرون

والخلاصة على كل حال ان العرب تعلموا الخط النبطي من حوران اثناء تجارتهم الى الشام ، وتعلموا الخط الكوفي من العراق قبيل الاسلام بقليل . وظل الخطان معروفين عندهم بعد الاسلام . والارجح أنهم كانوا يستخدمون

(*) انظر في ذلك أصل الخط العربي وتاريخ تطوره الى ما قبل الاسلام لخليل نامى وتاريخ العرب قبل الاسلام لجواد على ج ١ ص ١٨٥
(١) اللعة الشبيهة في نحو اللغة السريانية ١٧
(٢) الزمر ١٧٧ ج ٢

القلمين معا : الكوفي لكتابة القرآن ونحوه من النصوص الدينية ، كما كان سلفه السطرنجيلي يستخدم عند السريان لكتابة الأسفار المقدسة النصرانية ، والنبطي لكتابة المراسلات والمكاتبات الاعتيادية . ومما يدل على تخلف القلم الكوفي عن السطرنجيلي فضلا عن شكله ، ان الالف اذا جاءت حرف مد في وسط الكلمة تحذف . وتلك قاعدة مطردة في الكتابة السريانية ، وكان ذلك شائعا في اوائل الاسلام وخصوصا في القرآن . . فيكتبون « الكتب » بدل « الكتاب » و « الظلمين » بدل « الظالمين »

فجاء الاسلام والكتابة معروفة في الحجاز ولكنها غير شائعة . فلم يكن يعرف الكتابة في مكة الا بضعة عشر انسانا أكثرهم من كبار الصحابة وهم : علي بن أبي طالب ، وعمر بن الخطاب ، وطلحة بن عبيد الله ، وعثمان ، وأبان ابن سعيد بن خالد بن حذيفة ، ويزيد بن أبي سفيان ، وحاطب ابن عمرو بن عبد شمس ، والعلاء بن الحضرمي ، وأبو سلمة بن عبد الاشهل ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وحويطب بن عبد العزى ، وأبو سفيان بن حرب وولده معاوية ، وجهيم بن الصلت بن مخزومة . ثم تعلم غيرهم من الصحابة ، ومنهم خرج كتاب الدواوين للخلفاء الراشدين وكتاب الرسائل وكتاب القرآن . فكتبوا القرآن بالكوفي أيام الراشدين وأيام بنى أمية . وفي أيامهم تفرع الخط المذكور الى أربعة اقلام اشتقها بعضها من بعض كاتب اسمه قطبة كان أكتب أهل زمانه . وكان يكتب لبنى أمية المصاحف ، ثم اشتهر بعده الضحاك بن عجلان في اوائل الدولة العباسية ، فزاد على قطبة ، ثم زاد اسحاق بن حماد وغيره ، فبلغت الاقلام العربية الى اوائل الدولة العباسية ١٢ قلما . وهي : قلم الجليل ، قلم السجلات ، قلم الديباج ، قلم اسطورمار الكبير ، قلم الثلاثين ، قلم الزنبور ، قلم المفتح ، قلم الحرم ، قلم المدامرات ، قلم العهد ، قلم القصص ، قلم الحرفاج . وفي أيام المأمون تنافس الكتاب في تجويد الخط ، فحدث القلم المرصع وقلم النسخ وقلم الرئاسي نسبة الى مخترعه ذى الرئاستين الفضل بن سهل وقلم الرقاع وقلم غبار الحلبة (١)

فزادت الخطوط على عشرين شكلا ، وكلها تعد من الكوفي . واما الخط النسخي او النبطي ، فقد كان شائعا بين الناس لغير المخطوطات الرسمية حتى اذا نبغ ابن مقلة المتوفى سنة ٣٢٨ هـ فادخل في الخط المذكور تحسينا ، جعله على ما هو عليه الآن وادخله في كتابة الدواوين . والمشهور عند المؤرخين ان ابن مقلة نقل الخط من صورة القلم الكوفي الى صورة القلم النسخي . والغالب في اعتقادنا ان الخطين كانا شائعين معا من اول الاسلام ، الكوفي للمصاحف ونحوها ، والنسخي (أو النبطي) للرسائل ونحوها كما تقدم ، وان ابن مقلة انما جعل الخط النسخي على قاعدة جميلة حتى يصلح لكتابة المصاحف . وقد شاهدنا في معرض المخطوط العربية القديمة في دار الكتب المصرية رقوقا وقطعا من البردي عليها كتابات بالخط النسخي

بعضها من اواخر القرن الاول للهجرة . وراينا عقد تكاح مكتوبا في اواسط القرن الثالث للهجرة سنة ٢٦٤ هـ على ورق مستطيل في اعلاه صورة العقد بالقلم الكوفي المنتظم وتحتها خطوط الشهود بالقلم النسخي بغاية الاختلال .. فابن مقلة حسن هذا الخط تحسينا وادخله في كتابة المصاحف

ثم تفرع الخط النسخي المذكور بتوالى الاعوام الى فروع كثيرة . وأصبحت الاقلام الرئيسية في اللغة العربية اثنين : الكوفي والنسخي ، ولكل منهما فروع كثيرة اشتهر منها بعد القرن السابع للهجرة ستة اقلام وهي : الثلث ، والنسخي ، والتعليقي ، والريحاني ، والمحقق ، والرقاع . واشتهر من الخطاطين جماعة كبيرة القوا فيه الكتب والرسائل ، بعضها في ادوات الخط كالاقلام وطرق بريها واحوال الشق والقط والدواة والمداد والكاغد وغير ذلك . وما زال الخط يتفرع الى اليوم ولن يزال الى ماشاء الله ، عملا بسنة النشوء والارتقاء

وفي آخر الجزء الاول من كتاب صبح الاعشى للقلقشندي (طبع دار الكتب المصرية) باب خاص في الكتابة وادواتها وتوابعها يدخل في ٢٠ صفحة كبيرة (من صفحة ٥٤٦ - ٥٧٦) وتجد اقوالا تتعلق بالخط العربي في كشف الظنون ٤٦٦ ج ١ ، وابن خلكان ٣٤٦ ج ١ ، والعقد الفريد ١٦٢ ج ٢ ، وابن خلدون ٢٠٥ ، و ٣٤٨ ج ١ ، والافغانى ١٩ ج ٢ ، ١٠٦ ج ٤ ، و ٥٠ ج ٧ ، وفي المزهري ١٧٧ ج ٢

اما مايلحق الخط من الحركات والاعجام ونحوهما من العلامات ، فسيأتى الكلام عليها في العصر الاموي

العصر الأموي

١ - مميزات العصر الأموي

نريد بالعصر الأموي العصر الذي كانت الدولة الإسلامية فيه في حوزة الأمويين بالشام ، منذ بويح معاوية بالخلافة سنة ٤١ هـ إلى أن قهرهم عليها العباسيون سنة ١٣٢ هـ . ويختلف العصر الأموي عن عصر صدر الإسلام اختلافا كبيرا من أوجه كثيرة ، إذ يعد انتقال الدولة الإسلامية إلى بني أمية انقلابا عظيما في تاريخ الإسلام ، لأنها كانت في زمن الراشدين خلافة دينية فصارت في أيامهم ملكا عضودا ، وكانت شورى فصارت أرثية . وقام معاوية يطلبها وينازع أعمام النبي وأبناء عمه عليها ، والمسلمون يعتقدون حق هؤلاء فيها وأن معاوية طليق لا تحمل له الخلافة ولكنه تمكن بدهائه وسعة صدره من التغلب عليهم جميعا فأسس الدولة الأموية . وقد فصلنا الأسباب التي ساعدته على ذلك في الجزء الرابع من كتابنا تاريخ التمدن الإسلامي

وانما يهمنا في هذا المقام مانجم عن مساعي بني أمية في تأييد سلطانهم من التفريق بين القبائل والرجوع إلى عصبية الجاهلية ، كما كان العرب قبل الإسلام يفعلون وما كان من تأثير ذلك في الآداب

التفريق بين القبائل وأحياء العصبية

قد علمت أن العصبية العربية كانت في الجاهلية بين القبائل بسبب الانساب ، فلما جاء الإسلام تنوسيت تلك العصبية واجتمع العرب كافة باسم الإسلام أو الجامعة الإسلامية . وما زالت الجامعة الإسلامية تشمل العرب على اختلاف قبائلهم وبعطونهم طول أيام الخلفاء الراشدين ، حتى إذا طمع بنو أمية في الملك وقبضوا على أزمة الخلافة استبدوا وتعصبوا للعرب وحافظوا على مقتضيات البداوة وتمسكوا بعاداتها . فظلت خشونة البادية غالبة على حكومتهم وظاهرة في سياستهم مع ذهاب أكثر مناقب البدو الأخرى . وانما حفظوا من مناقب جاهليتهم تعصبهم لقبيلتهم قريش وإيثار أهلهم على سواهم . . .

فجاشت عوامل الحسد في نفوس القبائل التي كان لها شأن في الجاهلية وضاع فضلها في الإسلام ، وخصوصا أهل البصرة والكوفة لأن أكثر العرب الذين نزلوا هذين المصيرين جفاة لم يستكثروا من صحبة النبي ولا هذبته سيرته ولا ارتاضوا بخلقه ، مع ما كان فيهم من جفاء الجاهلية

وعصبيتها . فلما استفحلت الدولة اذا هم في قبضة المهاجرين من قريش وكنانة وثقيف وهذيل ، وأهل الحجاز ويثرب . فاستنكفوا من ذلك وغصوا به لما يرون لانفسهم من التقدم بأنسابهم وكثرتهم ومصادمة فارس والروم ، مثل قبائل بكر بن وائل ، وعبد القيس من ربيعة ، وكندة والازد من اليمن ، وتميم وقيس من مضر . فصاروا الى الغض من قريش والانفة عليهم ، فعادت العصبية الى نحو ما كانت عليه في الجاهلية

اسباب التفريق

كان التفريق اولاً بين قريش وسائر العرب ، فتعصب العرب كافة على قريش حسداً لاستبدادهم بالسلطان دون سائر الصحابة أو التابعين ، إلا الذين تألفهم معاوية من القبائل اليمنية والعذنانية . بدأ هذا الخلاف من أيام عثمان على يد سعيد بن العاص ، (١) وتزايدت الوحشة بين قريش وسائر القبائل من ذلك الحين وخصوصاً بينهم وبين اليمنية وفيهم الانصار . وثبت الانصار في نصرة أهل البيت ضد أهلهم من قريش مثلما فعلوا في اول الاسلام ، اذ جاءهم الرسول مهاجراً فراراً من اهله. ولما جرت واقعة صفين سنة ٣٧ هـ بين علي ومعاوية علوها بين اليمنية الانصار وقريش . فلما احتدم القتال في تلك الواقعة ، قال رجل يعنى من أنصار علي : « أيها الناس هل من رائج الى الله تحت العوالي ، والذي نفسي بيده لنقاتلنكم على تأويله (القرآن) كما قاتلناكم على تنزيله »

وامتد النزاع على هذا النحو حتى صار أكثر اليمنية شيعة على وأنصاره . فعمد معاوية الى اجتذاب قلوبهم لعلمه أن اكتفاءه بقريش ونحوهم لا يجديه نفعا ، فقرب منه قبيلة كلب وتزوج منها بحدل أم يزيد ابنه واستنصرهم على قتلة عثمان لان امرأة عثمان كانت كلبية واستغواهم بالمال فحاربوا معه . ولما انتصر في حروبه ورسخت قدمه في الخلافة ، تقربت منه قبائل كثيرة من مضر واليمن وظلت كلب على نصرة يزيد ابنه بعده لانهم أخواله

فلما مات يزيد وكان ابن الزبير في مكة يطالب بالخلافة ، واختلف بنو أمية على اختيار خالد بن يزيد أو مروان بن الحكم (وكلاهما من أمية) وقع الخصام بين دعاة ابن الزبير ودعاة بني أمية . وكان أنصار ابن الزبير من قيس (مضرية) يدعون لابن الزبير ، وأنصار بني أمية من كلب (يعمنية) يدعون لخالد بن يزيد لانه ابن اختهم . ونهض أناس من بني أمية فاعترضوا على خالد لصغر سنه ، واجمعوا على بيعه مروان لشيخوخته على أن تكون انخلافة بعده لخالد . ثم جرت واقعة مرج راهط بين أصحاب مروان وأصحاب ابن الزبير ، أي بين كلب وقيس . وفاز مروان وثبتت قدمه في انخلافة . ثم توفي مروان ولم يف لخالد ، فخلفه ابنه عبد الملك بن مروان

(١) راجع تفصيله في تاريخ التمدن الاسلامي ٥٧ ج ٤ « الطعة الثالثة »

الشديد الوطأة ، وظلت كلب معه وقيس مضطغنة عليه . وانقسم العرب في سائر أنحاء المملكة الإسلامية بين هذين الحزبين : قيسية وكلبية ، أو مضرية ويمنية ، أو نزارية وقحطانية . وقامت المنازعات بينهما في الشام والعراق ومصر وفارس وخراسان وإفريقيا والاندلس . ففي كل بلد من هذه البلاد وغيرها حزبان : مضرى ويمنى ، تختلف قوة أحدهما باختلاف الخلفاء أو الأمراء أو العمال . فالعامل المضرى يقدم المضرية ، والعامل اليمنى يقدم اليمنية . ويختلف ذلك باختلاف الأحوال ، وله تأثير في كل شيء من تصارييف أحوالهم حتى في تولية الخلفاء والأمراء وعزلهم . وكثيرا ما كانت الولاية والعزل موقوفين على نصره أحد هذين الحزبين

غير الانقسام الذى وقع بين بطون قريش وأهم أحزابهم : أمية وبنو هاشم ، فكان الناس يتعصبون لأحدهما على الآخر . وناهيك بالتخاسم بين العرب وغير العرب . وكما كان القرشيون مقدمين في العصر الأموى على سائر العرب ، فالعرب على الأجمال كانوا مقدمين على سائر الأمم التى دانت للمسلمين . ولم يكن هؤلاء يستنكفون من ذلك ، بل كانوا يعتقدون فضل العرب في إقامة هذا الدين وأنهم مادته وأصله ، ولا كانوا يأنفون من أن يسموا العرب أسيادهم ويعبدوا أنفسهم من مواليتهم بل كانوا يعدون طاعتهم وحبهم فرضا واجبا عليهم

فكان العرب في أثناء هذه الدولة يترفعون عن سائر الأمم من الموالى (*) وأهل الذمة ، وكان العربى يعد نفسه سيدا على سواه ويعتقد أنه خلق للسيادة وذاك للخدمة . . فاقصر العرب على الاشتغال بالسياسة ، ولم يكونوا يعنون بشيء من العلم غير الشعر والتاريخ لأنه لازم للسياسة ، وأما الحساب والكتابة ، فقد كانا من صنائع الموالى . . حتى الشعر فإن الموالى نالوا منه حظا في أثناء العصر الأموى

وبالجملة أن انتقال الدولة الى الأمويين انقلاب سياسى عظيم . وهو طبيعى في نواميس انعمان لان القواعد التى وضعها الإمام عمر للدولة تنافى سياسة الملك ولم يكن يرجى بقاءها ، لان من شروطها الا تخزين الاموال في بيت المال وأن لا يشتغل المسلمون بالزراع ولا يقتنوا الارضين ونحو ذلك مما يلائم الدين والتقوى ، ويخالف السياسة والملك . . فانتقالها الى الملك في أيام بنى أمية وانتقال كرسى الخلافة الى الشام أوجب احتكاكها بالدول الأخرى ، فاقبعت على دعائم سياسية واقتبس أهلها تمدن الأمم المجاورة وعلومهم ، وأنشأوا تمدنا من عند أنفسهم ووضعوا العلوم والآداب التى اقتضاها ذلك التمدن كما سيجىء

٢ - حال الشرق عند الفتح الإسلامى

نمى بالشرق البلاد التى فتحها المسلمون حول بحر الروم وخليج العجم،

(*) انظر في ذلك فصلا طريفا في العقد الفريد « طبعة القاهرة سنة ١٣٠٢ هـ » ج ٢ ص ٩١ وانظر ثورة المختار الثقفى في الطبرى ج ٢ ص ٦٨٤ وفلهوزن في كتابه : الدولة العربية وسقوطها The Arab Kingdom & its Fall ص ٢٤٦

وهي تشمل مصر والشام والعراق وفارس .. فلما فتحوها كان بعضها تحت سيطرة الفرس وهي العراق وفارس ، والبعض الآخر تحت سيطرته الروم وهي الشام ومصر . أما من حيث الآداب والعلوم ، فمصر والشام كانتا ملحقتين بمملكة الروم ، بآدابهم وعلومهما ، والغالب في دينهما النصرانية . والعراق وفارس كانت آدابهما فارسية وأكثر أهلها من المجوس . وكان التنارع قائما بين النصرانية والمجوسية ، ونشبت الحرب بين الروم والفرس لهذه الغاية . فجاء العرب وغلبوا الامتين جميعا ، فقام الاسلام في ذينك البلدين مقام ذينك الدينين

آداب الروم في مصر والشام (*)

كانت آداب الروم في مصر والشام يومئذ عبارة عن الآداب اليونانية في عصرها الاسكندري الروماني ، لان آداب اليونان القدماء هي القاعدة الاساسية لآداب الرومان ومن تشعبت اليه دولتهم من الامم .. والآداب اليونانية أطوار فصلناها في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي آخرها العصر الاسكندري . وفيه انتقلت علوم اليونان وآدابهم من أثينا وغيرها من بلادهم الى الاسكندرية على عهد البطالسة بمن انتقل اليها من جالية اليونان على أثر فوح الاسكندر في الشرق في القرن الرابع قبل الميلاد ، وحملوا معهم كتب العلم والفلسفة والطب والشعر والآداب واللغة والتاريخ غير ما جمعه البطالسة من الكتب الاخرى ، فزهت الاسكندرية بهم وبعلمهم

ويقسم العصر الاسكندري المذكور الى قسمين : الاول كانت مصر فيه تحت سيادة البطالسة وهو العصر الاسكندري اليوناني . والثاني بعد دخولها في سيطرة الروم قبل الميلاد . وهو العصر الاسكندري الروماني وينتهي بظهور الاسلام ..

فلما فتح المسلمون مصر والشام ، كانت هذه البلاد في عصرها الاسكندري الثاني أو الروماني الذي يبدأ قبل الفتح الروماني بنصف قرن ، أي يوم دخول أثينا في حوزة الرومان في القرن الأول قبل الميلاد ، لان قائدهم سولا لما فتح أثينا حمل منها احمالا من كتب العلم والفلسفة الى رومية .. فانتقل العلم من أثينا الى رومية وضعف شأن الاسكندرية قبل دخولها في حوزة الروم . فلما صارت رومانية قبيل الميلاد زادت ضعفا . وكانت علومها قد تغيرت وجهتها وانحصرت في الفلسفة ، لان الاسكندرية ما برحت منذ تأسيسها وفيها جماعة من العبرانيين تزحوا اليها كعادتهم في الرحيل للارتزاق أو فرارا من الاضطهاد ، فآنسوا في الاسكندرية ترحيبا وراحلة فنكثروا . فترتب على اختلاطهم باليونان وتمازج الاذواق والابحاث تغير مهم في الفلسفة والدين . لان العبرانيين اهل توحيد ووحى وتقليد واليونان اهل فلسفة ومنطق وأساطير دينية .. فادى التمازج الى التقارب وزاد

(*) انظر في هذه الآداب الباب الرابع من كتاب فجر الاسلام لاحمد أمين ، والمصادر التي رجع اليها

ذلك بظهور النصرانية . ولما تأيدت النصرانية واعتنقها اليونان ، أخذوا في تطبيق فلسفتهم على الدين . فتولد من ذلك ما يسمى بالفلسفة الأفلاطونية الجديدة Neo-platonic والفلسفة الفيثاغورية الجديدة Neo-Pythagoric . وجملة القول أن العصر الاسكندري الثاني قلما أفاد العلم لان أبحاثه كانت غابتها دينية

هذه هي الفلسفة التي كانت شائعة في المملكة الرومانية الشرقية عند الفتح الإسلامي . وكانت مدرسة الاسكندرية أم المدارس الشرقية يعلم فيها الطب والهندسة والفلك وسائر العلوم الطبيعية والرياضية ، ويتفخر العلماء بالتخرج فيها كما يتفخر متخرجو جامعات أكسفورد وكمبريدج وباريس وبرلين اليوم . وعاصرتها مدارس حسنة في برغاموس وطرسوس ورودرس وأنطاكية وبيروت ، وكان في بيروت مدرسة للحقوق ذاعت شهرتها في الآفاق (١)

فلما جاء الاسلام ، كان العلم قد انحط في هذه المدارس كلها وأهملت كتب الفلسفة القديمة بمقاومة رجال الدين لها لانها في نظرهم شرقية في سبيل الدين . .

آداب مملكة الفرس (*)

كان للفرس آداب قديمة قد اضافوا اليها كثيرا من علوم الهند والصين وآشور وغيرها من أمم الشرق القديم . فلما فتح الاسكندر بلادهم نقل سكان في عاصمتهم من كتب العلم الى بلاده فذهب تمدنهم وتضعفت شؤونهم وتقاعدوا عن العلم الى أيام سابور بن أردشير في الدولة الساسانية بأواسط القرن الثالث للميلاد ، فحارب الزوم ونقل جماعة من أسراهم الى الأهواز وأنشأ لهم مدينة سماها جندی سابور ، وأكرم وفادتهم فحببوا اليه انعلم . . فعمد الى استرجاع علوم الفرس من اليونان أو الاستعاضة بمثلها . فبعث الى بلاد اليونان من استجلب كتب الفلسفة وأمر بنقلها الى الفارسية (٢) وأخترنها في مدينته ، وأخذ الناس في نسخها وتدارسها

فلما تولى كسرى أنوشروان العادل (٥٣١ م - ٥٧٨ م) فتح للفرس مورد جديد للعلم والفلسفة بما كان من اضطهاد يوستينيان قيصر الروم للفلاسفة اليونانيين على أثر إقفاله الهياكل والمدارس الوثنية . وكانت الفلسفة الأفلاطونية الجديدة قد نضجت ، ففر بعض أصحابها من وجه الاضطهاد وتفرقوا في العالم . وجاء منهم سبعة الى أنوشروان فأكرم وفادتهم وأمرهم بتأليف كتب الفلسفة ونقلها الى الفارسية ، فنقلوا المنطق والطب (٣) وآلفوا فيها الكتب فطالعها هو ورغب الناس فيها ، وعقد المجالس للبحث

(١) راجع الهلال ص ٢٢ سنة ١٩ (*) انظر في الفرس وأدبهم وأثره في الادب العربي ، الباب الثالث من فجر الاسلام والمصادر التي اعتمد عليها (٢) أبو الفداء ٥٠ ج ١ (٣) E. Broune. Literary Hist. of Persia, I. 167

والمناظرة كما فعل المأمون بعده بقرنين وبعض القرن حتى خيل لليونان الذين جالسوا أنو شروان أنه من تلامذة أفلاطون

وانشأ أنو شروان في جندي سابور مدرسة للطب والفلسفة ، اشتهرت في بلاد الفرس كما اشتهرت مدرسة الاسكندرية في مصر ومدرسة بيروت في سوريا

فترى أن آداب الفرس عند ظهور الاسلام كانت قائمة على آداب اليونان ، والعالم المتعبد في ذلك العهد مدين لليونان بأكثر آدابه كما صارت الامم الاسلامية بعد ذلك مدينة بآدابها وعلومها لآداب اللغة العربية التي نضجت في أيام العباسيين

ومما يحسن قوله أن آداب اليونان نقلت الى الامم الشرقية على أيدي السورانيين ، نقلوها أولا الى الفارسية ثم نقلوها الى لسانهم السرياني ، ونقلوها بعد ذلك الى اللسان العربي في التمدن الاسلامي . . لكن ذلك لم يتم الا في الدولة العباسية

الدولة الاموية واللغة العربية

اما الدولة الاموية فاهمة كانت متجهة فيها على الخصوص الى الآداب العربية الجاهلية لان الامويين كانوا شديدي الحرص على منزلة العرب كثيرى العناية بحفظ الانساب ، وهم الذين جعلوا الاسلام دولة فأيدوها ونشروا اللغة العربية في المملكة الاسلامية بنقل الدواوين من الرومية والفارسية الى اللغة انعربية وبعد أن كانت مصر والشام رومية والعراق كلدانية أو نبطية ، أصبحت هذه البلاد بتوالي الاجيال عربية النزعة وتنوسيت لغاتها الاصلية ، وهي تعد الآن من البلاد العربية . واذا نزلها التركي أو الافرنجي أو غيرها من أي أمة كانت وتوالد فيها عد نسله عربيا

وظل العرب في أيام بني أمية على بداوتهم وجفائهم . وكان خلفاؤهم يرسلون أولادهم الى البادية لاتقان اللغة واكتساب أساليب البدو وآدابهم ، وظل كثير من عادات الجاهلية شائعا في أيامهم كالفاخرة والمباهلة ومناشدة الاشعار في الاندية العمومية ، فكان اشراف أهل الكوفة يخرجون الى ظاهرها ينشأون الاشعار ويتحدثون ويتذكرون أيام الناس . وأهل البصرة يخرجون الى المربد لهذه الغاية كما سيجيء . . كأنهم رجعوا بعصبيتهم الى ما كانوا عليه قبل الاسلام . ولم يبلغ العرب من العز والسؤدد ما بلغوا اليه في أيام هذه الدولة . وقد تكاثروا على عهدها وانتشروا في ممالك الارض

٢ - اقسام آداب اللغة العربية

في العصر الاموي

تقسم آداب اللغة في هذا العصر الى قسمين :

أولاً - الآداب الحادثة ويدخل تحتها : « ١ » ما حدث من العلوم أو الآداب مما اقتضاه الإسلام كعلوم القرآن والحديث والفقه والعلوم اللسانية والتاريخ والجغرافيا ونسبها العلوم الإسلامية « ٢ » ما اقتضاه التمدن الإسلامي من العلوم التي نقلت عن اليونان والفرس وغيرهم ونسبها الآداب الدخيلة

ثانياً - الآداب القديمة وهي ما كان منها موجوداً في عصر الراشدين ، كاللغة والشعر والخطابة والأمثال من الآداب الجاهلية

ويقال بالاجمال انه في العصر الأموي نضجت الآداب الجاهلية ، وولدت الآداب الإسلامية ، وبدأ النقل من اللغات الأجنبية ، فلننظر في كل منها على حدة

ونبدأ بالعلوم الحادثة في الإسلام ثم نعود إلى الآداب التي كانت في الجاهلية لينجلي لنا تأثير تلك فيها

أعمار العلوم

لكل علم من العلوم على اختلاف موضوعاتها أدوار يمر بها كما يمر الحي بأدوار الحياة لأن العلوم من توابع الأحياء فتخضع لنواميس النشوء مثل خضوعهم • والأدوار التي تمر بها العلوم هي :

١ - دور التكوين « الولادة »

٢ - دور النمو أو النشوء « الصبا »

٣ - دور البلوغ « الشباب »

٤ - دور النضج « الكهولة »

٥ - دور التفرع أو التشعب أو الانحلال « الشيخوخة »

وسترى أن بعض العلوم يتكون في عصر ، وينمو في آخر ، ويبلغ في آخر ، وينضج في آخر ، وقد يتخطى دورين أو ثلاثة في عصر واحد

والعصر الأموي فاتحة عصور التمدن الإسلامي أو الدولة الإسلامية لأن الإسلام قبله كان ديناً لا دولة • وفي هذا العصر بدأ تكون أكثر علوم هذا التمدن ونمت ونضجت فيما يليه . وقد تقدم أن العلوم الحادثة في الإسلام قسماً كبيران : العلوم الإسلامية ، والعلوم الدخيلة والعلوم الإسلامية هي العلوم التي اقتضاها الإسلام ، وتقسم إلى ثلاثة أقسام :

١ - العلوم الشرعية وهي العلوم الدينية الإسلامية

٢ - العلوم اللسانية وهي التي اقتضاها الإسلام ضمناً ، فاحتاجوا إليها في ضبط قراءة القرآن أو تفسيره أو تفهمه وتفهم الحديث

٣ - التاريخ والجغرافيا

العلوم الشرعية

ونريد بالعلوم الشرعية العلوم المستخرجة من القرآن والحديث ، وأهمها علوم القرآن والحديث والفقه . ولكل منها فروع تولدت بتوالي الاجيال ، وكانت في العصر الاموي في دور تكوينها ، وهي يومئذ القراءة «قراءة القرآن» والحديث « ضبط الحديث » والفقه ، وقبل التقدم اليها نهدد بالكلام في البصرة والكوفة

١ - البصرة والكوفة (*)

هما من المدن الاسلامية التي اختطها العرب لانفسهم . وكانوا قبل الاسلام اهل ماشية وخيام وخيل يكرهون الاقامة داخل الاسوار ، وينفرون من الانحصار في المدن . فلما تأيد الاسلام واجتمع العرب على فتح الامصار في العراق والشام ومصر ، كانوا في بادئ الرأي اذا ساروا الى غزو او فتح اصطحبوا نساءهم وعيالهم . فاذا فتحوا بلدا أقاموا في ضواحيه بخيامهم وأخبيتهم وهو معسكرهم . وكان عمر بن الخطاب يشترط على جنده المقبضين في الامصار ألا يقيموا في مكان يحول الماء فيه بينهم وبينه ، حتى اذا أراد أن يركب راحلته اليهم ركب . كذلك فعل عمرو بن العاص في القسطنطينية وسعد بن أبي وقاص في الكوفة والبصرة ، وكانت كلها مضارب لجند العرب الفاتحين يعبرون عنها بالرباط أو المعسكر ، فاذا طال بهم المقام اختطوا الاسواق وبنوا المنازل والقصور . ذلك كان شأنهم في صدر الاسلام ، فبنوا البصرة والكوفة على هذه الصورة

على أنهم ظلوا نازعين الى البداوة بعد تخطيط البصرة لأول عهدها ، فبنوا مسجدها ودار امارتها بالقصب . وكانوا اذا غزوا نزعوا ذلك القصب وحزموه ، وحفظوه حتى يعودوا من الغزو فيعيدوا بنائه كما كان ، واعتبر ذلك في الكوفة أيضا . التماسا لسعة العيش في البلاد العامرة من مملكتهم الجديدة ، وهم يختارون اقربها الى البادية بلدهم القديم . فالبصرة والكوفة اوفق البلاد لهم لانهما على الحدود بين جزيرتهم والعراق .

(*) انظر في تخطيط البصرة والكوفة وسكانهما دائرة المعارف الاسلامية ، والمصادر الموجودة في المادتين ، وتخطيط الكوفة لماسينيون « الترجمة - طبع بغداد » والعربية لبوهان فك « الترجمة - طبع مصر » ص ١٥ وما بعدها

قاول من عمر البصرة والكوفة الفاتحون وأهلهم ، ثم اتسعت الفتوح الإسلامية شرقا وغربا ، ورسخت دولة المسلمين حتى نزع العرب بأهلهم وخيلهم ..

المربد أو عكاظ الاسلام

انتقل العرب الى هذين البلدين ونقلوا معهم عاداتهم الجاهلية وأخلاقهم العربية ، فانقسموا فيها قبائل وبطونا : عرب اليمن في أحسد طرفي البلد ، وعرب الحجاز في الطرف الآخر . وانقسمت المنازل في كل جانب حسب البطون والافخاذ . وأقاموا فيها أسواقا أدبية مثل أسواقهم في الجاهلية للمفاخرة والمناضلة والمناشدة : أشهرها « المربد » في البصرة وكان سوقا من أسواقها يعرف بسوق الابل ، ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس وأقاموا بها مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء . ويدلك على سعته وسعة البصرة أن المربد كان في زمن ياقوت بالقرن السادس للهجرة بعد انحطاط دولة العرب ، كالبلد المنفرد ، وبينه وبين البصرة ثلاثة أميال ، وكان ما بين ذلك عامرا فتأمل ..

وكان المربد في الدولة الأموية عكاظ الاسلام، وتألفت فيه حلقات المناشدة والمفاخرة (١) ومجالس العلم والاداب (٢) . فكان الشعراء يؤمونهم ومعهم روايتهم للمناضلة أو المناشدة أو المحاكمة ، وكان لفحولهم حلقات خاصة أشهرها حلقة الفرزدق وراعى الابل (٣)

وكان الاشراف يخرجون أيضا الى المربد للمذاكرة أو المناشدة . وكذلك كان يفعل أشراف الكوفة يخرجون الى ضواحيها لمثل هذا الغرض .. لكن المربد غلب على سائر الاسواق كما غلبت عكاظ في الجاهلية

مدينة السياسة ومدينة العلم

وفي عصر صدر الاسلام كانت المدينة عاصمة المسلمين ومقر علمائهم ، وهم يومئذ القراء والحفاظ من الصحابة . ثم أفضت الدولة الى بنى أمية ، وانتقلت عاصمة الاسلام الى دمشق واختلفت الاحزاب وتحصن ابن الزبير في مكة وأخرج بنى أمية وأنصارهم من المدينة وسائر الحجاز ، وقد علمت رغبة الأمويين في استبقاء الطبائع العربية البدوية ، فنشطوا الاداب الجاهلية ولا سيما الشعر لاسباب سيأتى تفصيلها ، فوجدوا في البصرة والكوفة ما ينسب عن مكة والمدينة من هذا القبيل ، وان ظلوا مضطرين الى الحجاز لان فيه الكعبة وقبر الرسول وسائر مناسك الحج ..

وكان في المدينة على عهد معاوية طائفة من أبناء الصحابة يخشى قيامهم للمطالبة بالخلافة ، كما فعل عبد الله بن الزبير فأعماهم معاوية بالعطايا

وقيدهم بالاحسان ووسعهم بالعلم ، فركنوا الى التمتع بالدنيا من طعام وشراب وسمع . . . ينفقون في ذلك الاموال وهي تتسدفق عليهم من خزائن الشام . فلما تولى عبد الملك بن مروان « سنة ٦٥ هـ » كانت المدينة قد أصبحت مسرحا للهو والفناء . ونبغ فيها طائفة من المغنين وتكاثر فيها المخشون واهل القصف الا من كان فيها من الحفاظ والقراء . فعلم عبد الملك ان أعداءه هناك لا يخشى بأسهم لاشتغالهم بأنفسهم وملأهم ، فجعل همه صرف اذهان اهل الادب والعلم عن بلاد العرب الى البصرة . . . فجعلها ملجأ الشعراء والادباء وغيرهم ، وكانت في أيامهم لا تزال كالبسادية يقيم العرب حولها في المضارب قبائل وبطونا . . . فأصبحت الشام في أيامه دار الملك والبصرة دار العلم . ولم ينبغ شاعر أو خطيب في بلاد العرب كلها الا جاء البصرة والكوفة فازدحمت الاقدام فيهما ، وبعد زمن يسير خلت جزيرة العرب من اهل الادب الا اليمامة وبعض الحجاز . .

سكان البصرة والكوفة

وتقاطر الى البصرة والكوفة أيضا اهل المدن المجاورة في العراق والشام وفارس من طلاب الرزق للاستفادة من تلك النهضة السياسية بالتجارة او الصناعة او غيرها ، فاجتمع في تلك البقعة ثقیف من أمم شتى مصرهم الى التعريب . . لان العربية كانت قد أصبحت لغة الدولة والدين ، ولا بد منها لمن أقام في تلك الديار من المسلمين وغيرهم بعد أن تحولت دواوينها الى العربية كما تقدم . فاشتدت الحاجة الى ضبطها وجمع الفاظها ، غير ما بعث الى ذلك من الاسباب الاخرى . ونظرا لرغبة الامويين في الاحتفاظ بالبدوة شجعوا آداب الجاهلية على الخصوص ، فاشتغل الناس بتدوينها ونبغ الرواة والادباء وغيرهم

فأصبحت البصرة والكوفة في العصر الاموي وبعده ، بؤرة العلم والادب وملتقى العلماء والادباء والشعراء يزدحمون في المسجد أو المربد أو غيرهما للمفاخرة أو المناظرة أو المناشدة ، واهل البصرة أعرق في اللغة والادب . . يأخذ الكوفيون عنهم وهم لا يأخذون عن اهل الكوفة . اما الشعر فكان في الكوفة أكثر منه في البصرة . . ووقف المختار في أثناء حروبه بالعراق على اشعار مدفونة في القصر الابيض بالكوفة مما يدل على عناية الكوفيين بالشعر ، (١) لكن أكثره مصنوع ومنسوب الى من لم يقله (٢)

وبعد أن مهدنا للكلام بوصف البصرة والكوفة ، نتقدم الى العلوم الشرعية الاسلامية وأساسها القرآن . وقد ذكرنا كيفية جمعه وتدوينه في عصر صدر الاسلام . .

(١) الخصائص لابن جني

(٢) الزهر ٢٠٦ - ٢٠٨ ج ٢

٢ - قراءة القرآن الكريم

في العصر الاموي (*)

هي أقدم العلوم الشرعية الإسلامية ، وكان للقراء شأن في صدر الاسلام عظيم يومئذ فسموا الذين كانوا يحفظون القرآن « قراء » تمييزا لهم عن سائر المسلمين لانهم كانوا أميين . وقد تقدم ان السبب الذي حمل عثمان على جمع القرآن وكتابته ما بلغه من اختلاف الصحابة في قراءته . على انه لم يمض على ارسال مصاحفه الى الامصار زمن قصير ، حتى أصبح لاهل كل مصر قراءة خاصة يتبعون فيها قارئاً يثقون بصحة قراءته وتنوّل ذلك واشتهر . ثم استقر منها سبع قراءات تواتر نقلها بأدائها ، واختصت بالانتساب الى من اشتهر بروايتها فصارت هذه القراءات السبع أصولاً للقراءة ، ويعدها بعضهم عشراً

وأصحاب هذه القراءات معظمهم من الموالى وبعضهم تجاوز العصر الاموي وهم :

١ - عبد الله بن كثير توفي سنة ١٢٠ هـ في مكة ، وهو من الموالى أصله من أبناء فارس الذين بعثهم كسرى بالسفن الى اليمن حيث طرد الحبشة عنها . وكان شيخاً كبيراً ابيض الرأس واللحية طويلاً جسيماً اسمر اشهل العينين يغبر شيبته بالحناء (١)

٢ - عاصم بن أبي النجود توفي سنة ١٢٧ هـ في الكوفة ، وهو مولى بنى جذيمة أخذ القراءة عن أبي عبد الرحمن السلمى وزر بن حبش (٢)

٣ - عبد الله بن عامر اليحصبي من الطبقة الاولى من التابعين ، توفي بدمشق سنة ١١٨ هـ

٤ - علي بن حمزة أبو الحسن الكسائي الذي انتهت اليه رئاسة الاقراء بالكوفة ، توفي سنة ١٨٩ هـ

٥ - حمزة بن حبيب الزيات ، توفي بخلوان العراق سنة ١٥٦ هـ ، وهو مولى آل عكرمة

٦ - أبو عمرو بن العلاء من تميم ، توفي سنة ١٥٥ هـ بالكوفة ، وهو العلم المشهور في علم القراءة واللغة العربية . وسيأتي ذكره مراراً في تاريخ آداب اللغة ..

٧ - نافع بن أبي نعيم ، توفي سنة ١٦٩ هـ بالمدينة . وهو مولى ، وكان أسود شديد السواد وأصله من اصبهان . ويظهر من تأخر وفاته عن زمن انتقال الدولة الى العباسيين انه كان في العصر الاموي صغيراً (٣)

(*) انظر القراءات واللهجات لعبد الوهاب حمودة ومذاهب التفسير الاسلامي لجولدتسيهر

(٢) الفهرست ٢٩

(١) ابن خلكان ٢٥٠ ج ١

(٣) ابن خلكان ١٥١ ج ٢

القراءات الشاذة (١)

واشتهر غير هؤلاء كثيرون في اقطار العالم الاسلامي ، وفيهم من يقرأ قراءات غريبة . وقد سماهم ابن النديم قراء الشواذ . . ذكر في فهرسته « صفحة ٣٠ » جماعة منهم في المدينة واخرين في مكة والبصرة والكوفة والشام واليمن وغيرها . وتكاثر قراء الشواذ على الخصوص بعد أن ظهرت الفرق الاسلامية وتشعبت الآراء في التفسير والفقه ، والخلفاء يشددون في مقاصد أولئك الشاذين خوف التفرقة كما كان يفعل رؤساء النصرانية في القرون الاولى للميلاد . ولكن الاسلام كان أقرب الى اطلاق حرية الفكر والنقل ، وخصوصا في أوائله ، فلم يكن المسلم يستنكف من ابداء ما يخطر له ولو كان مخالفا لرأى الخليفة . ولذلك كثرت الفرق الاسلامية يومئذ وتعددت مذاهب اصحابها في القراءة والتفسير والفقه وفي كل شيء ، وظل بعضهم يقرأون القراءات الغريبة الى أواسط الدولة العباسية وفي جملتهم يعقوب العطار المتوفى سنة ٣٥٤ هـ ، فاستحضره الخليفة واستتابه بحضرة القراء والفقهاء وكتب محضر توبته واشهد عليه من حضر (١)

وأشهر من قرأ القراءات الشاذة ابن شنبوذ البغدادي المتوفى سنة ٣٢٨ هـ ، فانه تفرد بقراءات من الشواذ كان يقرأ بها في المحراب . . ذكرها ابن النديم وابن خلكان ، فعلم به ابن مقلة الوزير سنة ٣٢٣ هـ ، فقبض عليه واعتقله اياما فلم يكن ذلك ليرجعه عن قراءته ، فأمر بجلده واستتابه فتاب ، وقال أنه قد رجع عما يقرأه وانه لا يقرأ الا بمصحف عثمان بن عفان بالقراءة المتعارفة التي يقرأ بها الناس وكتب محضرا بذلك (٢)

والقراءات السبع التي ذكرنا اصحابها كلها جائزة عند المسلمين . وعند الأئمة أن الجميع على صواب ، فقد يختار الاقليم الواحد قراءة واحدة او قراءتين أو أكثر ، وقد تقرا كل القراءات في اقليم واحد . (٣) وكانوا يرجعون في اثبات صحة القراءة الى الاسناد المتسلسل كقولهم : قرأ يعقوب بن اسحق على سلام ، وقرأ سلام على عاصم ، وقرأ عاصم على أبي عبد الرحمن ، وقرأ أبو عبد الرحمن على علي بن أبي طالب ، وقرأ علي على الرسول (٤)

(*) أنظر في القراءات الشاذة مذاهب التفسير الاسلامي ص ٦٢ وما بعدها والتعليقات عليها في الهوامش . والشواذ : ما رويت بغير طريق التواتر

(١) طبقات الادباء ٣٦١ (٢) ابن خلكان ٤٩٠ ج ١

(٣) المقسى ٣٩ وفتح الطب ١٠٤ ج ١ (٤) ابن خلكان ٢٠٨ ج ٢

ولم يدون هؤلاء القراء قراءاتهم في الكتب ، لكنها تنقلت بالاسناد ..
فألف فيها كثيرون بعد نضج التمدن الاسلامي في بغداد وقرطبة وغيرهما
من مدائن ذلك التمدن . ونحن نوردون خلاصة تاريخ ذلك . وأشهر ما
وصلنا من كتبهم في هذا الفن :

١ - كتاب الايضاح في الوقف والابتداء لمحمد بن قاسم الانباري
المتوفى سنة ٣٢٨ ، منه مجلد ناقص في دار الكتب المصرية بخط قديم
يشبه ان يكون من خطوط القرن الرابع للهجرة ، ومنه نسخة في المتحف
البريطاني وفي مكتبه كوبريلي بالاستانة

٢ - كتاب التيسير في القراءات السبع لابن الصيرفي من أهل
دانية بالاندلس ، توفي سنة ٤٤٤ هـ ، ومنه نسخة خطية في دار الكتب
المصرية

٣ - جامع البيان في القراءات السبع لابن الصيرفي المذكور

٤ - مفردات القراءات السبع لابن الصيرفي المذكور ، أتى فيه على
الاختلاف بين أصحاب نافع الاربعة الذين أخذوا عنه القراءات وبين
غيرهم من أصحاب الائمة السبعة ، ومنه نسخة خطية في دار الكتب
المصرية

٥ - حرز الاماني ووجه التهاني في القراءات السبع ، وهو
منظومة لمحمد ابن فيره الشاطبي المتوفى سنة ٥٩٠ هـ وتعرف بمتن
الشاطبية ، وقد طبعت في الهند وغيرها ومنها عدة نسخ خطية في دار
الكتب المصرية

٦ - المقدمة الجزرية في علم التجويد منظومة لابن الجزري المتوفى سنة
٨٣٣ هـ ، منها عدة نسخ في دار الكتب المصرية ، وقد طبعت مرارا

٣ - التفسير

كان العرب عند ظهور الدعوة كلما تليت عليهم سورة أو آية فهموها
وادرکوا معانيها بمفرداتها وتراكيبها لانها بلسانهم وعلى أساليب بلاغتهم ،
ولان اكثرها قيلت في احوال كانت كالقرائن تسهل فهمها .. وإذا أشكل
عليهم شيء منها سألوا الرسول فكان يبين لهم المجهل ويميز الناسخ من
المنسوخ ، فحفظ أصحابه عنه ذلك وتناقلوه فيما بينهم . وعنهم أخذ من
جاء بعدهم من التابعين وتابعي التابعين

(*) طبعت بعد ظهور هذا الكتاب سنة ١٩١١ كتب مختلفة في القراءات ، ومن أهمها كتاب
التيسير في القراءات السبع (طبع سنة ١٩٣٠) وهو الذي نسب المؤلف الى ابن الصيرفي
وشهرته ابو عمرو الداني المتوفى سنة ٤٤٤ هـ ، ومنها مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه
وقد طبع سنة ١٣٤٥ هـ بدمشق) وكتاب النشر في القراءات العشر لابن الجزري

ولما صار الاسلام دولة واحتاجوا الى الاحكام والقوانين كان القرآن مصدر استنباطها . فزادت العناية بتفسيره وأصبح القراء والمفسرون مرجع المسلمين فى استخراج تلك الاحكام وهم الفقهاء لاول عهد الاسلام . وكانوا يتناقلون التفسير شفاهاً الى أواخر القرن الاول

والمشهور أن أول من دون مجاهد (✱) المتوفى سنة ١٠٤ هـ ، ولكننا وجدنا فى دار الكتب المصرية بضع نسخ من تفسير ينسب الى ابن عباس الصحابى المشهور المتوفى سنة ٦٨ هـ وهو ابن عم الرسول . والمتواتر انه أول من قسّر القرآن ، ولم تكن نظن ان له تفسيراً مدوناً . . ولكن يؤخذ مما ذكر فى مقدمة هذا التفسير أنه نقل بالرواية والاسناد ، ولم يدون فى أيام صاحبه ، وللشيعة تفسير قديم ينسبونه الى محمد الباقر بن على بن الحسين . أما تفسير مجاهد المذكور فقير موجود ، ولعله تفسير ابن عباس رواه مجاهد (١) ولم ينضج التفسير الا فى العهد العباسى كما سيأتى

٤ - الحديث (✱✱)

لما اشتغل المسلمون بتفهم معانى القرآن ، كان فى جملة ما افتقروا اليه فى تفهمها أقوال الرسول ، وهو ما عبروا عنه بالاحاديث النبوية . وأقدم من سمعها وحفظها الصحابة ، فكانوا اذا اشكل عليهم فهم آية واختلفوا فى تفسيرها أو حكم من احكامها استعانوا بتلك الاحاديث على استيضاحها . فلما كانت الفتوح تفرق الصحابة فى الارض وعند كل منهم بعض الاحاديث ، وقد ينفرد بعضهم بأحاديث لم يسمعها سواه ، فأصبح طالب الحديث اذا كان من أهل دمشق مثلاً لا يستوفيه الا اذا رحل فى طلبه الى مكة والمدينة والبصرة والكوفة والرى وغيرها . وكذلك المقيم فى أحد هذه البلاد ، فانه لا يستطيع استيفاء الحديث مالم يطلبه من البلاد الاخرى . . وهذا ما يعبرون عنه بالرحلة فى طلب العلم . . على أن الارتحال فى طلب العلم لم يكن من مستحدثات الاسلام ، ولكنه كان شائعاً من قديم الزمان بالنظر الى قلة وسائل المواصلات واسباب النشر فى تلك العصور ، فكان المؤلف والجغرافى مثلاً يرحل فى طلب التاريخ أو الجغرافيا الى اقاصى البلاد . . كما فعل هيرودوتس واسترابون وغيرهما . وكان المسلمون يرحلون فى طلب العلوم غير الحديث أيضاً ، وكان النصارى فى العصر الاسلامى يرحلون الى بلاد الروم لاتقان ديانتهم (٢)

(✱) انظر فى نشأة تلوين التفسير كتاب المذاهب الاسلامية فى تفسير القرآن لجولدتسيهر ، باب التفسير المأثور ، وكتاب فجر الاسلام لاحمد امين ، وكلمة تفسير فى دائرة المعارف الاسلامية

(١) الفهرست ٢٣

(✱✱) انظر فى الحديث وتلوينه ودخول الوضع فيه فجر الاسلام لاحمد امين ودراسات اسلامية لجولدتسيهر ومادة حديث فى دائرة المعارف الاسلامية

(٢) طبقات الاطباء ١٧٥ ج ٢

نشأت الفتنة بعد مقتل الخليفة عثمان واختلف المسلمون في الخلافة وادعاهما غير واحد ، فانصرفت عناية كل حزب من احزابهم الى استنباط الادلة واستخراج الاحاديث المؤيدة لدعواهم . . فكان بعضهم اذا اعوزهم حديث يؤيدون به قولاً أو يقيمون به حجة اختلقوا حديثاً من عند أنفسهم . . وتكاثر ذلك في أثناء تلك الفوضى ، فكان المهلب بن أبي صفرة مثلاً يضع مع الاحاديث ليشد بها أمر المسلمين ويضعف أمر الخوارج (١) وهو مع ذلك معدود من النبلاء مع علمهم بما كان يضعه من الاحاديث لانهم كانوا يعدون ذلك خدعة في الحرب ، وامثال المهلب كثيرون كانوا يضعون الحديث لاغراض مختلفة . .

فلما هدأت الفتنة وعمد المسلمون الى التحقيق كانت تلك الموضوعات قد تكاثرت ، فاشتغلوا في التفريق بينها وبين الصحيح . . قالوا كتباً كثيرة في الحديث وميزوا صحيحه من فاسده وجعلوه مراتب . . ولهم في ذلك ألفاظ اصطلاحوا عليها لهذه المراتب (**) ، كقولهم : الصحيح ، والحسن ، والضعيف ، والمرسل ، والمنقطع ، والمعضل ، والشاذ ، والغريب ، وغير ذلك من القاب المتداولة بينهم . وبينوا كيف يأخذ الرواة بعضهم عن بعض بقراءة أو كتابة أو مناولة أو اجازة مع تفاوت رتبها (٢) واشهر المحدثين في زمن بني أمية وبعضهم تجاوزه (***) :

١ - ابن أبي مليكة : هو عبد الله بن أبي مليكة التيمي المكي ، من كبار تلامذة ابن عباس توفي سنة ١١٩ هـ

٢ - الازاعي عبد الرحمن بن عمرو ، محدث الشام وفتيها ، أخذ عنه كثيرون ، منهم عبد الله بن المبارك وابن زياد وأبو العباس الوليد بن مسلم ، توفي سنة ١٥٩ هـ

٣ - الحسن البصري : واعظ البصرة المشهور ، وفتيها ، ومحدثها ، ومن أقدم من تكلموا في مسائل القدر توفي سنة ١١٠ هـ

(١) ابن خلكان ١٤٦ ج ٢
(*) تعنى بذلك كتب خاصة هي كتب علم مصطلح الحديث ، ومن اشهرها مقدمة ابن الصلاح ومختصرها لابن كثير والتقريب للنووي
(٢) ابن خلدون ٢٦٨ ج ١

(**) وضعنا هنا أربعة من المحدثين المشهورين في العصر الأموي بدلاً من أربعة آخرين مضمورين وضعهم المؤلف في الطبقات السابقة ومعروف أن أشهر المحدثين في عصر بني أمية هم أولاً من الصحابة عائشة أم المؤمنين وأبو هريرة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وابن عباس وأنس بن مالك بن جابر ، ثم خلفهم تابعون موزعون على الامصار لا يحصون كثرة ، منهم في المدينة الفقهاء السبعة الذين سيذكرهم المؤلف فيما بعد ومعهم نافع مولى ابن عمر وابنه سالم والزهري وفي مكة عطاء وعكرمة وابن دينار وابن جريج ، وفي اليمن طاووس وفي الشام الخولاني وشهر بن جوشب وزجاء بن حيوة ومكحول ، وفي مصر الصابحي وأبو تميم ويزيد بن عبد الله البربري ويزيد بن أبي حبيب ، وفي الكوفة علقمة بن قيس والاسود بن يزيد ومشروق وشريح والشعبي وسعيد بن جبير والنخعي وحامد بن أبي سليمان والاعمش ، وفي البصرة الحسن البصري وابن سيرين وأبو العالية ومسلم بن يسار وأيوب السختياني ، وفي خراسان عطاء بن مسلم والضحاك

٤ - الشعبي : هو ابو عمرو عامر بن شرحبيل توفي بالكوفة سنة ١٠٤ هـ واكثر المحدثين نبغوا في العصر العباسي الاول ، وهم كثيرون ذكرهم ابن قتيبة في كتاب المعارف (صفحة ١٧٢ - ١٧٩)

وليس بين هؤلاء من دون كتابا ، وأقدم من دون الاحاديث مالك بن أنس (*) الامام المشهور في كتاب الموطأ . رتبه على ابواب الفقه وهو مطبوع ومشروح ، وسيدكر في باب الفقه . وذكر بعضهم ان ابن جريج دون الحديث ، لكن لم يصلنا منه شيء

وفي العصر العباسي نضج علم الحديث وضبطت كتبه على أيدي الائمة المحدثين

٥ - الفقه (***)

لما صار الاسلام دولة احتاج امراؤه الى ما يقضون به بين رعاياهم في أحوالهم الشخصية ومعاملاتهم المدنية فرجعوا الى القرآن والحديث ، فاستخرجوا منهما شريعة نظموا بها حكومتهم وحكموا بها بين رعاياهم . . . وذلك طبعي في الدول الكبرى ، فاليونان قلما عنوا بوضع الشرائع والاحكام الدولية أو القضائية لانهم لم يكونوا أهم دولة كبيرة الا زمنا قصيرا فانصرفت قرائحهم الى الفلسفة وفروعها . واما الرومان فقد اتسعت مملكتهم كما اتسعت مملكة العرب وامتد سلطانهم وقويت شوكتهم ، فلم يكن لهم بد من وضع الشرائع . لكنه لم يتم نضجها الا بعد تأسيس دولتهم ببضعة عشر قرنا على يد يوستينيان صاحب القانون المشهور سنة ٥٢٩ م ، وهي عبارة عن عادات واعتبارات واعتقادات تجمعت بتوالي الاحقاب من الشعب اللاتيني والصابني وغيرهما من دانوا لرومية بالتدريج حتى صارت شريعة كاملة على عهد يوستينيان المذكور

(*) المعروف ان تدوين الحديث تأخر الى عصر عمر بن عبد العزيز على رأس المائة الثانية . ولكن هذا لم يمنع من تدوين بعض الاحاديث منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم . على نحو ما هو معروف عن تدوين عبد الله بن عمرو بن العاص . وظل الصحابة والتابعين الاولين يكرهون تدوين الاحاديث مقتدين بالرسول الذي كان يخشى أن يشغل المسلمون بشيء عن القرآن الكريم ، ولكن هذا لم يمنع من تدوين أطراف منه عند بعض التابعين ، أنظر في ذلك تدوين العلم للخطيب البغدادي . حتى اذا كان عصر عمر بن عبد العزيز أخذ المسلمون بتدوينه تدوينا عاما ، وكان أول من قام بذلك ابن شهاب الزهري المتوفى سنة ١٢٤ هـ وتتابح التأليف ، ففي البصرة ألف فيه سعد بن أبي عروة والربيع بن صبيح وفي الشام الوليد بن مسلم وفي الري حماد بن عبد الرحمن وفي خراسان عبد الله بن المبارك وفي واسط بالعراق هشيم بن بشير وفي الكوفة أبو بكر بن أبي شعبة ثم خلف هؤلاء الطبقة الثالثة من التابعين وعلى رأسهم مالك . أنظر المقرئ في الخطط وابن عبد البر في جامع بيان العلم ومقدمات شروح البخاري ومسلم وقوت القلوب للمذنب وفجر الاسلام لاحمد أمين وتسهيل لتاريخ الفلسفة الاسلامية لمصطفى عبد الرارق

(**) أنظر في الفقه والفقهاء زمن الرسول والخلفاء وبنى أمية الفصل الثالث من الباب السادس من كتاب فجر الاسلام لاحمد أمين : ومحاضرات في تاريخ الفقه الاسلامي لاحمد يوسف موسى والعقيدة والشريعة في الاسلام لجولدتسيهر وتاريخ التشريع الاسلامي لحميد الخفري ودائرة المعارف الاسلامية

وأما المسلمون فانهم استخرجوا أحكامهم من القرآن والحديث . ولم يمس عليهم قرنان والثالث حتى نضجت شريعتهم وتكون فقههم ، وهو من أفضل شرائع العالم . وقد أسرعوا في ذلك مثل سرعتهم في تأسيس دولتهم ونشر دينهم . . .

قلنا ان القرآن أساس الفقه الاسلامي ، وكان المسلمون في عهد النبي يتلقون الاحكام منه وهو يبينها لهم شفاهاً . . فلم يكن ذلك يحتاج الى نظر أو قياس . فلما توفي رجع الصحابة الى القرآن والسنة ، فأصبح القراء اول فقهاء المسلمين او حاملي شريعتهم . وكانوا يرجعون اليهم في الفتيا والاحكام لقلة الذين يقرأون في الصدر الاول ، فلما عظمت امصار الاسلام وذهبت الامية من العرب وكمل الفقه وأصبح صناعة بدلوا باسم الفقهاء والعلماء . . .

الفقهاء

واول الفقهاء المسلمين الصحابة الاولون ، وأولهم الخلفاء الراشدون ، ثم عبد الرحمن بن عوف ، وأبي بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وعمار بن ياسر ، وحذيفة ، وزيد بن ثابت ، وسلمان ، وابو الدرداء ، وأبو موسى الاشعري ، (١) ثم انتقلت الفتوى والفقه الى التابعين ، واشتهر منهم سبعة : سعيد بن المسيب ، وابو بكر بن عبد الرحمن ، وقاسم ، وعبيد الله ، وعروة ، وسليمان ، وخارجة ، وقد جمعهم بعض العلماء في هذين البيتين :

ألا كل من لا يقتدى بأئمة فقسمة فيزي ، عن الحق خارجه
فخذهم عبيد الله عروة قاسم سعيد سليمان أبو بكر خارجه (٢)

وبعض المؤرخين يحسبهم عشرة مع تبديل بعض الاسماء ، (٣) وعنهم انتقل الفقه والفتيا في العالم الاسلامي . وفي اوائل الاسلام ، كان الفقه والقراءة والتفسير والحديث علماً واحداً . . ثم اخذت هذه العلوم تستقل بعضها عن بعض عملاً بناموس الارتقاء ، فلما استقل الفقه سموا اصحابه الفقهاء كما تقدم وكان لهم تأثير كبير في الدولة لما يترتب على الفتيا من الامور الهامة كالعزل والتنصيب والقتل والعفو . ففي أيام بني أمية كان المرجع في الفقه والفتيا الى اهل المدينة ، وكان الخلفاء لا يقطعون امراً دونهم . ولم يخلف فقهاء العصر الاموي آثاراً مكتوبة لأن الفقه نضج وتكيف بعد نوبغ الأئمة الاربعة في العصر العباسي

العلوم اللسانية

في العصر الاموى

ونريد بها العلوم التى ترجع الى ضبط اللغة العربية كالنحو والصرف، والادب ونحوها . وهذه بدأت بالتكون فى العصر الاموى ، ولم يتكون منها فى هذا العصر غير النحو ويلحقه الحركات والاعجام . وسنتكلم عن كل منها:

١ - النحو

النحو بمعناه الحقيقى طبيعى على لسان كل متكلم يتلقنه من مرضعه ، لان الانسان يتعلم النحو وهو يتعلم النطق . . اذ بدونه لا يحسن التعبير عن افكاره . اما اذا اراد ان يتعلم لسانا غير لسانه ، فدرس قواعد النحو فانه يسهل عليه تناوله . ولذلك فالامة قد تقضى قرونا عدة وهى تتكلم وتخطب وتنظم الشعر قبل ان تدون قواعد النحو وتجعله علما . . فاليونان لم يبدؤا بضبط قواعد لسانهم الا فى القرن الخامس قبل الميلاد . واول من بدأ بذلك منهم بروتغوراس المتوفى سنة ٤١١ ق . م . فتكلم فى المذكر والمؤنث وبعض الاسماء ، ثم بروديكوس وقد عاصره وتكلم فى المترادفات ، ثم جاء ارسطو وغيره واتموا علم النحو اليونانى وله تاريخ يشبه تاريخ النحو العربى . وكذلك فعل الرومان فى نحو اللغة اللاتينية ، فانهم لم يدونوا قواعده الا فى القرن الاول قبل الميلاد فى زمن بومبيوس . . وقد دونه عالم اسمه ديونيسيوس تراكس اقتداء باليونان

فاليونان نبغ فيهم الشعراء والخطباء والادباء والفلاسفة قبل تدوين قواعد النحو فى لسانهم . . فنظم هوميروس الياذته واوديسته وهو لم يتعلم قواعد النحو ، فلم يضره ذلك شيئا لان اللغة كانت ملكة فيه . والف اسخيلوس الروايات التمثيلية وسحر اليونان ببيانته ، ونبغ الفلاسفة امثال افلاطون واثيناس . وكتب هيرودوتس الرحالة تاريخه المشهور قبل وضع النحو . وكذلك الرومان ، فقد نبغ فيهم جماعة من الشعراء والخطباء والادباء قبل تدوين النحو

وهكذا العرب ، فقد نظموا الشعر والقوا الخطب وتناشدوا وتراسلوا قبل تدوين النحو لأن ملكة اللغة كانت طبيعية فيهم . . على أنهم اضطروا إلى ضبط تلك القواعد وتدوينها بأسرع مما اضطروا إليه اليونان والرومان ، تنمسا للدقة في ضبط معاني القرآن . . فلم يمض على دولتهم نصف قرن حتى شعروا بالحاجة إلى النحر . ويغلب على ظننا أنهم نسجوا في تبوية على متوال السريان ، لأن السريان دونوا نحوهم وألفوا فيه الكتب في أواسط القرن الخامس للميلاد . وأول من باشر ذلك منهم الاسقف يعقوب الرهاوي الملقب بمفسر الكتب المتوفى سنة ٤٦٠م (١) ، فالظاهر أن العرب لما خالطوا السريان في العراق اطلعوا على آدابهم وفي جملتها النحو ، فأعجبهم . . فلما اضطروا إلى تدوين نحوهم نسجوا على منواله لان اللغتين شقيقتان . ويؤيد ذلك ان العرب بدأوا بوضع النحو وهم في العراق بين السريان والكلدان . وأقسام الكلام في العربية هي نفس أقسامه في السريانية

أما استعجال العرب في تدوين النحو فإنه تابع لاستعجالهم في الفتح ونشر الدين ، لأن الفتوح دعت إلى الاختلاط بالاعاجم ، والاختلاط دعا إلى فساد اللغة . فأصبح الناس يهملون الاعراب . وكان العرب عند ظهور الاسلام يعربون كلامهم على نحو ما في القرآن ، الا من خالطهم من الموالى والمتعربين ، فان هؤلاء كانوا حتى في أيام الرسول يخطئون في الاعراب . . وقد ذكروا رجلا لحن بحضرة الرسول فقال : « أرشدوا أخاكم فقد ضل » وقال ابو بكر . « لان اقرأ فأسقط أحب الى من ان اقرأ فألحن » (٢) ولكن اللحن لم يكن الا بعد الفتوح وانتشار العرب في الآفاق ، فتذر العمال مما كانوا يسمعون من اللحن وخصوصا في قراءة القرآن ، وأحسوا بحاجة شديدة إلى ضبط قواعد اللغة

أما واضع علم النحو أو مدونه فهو بالاجماع أبو الاسود الدؤلى المتوفى سنة ٦٩ هـ ، وكان من سادات التابعين صاحب على بن أبى طالب وشهد معه واقعة صفين ثم أقام في البصرة . وكأنه تعلم لغة السريان أو اطلع على نحوها فرغب في النسج على منواله ، فعرض ذلك على والى العراقين يومئذ زياد ابن أبيه فأبى (٣) . . حتى اذا جاءه رجل يشكو إليه أمرا فسمعه يقول : « أصلح الله الأمير توفى أبانا وترك بنون » فاستنكف زياد من سماع ذلك اللحن ، فبعث إلى أبى الاسود أن يصنع ما كان قد نهاه عنه

واختلف الرواة فيما بعث أبا الاسود على وضع النحو ، لكنهم مجمعون على أنه واضعه كما قدمنا . وهو يقول انه تلقى ذلك عن على بن أبى طالب

(*) أنظر في ذلك ضحى الاسلام لاحمد أمين ، الجزء الثانى . . وكلمة نحو في دائرة المعارف الاسلامية

(٢) المزهر ١٩٩ ج ٢

(١) شعراء السريان للقرطبي ١٨

(٣) ابن خلكان ٢٤٠ ج ١

فوضع علم النحو أو الشروع فيه على الأقل ثابت لابي الاسود ، ويؤيد ذلك ما ذكره ابن النديم صاحب الفهرست مما شاهده بعينه في عرض كلامه عن خزانة كتب اطلعه عليها احد جماعى الكتب . . فكان في جملة ما فيها قمطر كبير فيه نحو ٣٠٠ رطل جلود فلهاف وصكاك وقرطاس مصرى وورق صينى وورق تهاى وجلود آدم وورق خراسانى ، وبينها أربع أوراق . قال : « أحسبها من ورق الصين ترجمتها هذه فيها كلام فى الفاعل والمفعول من ابي الاسود رحمة الله عليه بخط يحيى بن يعمر ، وتحت هذا الخط بخط عتيق هذا خط علان النحوى وتحت هذا خط النضر بن شميل . ثم لما مات هذا الرجل فقدنا القمطر » (١)

على أن ما وضعه أبا الاسود من القواعد لم يكن ليسد الحاجة المستعجلة لضبط القراءة ، فعمد الى ضبطها بعلامات يتميز بها المنصوب من المرفوع أو الاسم من الفعل ، فوضع علامات كانت عند السريان يدلون بها على انرفع والنصب والجر أو يميزون بها الفعل من الاسم كما سيجىء

فالعرب كانوا يعرفون الاعراب قبل علم النحو كما كانوا يحسنون النظم قبل علم العروض ، وكان ذلك ملكة طبيعية فيهم حتى اختلطوا بالاعاجم وأسلم هؤلاء وليس فيهم ملكة اللغة ليفهموا القرآن . . فاضطروا الى ضبطها وكانوا أكثر المسلمين اشتغالا بذلك . بدأ بعلم النحو أبو الاسود واتمه من جاء بعده من أهل البصرة والكوفة . ولم ينضج الا فى العصر العباسى وسيأتى الكلام عليه هناك

٢ - الحركات

ونعنى بها علامات الضم والفتح والكسر ونحوها ، اضطروا الى وضعها فى أوائل الاسلام لضبط الاعراب فى قراءة القرآن . وكان القرآن فى أول الاسلام محفوظا فى صدور القراء ، لا خوف من الاختلاف فى قراءته لكثرة عبايتهم فى تناقله وضبط الفاظه حتى دونوه وكثر اهل الاسلام . . فمضى نصف القرن الاول للهجرة والناس يقرأون بلا حركات ولا اعجام . وأول ما افتقروا اليه الحركات ، وأول من رسمها أبو الاسود الدؤلى المتقدم ذكره . . فانه وضع نقطا تمتاز بها الكلمات أو تعرف بها الحركات ، ولذلك توهم بعضهم أنه وضع نقط الاعجام . والحقيقة أنه وضع نقطا لتمييز الاسم من الفعل والحرف ، وليس لتمييز الباء من التاء أو الجيم من الحاء . والارجح أنه اقتبس ذلك من الكلدان أو السريان جيرانه فى العراق ، وكان عندهم نقط كبيرة توضع فوق الحرف أو تحته لتعيين لفظه أو تعيين الكلمة الواقع هو فيها : اسم هى ، أم فعل ، أم حرف . . مثل قولهم «كتب» فيمكن أن تكون اسما جمع كتاب أو فعلا ماضيا معلوما أو مجهولا . وكان عندهم أيضا نقط هى حركات ، وصفها يعقوب الرهاوى قبيل ذلك الزمن ، (٢) وهى عبارة عن نقط كانت ترسم فى حشو الحروف ثم تحولت الى نقط مزدوجة تنوب عن الحركات الثلاث ، وما زالت عندهم الى اليوم

فالظاهر أن أبا الاسود اقتبس هذه الحركات . ويؤيد ذلك أنه لما أراد التنقيط أتوه بكاتب ، فقال له أبو الاسود : « اذا رأيتنى قد فتحت فمى بالحروف فانقط نقطة فوقه على أعلاه . وان ضمنت فانقط نقطة بين يدي الحرف . وان كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف » (١) فكان العرب بعد ذلك يستعملون هذه النقط . والغالب أن يكتبوها بلون غير لون الخط . وقد شاهدنا في دار الكتب المصرية مصحفا كوفيا منقطا على هذه الكيفية وجدوه في جامع عمرو بجوار القاهرة ، وهو من أقدم مصاحف العالم مكتوب على رقوق كبيرة بمداد اسود وفيه نقط حمراء اللون . فالنقطة فوق الحرف فتحة ، وتحت كسرة ، وبين يدي الحرف ضمة ، كما وصفها أبو الاسود

صور الحركات

اما صور الحركات التى وصلت إلينا . . نعى الضمة والفتحة والكسرة فلا نعلم واضعها أو واضعيها ولا الزمن الذى وضعت فيه ، ولكن الغالب أنها وضعت فى القرون الاولى للاسلام كما وضعت نقط الاعجام اقتداء بالسريان لان هؤلاء وضعوا الحركات لحروفهم فى القرن الثامن للميلاد تقطا كما فعل العبرانيون . والحركات عند العبرانيين ١١ وعند السريان الشرقيين ٧ وعند السريان الغربيين ٥ ، أما فى العربية فهى ثلاث فقط

ظل الساميون يكتبون السنتهم بلا حركات من أقدم أزمنة التاريخ فى آشور وبابل وفينيقية واليمن والحجاز ، ولم يفتنوا لوضع الحركات الا بعد الميلاد المسيحى . وأقدم وسيلة اتخذوها لدفع الالتباس فى القراءة النقطة الكبيرة التى استخدمها السريان كما تقدم . والغالب أنها وضعت نحو القرن الرابع للميلاد . ثم تقدموا خطوة أخرى فاتخذوا لكل خطوة علامة خاصة توضع فوق الحرف أو تحته ، وهى عند العبران والسريان الشرقيين نقط توضع مفردة أو مزدوجة فوق الحرف أو تحته فتدل على الضم أو الفتح أو الكسر أو ما بينهما ، كالأماله والاشمام ونحوهما

اما السريان الغربيون ، فاقتبسوا الحركات من الابجدية اليونانية ، واخذوا منها خمسة أحرف صوتية هى Y.E.H.O.A عبروا بها عن الحركات ، كل حرف يجانس الحركة التى يدل عليها فى اليونانية . وقد تم ذلك فى المائة الثامنة للميلاد . . اذ نهض السريان لتحرير الفاظ الكتاب المقدس وسائر كتب الدين وضبطوا قراءتها ، وكانت اليونانية شائعة بين رجال العلم منهم ، فاقتبسوا حروفها الصوتية لهذه الغاية

أما العرب فقد اهتموا بضبط لسانهم مثل السريان ، فاقتمدوا بهم أولا بالنقط الكبيرة والصغيرة ثم وضعوا الحركات المستقلة كما وصلت إلينا . . لكنهم لم يقتبسوها من أحرف اللسان الأخرى كما فعل السريان ، بل أخذوها من الابجدية العربية فاستخدموا حروفها الصوتية لتسدل على الحركات . والحركات العربية لا تقل عددا عن الحركات السريانية وربما زادت عليها ،

ولكن الأحرف الصوتية في العربية ثلاث فقط (الواو والالف والياء)
 واستعاروها للدلالة على الضم والفتح والكسر وهي الحركات الرئيسية ،
 وتركوا سائر الحركات المختلصة كالاشمام والروم والامالة لفطنة القارئ .
 وإذا تأملت صور الحركات المذكورة رأيت الضمة كالواو تماما والفتحة تشبه
 الالف مائلة . وأما الكسرة فانها الآن بعيدة الشبه بالياء . فاما انها كانت عند
 أول استخدامها أقرب الى شكل الياء ثم تنوعت بالاستعمال ، أو أنهم قلدوا بها
 حركة الكسر عند السريان الشرقيين ، وهي نقطتان أسفل الحرف فرسمهما
 العرب معا فجاءتا كالكسرة . أو لعلمهم اقتبسوا الياء السريانية فان صورتها
 كالكسرة العربية وهي (~) وقد قال الامام الرازي : « الحركات أبعاض
 المصوتات »

المد والشدة والوصلة والهمزة

وفي الكتابة العربية علامات أخرى لضبط التلفظ بالمد أو الوصل أو الإدغام،
 وهي أحدث في استنباطها من الحركات التي تقدم ذكرها . ولكنها وضعت
 قبل القرن الخامس للهجرة وأشهرها المد « ~ » والشدة « ¨ » والوصلة « ¸ » وكلها
 مقتطعة من ألفاظ تؤدي المعنى المراد من وضعها . فالمددة مقطوعة من « مد »
 والشدة من « شد » والوصلة من « صل » . . . وذلك أن الكاتب كان إذا
 أراد ضبط ما يكتبه كتب فوق الحرف الذي يريد مدده قوله « مد » بصيغة
 الامر ، وفوق الحرف المدغم لفظ « سد » والشين بلا نقط ، وفوق الالف
 المراد وصلها كلمة « صل » . وكانوا يرسمون هذه الالفاظ صغيرة كما
 يفعلون حتى اليوم في علامات ضبط قراءة القرآن ، فيكتبون فوق الكلمة
 « قف » أو « ج » أو « ص » أو « ط » وكل منها مقتطعة من لفظ يراد به
 تعيين درجة الوقف أو الوصل

وظلوا دهرًا يكتبون علامات المد والشد والوصل بصورها الأصلية ثم
 احتصروها ، فكانوا يعبرون عن حركة المد أولا بكتابة لفظ « مد » وعن
 التشديد بلفظ « شد » وعن الوصل بلفظ « صل » ثم اختصروا صورها
 بالاستعمال فصارت المد « مد » والشدة « سد » والوصلة « صل » ثم اختصرت
 في الكتابة الى ما هي عليه الآن . وقد أطلعنا في معرض دار الكتب المصرية
 على كتاب مخطوط في أوائل القرن الخامس للهجرة ، وفيه هذه العلامات
 قريبة جدا من الفاظها الأصلية . وهذه صورتها في ذلك الكتاب «مد» للمدة
 و «سد» للشدة و «ص» للوصلة

أما همزة القطع فانها بصورة العين مصغرة «ع» ، ولعلمهم يرمزون عنها
 بالعين لتقارب لفظيهما ، وكثيرا ما تتبادلان ، أو أنهم رسموا العين مقطعة من
 لفظ « قطع » كما بقيت الصاد من صل والشين من شد .
 ومن العلامات الكتابية الشائعة علامة توضع في آخر الرسالة أو الكتاب .
 ويراد بها الدلالة على نهاية القول وهي « هـ » أو نحوها ، والغالب في اعتقادنا
 أنها بقية لفظ « صح » التي كانوا ولا يزالون يختمون رسائلهم بها

٣ - الاعجام

كان الحظ لما اقتبس العرب من السريان والانباط خاليا من النقط . ولا تزال الخطوط السريانية بلا نقط الى اليوم . فالاعجام حاد في العربية وهو قديم فيها . والظاهر ان المسلمين بعد ان استخدموا الحركات المذكورة راوا التصحيف قد تكاثر ، والتبست القراءة عليهم لتكاثر الاعاجم من القراء ، والعربية ليست لغتهم . . فصعب عليهم التمييز بين الاحرف المتشابهة في شكلها كالجيم والحاء والسين والشين والباء والتاء والثاء ، فانتبه لذلك الحجاج أمير العراق في أيام عبد الملك بن مروان . قال ابن خلكان : « ففرع الحجاج الى كتابه وسألهم ان يضعوا لهذه الاحرف المختلفة علامات تميزها بعضها من بعض ، فيقال ان نصر بن عاصم قام بذلك فوضع النقط افرادا وازواجا وخالف بين امكانها ، فعبر الناس بذلك زمانا لا يكتبون الا منقوتا فكان مع استعمال النقط ايضا يقع التصحيف ، فأحدثوا الاعجام فكانوا يتبعون النقط بالاعجام » (١) وفي عبارة ابن خلكان هذه التباس فلا يفهم المراد بها ولا ما الفرق بين التنقيط والاعجام وهما واحد . ولا يعقل أن يكون المباد بالنقط الحركات لانهم انما عمدوا اليها لكثرة التصحيف اى اختلاف القراء باختلاف النقط . فالظاهر ان النقط المذكورة هي من قبيل الاعجام لتمييز الحروف المتشابهة ، ولكن نصرا هذا لم ينقط الا بضعة حروف مما يكثر وروده ويخشى الالتباس فيه . ثم رأوا القراءة لا تضبط الا بتنقيط كل الحروف كما هي الآن ، وهذا ما عبروا عنه بالاعجام

وقد شاهدنا في معرض الخطوط في دار الكتب المصرية كتابة عربية على صحيفة من البردي « البابيروس » مؤرخة سنة ٩١ هـ ، وفيها اعجام لكنه قاصر على الصور المتشابهة للباء للتمييز بين الباء والياء والتاء وصورة حرف الشين لتمييزه من السين بثلاث نقط موضوعة على استواء واحد . وشاهدنا اجزاء من مصاحف أخرى مكتوبة على رقوق صغيرة وعليها نقط حمراء للحركات وتقط سوداء للاعجام . وقد تجد خطوطا قديمة منقطة ومحركة وخطوطا حديثة بلا تنقيط ولا تحريك

ولم تعجم الحروف كلها في وقت واحد ، ولكنهم تدرجوا في ذلك حسب الحاجة في ازمة مختلفة . ويتضح ذلك لمن يتأمل في المخطوطات العربية القديمة ، فانك تجد الاعجام لم يبلغ ما هو عليه الان الا بتوالي الاجيال . وآخر حرف أعجم الياء لتمييز الياء من الالف المقصورة . وأول من فعل ذلك المرسلون الامريكيون في بيروت في اوائل القرن الماضي

٤ - التاريخ والجغرافية

في زمن نبي امية

ثم يكن عند عرب الجاهلية من التاريخ الا اخبار متفرقة ليست من التاريخ في شيء ، فلما ظهر الاسلام واشتغل المسلمون بالفتح والحرب حتى استتب

(١) ابن خلكان ١٢٥ ج ١

لهم الامر ونزعوا الى الجهاد .. تدرجوا في وضع التاريخ مثل تدرجهم في سائر العلوم الاسلامية . وهو قسمان :

١ - تاريخ المسلمين واعمالهم وتراجم رجالهم وهذه قد استخرجها العرب من اعمالهم

٢ - تاريخ الامم الاخرى .. وهذه بدأوا بتعريفها ونقلها من زمن بنى أمية لان الدهاة من الخلفاء الامويين كانوا من أرغب الناس في معرفة اخبار مشاهير الامم الاخرى ..

فمعاوية بن أبي سفيان كان يجلس لاصحاب الاخبار في كل ليلة بعد العشاء الى ثلث الليل ، فيقصون عليه من اخبار العرب وایامها والعجم وملوكها وسياستها في رعيته وسائر ملوك الامم وحروبها ومكائدها . ثم ينام ثلث الليل ويقوم ، فيأتيه غلمان مرتبون وعندهم كتب قد وكلوا بحفظها وقراءتها ، فيقرأون عليه ما في تلك الكتب من سير الملوك واخبار الحروب ومكائدها وانواع السياسة (١) . والغالب في اعتقادنا ان تلك الكتب كانت باللغتين اليونانية واللاتينية، وفيها اخبار ابطال اليونان والرومان كالاسكندر ويوليوس قيصر وهنيبال ، وان الغلمان كانوا يفسرونها له بالعربية

وسماع اخبار العظماء يستنهض الهمم الى الاقتداء بهم ولذلك كان أكثر القواد العظام الراغبين في العلا من العرب وغير العرب يستتلون اخبار من سبقهم من مشاهير القواد والساسة للعبرة

أما تدوين التاريخ في اللغة العربية ، فبدأ في زمن بنى أمية مع رغبة المسلمين عن التدوين في ذلك العصر لأسباب بينها في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي . ولكنهم اختصوا عدم التدوين بالفقه والتفسير ، فلم يدونا الا في القرن الثاني . وأما ما تقدم ذكره عن تفسير ابن عباس ، فانه مروي عنه سماعا

ويظهر انهم بدأوا بتدوين التاريخ الاجنبى قبل تدوين حروبهم وفتوحهم ، اذ لم يكن المراد بالتدوين خدمة التاريخ .. انما فعلوه لحاجة الخلفاء الى الاطلاع على احوال الامم الاخرى . وأول من فعل ذلك عبيد بن شربة (**) الف كتاب الملوك واخبار الماضين لمعاوية بن أبي سفيان ، ذكره صاحب الفهرست ولا وجود له الآن . وكان الامويون يسمون ابحاث هذا العلم « علم اخبار الماضين » . وذكر ابن النديم كتابا في موضوعات مختلفة الفها ابومخنف الأزدي من أصحاب على ، فيها تراجم المشاهير ونحوهم ، وكتابا الفه عوانة ابن الحكم الكلبى في التاريخ، وآخر في سيرة معاوية وبنى أمية في القرن الثاني للهجرة . ولم يصل إلينا شيء من هذه الكتب ولا غيرها من كتب الادب

(١) السعوى ٥٢ ج ٢

(**) أنظر دائرة المعارف الاسلامية في ترجمة عبيد وكذلك زميله وهب بن منبه ، وهما أقدم المؤرخين العرب ، وقد كتب أبان بن عثمان بن عفان كتابا في تاريخ الرسول وغزواته ، كما كتب في ذلك مروة بن الرير . وانظر مادة تاريخ في دائرة المعارف الاسلامية ، والفصل الأول من الباب الخامس في فجر الاسلام لاحمد أمين

والتاريخ مما كتب في زمن بنى أمية (*)

ومن العلوم التاريخية التي ولدت في العصر الاموي علم الانساب ، وقد علمت ان الاسباب من العلوم الجاهلية فاحتاج اليها المسلمون في صدر الاسلام لاثبات انسابهم . وعليها يتوقف مقدار العطاء أو منزلة الشخص من الدولة أو المنصب فجعلوها علما . وأول من احتاج الى ذلك زيادة بن ابيه الداهية المشهور الذي استلحقه معاوية بنسبه ليستعين به على اعدائه ، فعمل في نسبه كتابا دفعه الى ابنه . ذكر ذلك ابن النديم ايضا ، ولم نقف عليه ولا على خبره . وذكر ايضا من أقدم النسابين في الاسلام دغفل والحجر بن الحارث والبكري ولسان الحمرة ولم يذكر لهم كتباً

وبالاجمال أن التاريخ ولد في زمن بنى أمية، ولم ينضج الا في العصر العباسي . وعلى كل حال فان العرب من أسبق الامم الى تدوين التاريخ بعد أن تمدنوا، لان الرومان لم يؤلفوا فيه الا بعد تأسيس دولتهم بسبعة قرون . وأول مؤرخيهم يوليوس قيصر (١) أي بعد استقرار الدولة . واليونان بدأ التاريخ عندهم بموضوعات خاصة ، ولم يدونوا التاريخ العام الا في زمن هيرودوتس اي بعد انشاء دولتهم ببضعة قرون

أما الجغرافية فلفظها يدل على انها دخيلة ، لكن العرب بدأوا بشيء منها قبل النقل كما سيجيء

هـ - العلوم الدخيلة

نريد بالعلوم الداخلية التي نقلها المسلمون الى اللغة العربية من اللسنة الاولى . ويدخل فيها علوم اليونان والفرس والهند والسرمان وغيرهم . وهذه نقلت في العصر العباسي كما هو مشهور ، لكن العرب بدأوا بنقلها منذ أيام بنى أمية وإن لم يبق من نقلهم شيء الى الآن

خالد بن يزيد

وأول من فعل ذلك خالد بن يزيد بن معاوية المتوفى سنة ٨٥ هـ حفيد معاوية الأكبر ويسمونه الحكيم . وكان طامعا في الخلافة بعد وفاة اخيه معاوية الثاني ، فغلبه على ذلك مروان بن الحكم وانتقلت الخلافة من بيت ابي سفيان الى بيت مروان . فلما يؤس خالد من الخلافة وهو ذو مطامع وذكاء ، انصرف ذهنه الى اكتساب العلا بالعلم . وكانت صناعة الكيمياء رائجة يومئذ في مدرسة الاسكندرية ، فاستقدم جماعة منهم راهب رومي اسمه مريانوس طلب اليه أن يعلمه صناعة الكيمياء . فلما تعلمها أمر

(*) طبع بعد تأليف هذا الكتاب كتابان من كتب الاخبار والتاريخ في عصر بنى أمية ، وهما : كتاب اخبار عبيد بن شربة ، وكتاب التيجان في ملوك حمير لوهب بن منبته وهما مصوعان في حيدر آباد سنة ١٣٤٧ هـ

بنقلها الى العربية فنقلها له رجل اسمه اسطفان القديم (١) . وهذا اول نقل في الاسلام من لغة الى لغة

وكان خالد راغبا في علم النجوم ايضا ، وانفق الاموال في طلبه واستحضار آلاته . ولعلمهم ترجموا له شيئا منه لم يصلنا خبره

ولم يصلنا شيء من منقولات خالد المذكورة ، ولكنه كان شديد الولع بالعلوم الطبيعية وخصوصا الكيمياء والفلك . وقد ذكر ابن القفطى في ترجمة ابن السنبدي انه شاهد في خزائن الكتب بالقاهرة كرة نحاس ، كتب عليها « حملت هذه الكرة من الامير خالد بن يزيد بن معاوية » (٢)

واشتغل بنقل العلم في هذا العصر بعض اهل الشام ، نقلوا بعض كتب الطب . ومن وصلنا خبرهم من النقلة طيب كان معاصرا لمروان بن الحكم اسمه ماسرجويه ، سرياني الجنس يهودي المذهب كان يقيم في البصرة . وظهر في ايامه كتاب في الطب هو كناش (حاوى) من افضل الكتانيس ، الفه القس اهرون بن اعين في اللغة السريانية فنقله ماسرجويه الى العربية . فلما تولى عمر بن عبد العزيز وجد هذا الكتاب في خزائن الكتب في الشام . فحرضه بعضهم على اخراجه الى المسلمين للانتفاع به ، فاستخار الله في ذلك اربعين يوما ثم اخرجه الى الناس وبثه في ايديهم . ويدلك ذلك على التردد الذي استولى على الخليفة في اخراج هذا الكتاب ، مع انه من كتب الطب لا الفلسفة

وذكر ابن النديم ان سالما كاتب هشام بن عبد الملك نقل رسائل ارسطو الى الاسكندرية . وعلى كل حال لم يبق شيء من منقولات هذا العصر

(١) الفهرست ٢٤٢ و ٢٤٤

(٢) اخبار الحكماء لابن القفطى ٤٤٠

الآداب الجاهلية

في العصر الأموي

نريد بالآداب الجاهلية الآداب العربية التي كانت عند العرب قبل الاسلام وقد تطورت عندهم ، وأهمها اللغة والشعر والخطابة والانشاء ، وننظر في كل منها على حدة

١ - اللغة

اللغة مرآة عقول أهلها ومعرض آدابهم وأخلاقهم وسائر أحوالهم ، تتبعهم فيما يطرأ عليهم من التغيير وتحفظ آثار ذلك التغيير . وقد تتبدل أحوال الأمة ويذهب كثير من عاداتها أو آدابها وتبقى آثار ذلك في ألفاظها وتراكيبها ، وقد رأيت ما حدث في اللغة من الآداب الشرعية واللسانية ، فاقضى ذلك طبعاً أن يحدث فيها ألفاظ جديدة أو تتنوع بعض ألفاظها للتعبير عن المعاني الجديدة ..

فمن المصطلحات اللغوية التي اقتضتها العلوم اللسانية قولهم : النحو والعروض والشعر والاعراب والادغام والاعلال والحقيقة والمجاز والنقض والمنع والقلب والرفع والنصب والخفض والمديد والطويل وغيرها من أسماء البحور وضروب الاعراب والتصريف ، وهي كثيرة جداً ولها فروع واشتقاقات .. حتى لقد أصبح للفظ الواحد معنى فقهي وآخر لغوي وآخر عروضي وآخر ديني مما لا يمكن حصره . أما المصطلحات الشرعية فقد ذكرنا بعضها في الكلام على اللغة في عصر صدر الاسلام ، فليقس عليها ودخل اللغة في هذا العصر كثير من المصطلحات الادارية كالخليفة والوزارة والحجابه والامامة وغيرها من مصطلحات الجند : كالمستترزة والمتطوعة والعلوفة والعسكر ، وضروب الحرب وأبواب الهجوم : كالزحف والكر والفر والبيات والكفاح والغرة ، وصنوف الأسلحة : كالدبابة والكبش والعرادة وغيرها .. ناهيك بمصطلحات الدواوين علم اجمالها كقولهم : الثغور والعواصم والاقليم والقصبة والعمل والولاية والضيايع والحكومة والسكة والتوقيع والوظيفة والخراج والجزية والعشور والمرافق والصوافي والجوالي والجبابة والوقف والمصادرة والمستغلات والصدقة والمكوس والمراصد ودار الضرب والضمان والدفاتر والجرائد والخراائط والايغار والراتب والجاري والعطاء والبيعة والدعوى والختم والخطط والمطالعة والمؤامرة وغير ذلك كثير جداً

وأكثر هذه الالفاظ كانت موجودة فى اللغة ، لكن مدلولاتها تغيرت بتغير أحوال العرب بعد انشاء دولتهم لحدوث معان جديدة اقتضاها ذلك التغير (١)

٢ - الشعر فى العصر الاموى

لم يكن للشعر العربى تأثير فى النفوس ومنزلة فى الدولة فى عصر من عصور العرب مثل ما كان له فى العصر الاموى ولا غرابة فى ذلك بعدما علمته من خصائص ذلك العصر السياسية وطبائع الامويين . ولا بأس من ذكر الاسباب التى بعثت على ازدهار الشعر فى هذا العصر ومنزلته فى الدولة وتأثيره فى النفوس بإيجاز ، ثم نأتى على مميزاته

اسباب رواجه

١ - انقسام القبائل بالعصبية . اقتضت سياسة بنى أمية امتعاء القبائل بعضها على بعض بالرجوع الى عصبية الجاهلية . وأول من فعل ذلك معاوية فى الخلاف بينه وبين على وأبنائه . ثم كان انقسام القبائل عند انتقال الخلافة من آل معاوية الى آل مروان وكلاهما من بنى أمية ، ونشبت الحرب فى مرج راهط . وقد تقدمت الاشارة الى ذلك . وأخيرا قام طلاب الخلافة من غير العلويين فى زمن يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان وهم الحسين بن على وآل الزبير والازارقة وسعيد بن الاشديق وغيرهم كما تقدم . ولكل خارج قبيلة أو بضع قبائل تنصره ، والامويون يستعينون بالشعراء على اختلاف قبائلهم وبطونهم . يتألفونهم بالعطاء لعلمهم بما لقول الشاعر من التأثير فى نفوس عشيرته لأنه لسان حالها . فازداد الشعراء بذلك نفوذا وتقربا من الخلفاء أو الامراء . وكان الخليفة يعد مدح الشاعر له دليلا على رضى قبيلته عن سياسته لأنه لسان حالها . والقبيلة تعد اكرام الخليفة لشاعرها اكراما لها

٢ - سخاء بنى أمية بالاموال : واقتضت سياستهم تألف الشعراء بالمال فضلا عن اضطرار الشعراء وغيرهم الى استرضائهم خوفا من قطع العطاء عنهم . والعطاء يومئذ رواتب الجند وسائر المسلمين . وكان المسلمون فى صدر الاسلام كلهم جندا ، ولكل منهم راتب يتناوله من بيت المال على شروط مذكورة فى الديوان (٢) فمن قبض على بيت المال قبض على رقاب الرعية ، ويجدر بهم أن يتقربوا منه ويتزلفوا اليه . فاذا كان القابض عليه حكيما يعرف كيف يعطى ولمن يعطى ، أغناه ذلك عن سائر الاسباب فيزيد العطاء أو ينقصه أو يقطعه على حسب الاقتضاء

كذلك كان يفعل الدهاة من بنى أمية ، وقدوتهم معاوية بن أبى سفيان أكبر دهاة العرب . فقد جعل تصرفه فى العطاء وسيلة لاكتساب قلوب

(١) راجع تفصيل ذلك فى كتابنا تاريخ اللغة العربية « الطبعة الثانية » صفحة ٢٤ وما بعدها

(٢) تاريخ التمدن الاسلامى « الطبعة الثانية » صفحة ١٥٤ ج ١

المسلمين حتى أشياع العلويين وغيرهم من أبناء الصحابة الذين كان يخاف قيامهم للمطالبة بالملك . فأخبر به أن يفعل ذلك بالشعراء ولهم رواتب في بيت المال مثل سائر المسلمين ، فلم يكن الشعراء يرون بدا من استرضاء بني أمية خوفا من قطع أعطيتهم فضلا عما يرجونه من الجوائز إذا أحسنوا إرضاءهم . .

٣ - رغبة بني أمية في الشعر : كان لبني أمية رغبة شديدة في احياء لسان العرب وآدابه كما قدمنا . وكان الخلفاء أنفسهم من أهل الادب ، نفوسهم شاعرية حساسة . حدث معاوية عن نفسه : قال : « اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر دأبكم ، فلقد رأيتني ليلة الهرير بصفين وقد أتيت بفرس أغر محجل بعيد البطن من الارض وأنا أريد الهرب لشدة البلوى ، فما حملني على الإقامة الا أبيات عمرو بن الاطنابة » .

أبت لي همتي وأبى بلأني وأخذني الحمدة بالثمن الربيع وإقحامى على المكروه تقى وضربى هامة البطل المشيخ وقولى كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحى لأدفع عن مآثر صالحت وأحمى بعد عن غرض صحيح^(١) ويزيد بن عبد الملك رد الاحوص الشاعر من منفاه ببيت شعر له غنته فيه جميلة المغنية وهو قوله :

كريم قريش حين يئنسب والذي أقرت له بالملك كهلا وأمردا فطرب يزيد وقال : « ويحك من كريم قريش هذا ؟ » قالت : « أنت وقد قاله الاحوص وهو منفي » فكتب برده ، وأنفذ له حللا سنية وأدناه وقربه . وقال له يوما : « لو لم تمت الينا بحسق ولا صهر ولا رحم الا بقولك :

وإني لأستحييكم إذ يقودنى إلى غيركم من سائر الناس مطمع لكفاك ذلك عندنا » (٢)

وقد راسل عبد الملك بن مروان عدوه ابن الزبير بالشعر وأجابه ذلك بمثله (٣) وكان عمال الامويين اصحاب شعر وخيال وحس مثلهم . فالحجاج وهو أشدهم وطأة ، جىء بالاسرى بين يديه بعد حرب الاشعث فأخذ في قتلهم بقة ذلك اليوم حتى صاح به رجل : « والله يا حجاج لئن كنا قد أسأنا بالذنب فما أحسنت بالعفو ، ولقد خالفت الله فينا وما أطعته » فقال له : « وكيف . . ويلك ؟ » قال : « لان الله تعالى يقول : (فاذا لقيتم الذين

(١) العمدة ١٠ ج ١ ، والمشيخ : الجاد في الامر ، وكلما جشأت وجاشت أى كلما اضطربت نفسى من خوف أو جزع
(٢) الاغانى ٥٧ ج ٨
(٣) الاغانى ٦٨ ج ١٣

كفروا ف ضرب الرقاب حتى اذا أنخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها) وقد قتلت فأنخننت حتى تجاوزت الحد فأسر ولا تقتل ، ثم قال : « أو أمنن » فقال الحجاج : « ويل لك ألا كان هذا الكلام منك قبل هذا الوقت » ثم نادى برفع السيف ، وأمن الناس

وكان بنو أمية يحفظون الشعر ويباحثون الشعراء وينتقدونهم ، وكثيرا ما كانوا يجمعون طائفة منهم في مجلس ويقترحون عليهم ان يصفوا شيئا ويجيزون المجيد كما فعل هشام بن عبد الملك (١) أو يجمعونهم ليتفاخروا بين أيديهم كما فعل سليمان بن عبد الملك ، اذ جمع اليه الفرزدق وجريرا وكثيرا وابن الرقاع ، وقال لهم : « انشدونا من فخركم شيئا حسنا .. ففعلوا في حديث طويل » (٢)

وقد يخطر لاحدهم شعر لا يعرف قائله أو يحتاج الى تفسير ، فيكتب الى الشاعر أو الراوية فيستقدمه من العراق الى الشام على البريد كما فعل هشام المذكور .. اذ بعث برسالة عاجلة من دمشق الى عامله بالبصرة أن يشخص اليه حمادا الراوية على البريد ، فقضى حماد اثنتي عشرة ليلة في الطريق وهو خائف من تلك الدعوة العاجلة فاذا هو يقول له : « بعثت اليك لبيت خطر ببالي لم أدر من قائله » فهدأ روعه وقال : « وما هو ؟ » فقال :

فدَعَوْا بالصَّبوح يوماً فجاءتْ قِنَّةٌ في يَمِينِها إِبْرِيْقٌ

فقال حماد : « هذا يقوله عدى بن زيد من قصيدة » وأنشده اياها وكذلك كان يفعل عمالهم اذا علموا بوجود شاعر أو أديب بارع بعثوا في استقدامه مما يطول بنا ذكره (٣)

وكان من الخلفاء شعراء ، كالوليد بن يزيد ، فقد كان شاعرا بليغا ، وسيأتى خبر ذلك . وينسبون الى يزيد بن معاوية القصيدة المشهورة التي مطلعها :

نالتْ علي يدها ما لم تنله يدي نَقْشاً على مِعْصَمٍ أوهتْ به جَلْدِي

وربما كانت لغيره ، لكنه كان من أصحاب الشعاعية

وكان لبعض خلفائهم الدهاء شغف بالادب على الاجمال ، ونخص منهم ثلاثة : معاوية ، وعبد الملك ، وهشاما . حكم كل منهم أكثر من عشرين سنة ، وكانت لهم عناية بالادباء وخصوصا عبد الملك . والادب لا ينمو ويورق ويشمر الا في ظل محبيه من الملوك أو الامراء ، واذا تدبرت النهضة التي مر بها الادب في أثناء التمدن الاسلامي رايت لكل نهضة أميرا أو ملكا أخذ بناصرها وأحيا الادب بتقديم أهله أو تنشيطهم . وسترى أدلة كثيرة من ذلك فيما يأتي من هذا الكتاب

فلا عجب اذا كان أكثر أحاديث الناس في مجتمعاتهم ومنتدياتهم في الشعر ومن هو أشعر شعراء الجاهلية أو الاسلام . وكان الراجح من شعراء الجاهلية في عصرهم امرأ القيس وزهيرا أو النابغة يفضلونهم على سواهم ، ويفضلون جريرا والفرزدق والاخلط على سائر الشعراء المسلمين في أيامهم . لكنهم كانوا يتناقشون في أي هؤلاء أشعر وكثيرا ما كانوا يتخاصمون وترتفع أصواتهم . وربما اهتم الخليفة أو الامير فبعث الى بعض العلماء يسأله عن رأيه في أشعر الشعراء كما فعل الحجاج ، اذ بعث الى ابن قتيبة يسأله عن ذلك (١) . وقد يبعثون من الشام الى العراق لمثل هذا السؤال

٤ - الحركة الادبية في البصرة والكوفة : قد علمت ما كان من حال هذين البلدين في العصر الاموي ، وفيهما احتك العرب بغيرهم من الامم المتقدمة . وفيهما اشتغل المسلمون بجمع أخبار العرب وأشعارهم وأمثالهم . وفيهما ولد النحو وغيره من الاداب اللسانية ، فتكاثرت الاندية الادبية هناك ولا سيما المربد عكاظ الاسلام كما تقدم . فكان ذلك من جملة البواعث على ازدهار الشعر في العصر الاموي

على أن الشرق كله كان يومئذ في نهضة أدبية حتى الهند والصين واليابان، فقد نبغ فيها الشعراء والادباء في القرن الثامن للميلاد (٢) على أثر ظهور الاسلام واتساع فتوحه فاهتزت أعصاب الشرق الى أقصاه ، فحدثت فيه تلك النهضة

مميزات الشعر في العصر الاموي

الانسان صنيعة الاقليم ، فتتغير أطواره وأحواله بتغير البيئة المحيطة به . ويظهر أثر ذلك في نتاج قريحته أو فكرته . وقد رأيت أن العرب اختلفت أحوالهم في العصر الاموي عما كانت عليه في زمن الجاهلية أو في زمن صدر الاسلام فظهر أثر ذلك في ثمار قرائحهم وخصوصا الشعر . واليك أهم مميزات في ذلك العصر :

١ - خلوه من وحشى الكلام : ان قرب العصر الاموي من الجاهلية ورغبة الامويين في البداوة وتقليدهم عرب الجاهلية في ادابهم وأشعارهم ، كل ذلك أبقى للشعر الاموي بلاغة الجاهلية وسلامتها من العجمة والركاكة. لكن الاسلام أكسبه أسلوب القرآن والحديث ، فتخلص من التركيب الغريب والكلام الوحشى . فهو من حيث البلاغة أحسن في هذا العصر مما في سائر العصور وان كان لكل عصر مميزات

٢ - كثرة التشبيب (*) : كان الشاعر الجاهلي يقول الابيات تغزلا في حبيبته ، يعبر بذلك عن حبه أو ما تكنه جوارحه من الغرام أو الشوق ، ولا

(١) الزهر ٢٤٠ ج ٢
(*) أنظر في كثرة التشبيب والغزل بهذا العصر الجزءين الاول والثاني من كتابنا « الشعر الغنائي في الامصار الاسلامية » وهما خاصان بالمدينة ومكة وحديث الاربعاء لعله حسين ج اول

يشبب في غير حبيبته أو خطيبته ، وقد يسميها بغير اسمها . والغالب أن يكنى عنها بأحدى عرائس الشعر لئلا يعلم أهله بتشبيبهم فيمنعوه من التزوج بها ، لانهم كانوا شديدي الغيرة على النساء حتى أن أحدهم اذا سطا عليه عدو وخاف على حياته منه عمد الى امرأته أو حبيبته فيقتلها غيرة عليها من أن يمسيها . سواه بعد موته (١) . ويندر في الجاهليين أن يشبب شاعرهم بغير حبيبته . واذا فعل فلداع فوق العادة ، كما فعل دريد بن الصمة اذ رثى أخاه بقصيدة صدرها بأبيات غزلية (٢) . وقد رأيت الشعراء العشاق في الجاهلية يعدون على الاصابع ، فأصبحوا في العصر الاموي أضعاف ذلك ، وأكثروا من وصف الحب واعراضه وأحواله ..

وذلك طبعي في الامة بانتقالها من البداوة الى الحضارة ، وخصوصا اذا كان ذلك على أثر الفتوح وفيها الغنائم من السبايا . . فيصيب الرجل منهم جارية أو يضع جوار في كل معركة من المعارك . وكانت السبايا في صدر الاسلام كثيرات ، وأكثرهن من الروم والفرس . والفاتحون يبيعونهن أو يستخدمونهن في حاجات المنزل ، ويستبقون الجميلات منهن للتسرى . فتحركت القلوب وتنبت القرائح للموضوعات الغزلية ، وصار الشعراء شببون بالنساء الجميلات . وكان الخلفاء الراشدون يعدون ذلك خروجا على حرمة الادب ، فجعلوا التشبيب ذنبا يستوجب القصاص . وكان عمر بن الخطاب لا يسمع بشاعر يشبب بامرأة الا جلده (٣)

فلما أفضت الدولة الى بنى أمية - وقد انتقلت عاصمتها من المدينة الى دمشق ، وكثر الاختلاط بالاعاجم ، وأخذ العرب بأسباب الحضارة ، وذهبت هيبة العفة من نفوسهم ، وانقضت شدة الخلفاء الراشدين في المحافظة عليها - هان عليهم التشبيب ، فأكثروا منه ولا سيما في المدينة لان أهلها أغرقهم معاوية بالعطايا والرواتب ليشغلهم باللهو عن طلب الملك . فكانوا ينفقون الاموال على المغنين ونحوهم ، فكثر اللهو في المدينة وسبقت سائر المدن الاسلامية الى الغناء وشاع القصص بين أهلها وتجرا الشعراء على التشبيب بغير أحبائهم

امام اهل النسيب

على أن امام اهل النسيب والغزل في الاسلام جميل بن معمر الشاعر العاشق كان معاصرا لعبد الملك بن مروان . وهو الذي وطأ النسيب للشعراء ، فأكثر منه وتفنن فيه . . لكنه كان يشبب بحبيبته بثينة وهو في عرف أهل الادب « امام المحبين » (٤) فاستحسن الناس تشبيبهم لانه طبعي صادر عن شعور صادق ، فأخذوا يقلدونه فيه . . فينظم الشاعر أبيات الغزل أو النسيب لمحبوب وهمي ، واستعار بعضهم أسماء حبيبات الشعراء العاشقين

(٢) العمدة ١٢٢ ج ١

(٤) الاغانى ٨٠ ج ٧

(١) الاغانى ١٤٥ ج ١٢

(٣) الاغانى ٩٨ ج ٤

كليلى ودعد وهند وشببوا بهن تقليدا . وبعد أن كانت بثينة مثلا معشوقة جميل بن معمر ، صارت عروسا للشعر يباح التغزل بها لمن أراد . وقد يعنون بالاسم المستعار امرأة جميلة معروفة

فجميل كان يشبب بحبيبتة ولا حرج عليه ، وأراد الشعراء تحديه والتغزل بجماليات النساء وهن فى الغالب بحوزة الامراء او الخلفاء . . فخافوا غضب بعولتهن أو آبائهن ، فلم يكن يجرؤ على المجاهرة بذلك من الشعراء الا من كان ذا عصبية تنصره أو منزلة تشفع له . ولذلك كان أسبق الشعراء الى التشبيب من قريش ، نظرا لما كان للقرشى من المنزلة الرفيعة والهيبة فى العصر الاموى . ولان القرشيين أقرب الى الحضارة لنزولهم فى مكة ، واليها يحج الناس من أقطار العالم ومعهم أجمل النساء

شعراء قريش والتشبيب

وأول من تجرأ على التشبيب منهم ابن أبى عتيق ، وهو ابن حفيـد أبى بكر الصديق . ويقولون انه كان طاهرا عفيفا يشبب عن غير ريبة ، ثم عمر بن أبى ربيعة من قريش ، والعرجى وهو من قريش أيضا ، وغيرهم ، وكلهم من شعراء العصر الاموى . فتجرأ الشعراء من غير قريش على الاقتداء بهم حتى شاع التشبيب ، وصاروا يعتقدون أن الشعر لا يحسن الا به لما فيه من عطف القلوب . فيبدأ الشاعر الحضري بذكر الحبيب والصمدود والهجران ، كما يبدأ البدوى بذكر الرحيل والانتقال ووصف الطلول

ولم يأت آخر عصر بنى أمية حتى صار الشاعر لا ينظم مديحا أو فخرا الا صدره بأبيات فى الغزل قد تكون أكثر من أبيات المديح . ذكروا شاعرا اتى نصر بن سيار عامل بنى أمية على خراسان بأرجوزة فيها مائة بيت نسيبا وعشرة أبيات مديحا ، فقال له نصر : « والله ما أبقيت كلمة عذبة ولا معنى لطيفا الا وقد شـغلته عن مديحي بنسيبك » (١) . ولم يكن الاستهلال بالغزل خاصا بالشعر العربى ، فان فى شعر اليونان شيئا من ذلك (٢)

على أن شعراء العرب كثيرا ما كانوا يشببون بالمرأة ليفضحوا ابنها أو زوجها (٣) وقد يكون التشبيب بالبنت وسيلة لزواجهن كما فعل نصيب مولى عبد العزيز بن مروان ، وقد استسقى فتاة ماء فسقته لبنا وطلبت اليه أن يشبب بها ، فقال : « ما اسمك ؟ » قالت : « هند » قال : « وما اسم هذا الجبل ؟ » قالت : « قنا » (٤) فأنشأ يقول :

أحب قنأ من حبِّ هندٍ ولم أكن أبالى أقرباً زاده الله أم بعدا
ألا إن بالقيعان من بطن ذى قنأ لنا حاجة مالت إليه بنا عمدا
أرونى قنأ أنظر إليه نأنى أحب قنأ إنى رأيت به هندا

(٢) جويدى فى المشرق ٤٢٧ سنة ١٠

(٤) قنا : جبل لبنى فزارة

(١) العمدة ٩٩ ج ٢

(٣) الاغانى ١٥٤ ج ١

وشاعت هذه الايات وخطبت هذه الجارية من اجلها (١)

الخلفاء والتشبيب

وكان الامراء والكبراء يفضبون لنسائهم اذا شبب بهن احد لقلبة طبائع البدو عليهم ، وينقمون على المشيب ويعيبونه حتى عدوا شعر ابن ابي ربيعة عصيانا لله (٢)

وقد يكبر على الخليفة أن يظهر غضبه على الشاعر اذا شبب ببعض أهله فينتقم منه بالاهمال ، كذلك كان يفعل معاوية (٣) وهو أوسع الناس صدرا . واقتدى به عبد الملك بن مروان (٤) أما ابنه الوليد بن عبد الملك فلم يسمع صدره ذلك الكظم ، فأخذ يتوعد الشعراء اذا شببوا . وبلغه أن وضاح اليمن شبب بامراته فقتله فيما يقال (٥) وكذلك فعل عمر بن عبد العزيز فمنع ابن أبي ربيعة عن التشبيب . وكان العمال يقتدون بالخلفاء أو يعملون بأوامرهم في ذلك، فان عامل المدينة نفى الاحوص الشاعر لانه شبب ببعض نسائها (٦)

وتكن المرأة كان يسرها ان يشيب بها شاعر مشهور وان كانت لا ترجو الزوج به ، ولكن يسرها ما في التشبيب من الاعجاب بجمالها (والغواني يفرهن الثناء) سواء في ذلك الاميرة والحقيرة . ذكروا أن زوجة الوليد بن عبد الملك هي التي اقترحت على وضاح اليمن أن يشيب بها . . واقترحت أم محمد بنت مروان بن الحكم أخت عبد الملك على عمر بن أبي ربيعة أن يشهرها بشعره ، وبعثت اليه ألف دينار . . فأبى أن يؤجر على التشبيب ، فابتاع بالجائزة حلا وطيبا وأهداه اليها فردته . فقال فيها أبياتا مطلعها :

أيها الراكبُ المُجِدُّ ابتكارا قد قضى من تهامة الأوطارا (٧)

وبالجملة فان التشبيب على نحو ما هو عليه الآن نشأ في العصر الاموي

٣ - المهاجاة بين الشعراء : كان الجاهليون يتنافسون ويتفاخرون فيذكر أحدهم ما في قبيلته من الشجاعة والنجدة وما أوتوه من النصر أو الغلبة أو ما هم عليه من هذه الفضائل . ويندر فيهم من يتخطى ذلك الى الهجو . وأكثر من تخطاه منهم المخضرمون كما تقدم . وقد كثر الهجو واتسعت دائرته في العصر الاموي وأجاد الشعراء فيه . ول بعضهم مهاجاة ونقائض تدخل في كتاب ضخم

الهجاء السياسي

وقد راج الهجاء في العصر الاموي لاحتياج ولاية الامو اليه بسبب الانقسام الذي قام بين الاحزاب المختلفة ، وهو الهجاء السياسي . وكان أكثر الشعراء

(٣) الاغاني ١٤٨ ج ١٣
(٦) الاغاني ٤٨ ج ٤

(٢) الاغاني ٣٦ ج ٦
(٥) الاغاني ٣٦ ج ٦

(١) الاغاني ١٤٨ ج ١٣
(٤) الاغاني ٣٦ ج ٦
(٧) الاغاني ٦٦ ج ١

يأخذون بناصر الامويين لانهم أهل السيادة ، وكان خلفاؤهم يبذلون الاموال للشعراء ليستعينوا بالسنتهم على أعدائهم ، لتأثير الهجاء في نفوس العرب لشدة احساسها ونخوة أهلها

وقد بدأت المهاجاة في الاسلام بين شعراء النبي وأعدائه القرشيين . ثم صارت بين قريش واليمن . وكان لكل من الجانبين شعراء يردون عنهم الهجاء بأشد منه ، وقد تقدمت الإشارة الى ذلك . وكان المسلمون يحفظون ما يقوله هؤلاء من المهاجاة وينشدونه ، كل طائفة تنتصر لأصحابها . ولما بلغ ذلك عمر ابن الخطاب فنهى عنه ، وقال : « في ذلك شتم الحى بالميت وتجسديد للضغائن » (١)

فلما أفضى الامر الى معاوية ، اقتضت سياسته ومصلحته أن يجدد تلك الضغائن .. فجعل يغري الشعراء على الطعن في الانصار لانهم أصحاب على ابن أبى طالب خصمه . وكان يفعل ذلك تحت طى الخفاء . ومن الذين أغراهم على ذلك الطعن الاخطل (*) الشاعر التغلبي المشهور . فعظم ذلك على الانصار خصوصا لانه نصراني ، واستعان به معاوية على المسلمين . فغضب متكلم الانصار وشاعرهم ، وهو يومئذ النعمان بن بشير ، ودخل على معاوية وأنشده قصيدة في الدفاع عن الانصار مطلعها :

معاوىَ إلا تُعطينا الحقَّ تعترفُ لِحىَ الأزْدِ مشدوداً عليها العمائم
أيشتمنا عَبدُ الأراقمِ خلة وماذا الذى تجرى عليك الأراقم
فما لىَ ثارٌ دون قطع لسانه فدونك من يرضيه منك الدراهم
ثم تخلص الى الفخر بأعمال الانصار وأنسابهم ، وختم القصيدة بالطعن على خلافة معاوية الى أن قال : (٢)

وإنى لأغضى عن أمور كثيرة سترقى بها يوماً إليك السلام
أصانع فيها عبد شمسٍ وإنى لتلك التى فى النفس منى أكاثم
فما أنت والأمر الذى لست أهله ولكن ولى الحق والأمر هاشم
فلما سمع معاوية تهديده أظهر أن الاخطل فعل ذلك من عند نفسه ، وأمر أن يدفع اليه ليقطع لسانه . وأوشك أن يفعل ، لو لم يستجر الاخطل يزيد ابن معاوية فأجاره وأرضى النعمان . وعرف الامويون هذا الفضل للأخطل ، فجعله عبد الملك بن مروان شاعر الدولة . وسنعود الى ذلك

وتحولت المهاجاة بين الانصار وقريش الى المشاتمة بين بنى هاشم وبنى أمية ، وانتشر ذلك فى أطراف المملكة الاسلامية . وكان سديف الشاعر

(١) الاغانى ٥ ج ٤

(*) الصحيح أن الذى أغرى الاخطل بهجاء الانصار يزيد لا معاوية ابوه . انظر ترجمة النعمان ابن بشير فى الاغانى وديوان الاخطل (طبعة بيروت)

(٢) الاغانى ١٢٦ ج ١٤

يخرج في جماعة من موالى بنى هاشم في مكة ، وشبيب يخرج في جماعة من موالى بنى أمية ، فيفتخرون ثم يتشائمون ثم يتجالدون بالسيوف ، وكان يقال لهم السديفية والشبيبية ، وكان أهل مكة منقسمين بينهما في العصبية

الهجاء الادبي

على أن التهاجى السياسى جر الى التهاجى بين الشعراء بقطع النظر عن الاحزاب السياسية من قبيل المفاخرة ، ويختلف سبب هذه المهاجاة باختلاف الاحوال . وقد يكون الغرض منها المقارعة لبيان القدرة على الهجاء ، ثم يتنافر المتهاجيان الى من يحكم بينهما .. كما تهاجى جميل الشاعر المتيم وجواس بن قطبة العذرى وتنافسوا في أيهما أفضل أبا وحسبا (١)

وأشهر ضروب المهاجاة في العصر الاموى المهاجاة بن جرير والفرزدق ، وبين جرير والاخلطل (*) وغيره من الشعراء المعاصرين . والبادئ في ذلك كله هو جرير ، وكان لمهاجاته مع الفرزدق والاخلطل شهرة كبيرة حتى أصبح حديث القوم في مجالسهم وموضوع مناقشتهم في أى الشاعرين أفضل . وانقسم الناس في ذلك حزبين : نسب احدهما الى جرير فسمى جريريا ، والاخر الى الفرزدق فسمى فرزدقيا . وكثيرا ما احتدم الجدل بين الادباء في المجالس حتى آل الى الخصام . وسيأتى تفصيل ذلك في الكلام عن شعراء بنى أمية . وقد يكون الباعث على الهجاء تخويف المهجو ليسترضى الهاجى بالمال أو غيره ، كما تفعل بعض الصحف اليوم

واتصلت المهاجاة بين الشعراء الى العصر العباسى ، فاشتهرت مهاجاة يشار بن برد وحماد (٢) ، ومهاجاة أبى العتاهية ووالبة (٣) .. على أن اشتغال الناس بالمناقشة في الشعراء وتفاضلهم طبيعى فى كل عصر، وليس هو خاصا بالعرب .. فقد كان اليونان أيضا يفعلون ذلك (٤)

٤ - نبوغ الموالى في الشعر : قد رأيت انه لم يقل الشعر في الجاهلية من الموالى الا عبد بنى الحساس . وأما في الاسلام فانتظم في عداد الشعراء طائفة من الموالى وهم المسلمون غير العرب ، (٥) وفيهم الفرس والروم ومن دخل في حوزة العرب في أثناء الفتح ثم أسلموا . وأكثرهم من موالى بنى أسد وقريش .. وفيهم جماعة من نوابغ الشعراء . ولولا تقييد القوم بأساليب الجاهلية لادخلوا كثيرا من المعانى الشعرية نقلا عن لغاتهم الاصلية

٥ - الشعر السياسى أو المديح للاستجداء : قد علمت مما تقدم أن الشعراء الجاهليين نظموا المديح ، لكنهم قلما كانوا يستجدون بمدحهم .. وإنما كانوا

(١) الاغانى ١١٢ ج ١٩
(*) انظر فى هذه المهاجاة وسابقتها وما تطورتا اليه من نقائص كتابنا « التطور والتجديد فى الشعر الاموى » الفصل الثالث
(٢) الاغانى ٧٤ - ٨٦ ج ١٣ (٣) الاغانى ١٥٠ ج ١٦ (٤) نكلسن ٢٠٤
(٥) راجع تاريخ التمدن الاسلامى ٢٢ و ٩١ ج ٤ الطبعة الثالثة

يمدحون شكرا لصنيع . وأما في العصر الاموي ، فأصبح الغرض الاول من المدح التماس العطاء ، وقد جرهم الى ذلك استدرار الخلفاء للمدح ببذل الاموال للاسباب التي قدمناها

فأصبح الاستجداء عادة مألوفة ، ونبت طائفة كبيرة من المداحين ، وكانوا يتدبذبون في مدحهم تبعا لما يرجونه من العطاء او يخافونه من العقوبة . ولذلك كان أكثر مديحهم في الامويين أصحاب السيادة وبيت المال . وربما مدح أحدهم بنى هاشم أو آل الزبير أو غيرهم من أعداء الامويين . ثم رغب عنهم الى هؤلاء التماسا لعطائهم أو خوفا من غضبهم لأن الامويين كانوا يغضبون على الشعراء اذا مدحوا سواهم ويتطرقون الى الانتقام منهم بكل وسيلة . فلا غرو اذا رأينا شعراء الشيعة ينظمون المدائح في الامويين . زمن الشعراء من مدح بنى هاشم وبنى أمية أو ابن الزبير وبنى أمية

٦ - وصف الخمر : لم يتقن الشعراء وصف الخمر الا في العصر العباسي ، تكنهم بدأوا بذلك في العصر الاموي على اثر انغماس الامويين في القصف واللهو في أواخر الدولة ، وأول من وصفها من المسلمين الوليد بن يزيد الخليفة الخليفة السكير . وقد ذكر الخمر في الجاهلية عدى بن زيد والاعشى ، ثم ذكرها الأخطل ووصف الزجاجة بقوله :

وتظل تتحفنا بها ترؤيفة إبريقها برقاعه مكنثوم
فاذا تعاورت الأكف زجاجها نفتح فشم رباحها المزكوم (١)
ثم أجاد في وصفها الوليد بن يزيد (*) بقصيدة قال منها :

من قهوة زانها تقادمها فهي عجوز تعلو على الحقب
أشهى إلى الشراب يوم جلوته من الفتاة الكريمة النسب
فقد تجلت ورق جوهرها حتى بدت في منظر عجب
فهي بغير المزاج من شرر وهي لدى المزج سائل الذهب
كأنها في زجاجها قبس تذكو ضياء في عين مرقب

وله في وصف الخمر اشعار اخذها الشعراء في اشعارهم سلخوا معانيها ولا سيما أبو نواس ، فانه سلخ معاني الوليد كلها وجعلها في شعره . (٢)
واخذ أبو نواس أيضا من الحسين بن الضحاك ، (٣) وكان معاصرا له واخذ من والبة وكان أستاذه

(١) الاغانى ٨٤ ج ٨

(*) انظر في الوليد بن يزيد وخمرياته ، الفصل الرابع من كتابنا « التطور والتجديد في الشعر الاموي » وقد جمع جبريل ديوانه ونشره في المجمع العلمي العربي بدمشق

(٢) الاغانى ١١٠ ج ٦

(٣) الاغانى ١٧٠ ج ٦

شعراء العصر الأموي

تكاثر الشعراء في العصر الأموي للأسباب التي قدمناها ، فزاد عددهم في أثنائه - وهي تسعون سنة - على شعراء الجاهلية الذين نبغوا في أثناء قرنين وبعض القرن . فقد رايت عدد الشعراء الجاهليين نحو ١٢٠ شاعرا على اختلاف القبائل والبطون ، وزاد عدد شعراء العصر الأموي على ذلك .. نعى الذين اشتهروا بالشعر ووصلنا أخبارهم .. وهناك مئات غيرهم لم يبق من آثارهم إلا أبيات أو قصائد ذكرت في كتب الحماسة والجمهرات وغيرها من كتب الادب ، أو ضاعت أخبارهم كما ضاعت أخبار أكثر الجاهليين ..

١ - شعراء العصر الأموي بالنظر الى قبائلهم

إذا نظرنا الى شعراء العصر الأموي من حيث قبائلهم وأنسابهم ، رأينا أكثر شعراء العرب من قيس ، ثم قريش ، فاليمن ، فتميم ، فربيعة ، فمضر ، فقضاعة . وهم يختلفون عن حال شعراء الجاهلية من هذه الناحية اختلافا كبيرا ، وإن اتفقوا معهم في أن الأكثرية من قيس .. فشعراء قريش كانوا في الجاهلية عشرة ، فصاروا في العصر الأموي ٢٣ ، وسبب ذلك بديهي لأن القرشيين ظهروا بعد الاسلام لقيام الاسلام بهم . وبعبارة ذلك شعراء ربيعة ، فقد كانوا في الجاهلية ٢٠ فصاروا في العصر الأموي ١١ ، والسبب طبيعي أيضا لأن ربيعة كان لها الشأن الأكبر في الجاهلية اذ قامت باستقلال الحجازيين من سلطان اليمن ، وكثرت حروبهم وأيامهم

وأعتبر ذلك في القحطانية أو شعراء اليمن ، فقد كانوا في الجاهلية ٢٢ فصاروا في العصر الأموي ١٦ لانتقال عز السيادة بعد الاسلام الى سواهم . وأما تميم فعدد شعرائها في العصرين واحد لأن حالها لم يختلف فيهما . أما اياد فلم ينبغ منهم في ذلك العصر شاعر لذهاب عصبيتهم قبل الاسلام . وكذلك اليهود لم ينبغ منهم في هذا العصر الأموي شاعر وكانوا في الجاهلية ٤ على أن طبقة من الشعراء كبيرة ظهرت في هذا العصر ، لم يكن منها في الجاهلية الا واحد نعى الموالي أو العبيد ، فقد بلغ عدد الشعراء منهم ٢١ شاعرا . وهذا جدول (*) في المقابلة بين شعراء الجاهلية وشعراء بني أمية من حيث أنسابهم على وجه التقريب :

(*) هذا الجدول وما تضمنه من تعداد ونسب تقريبي

اسم القبيلة	شعراؤها في الجاهلية	شعراؤها في العصر الاموي
قيس	٢٧	٢٦
ربيعة	٢٠	١١
تميم	١٢	١٣
مضر (غير قيس وقريش وتميم)	١٦	٩
قريش	١٠	٢٣
القحطانية (اليمن)	٢٢	١٦
قضاة	٤	٨
أياد	٢	٠٠
اليهود	٤	٠٠
الموالي	١	٢١

٢ - شعراء العصر الاموي بالنظر الى أغراضهم

وإذا اعتبرنا شعراء هذا العصر بالنظر الى أغراضهم ، رأيناها تختلف عن أغراض الشعراء الجاهليين اختلافا كبيرا .. فقد كانت الأكثرية في ذلك العصر للامراء والفرسان المحاربين ، وكان عندهم بضعة وأربعين شاعرا ، فصاروا في العصر الاموي قليلين لاشتغال الفرسان والكبراء بأعمال الدولة وإذهاب بعض الأريحية البدوية من نفوسهم بالحضارة . وقد ظهرت آثار الحضارة في الشعر الاموي بكثرة العشاق وأهل الغزل ، وكانوا في الجاهلية ٦ فصاروا ٢١ ونشأت طائفة من الشعراء السكيرين وأهل الخلعة عددهم ٦ ، ولم يكن منهم في الجاهلية الا القليل

على أن الأكثرية في العصر الاموي لطبقة من الشعراء سميناهم « شعراء السياسة » لاشتغالهم بالدفاع عن الأحزاب التي قام النزاع بينها على السيادة في ذلك العصر ، وأكثرهم طبعاً بجانب الامويين لانهم أقوى الأحزاب . ويليهم الخوارج ، والعلويين ، وغيرهم

ويقسم العصر الاموي بالنظر الى أغراض شعرائه الى ثلاثة أدوار :

الدور الاول : منذ بدء الدولة الاموية (سنة ٤١هـ) الى ذهاب آل معاوية بخلافة مروان بن الحكم سنة ٦٤ هـ ، ومعظمه في زمن معاوية . ويجوز أن نسميه « دور معاوية » . وشعراء هذا الدور لا يتجاوز عددهم عدد أصابع اليدين ، وكانت الدولة الاموية في أيامهم لم ترسخ قدمها بعد .. فكان نحو نصفهم يخالفون سياسة معاوية وخلفائه ويطعنون فيه ، وبعضهم يجاهرون بعدوانه انتصارا للانتصار أو العلويين

الدور الثاني : من خلافة مروان بن الحكم (سنة ٦٤ هـ) الى خلافة يزيد بن عبد الملك (سنة ١٠١ هـ) وخلفاء هذا الدور : مروان وابنه عبد الملك ، فالوليد ، فسلیمان ، فعمربن عبد العزيز . ولكن معظمه في زمن عبد الملك بن مروان ، بحيث يصح أن ينسب اليه .. فيقال « دور عبد

الملك « . وفي أيامه اختلفت الاحزاب ، وتعدد طلاب الخلافة ، ونشبت الحروب ، وراجت سوق الشعر لجمع الاحزاب او تفريقها . واكثر شعراء العصر الاموي نبغوا في هذا الدور وبلغ عددهم فيه نحو المائة ، وفيهم شعراء السياسة وشعراء الغزل والادب وغيرهم

الدور الثالث : من ولاية يزيد بن عبد الملك (سنة ١٠١ هـ) الى انقضاء الدولة الاموية (سنة ١٣٢ هـ) . وفيه تضخمت الدولة وركن أهلها الى الترف والقصف . ومن خلفائها يزيد بن عبد الملك العاشق المقيم صاحب حباة وابنه الوليد بن يزيد الخليفة المقتون ، والناس على دين ملوكهم . وعدد الشعراء الذين نبغوا في هذا العصر نحو مئتين شعراء الدور الاول ، واكثرهم من عشراء السوء واهل الرخاء والتراف

٣ - الدور الاول من الشعر في العصر الاموي

من سنة ٤١ - ٦٤ هـ

هو اقرب سائر الادوار الى الجاهلية ، وقد نشأ شعراؤه في عصر الراشدين ، وتعودوا الصدق واستقلال الفكر والعدل . وكانوا لا يرون حقا لمعاوية في الخلافة ، بل يعتقدون انه اخذها بالدهاء ولا يتوقعون انتقالها الى أهله ، بل كانوا يرجون رجوعها بعده الى آل علي أو غيرهم من أبناء الصحابة بالانتخاب ، ولذلك كانت لهم جراءة عليه . واهم الاحزاب السياسية يومئذ الانصار والمهاجرون . والانصار هم اهل المدينة شيعة علي ، والمهاجرون هم قریش من اهل مكة شيعة معاوية . فكان معاوية يقرب الشعراء الذين يطعنون في الانصار ، وينذر ان يجروا أحد منهم على ذلك احتراماً للامام علي . فكان أكثر الشعراء في هذا الدور اما على الحياد خوفا من معاوية أو ينصرون العلويين عليه ، وبعضهم كان يتزلف اليه بالمديح . أكثر شعراء هذا الدور من شعراء السياسة ، اما مع الامويين أو عليهم أو على الحياد . واهم الذين كانوا مع الامويين ابن اربعة المحاربى كان سيد قومه ، والحارث بن بدر من يربوع ، والمتوكل الليثى من كنانة ، والوليد بن عقبة من قریش والذين كانوا ضد الامويين ، أشهرهم النعمان بن بشير الانصارى ، وابن مفرغ من حمير ، وابو الاسود الدؤلى واضع علم النحو . ومن كان على الحياد القتال الكلابى ، وسيأتى ذكرهم

ولا نعنى بقسمة العصر الاموي الى ادوار ، ان شعراء الدور الاول لم يتركوا الدور الثانى وان شعراء الثانى لم يتركوا الاول . فان أكثرهم عاصروا الدولة الاموية في معظم سنيها وعرفوا معظم خلفائها . ولكننا نعنى بشعراء دور معين ، الذين نبغوا في هذا الدور ونظموا فيه

١ - النعمان بن بشير الانصارى

توفي سنة ٦٥ هـ

هو من الخزرج من اهل يثرب، لكنه ساير معاوية فكان معه في موقعة صفين . . ولم يكن مع معاوية في تلك الموقعة من الانصار سواه . وقد اجتذبه بدهائه وسخائه ، وكان يراعى جانبه . وكثيرا ما قبل توسطه للانصار عنده . وعاش النعمان المذكور الى خلافة مروان بن الحكم . وكان يتولى « حمص » ، فلما افضت الخلافة الى مروان دعا لابن الزبير وخالف مروان بعد قتل الضحاك . . فلم يجبه اهل حمص الى ذلك ، فهرب منهم فتبعوه وأدركوه وقتلوه . ومع مسيرته بنى أمية ، فانه كان شديد التعصب للانصار . ولذلك لما علم بقصيدة الاخطل في الطعن عليهم ، رد عليه كما تقدم . والنعمان ابن بشير من العريقين في الشعر خلفا عن سلف ، فان جده واباه وعمه واولاده واحفاده كلهم شعراء (١)

ومن احفاده شبيب بن زيد بن النعمان ، كان يرى فساد امر بنى أمية على أيام الوليد بن يزيد ، فقال من قصيدة يعاتبهم :

يا أيها الراكب المزعجى مطيته لقيت حيث توجهت الثنا الحسنات
أبلغ أمية أعلاها وأسفلها قولا ينفر عن ثوائمها الوسنا
إن الخلافة أمرٌ كان يُعظمه خيارٌ أولكم قدما وأولنا
فقد بقرتم بأيديكم بطونكم وقد وعظمت فما أحسنتم الأذنا (*)
لما سفكتم بأيديكم دماءكم بغيا وغشيتم أبوابكم درنا

وترى أخبار النعمان بن بشير في الاغانى ١١٩ ج ١٤ ، والعقد الفريد ١١٢ ج ٣ ، وفي سيرة ابن هشام ، وابن خلكان ، وابن الاثير ، وغيرها

٢ - ابن مفرغ الحميرى

توفي سنة ٦٩ هـ

هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى . وكان شاعرا غزلا محسنا . وكان قلبه مع على ، لكنه ساير الامويين لانه من حلفائهم . وكان مقربا من آل زياد بن أبيه . صاحب عباد بن زياد والى سجستان ، فلم يحسن صحبته فهجاه سرا وكان يهزا بلحيته - وكانت كبيرة - فقال فيها :

(١) الاغانى ١٢٥ ج ١٤

(*) نقر : شقق ، يشير الى قتل الوليد بيد أبناء أعمامه ، والاخذ هذا كناية عن الاستمتاع

ألا ليت اللّحَى كانت حشيشاً فنَعَلَفها خيولُ المسلمينا

فوشى به بعضهم الى عباد فجفاه وحبسه ، فهرب الى العراق وأخذ يطعن في آل زياد ويهجوهم لان أباهم زياد بن أبيه مجهول النسب ، وانما استلحقه معاوية بنسبه ليستفيد من دهائه كما هو مشهور في تاريخ الاسلام (١) فعلم عبيد الله بن زياد وهو أمير البصرة ، فقبض على بن مفرغ واستأذن معاوية في قتله ، فنهاء عن ذلك لانه خليفة ، ولكنه اذن بتعذيبه فعذبه تعذيباً شديداً (٢)

ومن قول ابن مفرغ في زياد وابنه ، وفيه اشارة الى ضعف أسابهم :

ألا أبلغُ معاويةَ بنَ صَخْرٍ متغلغلةً عن الرجل اليماني
أتغضب ان يقال أبوك عَفٌّ وترضى أن يقال أبوك زاني
فأشهد ان رَحِمَك من زيادٍ كَرَحِمِ الفيل من ولد الأتان
وأشهد أنها ولدت زيادا وصَخْرٌ من سُمَيَّة غير دان
وكان ابن مفرغ من شعراء الحماسة وله غزل لطيف

ونجد أشعاره وأخباره متفرقة في الاغانى ج ٥١ ص ١٧ ، والشعر والشعراء ٢٠٩ ، وابن خلكان ٢٨٩ ، وسيرة ابن هشام ، وفي تاريخ ابن الاثير (٣)

٣ - أبو الاسود الدؤلى توفي سنة ٦٩ هـ

اسمه ظالم بن سفيان ، وهو من الدئل بطن من كنانة ، معدود في التابعين والفقهاء والشعراء والمحدثين والاشراف والفرسان والامراء والدهاة والنحويين ، وهو واضع علم النحو . وكان من اكثر الناس تعلقاً بعلى ، وعنه اخذ علم النحو كما تقدم . أما من حيث الشعر ، فقد كان من نصراء الشيعة لكنه لم يكن يجسر على هجو معاوية كما فعل أكثر أمثاله . وكان معاوية لا يعتمد أذاه ولكنه كان يضايقه ، ولم يرو له طعن في بنى أمية . واكثر شعره في الحكم والادب . ومن حكمه والفخر قوله :

إذا كنت مظلوماً فلا تَلَفْ راضياً عن القوم حتى تأخذ النصف واغضب
وقاربْ بذى جهلٍ وباعد بعالمِ جلوبٍ عليك الحق من كل مَجْلب
فان حَدِّبوا فاقعسْ وإن هم تقاعسوا ليستمكنا مما وراءك فاحدبِ
ولا تَدْعُ عَنِّي للجور واصبر على التي بها كنت أقضى للبعيد على أبى
فإني امرؤٌ أخشى إلهي وأتقى معارى وقد جَرَّبت ما لم تجرَّب

(١) راجع تاريخ التمدن الاسلامى ١٨ ج ٤ (الطبعة الثالثة)

(٢) ابن خلكان ٢٩٢ ج ٢

(٣) أنظر أيضاً الاشتقاق ٣٠٩ والخزانة ج ٢ ص ٢١٠ والبيان والتبيين (انظر الفهرس)

ومن قوله :

وأحب إذا أحبت حبًّا مقاربًا فإنك لا تدري متى أنت نازعٌ
وأبغض إذا أبغضت بغضًا مفاربًا فإنك لا تدري متى أنت راجع
وكن معدنًا للحلم واصفح عن الحنأ فإنك راءٍ ما عملتَ وسامع
وعاش أبو الاسود فقيرًا ، وكان متهمًا بالبخل . وكان يقيم بجوار البصرة .
وتجد ترجمته في الاغانى ١٠٥ ج ١١ ، وفي ابن خلكان ٢٤٠ ج ١ ، والشعر
والشعراء ٤٥٧ ، والمستطرف ١٣٩ ج ١ ، والعقد الفريد ٢٥٧ ج ٣ ،
والدميرى ٣١٧ ج ١ ، وطبقات الادباء ٤ ، وفي المجلة الشرقية الألمانية
مقالة عن شعره وشعر على سنة ١٨٦٤ (*)

٢ - انصار معاوية

١ - مسكين الدارمي

توفي سنة ٩٠ هـ

هو ربيعة بن عامر من دارم بطن من تميم ، وكان شاعرا شريفا من سادات
قومه ، وعمر الى اواخر الدور الثانى من العصر الاموى . لكننا وضعناه
هنا لغلبة شعره في معاوية على سواه . وله معه شأن في تاريخ العطاء أيام
معاوية ، وكان معاوية لا يفرض العطاء (الرواتب) الا لليمن ليحازبوا معه
وينحرفوا عن على . فجاء مسكين وطلب من معاوية أن يفرض له العطاء
فأبى ، فقال أبياتا يذكره فيها بقرب النسب بين تميم ومضر وهى :

أخاك أخاك إن من لا أخا له كساعٍ إلى الهَيْجَا بغير سلاح
وإن ابن عمٍّ المرء فاعلمْ جناحه وهل ينهض البازي بغير جناح
فلم يجبه معاوية يومئذ ، لكن سنحت له فرصة رأى فيها اليمنيين قد
أخذهم الفرور وزادت دالتهم على الدولة ، فعهد معاوية الى استرضاء
القيسيين ففرض لاربعة آلاف من قيس سوى من فرض لهم من تميم ،
وغيرهم من مضر . وصار يغزى اليمنيين فى البحر والقيسيين فى البر ،
وفرض طبعا لمسكين وقربه حتى استعان بشعره فى مبايعة ابنه يزيد

وذلك أن معاوية كان يخاف اذا بايع لابنه بولاية العهد أن يغضب المسلمون
لان توارث الملك لم يكن معروفا فى الاسلام . فأحب أن يجس نبض الراى

(*) انظر ترجمته أيضا فى كتب طبقات الصحابة مثل الاستيعاب وأسد الغابة والاصابة
وابن سعد ، وكتب تراجم النحاة مثل طبقات الزبيدى وانباء الرواة وبغية الوعاة ، وكتب
الشيعة مثل روضات الجنات ص ٢٤١ وكتب التاريخ مثل الطبرى وابن الاثير وتاريخ ابن
عساكر وشذرات الذهب وطبقات القراء لابن الجزرى ج ١ ص ٣٤٥ ومعجم الشعراء ١٥١
والمعارف ١٩٢ وخزانة الادب ج ١ ص ١٣٦ والانساب للسماعى وتهذيب التهذيب ج ١٢ ص ١٠
ومعجم الادباء لياقوت طبع القاهرة ج ١٢ الى غير ذلك من كتب الادب والتاريخ والتراجم

العام قبل اعلان فكره ، كما يفعل بعض دهاة السياسة في هذه الايام ، اذ يوعزون الى الصحف التي تدافع عن آرائهم أن تذكر عزمهم على العمل الفلاني ، وينظرون الى مايكون من وقعه عند الناس ، ويكون لهم مندوحة للرجوع عنه اذا توسعوا فيه خطرا . فالوعز معاوية الى مسكين أن يقول أبيتا في معنى المبايعه ليزيد ، وينشدها اياه في مجلسه وهو حافل بالوجوه والاشراف .. ففعل وأنشأ قصيدة قال فيها :

ألا ليت شعري ما يقول ابن عامرٍ ومروانُ أم ماذا يقول سعيدُ (*)
بنى خلفاء الله مهلا فإنما يَبَوِّئُهَا الرحمن حيث يريد
إذا المنبر الغربيُّ خَلاه ربُّه فإن أمير المؤمنين يزيد
ومعنى القصيدة انه يقترح عليه أن يولى يزيد العهد . فلما فرغ من انشاده ، قال له معاوية : « ننظر فيما قلت يا مسكين ونستخير الله » ولم يتكلم أحد من الحاضرين الا بالموافقة ، فأغدق عليه معاوية العطاء . ولما مات زياد بن أبيه ، رثاه مسكين بقوله :

رأيت زياده الإسلام ولَّتْ جهازا حين وكَّعْنَا زياد
وكان الفرزدق منحرفا عن زياد فعارضه فأجابه مسكين ثم تكافأ .
وترى أخبار مسكين في الاغانى ٦٨ ج ١٨ ، والشعر والشعراء ٣٤٧ ،
وخزانة الادب ٤٦٧ ج ١ (**)

سائر شعراء الدور الاول

أما سائر شعراء هذا الدور ، فنكتفى بالإشارة الى أماكن تراجمهم ليطالعها من شاء :

- ١ - ابن اربطة . ترجمته في الاغانى ٧٩ ج ٢
 - ٢ - المتوكل اللينى (توفي سنة ٦٠) . ترجمته في الاغانى ٣٩ ج ١١
 - ٣ - الوليد بن عقبة (توفي سنة ٧٠) . ترجمته في الاغانى ١٧٥ ج ٤
 - ٤ - القتال الكلابى (توفي سنة ٦٤) . ترجمته في الاغانى ١٥٨ ج ٢
- والشعر والشعراء ٤٤٣

٤ - الدور الثانى من الشعر فى العصر الاموى

من سنة ٦٤ هـ - ١٠١ هـ

فى هذا الدور نبغ معظم شعراء بنى أمية وأبلغهم ، وعددهم يناهز مائة شاعر . وهم فئات قسمناها حسب أغراضهم ، وأول تلك الفئات شعراء السياسة ، وعددهم نحو ٤٠ شاعرا ، وأهمهم وأكثرهم عددا أنصار بنى

(*) ابن عامر ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص : من أشراف بنى أمية ومقدميهم
(**) أنظر معجم الادباء ج ١١ والآلى ١٨٦ وأمالى المرتضى (طبعة الحلبي) ج ١ ص ٤٧٠

أمية وهم نحو العشرين ، وثمانية من أنصار آل المهلب ، والباقون من أنصار سائر الأحزاب . على أن شعراء السياسة أكثر من ذلك ، إذ قلما نبغ شاعر لم يتعرض لأحد الأحزاب التي كانت شائعة يومئذ . . لكن جماعة منهم دخلوا في الطبقات الأخرى لتغلب بعض تلك الأغراض على خواطرهم . وأهم هذه الطبقات شعراء الغزل وعددهم بضعة وعشرون شاعرا ، والباقون من شعراء الأدب الذين لا يعرف لهم غرض خاص ، غير الشعراء السكيرين والمغنين

ويقدم النقاد ستة من شعراء العصر الأموي ، يعدونهم في مقدمة الشعراء الأمويين من سائر الطبقات . وهم : الأخطل ، وجريز ، والفرزدق ، والراعي ، وأبو النجم العجلي ، والاحوص (*) . . يسمونهم الفحول ، وأكثرهم من شعراء السياسة ، ويقدمون الثلاثة الأول على سائرهم ، فهم أشعر شعراء بنى أمية على الإطلاق . . نعتى جريزا ، والفرزدق ، والأخطل . واختلف الناس فيمن هو أشعرهم ، فالذين يقدمون جريزا يقولون أنه أكثرهم فنون شعر وأسهلهم ألفاظا وأقلهم تكلفا وأرقهم نسيبا . والذين يقدمون الأخطل يقولون أنه أكثرهم قصائد طوالا جيادا ، ليس فيها سقط ، ولا فحش ، وأكثرهم تهذيبا لشعره . وقد تقدمهم الأخطل في الزمن ، ثم نبغ جريز والفرزدق ، فدخل الأخطل بينهما وهو شيخ طاعن في السن . وكان أبو عمرو بن العلاء يشبه جريزا بالأعشى ، والفرزدق بزهير ، والأخطل بالنابغة . ولم يجتمع أدبيان من أدباء ذلك العصر إلا جرى بينهما البحث في أي الشعراء أشعر : جريز أو الفرزدق ، فيحتمل الجدال وينفض المجلس ، وأهله حزبان يعرفان بالفرزدقيين والجريريين

(*) أصاب المؤلف في الثلاثة الأولين ، أما من تلاهم فيتقدمهم عمر بن أبي ربيعة وذو الرمة والكميت والوليد بن يزيد ورؤبة ، وقد أفردنا لكل منهم دراسة تصور شعره وفنه في كتابنا « التطور والتجديد في الشعر الأموي »

فحول الشعراء

١ - الاخطل

توفي سنة ٩٥ هـ

يكنى ابا مالك واسمه غياث بن غوث بن الصلت من قبيلة تغلب ، وهو نصراني مثل اكثر تلك القبيلة . والاخطل لقب غلب عليه لسبب اختلافوا فيه . وظهرت الشاعرية في الاخطل منذ حداثة ، وكان يقيم في الحيرة ، فدارت مهاجاة بينه وبين كعب بن جعيل شاعر تغلب قبله ، فغلبه الاخطل وافحمه فصار هو المقدم في شعرائها . وكان ينتخب شعره فينظم تسعين بيتا ويختار منها ثلاثين . وسئل حماد عن الاخطل ، فقال : « وما تسألونني عن رجل حبيب شعره الى النصرانية » وكان الاخطل يشرب الخمر ولا يجيد النظم الا اذا شرب . ولكنه لم ينظم شعرا تستحق العذراء من سماعه

وكان السبب في تقربه الى بنى أمية ان معاوية اراد ان يهجو الانصار (*) لاسباب تقدم بيانها ، فاقترح ابنه يزيد على كعب بن جعيل المثار اليه ان يهجوهم وكان مسلما فابى ، وقال : « ادلك على غلام منا نصراني لا يبالي ان يهجوهم كان لسانه لسان ثور ؟ » قال : « من هو ؟ » قال : « الاخطل » فدعاه معاوية وامره بهجائهم ، فقال : « على ان تمنعني » قال : « نعم » فقال قصيدة جاء فيها من الهجو بالانصار قوله (***) :

واذا نسبت ابنَ القرينة خلتَه كالجحش بين حمارة وحمار
لعن الإله من اليهود عصابةً بالجزع بين صليصلٍ وصرار
قوم إذا هدر العصور أيتهم حمراً عيونهمو من المسنطار
خلشوا المكارم لستم من أهلها وخذوا مساحيكم بين النجار
إن الفوارس يعلمون ظهوركم أولاد كل مقبَّحٍ أكَّار
ذهبت تریش بالمكارم والعلا واللؤم تحت عمائم الأنصار

(*) لبس معاوية هو الذي اراد ذلك كما تقدم وانما هو ابنه يزيد
(**) الغريب في هذه الابيات : الجزع : منعطف الوادي ، صليصل : موضع بطريق المدينة ، صرار . بشر على ثلاثة أميال من المدينة ، المسنطار : الخمر الصارعة لشاربها ، المساحي : جمع مسحة وهي الفأس . يقول انهم ذراع لا رجال حرب وشجاعة ، الاكار : الحارث والزارع للارض

فبلغ ذلك النعمان بن بشير فرد عليه بقصيدة تقدم ذكرها في كلامنا عن
مميزات شعر العصر الأموي
ثم أفضت الخلافة الى عبد الملك بن مروان ، وكان ناقما على قبائل قيس
لأنهم نصرُوا أعداءه كما تقدم ، فعمد الى تقديم شعراء القبائل الاخرى ليكتسب
أحزابهم . وعلم أن الاخطل شاعر تغلب له يد في نصره الامويين على الانصار
فقربه وأكرمه . وكان عبد الملك بصيرا بالشعر يعجبه شعر الاخطل فيطرب
لما يقوله حتى سماه « شاعر بني أمية » وبعث بمولى ينادى على رءوس
الأمم « هذا شاعر أمير المؤمنين ، هذا شاعر العرب » وكان الاخطل مغرما
بالخمر ، وحملته الدالة على عبد الملك أن يطلب منه أن يسقيه خمرًا ، (١)
فغضب عليه وقال : « لولا حرمتك لفعلت بك وفعلت » فخرج حتى لقي
خمارا شرب عنده وعاد فجادت قريحته ، فدخل على عبد الملك ومدحه
بقصيدة مطلعها :

خفّ القَطِين فراحوا منك وابتكروا

وأزعجتهم نَوَى في صَرْفها غَيْرُ (*)

وقال له عبد الملك : « ألا تسلم فنفرض لك في الفء ونعطيك عشرة
آلاف » فقال : « وكيف الخمر ؟ » قال : « وما تصنع بها وإن أولها لمر
وإن آخرها لسكر » فقال : « أما إذا قلت ذلك فإن فيما بين هاتين لمنزلة
ما ملكك فيها إلا كلعقة ماء من الفرات بالاصبع » فضحك وتركه على
نصرانيته وسهل عليه الدخول والخروج حتى كان يجيء وعليه جبة خز ،
وفي عنقه سلسلة ذهب فيها صليب تنفض لحيته خمرًا ، حتى يدخل على
عبد الملك بغير إذن

وكان لشعره تأثير في نفس عبد الملك يقيمه ويقعده . ومن الأدلة على ذلك
أن عبد الملك لما أنزل زفر بن الحارث الكلابي عن قرقيسيا ، استقدمه اليه
واقعده على سريرته فعاتبه بعضهم على تقدير رجل كان في الامس من أعد
أعدائه وسيفه يقطر من دماء قومه فلم ينفع العتاب . . فبلغ ذلك الاخطل
وهو يشرب ، فمضى حتى دخل على عبد الملك وأنشد :

وكأسٍ مثل عَيْنِ الدَّيْكِ صَرْفٍ تَنْسَى الشَّارِبِينَ لها العقولُ
إذا شرب الفتى منها ثلاثًا بغير الماء حاول أن يَطْـوِلَا
مشى قرشيَّةً (٢) لا شكَّ فيها وأرخی من مآزره الفضولَا
فقال له عبد الملك : « ما أخرج هذا منك يا أبا مالك إلا خطة في رأسك »
قال : « أجل والله يا أمير المؤمنين حين تجلس عدو الله هذا معك على السرير
وهو القائل بالامس :

(١) الاغانى ١٧٥ ج ٧

(٢) خف القطين : ارتحل السكان ، نوى : نية ، صرف : تصرف وتحول ، غير : أحداث

(٢) مشى قرشيّة : مشية فيها خيلاء القرشيين

وقد يَنْبُتُ المَرْعى على دِمْنِ الثرى
وتَبْقَى حَزَازَاتُ النفوسِ كما هيا
فقبض عبد الملك رجله ثم ضرب بها صدر زفر فقلبه عن السرير ، وقال :
« أذهب الله حزازات تلك الصدور »
ومن قوله فى النسب :

من الخَفِرَاتِ البِيضِ أَمَا وَشَاحِهَا
فَيَجْرِى وَأَمَا القَلْبُ (١) مِنْهَا فَلَا يَجْرِى
تموت وتحيى بالضجيج وتلتوى
بمَطَرِدِ المَتْنَيْنِ مُنْبَتِّرِ الخصرِ
ومن قوله فى المديح :

نفسى فداءً أمير المؤمنين إذا أبدى النواجذ يوماً عارمٌ ذكرَ
الخائضِ العمرَ والميمون طائرهِ خليفةً الله يُسْتَسْقَى به المطرُ
ومن قوله فى الهجاء :

وكنت إذا لقيتَ عبيد تيمٍ وتيماً قلتَ أيهم العبيدُ
لئيمُ العالمين يسود تيماً وسيئدهم وإن كرهوا مسودُ
أما دخوله فى الهجاء بين جرير والفرزدق فسيبه أنه كان مرة عند بشر بن
مروان أخى الخليفة وعنده جرير والفرزدق . وكان بشر يرى من السياسة
أن يغرى بين الشعراء ، فقال للأخطل : « احكم بين الفرزدق وجرير »
فقال : « أعفنى أيها الأمير » قال : « احكم بينهما » فقال : « الفرزدق
ينحت من صخر ، وجرير يغرف من بحر » وبلغ ذلك جريراً فلم يعجبه ،
وهجاه بقوله :

يا ذا الغباوة إن بشراً قد قضى أن لا تجوز حكومة التشنوان
فرد عليه الاخطل ثم رد عليه جرير مما يطول ذكره (٢) . وكان الاخطل
اشهب اللحية له صفيرتان ، ومن احاسن شعره قوله فى وصف السكران :
صرعٌ مدام يرفع الشربُ رأسه ليحيا وقد ماتت عظامٌ ومفصلٌ
نهاده أحياناً وحيناً فجره وما كاد إلا بالحشاشة يعقل
إذا رفعوا صدرأ تحامل صدره وآخرٌ مما نال منها مخبئلٌ

وهو من اصحاب الملحقات وله ملحمة مطلعها :

تغير الرسم من سلمى بأحنار وأقمرت من سلمى دمنة الدار
وتفنن الاخل في النظم من حيث الوزن تفننا قلده فيه بعد أجيال ، وذلك
قوله : (*)

ولقد علمت إذا الرياح تناوحت هوج الرئال تكبهن شمالا
أنا نعجل بالعيط لضيفنا قبل العيال ونضرب الأبطال
ولو قال :

ولقد علمت إذا الريا ح تناوحت هوج الرئال
لكان شعرا ، وإذا زدت فيه « تكبهن شمالا » كان أيضا شعرا من روى
آخر (**)

ولالأخل ديوان مطبوع في بيروت للمرة الاولى بعناية الاب صالحاني عن
نسخة بطرسبورج مع شروح سنة ١٨٩١ في ثيف وخمسمائة صفحة .
وللأب المذكور طبعة فوتوغرافية عن نسخة وجدوها في بغداد . وللدكتور
غريفينى طبعة بالحجر عن نسخة وجدت في اليمن . وعثروا في مكتبة بيازيد
بالأستانة على نسخة خطية من كتاب تقائض جرير والاخل (١)

وله أخبار متفرقة في الاغانى ١٦٩ ج ٧ و ٤٦ ج ٩ و ٢ ج ١٠ و ١٤٨
و ١٥٤ ج ١٣ والجمهرة ١٧٠ وفي الشعر والشعراء ٣٠١ والعقد الفريد ١٣٣
ج ٣ وخزانة الادب ٢٢٠ ج ١ ، وللمستشرق دى برسفال مقالة عنه وعن
جرير والفرزدق في المجلة الاسيوية الفرنسية سنة ١٨٩٤ ، وكتب عنه الاب
لامنس مقالة في المجلة الاسيوية المذكورة سنة ١٨٩٤ (***)

٢ - جرير

توفي سنة ١١١ هـ

هو جرير بن عطية بن الخطفى من كليب بن يربوع (تميم) نشأ في البادية
أيام معاوية ، وهو واسع الخيال قوى الشاعرية مع ميل الى الهجاء . وكلن
يفد الى الشام مع من يفد على الخلفاء للاستجداء بالمديح ، فعرفه أحدهم

(*) تناوح الرياح : تقابلها واضطرابها ، الرئال : أولاد النعام ، وتكب أولاد النعام شمالا
كناية عن أنها ريح باردة شديدة ، العيط : الطرى من اللحم ، يقول انهم كرماء وشجعان
(**) يشير الى ما حدث عند الحريرى وأضرابه في العصر العباسى ثم العصور التالية من
بناء الشعراء لقصائدهم على وزن معين تستطيع معه أن تحذف من أبياتها كلمتين أو نحوهما ،
فتتحول القصيدة الى وزن آخر وروى آخر . ولكن الاخل لم يستعمل ذلك عامدا ، إنما جاء
عقوا في البيتين المذكورين

(١) راجع وصفها في المشرق ٦٧ مجلد ٨

(**) انظر طبقات الشعراء لابن سلام والفصل الثالث من كتاب التطوير والتجديد في
الشعر الاموى ، ومادة الاخل في دائرة المعارف الاسلامية ، ونالينو في تاريخ الاداب العربية

الى يزيد بن معاوية وهو أمير وجعل يختلف اليه وهو شاب ، فاستلطف يزيد نظمه ، واتفق ان يزيد أراد أن يعاتب أباه بشعر فاقتبس ابياتا من قصيدة لجرير فرفعها الى أبيه عن لسانه ، وفيها قوله :

بأيّ سنانٍ تطعن القوم بعد ما نَزَعْتَ سِنَانًا من قَنَاتِكَ ماضيا

فاعتقد معاوية ان الابيات لابنه . فلما صارت الخلافة الى يزيد وفد عليه جرير ، فاستؤذن له مع الشعراء فجاء الجواب : « ان أمير المؤمنين يقول لا يصل الينا شاعر لا نعرفه ولا نسمع بشيء من شعره » فقال جرير : « قولوا له أنا القائل (وذكر الابيات) . » فأمر بادخاله ، فلما أنشده القصيدة قال يزيد : « لقد فارق أبي الدنيا وما يحسب الا اني قائلها » وأمر له بجائزة

ولما صارت الخلافة الى عبد الملك بن مروان لم يتجرا جرير على الوفود عليه لعلمه بغضب عبد الملك على شعراء مضر لانهم كانوا يمدحون آل الزبير أعداءه (وتميم من مضر) فاحتال حتى قدم على الحجاج وهو أمير العراق على يد بعض عماله . فأعجب الحجاج ببلاغته وشاغريته ، فأحب أن يقدمه الى الخليفة وعلم ان عبد الملك سينكر ذلك ، فأنفذ معه ابنه محمدا فاستقبله عبد الملك بعد الجهد ثم أقبل يعاتبه قائلا : « ماذا عسى أن تقول فينا بعد قولك في الحجاج عاملنا :

من سَدَّ مَطْلَعَ النِّفاقِ عليكمْ أم مَن يَصُولُ كَصَوْلِ الحَجَّاجِ

ان الله لم ينصرنا بالحجاج وانما نصر دينه وخليفته » وظهر الغضب في وجه عبد الملك . فتوسط محمد بن الحجاج في الرضا ، واستأذن جرير في الانشاد ، وأنشد القصيدة التي يقول منها :

أَلَسْتُ خَيْرَ مَن رَكِبَ المَطَايا وَأُنْدَى العالَمين بَطُونَ رَاحِ

فتبسم عبد الملك وقال : « كذلك نحن وما زلنا كذلك » وأمر له بمائة لقحة وثمانية من الرعاء (١) . . وصار يفد على عبد الملك من ذلك الحين ويأخذ الجوائز ، وكانت جائزته أربعة آلاف درهم وتوابعها من الحملان والكسوة

ولما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز وهو لا يرى للشعراء حقا في العطاء وفد عليه بقصيدة عامرة فاعتذر له ولم يعطه . وتوفي جرير سنة ١١٠ بعد الفرزدق ببضعة أشهر ، ودفن في اليمامة حيث قبر الاعشى (٢) وكان يغن في لفظه فيخرج الكلام من أنفه أو كان فيه نوتا

(١) الرعاء : الرعاة ، واللحقة : الناقة الحلوب

(٢) الاغانى ٤٦ ج ١٩

واشتهر جرير على الخصوص بمهاجاته الفرزدق وغيره من معاصريه ، وكان الناس يخافون لسانه . والسبب في اشتهاره بالهجاء ان رجلا اسمه غسان بن ذهيل من عشيرة سليط هجاه بأبيات منها :

لعمري لئن كانت بجيلة زانها

جرير" (***) لقد أخزى كليباً جريرها

يريد أن جريرا أخزى كليباً وهو البطن الذي هو منه . . فأجابه جرير بقصيدة وقعت على رأس الرجل وقوع السهام ، منها قوله :

ألا ليت شعري عن سليطٍ ألم تجد

سليطٌ سوى غسانٍ جاراً يجيرها

فقد ضمّنوا الأحسابَ صاحبِ سوءةٍ

يناجي بها نفساً خيئاً ضميرها

فاستنصر غسان رجلاً اسمه البعيث ، فنصره وهجا جريرا وقال فيه :

كليبٌ لثامٌ الناس قد تعلمونه وأنت إذا عُدّتْ كليبٌ لثيمها

فأجابه جرير على الوزن والقافية . وبلغ ذلك الفرزدق وكان يحسد جريرا فانتصر للبعيث ، فاحتدم الهجاء بينهما . . . وانقسم الأدباء في الانتصار لهما الى حزين كما تقدم . وبلغ من احد المشغوفين بالفرزدق انه عقد جائزة قيمتها ٤٠٠٠ درهم وفرس لمن يفضل الفرزدق على جرير (١) وقد جمعت مناقضاتهما في كتاب يعرف بنقائض جرير والفرزدق طبع في لندن في جزأين سنة ١٩٠٥

وانتشبت المهاجاة بين جرير والاخلط لسبب ذكرناه في ترجمة الاخلط ، وهجاه أيضا عمر بن لجا التيمي وسراقة بن مرداس ثم المستنير بن سبرة العنبري لانه اعان عليه ابن لجا . ثم هاجى راعي الابل وهو من الفحول، لانه فضل الفرزدق عليه وله في هجائه حديث طويل ، والراعي من بني تميم فهجا جريرا بأبيات منها :

رأيت الجَحشَ جَحشَ بني كليبٍ

تيممَ حَوْضَ دِرْجَلَةٍ ثم هابا

(*) انظر في هذه المهاجاة ومهاجاة جرير مع الاخلط كتاب التطور والتجديد في الشعر الاموي ومقدمة Bevan لنقائض جرير والفرزدق
(***) جرير هنا : هو جرير بن عبد الله اليجلي أحد أجلاء الصحابة وأشرف الكوفة
(١) الاغانى ٦٧ ج ٧

فذهب جرير اليه ليستكفه او يعاتبه فلقبه في المريد - نادى الادباء والشعراء بالبصرة - على بغلة ، وبجأته ابنه جندل على مهر . فاقرب منه جرير وحياه وقال : « يا ابا جندل ان قولك يستمع وانك تفضل الفرزدق على تفضيلا قبيحا ، وأنا امدح قومك وهو يهجوهم ، وهو ابن عمي . ويكفيك من ذاك اذا ذكرنا ان تقول كلاهما شاعر كريم ولا تحمل مني ولا منه لائمة » . فلم يجبه الراعي ، ولكنه لحق ابنه ورفع الابن عصاه فضرب عجز بغلته وخاطب اياه قائلا : « لا اراك واقفا على هذا الكلب من بنى كليب كأنك تخشى منه شرا او ترجو خيرا »

فرفست البغلة جريرا ، فوقعت قلسوته عن راسه . فانصرف مغضبا حتى اذا صلى العشاء بمنزله في عليقة (غرفة) له قال : « ارفعوا الى باطية من نبيذ واسرجوا لى » فأسرجوا له وأتوه بباطية من نبيذ وجعل يشرب ويستحث قريحته وينظم حتى كان السحر ، وقد نظم ٨٠ بيتا ختمها بقوله :

فغضَّ الطَّرفَ إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا
ثم جاء المريد وأنشد هذه القصيدة في مجلس الادباء وفيهم الفرزدق والراعي ، فكان لها وقع شديد ولا سيما البيت الاخير
وقد لا يفقه القارئ قوة الهجاء اذا لم يعلم ان كعبا وكلابا ونميرا ثلاثة ابطن من عامر بن صعصعة من قيس . . فجرير فضل كعبا وكلابا على نمير مع انهما اخواه . ولم يسمع ذلك البيت أحد من العرب يومئذ الا قال : « لا يفلح النمير بعد ذلك أبدا » ومن هذه القصيدة أبيات من ابلغ ما يكون ، كقوله :

إذا غضبتْ عليك بنو تميمٍ حسبت الناس كلَّهمْ غضابا
وهو احسن بيت في الفخر ، وبسببه بدأت المهاجاة بين جرير والعباس ابن يزيد الكندى ، وقد ساءه تفاخر جرير بتميم فعارضه بقوله :

ألا رغمتْ أنوفُ بنى تميم قساة التمر إن كانوا غضابا
لقد غضبتْ عليك بنو تميمٍ فما نكأتْ بغضبتْها ذبابا
لو اطلع الغراب على تميم وما فيها من السكوءات شابا
فاغتتم جرير سقطة من العباس وهجاه بأبيات على نفس الوزن والقافية
أولها :

إذا جهل الشقى ولم يقدر بعض الأمر أوشك أن يصابا

وممن هاجهم جرير أيضا جفنة الهزاني ، والمرار بن منقذ ، وحكيم بن معية ، والاشهب بن رميلة ، وغيرهم . وربما تهاجى الرجلان قبل ان يتعارفا كما يتناقش الصحافيان أو الكاتبان اليوم وبينهما ألف من الاميال

وتجد أخبار هذه المهاجاة في الاغانى ج ٧ ، وفي كتاب نقائض جرير
والفرزدق ، وفي الشعر والشعراء
وأحسن أقوال جرير في النسيب قوله :

إن العيون التى فى طرفها حَوَرٌ قَتَلْنَنَا ثم لا يُخَيِّرِينَ قَتَلَانَا
ومن أحسن شعره قوله يرثى ابنه :

قالوا نصيبك من أجرٍ فقلت لهم كيف العزاء وقد فارقت أشبالي
فارقتنى حين كفَّ الدهرُ من بصرى وحين صرتُ كعظم الرَّمَّةِ البالى
ومن قوله يرثى امرأته :

لولا الحياءُ لعادنى استعبارٌ ولزرتُ قبركُ والحبيبُ يَزَارُ
ولمَّهتِ قلبى إذ عَلىَّتى كُتْبَةٌ وذوو التَّمائمِ من بنيكِ صَفار
لا يلبثُ الأجبابُ أن يتفرَّقوا ليلٌ يَكْثُرُ عليهمُ ونهار
صلَّى الملائكة الذين تُخَيَّرُوا والطَّيِّون عليك والأبرار
وهو من أصحاب الملحمات ومطلع ملحمة :

حَيَّ العداة برامة الأطلالا رَسْمًا تقادم عهدُه فأحالا

وقد ذكرنا أمثلة من هجائه ، ومنها أيضا قوله فى هجاء تميم :

مِنَ الأصْلابِ ينزل لَوْمٌ تَيْمٍ وفى الأرحامِ يَخْلُقُ والمَشِيمِ
وكان جرير على الاجمال من الشعراء طلاب العطاء من الخلفاء والامراء ،
وكان يقيم هو والفرزدق بجوار البصرة . ونظرا لاشتغال الناس بهما
أهمل ذكر من عاصرهما من الشعراء
ولجرير ديوان منه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية ، وقد طبع فى
القاهرة سنة ١٨٩٥ وفى غيرها . وترى أخباره فى الاغانى ٣٨ و ١٧٢ ج
٧ و ٢ ج ١٠ و ٤٦ ج ٩ ، والجمهرة ١٦٨ ، والشعر والشعراء ٢٨٣ ،
وخزانة الادب ٣٩٧ ج ٣ ، وابن خلكان ١٠٢ ج ١ ، والمستطرف ٥٣ ج ١ ،
والعقد الفريد ١١٤ ج ١ (*)

٣ - الفرزدق

توفى سنة ١١٠ هـ

هو من دارم من تميم واسمه همام بن غالب بن صعصعة ، وكان جده
صعصعة وجيها يعرف بمحبي الموعودات ، وأبوه غالب كان رئيسا فى قومه

(*) وأنظر نقائض جرير والاختلأ شعر الإبي صالحي ونقائض جرير والفرزدق بشرح
أبى عبدة نشر بيفان ، وطبقات الشعراء لابن سلام ، والتطور والتجديد فى الشعر الاموى ،
وتاريخ الادب العربية لنانينو ، ومادة جرير فى دائرة المعارف الاسلامية

وله مناقب مشهورة • ولد الفرزدق في البصرة وأقام في باديتها مع أبيه ،
وظهرت فيه ملكة الشعر وهو غلام • • فجاء به أبوه الى علي بن أبي طالب
بعد وقعة الجمل ، وأخبره أنه شاعر فقال : « علمه القرآن » كما تقدم •
فلم ينظم شعرا حتى حفظ القرآن ، ولم يكذب ينبح حتى قامت المهاجرة بينه
وبين جرير • ولا شك أنها نفعتهما لان الانتقاد يشحذ القريحة ، والضغط
والمقاومة يظهران القوى الكامنة • وانما تأتي بمثال من ذلك • • نظم الفرزدق
قصيدة وهو في المدينة قال فيها (*) :

هما دلياني من ثمانين قامة

كما انقضَّ بازٍ أقتمَ الرِّيشَ كاسِرُهُ

فلما استوت رجلاي في الأرض قالتا

أحى فيرجى أم قتل نحاذره

فقلت ارفعا الأمراس لا يشعروا بنا

وأفلت في أعجازٍ ليلٍ أبادره

أحاذر بؤيَّتين قد وكَّلا بنا

وأسنودَ من ساجٍ تصر مسامره

فلما بلغت هذه الابيات جريرا نظم من جملة قصيدة طويلة :

لقد ولدت أمّ الفرزدق فاجرا فجاءت بوزّ وازٍ قصير القوادم

يوصِّل حَبْلِيه إذا جَنَّ ليله ليرقى إلى جاراته بالسَّلام

تدليّت تزني من ثمانين قامة وقصّرت عن باع العثا والمكارم

هو الرّجسُ يا أهل المدينة فاحذروا مداخلَ رجسٍ بالخبيثات عالم

لقد كان إخراج الفرزدق عنكم طهوراً لما بين المصلّى وواقم

فلما وقف الفرزدق على هذه القصيدة جاوبه بقصيدة طويلة يقول في

جملتها :

وإن حراماً أن أسبَّ مقاعِسا بآبائي الشِّم الكرام الخضارم

ولكن نَصفاً لو سببت وسبّني بنو عبد شمس من مناف وهاشم

(*) الغريب في هذه الابيات والاخرى التي تليها ، أقتم : أسود ، كاسرو ، يريد كاسر
الجناحين للسقوط على الأرض ، الأمراس : الأمسيات والحيال ، أسود من ساج : يريد بابا من
خشب الساج ، تصر : تصوت وتصيح ، الوزواز : القصير خفيف الحلم والجسم ، المصلى
وواقم : موضعان بالمدينة ، الخضارم : جمع خضرم وهو البحر ، والجواد : المعطاء ، مقاعس :
عشيرة من تميم ، النصف : العدل ، أعند : أخالف وأخطيء ، وكليب : قبيلة جرير ،
ودارم : قبيلة الفرزدق

أولئك آتائي فجئني بمثلهم وأعند أن أهجو كلياً بدارم.

وغضب أهل المدينة لذلك وشكوه إلى مروان بن الحكم - وهو يومئذ والي المدينة - وطلبوا إليه أن يحده ، فأمر بنفيه فغضب الفرزدق وهدده بالهجاء فخاف مروان واسترضاه بالجائزة

وكان الفرزدق يتشيع لعل وأهله (*) . والتقى في أواخر أيامه بهشام ابن عبد الملك في الحج ، ورأى هشام هناك علي بن الحسين في غمار الناس فقال : « من هذا الشاب الذي تبرق أسرة وجهه كأنه مرآة صينية تتراعى فيها عذارى الحي وجوهها ؟ » فقالوا : « هذا علي بن الحسين » فنظم الفرزدق قصيدة في مدح علي المذكور مطلعها :

هذا الذي تعرفُ البطحاءُ وطأتَه والبيت يعرفه والحِلُّ والحَرَمُ

وبلغ هشام خبر القصيدة وهو بين مكة والمدينة ، فغضب وحبسه هناك فقال :

أتحسبني بين المدينة والتي إليها قلوبُ الناس يهوى مَنِيها
يقلِّبُ رأساً لم يكن رأسَ سيدٍ وعيناً له حولاءٌ بادٍ عيوبُها
فلما بلغ ذلك هشاماً أمر بإطلاقه

ولم يكن الفرزدق من مداح بني أمية (***) لانه كان يتشيع لعل كما رأيت وقد هجا بعضهم ، ولكنه مدح بعض عمالهم وخصوصاً آل المهلب والحجاج خوفاً منهم

ويعتقد علماء اللغة أن شعر الفرزدق فيه كثير من أساليب العرب وألفاظهم حتى قالوا : لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب . وكان له على الحجاج دالة . وكان من أقرب شعراء ذلك العصر إلى الثبات في الرأي ، فقد طلب يزيد بن عبد الملك بعد قتل يزيد بن المهلب من الشعراء هجاء يزيد المذكور فأبى الفرزدق وقال : « امتدحت بني المهلب بمدائح ما امتدحت بمثلها أحد ، وإنما يقبح بمثلي أن يكذب نفسه على كبر السن فليعفى أمير المؤمنين » فأعفاه (١)

ومن أقوال الفرزدق التي تجزى مجزى الامثال قوله :

(*) الصحيح أن الفرزدق لم يكن متشيعاً لعل وآله ، أما القصيدة التي ساقها المؤلف والتي يقال أنه مدح بها علي بن الحسين زين العابدين فليست له . انظر في ذلك ترجمة الحزين الكنانى في الجزء الرابع عشر من الاغانى
(**) الحق أن الفرزدق كان من مداحهم ، ولكن منذ سليمان بن عبد الملك ، أما من قبله من الخلفاء فلم يقصدهم بمدح . وفي ذلك يقول من قصيدة لسليمان :
وما كنت عن نفسي لارحل طائفاً الى الشام حتى كنت أنت المؤمرا
وانظر كتابنا « التطور والتجديد في الشعر الاموى » ص ١٢٠
(١) الاغانى ٤٣ ج ٤

فيا عجبا حتى كليب" تسبني كان أباهما نَهْشَلٌ ومجاشع (١)

وكنا إذا الجبار صَعَّرَ خدَّه ضربناه حتى تستقيم الأخادع

وكنت كذئب السوء لما رأى دما بصاحبه يوما أحال على الدم

أحلامنا تزن الجبال رزاقه وتخالنا جثا إذا ما نجهل

فإن تنج منى تنج من ذى عزيمة وإلا فاني لا إخالك ناجيا

تري الناس ماسرنا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

وهو من أصحاب الملحمات ، ومطلع ملحمة :

عزفت بأعشاش (*) وما كدت نعزف

وأنكرت من حدّراء ما كنت تعرف

وللفرزدق ديوان مطبوع فى جملة الدواوين الخمسة (النابغة ، وعروة ، وحاتم ، وعلقمة ، والفرزدق) بمصر سنة ١٢٩٣ وطبع على حدة فى باريس سنة ١٨٧٠ وما بعدها مع ترجمة فرنسية للمسيو بوشر عن نسخة خطية صورت من مكتبة أياصوفيا فى الأستانة . وطبعت تتمتها فى مونيخ سنة ١٩٠١ ، وفى دار الكتب المصرية نسخة خطية املاء محمد بن حبيب مشروحة . ومنه نسخ خطية أيضا فى أكسفورد وليدن وغوطة وبرلين ولندن . وله طبعات أخرى

وترى أخباره فى الأغاني ٢ ج ١٩ و ١٨٦ ج ٨ و ٦٥ ج ١ و ٦ ج ٩ و ١٧ ج ٧ و ٤٦ ج ٩ ، وفى الشعر والشعراء ٤٨ و ٢٨٩ و ٣٠٦ و ٣١٤ ، وابن خلكان ١٩٦ ج ٢ و ١٠٣ و ١٨٥ ج ١ ، والمستطرف ٥٣ ج ١ و ١٤٢ ج ٢ ، والعقد الفريد ١٤٦ ج ١ ، والجمهرة ١٦٣ وخزانة الأدب ١٠٥ ج ١ والدميرى ٩ ج ١ (***)

(١) نهشل ومجاشع من آباء الفرزدق ، وكليب : عشيرة جرير

(*) عزفت : انصرفت نفسك ، وأعشاش : موضع

(**) وأنظر طبقات الشعراء لابن سلام ، ومعجم الأدباء لياقوت ، وقالينو فى تاريخ الآداب العربية والتطور والتجديد فى الشعر الاموى ، ودائرة المعارف الاسلامية

٤ - الراعى توفى سنة ٩٠ هـ

هو عبید بن حصین النمری من قبيلة نمر التي هجاها جرير في بيته المشهور ، وقد تقدم سبب نظمه . وسمى الراعى لكثرة وصفه الابل وجودة نعته اياها . وهو شاعر فحل ، وكان مقدما مفضلا على سائر الشعراء حتى اعترض بين جرير والفرزدق . . فاستكفه جرير ، فأبى أن يكف ، فهجاه بالقصيدة المتقدم ذكرها ففضحه . ولذلك كان الراعى يقضى للفرزدق على جرير ، وهو السبب في هجاء جرير له . ومما سبق اليه من المعاني وقد أخذت عنه : (*)

كَأَنَّ الْعَيُونََ الْمُرْسِلَاتِ عَشِيَّةً شَائِبَ دَمْعٍ لَمْ تَجِدْ مَرْدًا
مَزَايِدَ خَرْقَاءِ الْيَدَيْنِ مَسِيْفَةً أَخْبَّ بَهْنِ الْمَخْلَفَانِ وَأَحْقَدًا
ومن شعره في النساء قوله :

تَحْدَثُنَّ الْمَضْمَرَاتُ وَفَوْقَنَا ظِلَالُ خُدُورٍ وَالْمَطَى جَوَانِحُ
يَنَاجِينَا بِالطَّرْفِ دُونَ حَدِيثِنَا وَيَقْضِينَ حَاجَاتِ وَهْنٍ مُوَازِحُ
وقوله :

طَافَ الْخِيَالُ بِأَصْحَابِي فَقُلْتُ لِمِمْ أُمٌّ شَذْرَةٌ زَارَتْنَا أُمُ الْغَوْلِ
لَا مَرْحَبًا بِابْنَةِ الْأَقْيَانِ إِذْ طَرَقَتْ كَأَنَّ مَحْجَرَهَا بِالْقَارِ مَكْحُولُ
سُودَ مَعَاصِمُهَا جُعْدٌ مَعَاقِصُهَا قَدْ مَسَّهَا مِنْ عَقِيدِ الْقَارِ تَفْصِيلُ
وهو معدود من أصحاب الملحمة ، ومطلع ملحمة :

مَا بِالْذَفَكِ بِالْفَرَّاشِ مَذِيلًا (**) أَقْدَى بَعِينِكَ أُمُّ أَرْدَتْ رَحِيلًا
وتجد أخباره في الاغانى ١٦٨ ج ٢٠ ، والشعر والشعراء ، وخزانة
الادب ٥٠٤ ج ١ ، والجمهرة ١٧٢ (***)

(*) الغريب في هذه الابيات والتي قلبيها من شعر الراعى : شَائِب : جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر والدمع ، مَزَايِد : جمع مزادة ، وهي قرية الماء ، وخرقاء اليدين : لانصن ماتصنع ، مَسِيْفَةٌ : من أسافت اذا خرزت فانخرمت خرزتان ، والمخلف : من يحمل الماء الى القوم والبحر ، والحفد والاحفاد : ضربان من السير السريع ، المضمرات : الخفيات المحجبات المعاص : الضفائر ، وعقد القار : ما انعقد منه

(**) دَفَك : جنبك ، مَذِيلًا : قلنا
(***) وانظر الاشتقاق ١٧٩ والمؤلف ١٢٢ والنقائض في مواضع متفرقة ، والحماسة لابي تمام ، وطبقات الشعراء لابن سلام والموشح للمرزباني

٥ - أبو النجم الراجز

توفي سنة ١٢٠ هـ

هو الفضل بن قدامة من بني عجل من بكر وائل ، من رجاز الاسلام المعبول
المقدمين ، وفي الطبقة الاولى منهم . وكان ابلغ من العجاج في النعت ، ولم
يكن الشعراء يعتقدون بالرجاز حتى نبغ العجاج ورؤية وأبو النجم هذا .
وقد عاصر العجاج وجرت بينهما مراجعة . وذلك أن العجاج خرج محتفلاً
عليه جبة خز وعمامة خز علي ناقة له قد أجاد رحلها حتى وقف بالمربد
والناس مجتمعون فأنشدهم قوله : « قد جبر الدين الاله فجبر » وذكر
فيها ربعة وهجاسهم ، فجاء رجل من بكر بن وائل الى أبي النجم وهو
في بيته ، فقال له : « أنت جالس وهذا العجاج يهجوننا بالمربد وقد اجتمع
عليه الناس » قال : « صف لي حاله وزيه الذي هو فيه » فوصفه له فقال :
« ابغني جملاً طحانا قد أكثر عليه من الهناء (ب) » فجاء بالجمل اليه فأخذ
سراويل له فجعل احدى رجليه فيها واتزر بالآخرى ، وركب الجمل ودفع
خطامه الى من يقوده فانطلق حتى أتى المربد . فلما دنا من العجاج قال :
« اخلع خطامه » فخلعه فأنشد : « تذكر القلب وجهلا ما ذكر »

فجعل الجمل يدنو من الناقة يتشممها ويتباعد عنه العجاج لئلا يفسد
ثيابه ورحله بالقطران حتى اذا بلغ الى قوله : « شيطانه أنثى وشيطاني ذكر »
تعلق الناس بهذا البيت وهرب العجاج

وكان أبو النجم يحضر مجلس عبد الملك فيأمره بالمفاخرة مع الفرزدق أو
غيره من الشعراء المعاصرين . وكذلك كان يفعل هشام بن عبد الملك ، وسأل
الشعراء مرة أن يصفوا ابلاً ترد وتصدر ، فقال أبو النجم أرجوزته التي
مطلعها : « الحمد لله الوهوب المجزل » وهي من أفخر نظمه حتى أتى الى
شطر يصف به الشمس ، فقال : « فهي في الافق كعين ... » وأراد أن
يقول : « الاحول » فتذكر أن هشاماً أحول . فلم يتم البيت وأتم الأرجوزة ،
فغضب عليه هشام وأمر بوجأ عنقه ونفيه . فتوسط له وجوه القوم فعفا
عنه ، ولكنه عاش مردولاً يأكل فضلات الناس حتى اذا أصاب هشاماً أرق ،
طلب اعرابياً يحدثه واشترط أن يكون أهوج ويروي الشعر . فخرج
الخادم فلقى أبا النجم في المسجد بلباس رث ، فأخذه الى هشام فلما عرفه
سأله عن حاله فقال : « اني أتغذى عند هذا وأتعشى عند هذا » فقال :
« وما عندك من الولد ؟ » قال : « ثلاث بنات زوجت منهن اثنتين » فسأله
عن أوصاهما عند الزفاف فقال : « قلت للاولى واسمها برة :

أوصيت من برة قلباً حراً بالكلب خيراً والحماة شراً
لا تسأمني ضرباً لها وجرأ حتى ترى حثو الحياة مرأ
وإن كستك ذهباً ودرأ والحي عثمهم بشر طراً »

فضحك هشام وقال : « فما قلت للاخرى ؟ » قال : « قلت :

سُبَى الحماسة وابتهتِ عليها وإن دنت° فازدلفى إليها
وأوجعى بالفهر (١) ركبتيها ومرفقيها واضربى جنيها
وظاهرة النذر لها عليها لا تخبرى الدهر به ابتيها »
فضحك هشام وأجازه . وكان قوى البديهة ، ومن شعره أرجوزة وصف
بها فهود عبد الملك ، ومنها :

فهي ضواري من مَضَرَّياتٍ تريك آماقا مخططات
سوادا على الأشداق سائلات تَلَوَى بأذنانٍ موقفتات

وترى أمثلة من الرجز في كتاب أراجيز العرب طبع في مصر سنة ١٣١٢هـ ،
وديوان العجاج منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية وطبع في فينا سنة
١٨٩٦ ، وديوان رؤبة بن العجاج منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية
وسنعود اليه

وأخبار أبي النجم في الاغانى ٧٧ جزء ٩ ، والشعر والشعراء ٣٨١ ،
وخزانة الادب ٤٩ جزء ١ (*)

٦ - الاحوص

وهو من الفحول ، لكننا نظرا لغلبة التشبيب عليه سنترجمه مع المشبيين

(١) الفهر : الحجر
(*) وانظر طبقات الشعراء لابي سلام والموشح للمرزبانى ، والطرائف الادبية للراجكوتى ،
رشرح شواهد المفتى للسيوطى ص ١٨٥ ، وكتاب الحيوان للجاحظ (الفهرس) وشرح التبريزى
على الحماسة (الفهرس)

شعراء السياسة

في الدور الثاني من العصر الاموي

كان الشعراء في صدر الدولة الاموية لا يزالون على انفة البداوة والبعد عن الزلفى كما رأيت ، فلما صارت الدولة الى آل مروان وقام بها عبد الملك (سنة ٦٥ هـ) وغلب على سائر الاحزاب وكان هو أديبا ، كثر الشعراء في أيامه وتقربوا اليه بمدحه والطنن على أعدائه من آل الزبير أو الخوارج أو العلويين أو غيرهم . وظل بعضهم على ولاء هؤلاء وكانوا من أنصارهم . . على أن أكثر شعراء السياسة من أنصار بني أمية ، وقد تقدم ذكر بعضهم مع الفحول . وأشهر من بقى منهم بضعة عشر شاعرا أكثرهم ممن انتصر للامويين على ابن الزبير لانه كان بخيلا على الشعراء وهم يطلبون الجوائز . واليك تراجمهم ، وقد جمعنا أنصار كل دولة أو حزب على حدة :

١ - أنصار بني أمية

١ - أبو العباس الاعمى

اسمه السائب بن فروخ مولى بني الدئل، فهو عربي بالولاء وليس بالنسب. وأصله من أذربيجان فهو من جملة الشعراء الموالي الذين تكاثروا في الاسلام بمن أسلم من غير العرب . وهو من شعراء بني أمية المحدثين المقدمين في مدحهم والتشجيع لهم وانصبا ب الهوى اليهم . وكان يقيم في مكة ، وله أشعار كثيرة في مدح بني أمية وهجاء ابن الزبير . ومن قوله يحرضهم على حربه :

أبني أمية لا أرى لكم شجها إذا ما التفَّت الشَّيْعُ
سعةً وأحلاما إذا نَزَعَتْ أهلُ الحلوم فضريها التَّزَعُ (*)
أبني أمية غير أنسكم والناس فيما أطمعوا طمئنا
أطمعتم فيكم عدوكم فما بهم في ذاكم الطمع

(*) النزاع : التخاصم

فلو انكم كنتم كقومكمو مثل الذي كانوا لكم رجعوا
عما كرهتم أو لردءهم حذر العسوبة ، انها تزع

وكان بنو أمية يحسنون جزاءه ، فيسلون اليه عطاءه من الشام الى مكة وكانت قريش كلها تبره للسانه وتقربا الى بنى أمية ولما قتل مصعب بن الزبير سنة ٧١ هـ ، رثاه بأبيات لانه كان صديقه فغضب عبد الملك لذلك . فلما جاء مكة حاجا في بعض السنين ، دخل عليه الاعيان على مراتبهم وقام اشعراء والخطباء فتكلموا . ودخل ابو العباس الاعمى فسأله عبد الملك عن مدحه مصعبا فاستغفاه وقال : « انما رثيته لانه كان صديقي وقد علمت ان هواي أموى » قال : « صدقت ولكن انشدنى قولك فيه » فأنشده :

رحم الله مصعباً فلقد ما ت كريماً ورام أمراً جسيماً

فقال عبد الملك : « اجل لقد مات كريماً :

ولكنه رام الذى لا يرومها من الناس إلا كل حُرٍّ معتم

وكان ابن الزبير لما غلب على الحجاز جعل يتبع شيعة بنى أمية فينفهم عن المدينة ومكة ، فبلغه ان ابا العباس الاعمى يكاتب الامويين ويتجسس لهم ويمدحهم فدعا به ثم كلموه بشأنه وانه ضرير فعفا عنه ، ونفاه الى الطائف ، فهجاه وهجا سائر بنى أسد (عشيرة آل الزبير) بأبيات منها قوله :

بنى أسدٍ لا تذكروا الفخر إنكم متى تذكروه تكذبوا وتحمقوا
متى تسألوا فضلا تضيوا وتبخلوا ونيرانكم فى الشر فيها تحرق
إذا استبقت يوماً قريش خرجتم بنى أسد سكتا وذو المجد يسبق
تجيئون خلف القوم سوداً وجوهكم إذا ما قريش للأضاميم أصفقوا (*)
وما ذاك إلا أن للؤم طابعاً يلوح عليكم وسمه ليس يخلق

وهاجى عمر بن أبى ربيعة ، ثم بلغه أن عمر يرامى جارية له بينادق الغالية فقال لقائده : « أوقفنى على باب بنى مخزوم فاذا مر ابن أبى ربيعة ضع يدى عليه » ففعل ، فقبض على حجزته وقال :

ألا من يشترى جاراً ثووما بجارٍ لا ينام ولا يئيم
ويلبس ذلها ثياب ناسٍ وشرّ الليل شيطان رَجِيمٌ

وأخبره فى الاغانى ٥٩ ج ١٥ ، والشعر والشعراء ٣٦٦ (**)

(*) الاضاميم : الجماعات ، أصفقوا : تصرفوا فى التجارة
(**) وانظر نكت الهميان وتهذيب التهذيب والبيان والتبيين للجاحظ (الفهرس)

٢ - أعشى ربيعة

توفي سنة ٨٥ هـ

أسمه عبد الله بن خارجة من شيبان (ربيعة) كان يقيم في الكوفة وهو مرواني المذهب يتعصب لبني أمية تعصبا شديدا . ومن قوله في آل مروان نصيدة أنشدها لعبد الملك بن مروان منها :

وما أنا في أمرى ولا في خصومتي بمهتضمٍ حقّي ولا قارع سِنِيّ
ولا مُسَلَّم مولاى عند جنايةٍ ولا خائف مولاى من شرٍّ ما أجنى
وإن فؤادا بين جنبيّ عالم بما أبصرت عيني وما سمعت أذني
وفضّلني في الشعر واللّثب أتى أقول على علمٍ وأعرف من أعنى
فأصبحت إذ فضّلت مروانَ وابنه على الناس قد فضلت خير أبٍ وابنٍ

فقال عبد الملك : « من يلومني على هذا ؟ » وأمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة تخوت ثياب وعشر فرائض من الإبل واقطعه ألف جريب ، وقال له : « امض إلى زيد الكاتب يكتب لك بها » وأجرى له

ودخل مرة على عبد الملك وهو يتردد في الخروج لمحاربة ابن الزبير ، فقال له : « يا أمير المؤمنين مالي أراك متلوما ينهضك الحزم ويقعدك العزم وتهم بالاقدام وتجنح إلى الاحجام ، انفذ لنصرتك وامض رأيك وتوجه إلى عدوك . . فجدك مقبل وجده مدير ، وأصحابه له ماقتون ونحن لك محبون ، وكلمتهم مفترفة وكلمتنا عليك مجتمعة ، والله ما تؤتى من ضعف جنان ولا قلة أعوان ، ولا يثبطك عنه ناصح ولا يحرضك عليه غاش ، وقد قلت في ذلك أبياتا » فقال : « هاتها فانك تنطق بلسان ودود وقلب ناصح » فقال :

آل الزبير من الخلافة كالتى عَجِلَ النَّتَاجُ بحملها فأحالتها
أو كالضّعاف من الحمولة حُمِلَتْ مالا تُطِيقُ فضيّعت أحمالها
قوموا إليهم لا تناموا عنهم كم للغواة أطلتمو إهمالها
إن الخلافة فيكمو لا فيهم ما زلتم أركانها وئمالها
أمسوا على الخيرات قفلا مغلّقا فانهض يثمنك فافتح أقفالها

فضحك عبد الملك وقال : « صدقت يا أبا عبد الله أن أبا خبيب لقفل دون كل خير ولا نتأخر عن مناجزته إن شاء الله ونستعين الله عليه وهو حسينا ودعم الوكيل » وأمر له بصلة سنية . وأخبره في الأغاني ١٦٠ ج ١٦ (*)

(*) وانظر خزانة الادب ج ١ ص ٣٤٥ و ج ٢ ص ١٠٠ والمؤتلف ١٢ وديوان الحماسة لابي تمام ، وشرح التبريزي عليه ، والبيان والتبيين ج ٢ ص ٨٦ (طبعة لجنة التأليف) وقد نشر جابر ديوانه بذيّل الأعشى الكبير

٢ - نابغة بنى شيبان

هو أيضا من ربيعة كالأعشى واسمه عبد الله بن المخارق ، وكان بدويا يقيم في البادية ويفد على خلفاء بنى أمية في الشام فيمدحهم ويجزلون عطاءه . وكان نصرانيا ، وفي شعره كثير من ذكر الانجيل والرهبان ونحوهما . وقد مسح عبد الملك ، ودخل عليه يوما ، وقد عزم على عزل أخيه عبد العزيز عن ولاية العهد والمبايعة بها لابنه الوليد ، وكان المجلس حافلا بالناس على اثر فشل ابن الزبير وذهاب دولته ، فدخل النابغة وأنشده قصيدة لعل عبد الملك أوعز إليه أن يفعل ليحس الراى العام كما فعل معاوية قبله . ومنها قوله بشأن الخلع :

آليت جهدا وصادق" قسمي ربِّ عبدٍ ثَجِثَ الكَرْحُ (*)
يظل يتلو الانجيل يدرسه من خشية الله قلبه طَفَحُ
لأبْنُكَ أُولَى بِمُلْكِكَ وَالِدُهُ وَنَجْمٌ مِّنْ قَدِّ عَصَاكَ مُطْرَحُ
داود عَدْلٌ فَاحْكُم بِسِيرَتِهِ ثُمَّ ابْنُ حَرْبٍ فَإِنَّهُمْ نَصَحُوا
وهم خيارٌ فاعمل بسنتهم واحنِ بخير واكْدَحْ كما كدحوا
فتبسم عبد الملك ولم يتكلم في ذلك باقرار ولا دفع ، فعلم الناس أن رايه خلع عبد العزيز . وادرك النابغة الوليد بن يزيد ومدحه ونال جوائزه ، وله قصيدة طويلة يصف بها الخمر وتخلص منها الى الفخر بينى شيبان . وأخبره في الاغانى ١٥١ ج ٦ ، وله ديوان خطى في دارالكتب المصرية (***)

٤ - عدى بن الرقاع

هو عدى بن زيد من عاملة ، حى من قضاة ، كان شاعرا مقدما عند بنى أمية مداحا خاصا بالوليد بن عبد الملك ، وله بنت شاعرة يقال لها سلمى . وكان منزله في دمشق ، فهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم . وقد تعرض لجرير وناقضه في مجلس الوليد المذكور ، ولم يجسر جرير على هجائه خوفا من الوليد لانه هدده بالاذى اذا فعل . ومن شعره في وصف ظبيته قوله : (***)

كالظبية البكر الفريدة تَرْتَعَى من أرضها قَفَّاتِهَا وَعِهَادُهَا
خَضِبَتْ لها عَقْدُ البراق جَبِينُهَا من عَرَّكَهَا عُلْجَانُهَا وَعَرَادُهَا

(*) الكرح : بيوت الرهبان بالكوفة

(**) طبعت دار الكتب المصرية هذا الديوان

(***) الغريب في هذه الابيات : القفات : نوع من شجر البادية ، والعهاد بالكسر : الامطار المتوالية ، العقد : اصول الشجر ، البراق : الارض الغليظة الصلبة ، العلجان : شجر ، العراد : حمض ، أراد جمع رائد بالكسر : الاتراب ، الاعن : ولد الظبية ، الروق : القرن الابرة : الطرف الحاد

كالزَيْنِ فِي وَجْهِ الْعَرُوسِ تَبَدَّلَتْ - بَعْدَ الْحَيَاءِ فَلَا عَيْتَ أَرَادَهُ
فَزَجَى أَغْنَى كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقَهُ قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا
وَفِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ يَذْكُرُ شَعْرَهُ وَعِلْمَهُ وَحَنَكَتَهُ :

وَلَقَدْ أَصَبْتُ مِنَ الْمَعِيشَةِ نَذَةً وَلَقِيتُ مِنْ شَطَفِ الْخُطُوبِ شِدَادَهَا
وَعَلِمْتُ حَتَّى لَسْتُ أَسْأَلُ عَالِمًا عَنْ عِلْمٍ وَاحِدَةٍ لَكِي أَزْدَادَهَا
صَلَّيْتُ الْمَلِيكَ عَلَى أَمْرٍ وَدَبَّعْتُهُ وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا
وَمِنْ قَوْلِهِ فِي مَدْحِ عَمْرِ بْنِ الْوَلِيدِ وَفِيهِ حُكْمٌ :

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى أَمِيرِي زَادَنِي ضِنًا بِهِ نَظَرِي إِلَى الْأُمَرَاءِ
تَسْمُو أُنْعِيُونَ إِلَيْهِ حِينَ يَرُونَهُ كَالْبَدْرِ فَرَجَ دَهْمَةُ الظُّلُمَاءِ
وَالْأَصْلَ يَنْبِتُ فَرْعُهُ مَتَأَبَّلًا وَالْكَفْثُ لَيْسَ بِنَائِثِهَا بِسِوَاءِ
وَأَخْبَارُهُ فِي الْأَغَانِي ١٧٩ ج ٨ ، وَالشَّعْرُ وَالشَّعْرَاءُ ٣٩١ (*)

٥ - أَبُو صَخْرٍ الْهَنْدَلِيُّ

وَأَسَمَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَمٍ مِنْ هَذِيلٍ وَكَانَ مَتَعَصِبًا لَالِ مَرْوَانَ ، مَدَحَ عَبْدُ الْمَلِكِ
وَإِخَاهُ عَبْدَ الْعَزِيزِ وَهَجَا ابْنَ الزُّبَيْرِ فَحَبَسَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ حَتَّى مَاتَ . وَلَهُ
نَسِيبٌ فِي أَمْرَةِ مِنْ قَضَاعَةَ أَحِبَّهَا وَتَزَوَّجَهَا سِوَاهُ . وَتَجَدَّ أَخْبَارُهُ فِي الْأَغَانِي
٩٤ ج ٢١ ، وَخَزَانَةُ الْأَدَبِ ٥٥٥ ج ١

وَهُنَاكَ طَائِفَةٌ مِنْ أَنْصَارِ بَنِي أُمَيَّةٍ اضْطُرُّوا إِلَى مَدْحِ آلِ الزُّبَيْرِ لِقِيَامِهِمْ بَيْنَ
أَظْهَرِهِمْ ، وَلَئِنْ أَكْثَرَهُمْ كَانُوا يَمْدَحُونَ بَعْضَ أَمْرَاءِ بَنِي أُمَيَّةٍ لَا خُلَفَاءَ لَهُمْ . وَلَوْ
كَانُوا مِنْ شَعْرَاءِ الْخُلَفَاءِ ، رَبَّمَا كَانُوا أَثَبْتَ مِنْهُمْ فِي مَدْحِهِمْ

٦ - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ الْأَسَدِيُّ

هُوَ غَيْرُ ابْنِ الزُّبَيْرِ الْقَائِمِ بِالْمَعْرَةِ فِي الْحِجَازِ . وَهُوَ شَاعِرٌ هَجَاءُ يَرْهَبُ شَرَّهُ ،
نَشَأَ فِي الْكُوفَةِ وَأَقَامَ فِيهَا وَكَانَ مَتَشَبِّهًا لِبَنِي أُمَيَّةٍ وَمِنْ ذَوِي الْهَوَى فِيهِمْ
وَالْتَعَصَّبَ وَالنَّصْرَةَ عَلَى عَدُوِّهِمْ . وَمَا زَالَ كَذَلِكَ حَتَّى غَلَبَ مَصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ
عَلَى الْكُوفَةِ فَاتَى بِهِ سِرًا ، فَمَنْ عَلَيْهِ وَوَصَلَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ فَمَدَحَهُ وَأَكْثَرَ ،
وَانْقَطَعَ إِلَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ مَعَهُ حَتَّى قَتَلَ مَصْعَبُ سَنَةَ ٧١ . ثُمَّ عَمِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
الزُّبَيْرِ بَعْدَ ذَلِكَ وَمَاتَ فِي خِلَافَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ . وَكَثُرَ مَدَائِحُهُ فِي بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ
الْأَمْوِي ، وَمِنْ قَوْلِهِ يَمْدَحُهُ :

(*) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام وفهرس البيان والتبيين وأمالى المرتضى إذ ذكر في
مواضع متفرقة ، وله ثلاث قصائد في الطرائف الأدبية طبع لجنة التأليف

كَأَنَّ بَنِي أُمَيَّةَ حَوْلَ بَشَرٍ نَجُومٌ وَسَطُهَا قَمَرٌ مَنِيرٌ
هُوَ الْفَرْعُ الْمَقْدَمُ مِنْ قَسْرِيشٍ إِذَا أَخَذَتْ مَا أَخَذَهَا الْأُمُورُ
لَقَدْ عَمَّتْ نَوَافِلُهُ فَأَضْحَى غَنِيًّا مَنْ نَوَافِلُهُ الْفَقِيرُ
جَبَرَتْ مَهِيضُنَا وَعَدَلَتْ فِينَا فَعَاشَ الْبَائِسُ الْكَلُّ (١) الْفَقِيرُ
فَأَنْتَ الْغَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ قَرِيشُ لَنَا وَالْوَاكِفُ الْجَوْنُ الْمَطِيرُ
وَمِنْ مَدِيحِهِ فِي أَسْمَاءَ بْنِ خَارِجَةَ قَوْلُهُ :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مَتَهَلَّلًا كَأَنَّكَ بَعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ نَائِلُهُ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ لَجَادَ بِهَا فَلَيْتَقِ اللَّهَ سَائِلُهُ
وَمِنْ هَجَائِهِ قَصِيدَةً يَهَاجِي بِهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ أُمِّ الْحَكَمِ مَطْلَعُهَا :
أَبَى اللَّبْلُ بِالْمَرْءِ أَنْ يَتَصَرَّمَا كَأَنِّي أُسُومُ الْعَيْنَ نَوْمًا مُحَرَّمَا
وَخَبَارُهُ فِي الْأَغَانِي ٣٢ جزء ١٣ (*)

٧ - أَبُو قُطَيْفَةَ

هُوَ عَمْرُو بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَقْبَةَ ، مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَكَانَ يَقِيمُ فِي الْمَدِينَةِ وَهُوَ
مَعَ بَنِي أُمَيَّةَ . فَلَمَّا تَمَكَّنَ ابْنُ الزُّبَيْرِ مِنَ الْحِجَازِ ، نَفَاهُ مَعَ مَنْ نَفَاهُ مِنْ بَنِي
أُمَيَّةَ إِلَى الشَّامِ ، فَلَمَّا طَالَ مَقَامُهُ فِيهَا قَالَ :

أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ تَغْيَرُ بَعْدَنَا قَبَاءٌ وَهَلْ زَالَ الْعَقِيقُ وَحَاضِرُهُ
وَهَلْ بَرَحَتْ بَطْنَاءُ فَبْرِ مُحَمَّدٍ أَرَاهُطُ غَرًّا مِنْ قَرِيشٍ تُبَاكِرُهُ
لَهُمْ مَتْنَهَى حُبِّي وَصَفَقُوْهُ مَوْدَنِي وَمَحْضُ الْهَوَى مِنْهُ وَلِلنَّاسِ سَائِرُ
وَأَثَرُ مِنْ ذِكْرِ الْمَدِينَةِ وَالْحِجَازِ فِي شَعْرِهِ وَشَوْقِهِ إِلَى الْوَطَنِ ، فَلَمْ يَعْجَبْ
ذَلِكَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَتَنَقَّصَهُ لِرَغْبَتِهِ فِي الْحِجَازِ عَنِ الشَّامِ . وَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا قُطَيْفَةَ
فَقَالَ :

وَأُنْبِئْتُ أَنَّ ابْنَ الْعَمَلِيسِ (**) عَابَنِي وَمَنْ ذَا مِنَ النَّاسِ الْبَرِيِّ الْمُسْلِمِ
مَنْ أَتَمَّ مِنْ أَتَمَّ خَبَّرُونَا مِنْ أَتَمَّ فَقَدْ جَعَلَتْ أَشْيَاءُ تَبْدُو وَتُكْتَمُ
فَبَلَغَ ذَلِكَ عَبْدُ الْمَلِكِ فَقَالَ : « مَا ظَنَنْتُ أَنَا نَجْهَلُ . وَاللَّهِ لَوْلَا رِعَايَتِي
لِحَرَمَتِهِ لَالْحَقَّتْهُ بِمَا يَعْلَمُ وَلَقُطِعَتْ جُلْدُهُ بِالسِّيَاطِ »

(*) الْكَلُّ : الْمَالُ

(**) وَأَنْظُرِ الْخَزَانَةَ ج ١ ص ٢٤٥ ، وَمَعَاهِدُ التَّنْصِيصِ ج ١ ص ٢٠ وَدِيَّوَانُ الْحَمَاسَةِ

الْأَبَى تَمَاءُ وَالْبَيَانُ وَالتَّبْيِينُ وَأُمَالِي الْمُرْتَضَى (الْفَهَارِسُ)

(***) الْعَمَلِيسُ : الدَّلِيلُ

وبلغ ابن الزبير ما يقاسيه أبو قطيفة في سبيل حبه المدينة ، فبعث إليه
أن يعود إلى بلده وهو آمن . فأتكفأ إلى المدينة فلم يصل إليها حتى مات .

وتجد أخباره في الأغاني ٧ جزء ١

سائر انصار بني أمية

وهناك طائفة من انصار بني أمية ، وفيهم من مدح الامراء دون الخلفاء
أو مدح الاثنين . وربما اضطر بعضهم لمدح آل الزبير للأسباب التي تقدمت
ولو رأينا ذكر تراجعهم لطال بنا القول ، فنكتفي بالإشارة إلى المصادر
التي يمكن الرجوع إليها لمن أراد الاطلاع على أخبارهم ، وليس لأحد منهم
ديوان معروف وهم :

٨ - أمية بن أبي عائذ الهذلي : مدح عبد الملك وعبد العزيز ابني
مروان . ترجمته في الأغاني ١١٥ جزء ٢٠ ، وخزانة الأدب ٤٢١ جزء ١

٩ - جبهة الأشجعي : شاعر بدوي ليس ممن انتجع الخلفاء بشعره
ومدحهم . ترجمته في الأغاني ١٤٦ جزء ١٦

١٠ - الحكم بن عبد الأسد : كان أعرج أحذب شاعرا هجاء خبيث
اللسان مدح بعض آل مروان . ترجمته في الأغاني ١٤٩ جزء ٢ وفوات
الوفيات ١٤٥ جزء ١

١١ - شبيب بن البرصاء : من ذبيان كان بدويا لم يحضر إلا وافدا أو
منتجعا . ترجمته في الأغاني ٩٣ ج ١١

١٢ - عبد الله بن حشش : من الصعاليك كان يعجب ببني أمية . الأغاني
١١٨ ج ١٧

١٣ - العجير السلولي : هو شاعر مقل عاصر الملك وسليمان وهشاما .
ترجمته في الأغاني ١٥٢ ج ١١ ، وخزانة الأدب ٣٩٩ ج ٢

١٤ - عوف الفزاري : من قيس كان يقيم في الكوفة وبيته من البيوتات
الفاخرة في العرب . ترجمته في الأغاني ١٠٥ ج ١٧ ، وخزانة الأدب ٨٧
ج ٣

١٥ - الفضل بن العباس : من قريش عاصر الوليد بن عبد الملك .
ترجمته في الأغاني ٢ ج ١٥

١٦ - موسى شهوات : مولى قريش وأصله من أذربيجان . ترجمته
في الأغاني ١١٨ ج ٣ ، والشعر والشعراء ٣٦٦

انصار آل المهلب

آل المهلب بنت من بيوتات الاسلام من الأزد ، اشتهروا بالكرم في أيام
بني أمية مثل اشتهار آل برمك في الدولة العباسية ، ونكبوا بمثل نكبتهم ،
وهم ينتسبون إلى كبيرهم المهلب بن أبي صفرة . عمل المهلب لبني أمية
وحارب عنهم الأزارقة ، وآخر ماتولى من الأعمال بلاد خراسان ، تولاها
من جهة الحجاج يوم كان له العراقان . وما زال عليها حتى توفي سنة .

٨٣ هـ ، وهو من كبار رجال الاسلام في تلك الدولة . وكان كريما التماسا لحسن الاحدوثة ، ومن أقواله : « الحياة خير من الموت ، والثناء الحسن خير من الحياة ، ولو أعطيت مالم يعطه أحد لأحببت أن تكون لى اذن أسمع بها ما يقال فى غدا إذا مت » فهو من طلاب الشهرة بالسخاء . وسار أبناؤه على خطواته فكثرت الشعراء الذين مدحهم . وأشهر أولاده : يزيد بن المهلب ، والمغيرة بن المهلب قاتل الخوارج وكانت له معهم وقائع ماثورة . ومنهم مخلد بن يزيد بن المهلب من الاسخياء المدوحين توفى سنة ١٠٠ هـ ، وحبيب بن المهلب وغيرهم . أما الشعراء الذين مدحهم فهناك أشهرهم :

١ - زياد الاعجم

توفى سنة ١٠٠ هـ

هو من موالى عبد القيس من بنى عامر بن الحارث ، وكان ينزل اصطخر فخلبت العجمة على لسانه فسموه الاعجم . وكان شاعرا جزل الشعر فصيح الالفاظ على لكنة لسانه مثل سائر الاعاجم لا يستطيع لفظ العين . وقد مدح بخاصة المغيرة بن المهلب ، وله فيه قصيدة يرثيه بها يزيد على خمسين بيتا مطلعها :

قُلْ للقوافل والغزاة اذا غزوا والباكرين وللمُجِدِّ الرائع
ان المروءة والسماحة ضُمَّتا قبرا بمرَّو على الطريق الواضح
فاذا مررتَ بقبره فاعفِرْ به كُوم الهجان وكلَّ طرف سابع (*)

ومن لطيف اخباره مع حبيب بن المهلب ، انه جاء مرة الى المهلب فى اصبهان ومدحه فأمر له بجائزة فأقام عنده أياما . وبينما هو جالس فى عشية مع حبيب المذكور فى دار له وفيها حمامة تسجع ، قال زياد يخاطب الحمامة :

تَغْنَى أَنْتِ فى ذِمِّى وعهدى وذمة والدى أن لم تطارى
وبَيْتِكَ فاصلحيه ولا تخافى على صَقْرِ مزغَبَةٍ صغار
فإنك كلما غَنَيْتِ صوتاً ذكرت أحببى وذكرى دارى
فإما يقتلوك طلبت ثأراً له نَبَأاً لأنك فى جِوارى

فقال حبيب : « يا غلام هات القوس » فقال له زياد : « وما تصنع بها ؟ » قال : « أرمى جارتك هذه » قال : « والله لئن رميتها لاستعدين عليك الأمير » فأتى بالقوس فنزع لها سهما فقتلها ، فوثب زياد فدخل على المهلب فحدثه بالحديث وانشده الشعر فقال المهلب : « على بابى بسطام » فأتى بحبيب فقال له : « اعط أبا أمامة دية جارتك ألف دينار » فقال : « أطال الله بقاء الأمير انما كنت ألعب » قال : « اعطه كما أمرك » فأعطاه

(*) كوم الهجان : النوق السينة ، والطرف : القوس

وهم الفرزدق أن يهاجى عبد القيس موالى زياد ، فبعث اليه زياد :
« لا تعجل حتى أهدى اليك هدية » فانتظر الفرزدق فبعث اليه يقول :

وما ترك الهاجون لى إن هجونه مُصِحاً أراه فى أديم الفرزدق
ولا تركوا عظما يثرى تحت لحمه لكاسره أبقسوه للمتعرِّق
سأكسر ما أبقوه لى من عظامه وأنكت مَخَّ الساق منه واتقى
وإنا وما تهدى لنا إن هجوتنا لكالبحر مهما يثلق فى البحر يفرق.

فلما بلغه الشعر قال : « ليس لى الى هجاء هؤلاء من سبيل ما عاش هذا
العبد » ومع شاعريته كان كثير اللحن فى نظمه . ومن قوله يخاطب يزيد
ابن المهلب :

وهل لك فى حاجتى حاجة أم أنت لها تارك طارح
أمتها لك الخير أم أحياها كما يفعل الرجل الصالح
إذا قلت قد أقبلت أدبرت كمن ليس غاد ولا رائج

ومن حيث هجائه قوله يهجو الاشاعر :

قَبِيلَةٌ خَيْرُهَا شَرُّهَا وَأَصْدَقُهَا كَاذِبُ الْآثِمِ
وَضَعِيفُهُمْ وَسَطُ أَيْيَاتِهِمْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ صَائِماً صَائِماً

ومن ماثور حكمه قوله :

وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته أو نقصه فى التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم تبق الا صورة اللحم والدم

وتجد أخباره فى الاغانى ١٠٢ ج ١٤ و ٥٨ ج ١٣ ، والشعر والشعراء
٢٥٧ ، وخزانة الادب ١٩٣ ج ٤ ، وفوات الوفيات ١٦٤ ج ١ (*)

٢ - ثابت قطنة

هو مولى بنى اسد بن الحارث ، واسمه ثابت بن كعب شاعر فارسى
شجاع . كان فى صحابة يزيد بن المهلب ، وكان يولىه أعمالاً من أعمال
الثغور فيحمد فيها مكانه لكتابته وشجاعته فضلاً عن شاعريته . ومن لطيف
خبره أن يزيد ولده عملاً فى خراسان ، فلما صعد المنبر يوم الجمعة رام

(*) وانظر الاشتقاق ٢٠١ ، ومعجم المرباني ١٣٣ ، والجزء الثالث من أمالى القسالى ،
والحماسة ، والبيان والتبيين ، وأمالي المرتضى ، وأمالي اليزيدى ١ - ٧ ، وطبقات الشعراء
لابن سلام ، ووفيات الاعيان لابن خلكان ترجمة المهلب بن أبي صفرة ، والمؤتلف للامدى ص ١٣١ ،
وتاريخ الادب العربى لنالينو ، ودائرة المعارف الاسلامية ، وفهرس تاريخ الطبرى

الكلام فتعذر عليه وحصر فقال : « سيجعل الله بعد عسر يسرا أو بعد عي بيانا ، وأنتم الى أمير فعال منكم الى أمير قوال

وان لم أكن فيكم خطيبا فإني بسيفي إذا جدّ الوغى لخطيب »
وجالس ثابت قوما من الشراة وقوما من المرجئة ، وكانوا يجتمعون فيتجادلون في خراسان فمال الى قول المرجئة ، ونظم هذا المذهب قصيدة وصفه فيها ، من جملتها قوله .

يا هند فاستمعي لي إن سيرتنا أن نعبد الله لم نترك به أحدا
نترجي الأمور إذا كانت مشبهة ونصدق القول فيمن جار أو عندا
المسلمون على الإسلام كلهم والمشركون استووا في دينهم قيدا
ولا أرى أن ذنبا بالغ أحدا من الناس نيرا كما إذا ما وحدوا الصدا
لا نسفك الدماء إلا أن يراد بنا سفك الدماء طريقا واحدا جدا
ومن نظمه قصيدة يحرض بها يزيد بن المهلب على الحرب (١) ، ولما قتل
يزيد قال ثابت يرثيه :

كل القبايل تابعوك على الذي تدعو اليه وبايعوك وساروا
حتى إذا حمى الوغى وجعلتهم نصب الأسنه أسلموك وطاروا
إن يقتلوك فإن قتلك لم يكن عارا عليك وبعض قتل عارا
ومن فخرياته قوله :

تعففت عن شتم العشيرة إني وجدت أبي قد كف عن شتمها قبلي
حليما إذا ما الحلم كان مروءة وأجهل أحيانا إن التمسوا جهلي
وأخبره في الاغانى ٤٩ ج ١٣ ، والشعر والشعراء ٤٠٠ ، وخزانة
الادب ١٨٥ ج ٤ (*)

٣ - حمزة بن بيض

توفي سنة ١١٦ هـ

هو حنفي من بكر وائل (ربيعة) من أهل الكوفة ، خليف ماجسن من
فحول طبقة . وكان منقطعا لآل المهلب وولده ثم الى أبان بن الوليد وبلال
ابن أبي بردة ، واكتسب بالسفر الى هؤلاء مالا كثيرا . ذكروا أنه اكتسب

(١) الاغانى ٥٤ ج ١٣ (*) وانظر فهرس التاريخ الطبرى وتاريخ ابن الاثير (طبعة لندن) ٤ ص ١٣٠ ، ومروج
الذهب للمسعودى (طبعة باريس) ج ٥ ص ٤٥٥

نحو مليون درهم ، فهو كان ينصرهم لمجرد الاستجداء بخلاف من تقدم .
ومن قوله يخاطب مخلد بن يزيد بن المهلب وعنده الكمية :

أتيناك في حاجةٍ فاقضها وقل مرحباً ، يجب المرحب
ولا تكلننا الى معسرٍ متى يعدوا عِدَّةً يكذبوا
فإنك في الفرع من أسرةٍ لهم خضع الشرق والمغرب
وفي أدبٍ منهم ما نشأت ونعم لعمرك ما أدبوا
فأمر له بمائة ألف درهم . ولما سجن يزيد بن المهلب ، دخل عليه حمزة
وأنشده أبياتا مطلعها :

أغلق دون السماح والجود والنك جُدَّة بابٍ حديدُه أشبُ (١)
فدفع اليه يزيد فص ياقوت باعه بثلاثين ألف درهم
ولحمزة أخبار طويلة حسنة أكثرها مع يزيد المذكور وابنه مخلد . وله في
عبد الملك وابنه سليمان أقوال وأخبار تجدها في الاغانى ١٥ ج ١٥ ،
وفوات أنوفيات ١٤٧ ج ١ (*)

٤ - كعب الاشقرى

هو كعب بن معدان من الاشاعر قبيلة من الازد ، شاعر فارس حطيب
معدود في الشجعان من أصحاب المهلب ، وله ذكر في حروبه للazarقة .
وكان الفرزدق شديد الإعجاب به ، يعده رابع الثلاثة الفحول (الفرزدق
وجرير والاختل) وأوفده المهلب الى الحجاج ليخبره عن واقعة جرت له مع
الazarقة ، فأنشده قصيدة مطلعها :

ياحفص إني عداني عنكم السر وقد سهرت فأذى عيني السهر
ثم وصف المعركة الى أن قال :

عَبَّشُوا كمينهم بالسَّفْحِ إذ نزلوا بكازرونَ فما عَزَّشُوا ولا نَصَرُوا
بَاتَ كَتَائِبُنَا تُرْدَى مَسْوِمةً حول المهلب حتى نَوَّرَ الْقَمَرُ
هناك ولَّوْا جراحاً بعدما هربوا وحال دونهم الأنهار وانجدرُ
تأبى علينا حزازاتُ النفوس كما نبقى عليهم ولا يُبْقون إن قدروا

(١) أشب : مشتبك

(٢) وانظر المؤلف من ١٠٠ وفهارس البيان والتبيين والكمال وآمالى المرتضى والحيوان
للجاحظ ومعجم الادباء (طبع مصر) ج ١٠ ص ٢٨٠

وهجاء زياد الاعجم وقد علمت أنه ينتمى لعبد القيس ، فقال كعب يهجو
عبد القيس :

إني وإن كنت فرّعَ الأزد قد علموا أخزى إذا قيل عبد القيس أخوالى
فيهم أبو مالكٍ بالمجد شرفنى ودكس العبدُ عبدُ القيس سربالى
فرد عليه زياد يهجو الاشاعر التلجاج فشكاه الى المهلب . فاستقدم
زيادا وعاتبه وصالحهما . . وأخبار كعب كثيرة تراها في الاغانى ٥٦ ج ١٢ (*)

٥ - يهس الجرمى

هو يهس بن صهيب ، من جرم (قضاة) شاعر فارس شجاع ، كان يبدو
بنواحي الشام مع قبائل جرم وكلب وعذرة ، ويحضر معهم في اجناد الشام .
وقد صحب المهلب بن أبي صفرة في حربه للazarقة ، وكانت له مواقف
مشهورة . أول ما هاج شاعريته أنه هوى امرأة من قومه اسمها صفراء .
وكان يتحدث اليها ويكتم وجهه لها ولا يخطبها لابيها لأنه كان صعلوكا لا مال
له وكان ينتظر أن يثرى . وكان من أحسن الشبان وجها وبشرة وحديثا
وتسعرا . . فرأته صفراء يتحدث مع بعض نساء الحى مرة فهجرته .
وعرض له سفر فخرج اليه وقد زوجها أبوها رجلا من بنى أسد فذكرها
في قصيدة ، ثم ماتت قبل أن يعرفها زوجها ، فقال يرثيها بقصيدة عبر
بها عن شعوره بما ينطبق على الواقع على طريقة الجاهليين ، من ذلك قوله :

هل بالديار التى بالقاع من أحدٍ إن نيسم صوت المدلج السّارى
تلك المنازل من صفراء ليس بها نارٌ تضى ولا أصوات سُمّار
عَفَّتْ معارفها هوجاً مغبرةً يَسْفى عليها تراب الأبطح الهارى
حتى تنكّرتُ منها كل معرفة إلا الرماد نخيلا بين أحجار
طال الوقوف بها والعين يسبقى فوق الرداء بَوادى دمعها الجارى
أن أصبح اليوم لا أهل ذوو لطف ألهو لديهم ولا صفراء في الدار
وله قصيدة في مدح محمد بن مروان لأنه أجاره من تهمة كانت عليه، منها:
وإن محمداً سيعود يوماً ويرجع عن مراجعة العتاب
فيخبر صبيتي ويحوط جارى ويؤمن بعدها أبداً صغابى
هو الفرع الذى بُنيت عليه بيوت الأطيين ذوى الحجاب
وتجد أخباره في الاغانى ١٦١ ج ١٠ و ١٠٧ ج ١٩

(*) وانظر معجم المرزبانى ٣٤٦ وفهارس الطبرى وابن الاثير والبيان والتبيين

وممن صحب آل المهلب ونصرهم بشعره :

٦ - الصديق بن الفرخ من ربيعة : ترجمته في الاغانى ١١ ج ٢٠ وفي الشعر والشعراء ٢٢٢ وخزانة الادب ٣٦٧ ج ٢

٧ - المغيرة بن حبناء من تميم : ترجمته في الاغانى ١٦٢ ج ١١ وخزانة الادب ٦٠١ ج ٣

٨ - يزيد بن الحكم من ثقيف : ترجمته في الاغانى ١٠٠ ج ١١

انصار العلويين او الهاشميين

كان انصار العلويين من الشعراء كثيرين ، لكنهم لم يكونوا يجسرون على الظهور خوفا من الامويين وهم اهل السيادة ، وربما مدحهم أحدهم سرا ثم يعدل الى مدح الامويين كما فعل الكميت بن زيد وغيره . وهاك اشهر انصار العلويين :

١ - الكميت بن زيد

المتوفى سنة ١٢٦ هـ

هو الكميت بن زيد الاسدي شاعر مقدم عالم بلغات العرب خير بآيامها ، من شعراء مضر والسنتها ، المتعصبين على القحطانية القارعين لشعرائهم ، العلماء بالمشالب والايام المفاخرين بها . وكان مشهورا بالتشيع لبنى هاشم ، وقصائده فيهم تسمى الهاشميات . وهى من جيد شعره وكانت اول منظوماته . وجاء الفرزدق وعرض عليه شعره فسمع له وهو يستخف به حتى بلغ الى قوله :

بنى هاشم رهطُ النبىِّ فإنى بهم ولهم أَرْضى مراراً وأعضب
خففتُ نهم منى جناحى مودةٍ الى كنفٍ عطفاه أهلٌ ومرحّبٌ
وكنت لهم من هؤلاء وهؤلاء مَجْتَنِّاً على أنى أذم وأعضب
وأرْمى وأرمى بالعداوة أهلها وانى لأوذى فيهم وأؤتّب
فقال له الفرزدق : « يا ابن أخى اذع ثم اذع فأنت والله اشعر من مضى
واشعر من بقى »

ويقال فى سبب توسعه بعلم لغة العرب واخبارهم انه كان له جسدتان ادركتا الجاهلية ، فكانتا تصفان له البادية وامورها وتخبرانه بلخبار الناس فى الجاهلية . فاذا شك فى شعر او خبر عرضه عليهما فتخبرانه عنه فمن هناك كان علمه . وهو من اصحاب الملحمات ومطلع ملحمته :

ألا لا أرى الأيام يُقْضَى عجيبيها بطول ولا الأحداث تَقْضَى خطوبها
وله مناقضات ومهاجاة لشعراء اليمن . واراد خالد القسرى ان يشى به

الى بنى أمية ، فروى قصائده الهاشميات لجارية حسناء وأعدها ليهديتها
الى هشام بن عبد الملك ، وكتب اليه بأخبار الكميت وأنفذ قصيدته التي
يقول فيها :

فياربَّ هل إلا بك النصر يُبْتَغَى وياربَّ هل إلا عليك المعوَّلُ

وهي طويئة يرثى بها زيد بن علي (الهاشمي) ويمدح بنى هاشم فأكبرها
هشام ، فكتب الى خالد عامله أن يقطع لسانه ويده .. فنبهه الى ذلك بعض
اصدقائه ، ففر وقضى زمانا مختفيا ثم توسطوا له بالعفو وجاء الى هشام
ومدحه بقصيدة أنشده اياها مطلعها :

ماذا عليك من الوقوف بها وإنك غير صاغر
الى ان قل :

فالآن صـرـت إلى أميَّة والأُمـور إلى مصـائر
يا ابن العقـبائل للعقبـائل والجـحـاجـجة الأخـاير
من عبـد شمس والأكابر من أميَّة فالأكابر
إن الخـسـلافة والإلا فـ برغم ذى حـسـدٍ وواغـرٍ
دلـقـا من الشرف التليـد إليك بالرَّقـدِ المـوافـر
وانشده غيرها وغيرها فأجاره . ومن جيد شعره قوله :

ألا لا أرى الأيام يُقضى عجيبها لطول ولا الأحداثُ تَفنى خطوبها
ولا عبرة الأيام بعرف بعضها ببعضٍ من الأقوام إلا لبيثها
ولم أرَ قولَ المرء الا كئبله له وبه محرومها ومصيبها

وتوفى سنة ١٢٦ وله ستون سنة، وكان يبلغ شعره لما مات ٥٢٨٩ بيتا .
والهاشميات مطبوعة بمصر وفي لندن سنة ١٩٠٤ ، ولها شرح منه نسخة
خطية في دار الكتب المصرية . وللكميت ترجمة مطولة في الاغانى ١١٣ ج ١٥ ،
والشعر والشعراء ٣٦٨ ، وخزانة الادب ٦٩ جزء ١ ، والجمهرة ١٨٧ (*)

٢ - أيمن بن خريم الاسدي

هو من بنى أسد ، كان شديد التشيع لعلى وقد مدح بنى هاشم ومن
قوله فيهم :

(*) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ومعجم الرزبانى ٢٤٧ والمؤلف ١٧٠ ، والبيان
والنبين في مواضع متفرقة وديوان الحماسة ، وأمالى المرتضى ، ومروج الذهب للمسعودى ج ٦
ص ٣٦ ، وفهرس الطبرى ، والحيوان للجاحظ ج ٥ ودائرة المعارف الاسلامية مادة كميت ،
وتاريخ الاداب العربية لتالينو والتطور والتجديد فى الشعر الاموى ، وحماسة البحتري رقم
٣٧٧ من طبعة بيروت

فهاركم مكابدة" وصوم" وليلكم صلاة" واقتسراء
 أأجعلكم وأقواماً سواء وبينكم وبينهم الهـواء
 وهم أرض" لأرجلكم وأتم لرؤوسهم وأعينهم سماء
 على انه اضطر الى مـايرة بنى أمية ومدح عبد الملك . وله في وصف
 النساء قصيدة بديعة تجدها مع سائر أخباره في الاغانى ٥ جزء ٢١ ،
 والشعر والشعراء ٣٤٥ (*)

انصار الخوارج وآل الزبير وغيرهم

ويقال نحو ذلك في أنصار سائر الاحزاب الذين كانوا على الامويين
 كالخوارج الشراة والازارقة وآل الزبير ، فان شعراءهم لم يكونوا يستطيعون
 الظهور ويندر ظهور احدهم . وهـاك أشهرهم .

١ - الطرمـاح بن حكيم

توفي سنة ١٠٠ هـ

هو من طى ، من فحول الشعراء الاسلاميين وفصحائهم ، نشأ في الشام
 وانتقل الى الكوفة بعد ذلك مع من وردها من جيوش اهل الشام ، واعتقد
 مذهب الشراة والازارقة وكان معاصرا للكميت المتقدم ذكره وكانا صديقين .
 وسئل الكميت مرة : « لا شيء أعجب من صفاء ما بينك وبين الطرمـاح على
 تباعد ما يجمعكما من النسب والمذهب والبلاد فهو شامى قحطانى وأنت
 كوفى نزارى شيعى ، فكيف اتفقتما مع تباين المذهب وشدة العصبية ؟ »
 فقال : « اتفقنا على بغض العامة »

وكان للطرمـاح والكميت رغبة في الغريب يدخلانه في أشعارهما . ومن
 قول الطرمـاح يمدح نفسه :

إذا قبضت نفس الطرمـاح أخلقت عرى المجد واسترخى عنان القصائد
 ومن قوله في الفخر :

وما أنا بالراضى بما غيرة الرضى ولا المظهر الشكوى ببعض الأماكن
 ولا أعرف التعمى على ولم تكن وأعرف فصل المنطق المتغابن

وله قصائد كثيرة في هجاء بنى تميم . ومن لطيف ما قاله فيهم : (**)

(*) وانظر المسعودى في التنبيه والاشراف ص ٢٥٣ حيث عده عثمانيا . وربما كان ممن
 اختلفوا الى الفريقين الشيعى والاموى ، فكان شيعيا مرة وامويا عثمانيا مرة

(**) الغريب في هذه الابيات : القطا : طائر صحراوي من طير الجزيرة . الحرقوص دويبة
 صغيرة . المسك : الجلد . ويزقق : يسلخ ويتخذ زقا للخمر . أكنت : استظلت

تميم" بطرق اللؤم أهدى من الفطا ونو سلكت° سُبُل المكارم ضلكت
ولو أن برغوثا على ظهر قملةٍ يَكْرُثُ على صفَى° تميمٍ لوكت
ولو أن حرقوصاً بزقّق مسكّه اذا نهلت° منه تميم° وعلّلت
ولو جمعت° يوما تميم° جموعها على دَرّةٍ معقولة لاسفلت
ولو أن أمّ العنكبوت بنت° لها مَظَلَّتْها يوم النَّدَى لأكتت
وهو من أصحاب الملحمات ، ومطلع ملحمة :

قَلَّ في شَطَطٍ نَهروان اغتماضي ودعاني هَوَى العيون المِراض
ومن قوله ويدل على مذهبه في الشّراء :

لقد شقيتُ شقاءً لا انقطاع له إن لم أفزُ فوزةً تُنجي من النارِ
والنارُ لم ينجُ من روعاتها أحد° الا المنيب بقلب المخلص الشّاري
أو الذي سبقت° من قبل مولده له السعادة من خلاّقها الباري
وكان الاصمعي يستجيد قوله في صفة الثور :

يبدو وتضمّره البلاد كأنه سيّف° على شرفٍ يسلّ ويغسد°
وللطرماح ديوان طبع في انجلترا باشراف لجنة تذكّار جيب مع ديوان
الطفيل ابن عوف بعناية المستشرق كرنكو Krenkaw ، وأخبره في الاغانى ١٥٦
جزء ١٠ ، والشعر والشعراء ٣٧١ ، وخزانة الادب ٤١٨ جزء ٣ ،
والجمهرة ١٦٠ (*)

٢ - عمران بن حطان

توفي سنة ٨٩ هـ

هو من سدوس من بكر وائل ، شاعر فصيح من شعراء الشّراء ودعاتهم
المقدمين في مدّاعبهم . وكان من القعدة لأن عمره طال فضعف عن الحرب
وحضورها ، فاقصر على الدعوة والتحريض بلسانه وهو مغال في التعصب
على على ، يؤيد ذلك قوله في مدح ابن ملجم قاتل على :

لله دَرُّ المرادى° الذى سفكت° كفاه مهجةً شرّ الخلق إسانا
أمسى عشيةً غشّاه° بضربته مما جناه من الآثام عريانا

(*) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ، وحماسة أبي تمام ، وحماسة ابن الشجرى ،
والاشتقاق ٢٣٤ ، والمؤتلف ١٤٨ ، والعينى ج ٢ ص ٢٧٦ ، وتاريخ الاداب العربية للابن
المعارف الاسلامى ، ومقدمة كرنكو لدوانه

واخذ هذا المذهب عن امرائه لانها خارجية تزوجها ليردها عن مذهبهم فذهبت به الى رأيهم ، وكان الحجاج يلح في طلب عمران بن حطان . وبلغه ان غزاة الحرورية دخلت على الحجاج فتحصن منها واغلق عليه قصره ، فكتب اليه عمران :

أسدٌ علّى وفي الحروب نعمة ربداءُ تجفل من صفيّر الصافر (*) هلا برزت الى غزاة في الوغى بل كان قلبك في جناحى طائر صدعت غزاة قلبه بفوارسٍ تركت مدابره كأمس الدابر ثم لحق بالشام ونزل على روح بن زنباع . واشتهر شعر ابن حطان في عصره حتى كان لا يقول أحد من الشعراء شعرا الا نسب اليه لشهرته ، ومر بالفرزدق وهو ينشد وكان يتهمه انه يقول للاستجداء فيكذب فقال فيه :

أيها المادح العباد ثيعظي إن الله ما بأيدي العباد فاسأل الله ما طلبت إليهم وارح فضل المقسم العواد لا تقل في الجواد ما ليس فيه وتسم البخل باسم الجواد وكان عمران يفتخر بأنه لم يكذب في شعره ، ومن ذلك قوله يخاطب امراته جمره :

يا جمر إني على ما كان من خلقي مثنٍ بخلات صدقٍ كلثها فيك الله يعلم أنى لم أقل كذبا فيما علمت وأنى لا أزكّيك وأخباره في الأغاني ١٥٢ ج ١٦ وخزانة الادب ٤٣٦ ج ٢ (***)

٣ - عبد الله بن الحجاج النيباني

توفي سنة ٩٥ هـ

هو عبد الله بن الحجاج بن محصن من ذبيان ويكنى أبا الأقرع . شاعر فائق شجاع من معدودى فرسان مضر ذوى البأس والنجدة فيهم ، وكان ممن خرج مع عمرو بن سعيد على عبد الملك بن مروان . فلما تغلب عبد الملك على عمرو خرج عبد الله مع نجدة بن عامر الحنفي ثم هرب ، فلحق بعبد الله بن الزبير فكان معه الى أن قتل . ثم جاء الى عبد الملك متنكرا واحتال عليه حتى أئمنه في حديث طهارة . عاش الى زمن الوليد بن عبد الملك ووشى به فحبسه ، فقال وهو في الحبس قصيدة من جملتها :

(*) ربداء : غبراء ، تجفل : تخاف فتسرع في الجرى
(**) رانظر الإصابة لابن حجر ، وتاريخ ابن عساکر ، وأمالى المرتضى ، وديوان الماتى
ج ١ ص ٣١٥ والمؤلف رقم ٢٤٥

فإن يُعْرَضُ أبو العباس عني ويركب بي عروضاً عن عروض (*) ويجعل عثرته يوماً لغيري ويثبغضني فإني من بغض
فإني ذو غنى وكريم قوم وفي الأكفاء ذو وجه عريض

واخباره في الاغاني ٢٥ ج ١٢

٤ - اسماعيل بن يسار التستائي

توفي سنة ١١٠ هـ

هو مولى بني تيم (من قريش) انقطع لال الزبير . ولما استتب الامر
لعبد الملك بن مروان وقد اليه ومدح الخلفاء من ولده كما فعل غيره ،
ولكنهم كانوا يضمرون الكره لهم . ويمثل ذلك ما جرى لاسماعيل هذا وقد
وقد على الغمر بن يزيد بن عبد الملك يوما ، فحجبه ساعة ثم اذن له فدخل
يبكي فقال له الغمر : « مالك يا ابا فائد تبكي ؟ » فقال : « وكيف لا ابكي
وانا على مروانيتي ومروانية ابي احجب عنك » فجعل الغمر يعتذر اليه
وهو يبكي . فما سكنت حتى وصله الغمر بجملة لها قدر ، وخرج من عنده
فلحقه رجل فقال له : « اخبرني ويلك يا اسماعيل اي مروانية كانت لك او
لابيك » قال : « بغضنا اياهم ، امرأته طالق ان لم تكن أمه تلعن مروان وآله
كل يوم مكان التسبيح ، وان لم يكن أبوه حضره الموت فليل له قل لا اله
الا الله فقال لعن الله مروان تقربا بذلك الى الله تعالى »

وعاش اسماعيل عمرا طويلا وكان شعوبيا يفخر على العرب بالعجم ،
ومن قوله :

إنما سُمِّيَ النوارس بالفَرَس مضاهاةً رفعةً الأنسابِ
فاتركي الفخر يا أُمَامَ علينا واتركي الجَوْرَ وانطقي بالصوابِ
واسألي إن جهلت عنا وعنكم كيف كنا في سالف الأحقابِ
إذ تَرَبَّيْنا بِنِباتنا وتَدَسَّشْوا ن سَفاهاً بناتكم في الترابِ
ومن اقواله في الغزل من قصيدة :

حتى دخلت البيت فاستدرفت من شفق عيناك لي تسجُمُ
ثم انجلي الحزن وروعاته وغيب الكاشح والمبْرَمُ
فبت فيما شئت من نعمة يمتحنها نحرها والفسم
حتى إذا الصبح بدا ضوؤه وغارت الجوزاء والمرزم

(*) العروض : الجهة . بغض : قبيلة . المبرم : الثقل . المرزم : نجم مع الشرين

خرجتُ والوطء خفيٌ كما ينساب من مكسنة الأرقمِ
وأخباره في الاغانى ١١٩ ج ٤

سائر أنصار أعداء بنى أمية

ومن أنصار أعداء بنى أمية غير من تقدم جماعة تكتفى بذكر مصادر
تراجهم وهم :

- ٥ - أبو وجزة السعدي من هوازن توفي سنة ١٣٠ مدح آل الزبير .
أخباره في الاغانى ٧٩ ج ١١ والشعر والشعراء ٤٤٢
- ٦ - أبو حزابة من أنصار ابن الأشعث . أخباره في الاغانى ١٥٢ ج ١٩
- ٧ - أبو كلدة اليشكري ، من بكر ، من أنصار ابن الأشعث سكن الكوفة
وقتله الحجاج . أخباره في الاغانى ١١٠ ج ١٠

شعراء الغزل

في العصر الاموي

قلنا في كلامنا عن التشبيب ان امام التشبيب في هذا العصر جميل بن معمر امام المحبين ، وكان يشيب بحبيبه عن شعور حقيقى بالحب . . . فقلده الشعراء في ذلك وان لم يكونوا محبين . على ان اكثرهم ايتلوا بالعشق ولا سيما آل عذرة . وبلغ عدد المشبيين بضعة وعشرين شاعرا منهم خمسة من قريش هم : عمر بن ابي ربيعة ، والعرجي ، والحارث بن خالد ، وابو دهل ، وابن قيس الرقيات ، وعروة بن اذينة ، وامامهم عمر بن ابي ربيعة . وهو اول من تجرأ على التشبيب بالنساء وصارت له فيه طريقة تحداها الشعراء بعده من قريش وغيرهم كما سيجيء ، فبدأ بجميل ثم تذكر الشعراء القرشيين وغيرهم

١ - جميل بن معمر

توفي سنة ٨٢ هـ

هو جميل بن عبد الله بن معمر ، من عذرة ، وكان شاعرا فصيحاً مقدماً جامعاً للشعر والرواية اشتهر بحبه بثينة ابنة عمه ، ولذلك عرف بجميل بثينة . وكانا يقيمان في وادي القرى وكان اول عهده بها وهي صغيرة . ومن اوائل نظمه فيها قوله :

وأول ما قاد المودة بيننا بوادي بغيضٍ يا بُثَيْنُ سِيَابُ
وقلتُ لها قولاً فجاءتُ بمثله لكل كلامٍ يا بُثَيْنُ جوابُ

ولم يكن يراها حتى صارت شابة ، فأخذ ينظم القصائد فيها حتى اشتهر أمره . واتفق مرة أن توبة بن الحمير صاحب ليلي مر ببنى عذرة ، فراه بثينة فجعلت تنظر اليه وجميل حاضر . . فثارت الغيرة في قلب جميل ، فقال لتوبة : « من انت ؟ » قال : « أنا توبة بن الحمير » قال : « هل لك في الصراع ؟ » قال : « ذلك اليك » . فأعطته بثينة ملاءة حمراء فأتزر بها ثم صارعه ، فصرعه جميل . ثم قال : « هل لك في النضال ؟ » قال : « نعم » فناضله فنضله جميل . ثم قال : « هل لك في السباق ؟ » قال : « نعم » فسابقه فسابقه جميل . فقال توبة : « يا هذا انما تفعل

ذلك بريح هذه الجالسة ، ولكن اهبط بنا الوادى " فهبط فصرعه توبة
وبضله وسبقه

وكان عند بثينة مثل ما عند جميل ، ولما رات مناضلته عنها زادت شغفا
به . ولكنهما لم يكونا يجتمعان الا خلسة على موعد . ولم يكن جميل
يخلو من الرقباء ، لكنهم لم يستطيعوا رميته ، واخبروه معها كثيرة
لايسعها هذا المقام . وما زال يجتمع بها سرا عن أهلها فالحوا بالشكوى
منه الى العامل ، ففر الى اليمن حتى عزل العامل . . وانتجع أهل بثينة
الشام فرحل جميل اليهم ، فترصدوه وشكوه الى عشيرته ، فعنفه أهله
وهددوه ، فانقطع عنها . واخيرا لجأ الى مصر ، وعاملها عبد العزيز بن
مروان ، فأحسن وفادته ومرض هناك ومات . وكان طويل القامة عريض
ما بين المنكين جميل الخلقة حسن البشرة . ومن قوله فيها :

وإني لأرضى من بثينة بالذى لو ابصره الواشى لقرئت بلابله
يلا وبأن لا أسنطع وبأمنى وبالأمل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى أواخره لا نلتقى وأوائله
ومن قوله أبيات ينسبونها الى مجنون ليل :

وما زلت يا بثن حتى لو اتى من الشوق أستبكي الحمام بكى ليا
إذا خدرت رجلى وقيل شفاؤها دعاء حبيب كنت أنت دعائيا
وما زادنى النأى المفرق بعدكم سئلوا ولا طول التلاقى تقاليا
ولا زادنى الواشون الا صباية ولا كثرة الناهين إلا تماديا
لقد خفت أن ألقى المنية بغتة وفى النفس حاجات إليك كما هيا
ومن بديع قوله فى النسيب :

لها فى سواد القلب بالحب مينة هى الموت أو كادت على الموت تشرف
وما ذكرتك النفس يا بثن مرة من الدهر الا كادت النفس تتلف
وما استطرفت نفسى حديثا لخلعة أسر به الا حديثك أطرف
وأكثر شعره فيها وله أبيات فى الفخر بليغة منها :

يحب الغوانى البيض ظل لوائنا إذا ما أتا الصارخ المتلهف
نسير أمام الناس والناس خلفنا فإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا
وكنا اذا ما معشر نصبوا لنا ومرت جوارى طيرهم وتعيّفوا
وضعنا لهم صاع القصاص رهينة بما سوف نوفيها إذا الناس طفّفوا

ولجميل ديوان شعر كبير كان مشهورا في أيام ابن خلكان ، ولم تقف على خبره . ولكن منه أشعارا مجموعة في كتاب منه نسخة خطية في مكتبة برلين وترى ترجمة جميل في الاغانى ٧٧ ج ٧ و ٨٠ ج ١٠ و ١٢٤ و ١٤٢ ج ٢ ، وابن خلكان ١١٥ ج ١ ، وخزانة الادب ١٩١ ج ١ ، والشعر والشعراء ٢٦٠ ، وفي الهلال ٢٤٢ سنة ٦ (*)

شعراء قريش الفزليين

١ - عمر بن أبى ربيعة

توفى سنة ٩٣ هـ

هو عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة ، من مخزوم بطن من قريش . وكانت العرب تقرر لقريش بالتقدم عليها في كل شيء الا الشعر ، حتى ظهر عمر بن أبى ربيعة فأقرت لها به

وقصر عمر المذكور شعره على وصف النساء ولم يصف سواهن . وكان الاسلام لا يزال في أوائله ، والمسلمون يستنكفون من التعرض للنساء والتشبيب بهن . ولم يجروا ابن أبى ربيعة على ذلك الا لمنزلاته في قريش ، ومع ذلك فقد عدوا شعره ضررا على الادب ، فقد قال ابن جريج : «مادخل العواتق في حجالهن شيء أضر عليهن من شعر ابن أبى ربيعة » وقال هشام ابن عروة : « لا ترووا فتيانكم شعر عمر بن أبى ربيعة لئلا يترطوا في النار تورطاً » (١) وكان أخوه الحارث يمنع من شعره ويدفع اليه المال ليكف عنه فلا يقدر

وقد اقتبس عمر من جميل وقلده . وكان جميل يشيب بحبيته ، أما عمر فكان يشيب بكل جملة وله لم يكن بينه وبينها مودة . وصار له في التشبيب طريقة عرفت باسمه حاكاهما الشعراء . ولما سمع الفرزدق تشبيهه قال : « هذا الذى كانت الشعراء تطلبه فأخطأته ونكت الديار ووقع هذا عليه » . وكانوا لذلك يعدونه أنسب الناس وأوصف الشعراء لربات الجمال . وكان يقم بمكة ، فإذا آن الحج اعتمد في ذي القعدة ، ولسن الحلل الفاخرة ، وركب النجائب المخضوبة بالحناء ، عليها القطوع والديباج ، وأسبل لفته ، ولقى العراقيات فيما بينه وبين ذات عرق محرمات ، ويتلقى المدينيات الى مر ، ويتلقى الشاميات الى الكديد . ويتعرض للحجاج فيشيب بشهيرات النساء اللواتي يقدمن الى مكة وهن في مشاعر الحج ، أو ينظر اليهن وهن في الطواف فيرى منهن مالا يراه في الخارج فيصفهن . . . فتعرض لاشهر نساء العرب وأجملهن ، وفيهن جماعة من كبريات القوم ، وفي جملةهن

(*) وانظر المؤلف ٧٢ ، ١٦٨ واللالء ٢٩ ، وديوان الحماسة ، والموشح للمرزبانى ، والبيان والتبيين ، وآمالى القالى ، وآمالى المرتضى ، وكتب الادب المختلفة ، وتاريخ الادب العربية لثالبينو ، وحديث الاربعاء لطفه حسين ج اول ، وذاكرة المعارف الاسلامى (١) الاغانى ٣٥ ج ١

فاطمة بنت عبد الملك بن مروان الخليفة ، ولكن لم يكن يذكر اسمها خوفاً من أبيها ومن الحجاج . وكان أبوها قد بعث إليه بتوعده إذا ذكرها ، فلما عادت من الحج قال فيها :

كِدْتُ يومَ الرِّحيلِ أَقْضِي حَيَاتِي لِيَتْنَى مَتَّ قَبْلَ يومِ الرِّحيلِ
لَا أَطِيقُ الكَلَامَ مِنْ شِدَّةِ الخَوْفِ وَدَمْعِي يَسِيلُ كُلَّ مَسِيلِ
شَرَفْتُ عَيْنَهَا وَفَاضَتْ عَيُونِي وَكَلَانَا يُلْقَى بَلْبٌ أَصِيلِ

وممن شبب بهن عائشة بنت طلحة الشهيرة بالجمال والتعقل ، وكان قد رآها تطوف فعلمت أنه لا يبرح أن يشبب فيها ، فبعثت إليه مع جاريتها تقول : « اتق الله ولا تقل هجراً » فأجابها : « اقرئها السلام وقولي لها ابن عمك لا يقول إلا حسناً » وقال أبياتا منها :

لعائشة ابنة التَّيْسِ عِنْدِي حِمَى فِي القلبِ ، لَا يَرْعَى حِمَاهَا
يَذْكُرُنِي ابْنَةُ التَّيْمِ ظَبْيٌ يَرُودُ بِرُوضَةٍ سَهْلٍ رَبَاهَا
فَقُلْتُ لَهُ وَكَادَ يُرَاعُ قَلْبِي فَلَمْ أَرَ قَطُّ كَالْيَوْمِ اسْتَبَاهَا
سَوَى حَمَشٍ بِسَاقِكَ مُسْتَبِينَ وَأَنْ شَوَاكَ لَمْ يَشْبِهْ شَوَاهَا (*)
وَأَنْكَ عَاطِلٌ عَارٌ وَلَيْسَتْ بِعَارِيَةٍ وَلَا عَظْلٍ يَدَاهَا
وشبب أيضاً بلبابة بنت عبد الله بن عباس بأبيات مطلعها :

وَدَّعَ لُبَابَةَ قَبْلَ أَنْ تَرْحَلَ وَأَسْأَلَ فَإِنْ قَلَّ لَهُ أَنْ تَسْأَلَ (**)
وشبب بسكينة بنت الحسين من قصيدة قال فيها :

أَسْكِينُ مَا مَاءُ الْفُرَاتِ وَطِيبُهُ مَنَى عَلَى ظَمَأٍ وَحَبٌّ شَرَابٍ
بِأَلَذِّ مَنِكَ وَإِنْ نَأَيْتِ وَقَلَمَا تَرَعَى النِّسَاءُ أَمَانَةُ الْغِيَابِ

وشبب بالثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث ، وكان قد تزوجها رجل اسمه سهيل وفي ذلك يقول عمر :

أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الثَّرِيًّا سُهَيْلًا عَمْرُكَ اللَّهُ كَيْفَ يَجْتَمِعَانِ
هِيَ شَامِيَّةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ وَسُهَيْلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانِي

وشبب أيضاً برملة بنت عبد الله بن خلف أخت طلحة الطلحات وغيرها ، وشعره كثير ومنه طائفة حسنة يفنونها . ومما يستحسن من شعره قوله في نحول البدن :

(*) الحمش : دقة الساقين ، الشوى : الاطراف
(**) القلال : القليل

رات رجلا أما اذا الشمس عارضت فيضحى وأما بالعشى فيخضر(*)
 قليلاً على ظهر المطيه شخصه حلا ما نبى عنه الرداء المحبتر
 وأخباره كثيرة ذكرها صاحب الاغانى مطولة من ٣٠ ج ١ ، والشعر
 والشعراء ٣٤٨ ، وابن خلكان ٣٧٨ ج ١ ، والدميرى ٣٢٦ ج ١ ، والعقد
 الفريد ١٣٢ ج ٣ (***)

وله ديوان مطبوع في ليبسك سنة ١٨٩٣ ، وفي مصر سنة ١٣١١ ، ومنه
 نسختان خطيتان في دار الكتب المصرية

٢ - العرجى

هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان الخليفة ، كان من شعراء
 قريش وقد اشتهر بالغزل وتشبهه بعمر بن أبي ربيعة . وكان مشغوقاً باللهو
 والصيد قليل الحاشاة لأحد فيها ، ولم يكن له نباهة في أهله . وكان
 أشقر أزرق العينين جميل الوجه ، وقد شبيب بجيداء أم محمد بن هشام
 المخزومي ليفضح ابنها لا لمحبة بينهما . فأخذه محمد وضربه وحبسه حتى
 مات في السجن

وكان يشبيب أيضاً بالنساء الشهيرات بالجمال نحو ما كان يفعل ابن أبي
 ربيعة ، لكنه كان مقلداً فلم يبلغ مبلغه . وكان يقلده في البذخ فيستسقى على
 ابله في شملتين ، ثم يغتسل ويلبس حلتين بخمسائة دينار . ومما قاله
 في حبسه : (***)

أضاعوني وأى فتى أضاعوا ليوم كرهة وسداد ثغر
 وصبر عند معترك المنايا وقد شرعت أسنتها بنحري
 أجرر في الجوامع كل يوم فيا لله مظلمتى وصبرى
 كأنى لم أكن فيهم وسيطاً ولم تك نسبتى في آل عمرو

وأخباره كثيرة منشورة في الاغانى ١٥٣ ج ١ و ٩٠ ج ٦ و ١٤٥ ج ٧ ،
 والشعر والشعراء ٣٦٥ ****)

(*) يضحى : يسر في الضحى ، يخضر : يرد لسهه بالليل
 (***) وانظر دائرة المعارف الاسلامية ، وتاريخ الاداب العربية لتالينو ، وحديث الاربعاء لطفه
 حسين ج أول والنطور والتجديد في الشعر الاموى ، والشعر الغنائى في الامصار الاسلامية ،
 الجزء الخاص بمكة
 (***) الغريب في الابيات : سداد الثغر : مايسد به من خيل ورجال وعدة حرب ،
 الجوامع : ج جامعة وهي الغل ، مظلمتى : وصبرى : حبسى ، الوسيط في القوم : ذو
 المجد الرفيع ، وآل عمرو بن عثمان بن عفان يريد عمرو
 *****) وانظر اللالىء ٤٢٢ ، وديوان الحماسة لابي تمام ، وتاريخ الاداب العربية
 لتالينو ، وحديث الاربعاء لطفه حسين ج أول

٣ - الحارث بن خالد المخزومي

هو أيضا من مخزوم مثل عمر بن أبي ربيعة ، وقد اتبع مذهبه في الغزل . لا يتجاوز إلى المديح أو الهجاء . وكان يهوى عائشة بنت طلحة ويشبب بها . وكان ذا قدر وخطر ومنظر في قريش ، وأخوه عكرمة بن خالد محدث جليل . وكان بنو مخزوم جميعا من حزب ابن الزبير إلا الحارث ، فكان منحازا لعبد الملك بن مروان فولاه مكة . وكان يراقب الحج كما يفعل ابن أبي ربيعة ، ويشبب بمن يستحسنهن من النساء وهن في الطواف ومن قوله في عائشة بنت طلحة لما تزوجها مصعب بن الزبير ورحل بها إلى العراق :

ظعنَ الأميرُ بأحسن الخلقِ وغدا بلبَّك مطلع الشرقِ
في البيت ذى الحسب الرفيع ومنْ أهل التقى والبرِّ والصدقِ
فظللتُ كالمقهور مُهْجَتُهُ هذا الجنونُ وليس بالعشيقِ
أترجئةُ عبقِّ العبيرِ بها عبقِّ الدهانِ بجانب الحقِّ
ما صبَّحتُ أحدا برؤيتها إلا غدا بكواكب الطلِّقِ (*)

وله أقوال كثيرة ذكرها صاحب الاغانى ١٠٠ ج ٣ ، وخزانة الادب ٢١٧ ج ١ .

٤ - أبو دهل الجمحي

اسمه وهب بن زمعة من أشراف بني جمح من قريش ، وكان رجلا جميلا له جمعة شعر يرسلها فتضرب منكبيه . وكان عفيفا قال الشعر في آخر خلافة علي بن أبي طالب ، ومدح معاوية وعبد الله بن الزبير . وكان ابن الزبير ولاء بعض أعمال اليمن ولكنه شغل عن ذلك بالغزل لانه هوى امرأة من قومه اسمها عمرة ، وكانت جزلة يجتمع اليها الرجال للمحادثة وانشاد الشعر والاختبار . . فكان أبو دهل لا يفارق مجلسها وكانت هي أيضا تحبه ، فغارت امرأة منها ، فبعثت اليها عجوزا داهية وشت به حتى احتجبت عنه ، فقال :

وبتْ كئيبي ما أنام كأنما خلالَ ضلوعي جمرةٌ تنوهجُ
فطورا أمنّى النفسَ من عمرةِ المنى وطورا اذا ما لَجَّ بي الحزنُ أنشجُ
لقد قطع الواشون ما كان بيننا ونحن الى أن يوصل الحبلُ أحوجُ

(*) كواكب الطلق : كواكب السعد والنحس

وقد شبيب في غيرها من شهيرات النساء منهن عاتكة بنت معاوية بن أبي سفيان . . . وقد جاءت للحج فنزلت بنى طوى من مكة ، وقد اشتد الحر فأمرت جواريتها فرفعن الستر فمر أبو دهبيل فرآها وهي لا تعلم ، فلما رآته ينظر إليها غضبت وشتته وأمرت بارخاء الستر . فقال أبو دهبيل في ذلك :

انى دعانى الحين فاقسادنى حتى رأيت الظبى بالباب
يا حسنه اذ سببى مديرا مستترا عني بجلباب
سبحان من وقفها حرة صبت على القلب بأوصابه
يذود عنها ان تطلبها أب لها ليس بوهاب
أحطها قسرا منيع الذرا يحمى بأبواب وحجاب
وأنشد أبو دهبيل هذه الابيات بعض اخوانه فشاعت وغنى بها المغنون ، فبلغت عاتكة فبعثت اليه بكسوة وجرت الرسل بينهما . فلما صدرت عن مكة خرج معها الى الشام . فلما دخلت دمشق (جيرون) انقطعت عن لقائه في دمشق ، فنظم في ذلك قصيدة مطلعها :

طال ليلي وبت كالمحزون ومللت الثواء في جيرون
وبلغ معاوية تشبيهه بابنته ، فأحب أن يمنعه بأسلوب من أساليبه الناعمة . . . فدعاه اليه وأخبره أنه اطلع على ما قاله . فأراد أبو دهبيل أن يتنصل ويزعم أنها قيلت عن لسانه ، فأكد له معاوية أنها له . ولكنه قال : لا خوف عليك من جهتي ولكنني أخاف عليك من يزيد ، فان له سورة الشباب وأنفه الملوك ، فخاف أبو دهبيل وخرج الى مكة هاربا . لكنه عاد الى مكاتبة عاتكة ، وبلغ ذلك معاوية فحج . ولما انقضت أيام الحج دعا أبا دهبيل في جملة الشعراء والاشراف وأجازه ، وسأله عن أحب بنات عمه اليه ، فقال : فلانة ، فقال : قد زوجتك اياها وأصدقته ألفي دينار ، وأمرت لك بألف دينار ، فلما قبضها طلب العفو عما مضى ولم يتزوج الفتاة ، فسر معاوية من ذلك . وأكثر شعره غير الغزل في عبيد الله بن عبد الرحمن الازرق والي اليمن
ولأبي دهبيل أخبار طويلة ذكرها صاحب الاغانى ١٥٤ ج ٦ ، وله اشعار في الشعر والشعراء ٣٨٩ (*)

٥ - ابن قيس الرقيات

توفي سنة ٧٥ هـ

اسمه عبيد الله بن قيس ، من قريش ، وكان ممن انحاز الى ابن الزبير . وخرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك بن مروان ومدحه وطقن في .

(*) وانظر الاشتقاق ٨١ ، والمؤلف ١١٧ ، والحامسة لابى تمام (الفهرس)

بنى أمية ، ثم انحاز الى عبد الملك بعد قتل مصعب وعبد الله فأمنه ، فقال يمدحه من قصيدة :

ان الاغر الذي أبوه أبو از عاصى عليه الوقار والحجب
يَعْتَدِلُ التاج فوق مَقْرَقِه على جبين كَأَنَّهُ الذهب
فقال له عبد الملك : « يا ابن قيس تمدحنى بالتاج كَأَنى من العجم ،
وتقول فى مصعب :

انما مصعب " شهاب من السماء " تجلّت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك عِزَّةٍ ليس فيه جَبَرُوتٌ منه ولا كبرياء
أما الأمان فقد سبق ، ولكن والله لا تأخذ مع المسلمين عطاء أبدا »

أما تغزله فقد كان فى امرأة كوفية كان ينزل عندها اسمها كثيرة ، وله فى
أخرى اسمها رقية غزل كثير . على أن غزله أقل من غزل سائر من تقدم
من الشعراء القرشيين ، ولكن طائفة من شعره يغنونها . ومن شعره فى
رقية ويغنى به :

رُقَيَّ بعِشْكم لا تهجرينا ومَنِينا المُنَى ثم امْطَلِينا
عِدِينا فى غد ما شئت إنا نحبُّ وإن مَطَلْتِ الواعِدِينا
فأما تنجزى عِدَتى وأما نعيش بما تؤمِّل منك حيناً
وله فيها أيضاً :

وترى فى البيت صورتها مثل ما فى البيعة السَّراج
خَبَّرُونى هل على رجلٍ عاشقٍ فى قبلة حَرَج

وترى أخباره فى الاغانى ١٥٥ ج ٤ ، وفى الشعر والشعراء ٣٤٣ ، وخزانة
الادب ٢٦٧ ج ٣ (*) وله ديوان طبع فى فينا سنة ١٩٠٢ مع ترجمة
ألمانية . وقد شرحه السكرى المتوفى سنة ٢٧٥ هـ ، وفى دار الكتب المصرية
نسخة خطية من الشرح المذكور

سائر الشعراء الغزليين

لا يكاد يخلو شاعر من أبيات غزليه قالها عن حب أو تشبيب ، ولكن المراد
بشعراء الغزل الذين أكثروا من قولهم فيه وقد تقدم ذكر بعضهم واليك
الباقين :

(*) وأنظر طبقات الشعراء لابی سلام ، واللائى ٢٩٤ ، والاشتقاق ٧١ ، وشواهد المغنى
٢١١ ، وحديث الاربعاء لطف حسين ، وتاريخ الاداب العربية لتالينو ، والشعر الغنائى فى
الامصار الاسلامة ، الجزء الخاص بمكة

١ - مجنون ليل

هو فيس بن الملوح ، ويقال ابن معاذ بن مزاحم من عامر بن صعصعة ، ويعرف بمجنون ليلي نسبة الى ليلي التي كان يتعشقها وهو مشهور .
 وبن بعض اهل النقد من علماء الشعر يرون أن قصته موضوعة ، وضعها رجل من بنى أمية كان يحب ابنة عم له يكره أن يظهر ما بينه وبينها . .
 فوضع حديث المجنون وقال الاشعار التي يظنها الناس للمجنون . وقد زاد الناس فيه بعدئذ . ويؤيد ذلك أن كثيرا مما ينسب اليه من الاشعار روى لغيره . . فقصته اذا من قبيل الشعر التمثيلي الذي يراد به تمثيل بعض الفضائل . وهي تمثل العشق مع التعفف ، أو لعل لها أصلا قليلا وزاد فيه الرواة كما فعلوا بقصة عنتره التي تمثل الشجاعة والعشق وعلى كل حال ، فان بين الاشعار المنسوبة الى المجنون طائفة تمثل اشعار المحبين كما هي على طبيعتها . وديوان مجنون ليلي شائع ومتداول . ومما ينسب اليه قوله :

واني لينسيني لقاءك كلما لقيتك يوما أن أبشك ما ييا
 وقالوا به داء عياء أصابه وقد علمت نفسي مكان دوائنا
 وقوله :

فوالله ثم الله اني لدائب أفكر ما ذنبي اليها وأعجب
 ووالله ما أدري عـلام قتلتني وأى أموري فيك ياليل أركب
 أقطع جبل الوصل ، والموت دونه أم اشرب رثقا منكم ليس يشرب
 أم اهرب حتى لأرى لي مجاورا أم اصنع ماذا أم أبوح فأغلب
 فأثهما يا ليل ما ترضينه فاني لمظلوم واني لمعتيب

وأخبار المجنون في الاغانى ١٦٧ ج ١ ، والشعر والشعراء ٣٥٥ ، وخزانة الادب ١٧٠ ج ٢ (*) ، وله ديوان مطبوع في القاهرة ١٣٠٠ هـ وفي بيروت سنة ١٨٨٢ م ، ثم طبع مرارا . ومنه نسخة خطية في دار الكتب المصرية ، وفي مكاتب : تونس ، ویرلین ، وباريس ، وإباصوفيا ، وغيرها

٢ - كثير عزة

توفي سنة ١٠٥ هـ

هو كثير بن عبد الرحمن ، من خزاعة ويعرف بكثير عزة نسبة الى عشيقته التي كان يشبب بها . وكان يدخل على الملك وينشده ، وكان شيعيا

(*) انظر المؤلف ١٨٨ ، ومعجم الرزياني ٤٧٦ ، واللالى ٣٥٠ ، وحديث الاربعاء لعله حسين ودائرة المعارف الاسلامية ، وتاريخ الاداب العربية لنالينو

شديد التعصب لال أبى طالب . وكان عبد الملك يعرف ذلك فيه فلا ينكره ، فاذا أراد أن يصدقه فى شيء حلفه بعلى . وكان له صديق اسمه خندف الاسدى شديد التشيع مثله ، وبلغ من جرأة خندف هذا أنه وقف مرة فى الموسم والناس مزدحمون وقال : « أيها الناس انكم على غير حق ، وقد تركتم بيت نبيكم والحق لهم وهم الاثمة » فوثب عليه الناس فضربوه ورموه حتى قتلوه ، ودفن خندف بقنونا فقال اذ ذاك كثير يرنيه :

أصادرة حُجَّاج كعبٍ ومالك على كل عَجلى ضامر البطن محق
بمرثية فيها ثناء محسبٍ لأزهر من أولاد مرثية مُعرق

والقصيدة طويلة . . أما معشوقته عزة فهى بنت جميل بن وقاص من ضمرة ، وكانت من أجمل النساء وأدبهن وأعقلهن . ويقال انه لم ير لها وجها الا انه استهام بها قلبه لما ذكر له عنها . وعاتبه بعض أهلها فقالوا : « قد شهرت نفسك وشهرت صاحبتنا فاكف نفسك » فقال : « انى لا أذكرها بما تكرهون »

واتفق خروجهم الى مصر فى عام الجلاء . . فتبعهم على راحلته فزجروه ، فأبى إلا أن يلحقهم ، فتربص له بعضهم فى الطريق وقبضوا عليه وجعلوه فى جيفة حمار وربطوها عليه ، فمر به صديقه خندف فأطلقه وألحقه ببلاده . وكان كثير دميما قليلا أحمر أقيشر عظيم الهامة قبيحا . وأكثر أشعاره فى عزة هذه . ومن ذلك قوله لما أخرجت الى مصر :

وقال خليلي ما لها اذ لقيتها غداة السنّا فيها عليك وجومٌ
فقلتُ له ان المودةَ بيننا على غير فحشٍ والصفاء قديم
وانى وان أعرضتُ عنها تجلدا على العهد فيما بيننا لمقيم
وان زمانا فرّقَ الدهر بيننا وبينكم فى صرّفه لمشوم
وقوله وبه يغنى :

وكنت اذا ما جئتُ أجلّلتُ مجلسي وأظهرن منى هيبةً لا تجهشما
يحاذرن منى غيرةً قد عرفتُها قديما فما يضحكن الا تبسما
ومن أحسن شعره قوله :

أغاضِرَ لو شهدت غداةَ بنتم حنوّ العائدات على وسادى
أويتَ لوامقٍ لم تشكُميه (*) نوافذه تلذّعُ بالزنادِ
ومن قوله فى الحكم :

ومن لا يغمّض عينه عن صديقه وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن يتتبع جاهدا كل عثرة يجدها فلا يسلم له الدهر صاحب
ويختار من قوله :

وأجمع هجرانا لأسماء ان دنت بها الدار لا من زهدة في وصالها
فان شحطت يوما بكيت وان دنت تذلت واستكثرتها باعتزالها
ومن منتخبات قوله في عزة قصيدة طويلة مطلعها :

خليلى هذا ربع عزة فاعقلا قلوبكما ثم ابكيا حيث حلت
وقوله وفيه افراط :

ومشى الى بعيد عزة نسوة جعل الاله خدودهن نعالها
ولو ان عزة خاصمت شمس الضحى في الحسن عند موثق لقضى لها
وأخباره كثيرة تجدها في الاغانى ٤٦ ج ١١ و ٢٧ ج ٨ و ٧٨ ج ٧ ،
والشعر والشعراء ٣١٦ ، وابن خلكان ٤٣٣ ج ١ ، والعقد الفريد ١١٥
و ٢٠٣ ج ١ ، وخزانة الادب ٣٨١ ج ٢ : (*) وله ديوان شرحه أبو عبد الله
الرشيدى منه نسخة خطية فى الاسكوريال

٣ - ابن ميادة

هو الرماح بن يزيد بن ثوبان ، من ذبيان ، وكان أحمر سبطا عظيم الخلق
طويلا طويل اللحية ، وكان لباسه عطرا . وذكروا أنه أشعر غطفان فى
الجاهلية والاسلام ، وكان خيرا لقومه من النابغة . . لم يمدح غير قریش
وقيس . وكان النابغة يمدح اليمن (القحطانية) ومما يؤثر من قوله فى
الشعر وقد قيل له مرة : « لو أصلحت شعرك لذكرت به لانه فيه كثير
من السقط » فقال : « انما الشعر كنبل فى جفرك ترمى به الغرض فطالع
وواقع وعاصد وقاصد (**)»

وعاصر ابن ميادة الوليد بن يزيد ومدحه ، وأدرك أول الدولة العباسية
فمدح المنصور وجعفر بن سليمان . . فهو من أهل الدور الثالث ، وانما
ذكرناه هنا لأنه من الشعراء الغزليين ، وأحب امرأة من بنى مرة اسمها أم
جحدر . وكان يختلف اليها فعلم أبوها وغضب وأقسم أن لا يزوجها رجلا
من قومه ، فزوجها رجلا من الشام . فقال ابن ميادة من شدة الوجد :

(*) انظر طبقات الشعراء لابن سلام ، والمؤلف ١٦٩ ، والاشتقاق ٢٨٠ ، ومعجم الرزبانى
والموشع ، واللائ ٦١ ، وحديث الاربعاء لعله حسين ، وتاريخ الاداب العربية لنالينو ، وحائرة
المعارف الاسلامية ، وقد طبع ديوانه فى الجزائر بعناية هنرى بريس ، وهو فى جزئين
(**) الجفير : جبة السهام ، والعاصد : الذى لا يصيب الهدف

الا لا تلمسه اليوم أن يتبلدا فقد غلب المحزون أن يتجلدا
وما العيش الا ما تلد وتشتهى وان لام فيه ذو الشنان وقتدا
بكيت الصبا جهدا فمن شاء لامنى ومن شاء واسى فى البكاء وأسعدا
وانى وان عيرت فى طلب الصبا لأعلم أنى لست فى الحب أوحدا
وكان الخليفة يزيد بن الوليد مشغلا عن الخلافة بجاريته حبابة ، فلامه
عمه مسلمة ونهاه عنها فتركها وانقطع عن زيارتها . فأرادت أن تسترجعه
فلاقتة وهو خارج الى المسجد بعودها وغنته بيت الاحوص : « وما العيش
الا ما تلد وتشتهى » الخ ، فضرب يزيد بخيزرانتة الارض ، وقال صدقت
وعاد الى حالته معها
ومن غزله قوله :

فما هو الا أن أراها فجاءة فأنهت حتى ما أكاد أجيب
وقوله :

ستبقى لها فى مضمير القلب والحشا سريرة حب يوم تبلى السرائر
وترى ترجمة الاحوص واقواله فى الاغانى ٤٥ ح ٤ و ٥٣ ج ٦ و ١١٧
ج ١ ، وفى الشعر والشعراء ٣٢٩ ، والعقد الفريد ١١٥ ج ١ ، وخزانة
الادب ٢٣٢ ج ١ ، وفى سائر كتب الادب (*) . وله قصيدة محفوظة فى
مكتبة برلين

٥ - قيس بن ذريح

هو قيس بن ذريح من كنانة ، وكان رضيع الحسين بن على لان أم قيس
أرضعت الحسين . كان منزل قومه فى ظاهر المدينة ، وكان هو وأبوه من
حاضرة المدينة . واشتهر قيس بحبه لبنى بنت الحباب الكعبية ، وهى التى
جعلته ينظم الشعر فانه رآها مرة واستسقاها فسقته ، وكانت امرأة
مديدة القامة شهلاء حلوة المنظر والكلام . فلما رآها وقعت فى نفسه
فعشقها وجعل ينطق بالشعر . وشكا اليها غرامه فشكت اليه مثله ، فطلب
الى أبيه أن يخطبها له فأبى لانه كان غنيا فأراد له احدى بنات عمه . فشكا
الى أمه فلم تسعفه ، فأتى الحسين بن على فتوسط له فزوجوه لان اشارته
لا ترد . فأقامت زوجته عنده مدة لا ينكر أحد من صاحبه شيئا
ثم دخلت الحماة بين الابن وزوجته . وذلك أن قيسا كان أبى الناس بأمه ،
فألته لبنى عنها فغضبت وأخذت تتحين الفرص للانتقام . فلما مضى على

(*) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ، والمؤلف ٤٧ ، واللائى ٧٣ ، وحديث الاربعاء لطف
حسين ، وتاريخ الاداب العربية لتالينو : والشعر والشعراء فى الامصار الاسلامية ، الجزء
الخاص بالمدينة

الزواج زمن ولم تلد لبني لقيس ولدا ، خاطبت أمه أباه بذلك وقالت : « أنت ذو مال فيصير المال الى الكلالة ، فزوجه بغيرها لعل الله أن يرزقه ولدا » وألحت عليه فاستمهلها ، وسأل ابنه في ذلك فأبى أن يتزوج غيرها ، فعرض عليه أن يتسرى فأبى ، فقال : « طلقها » . فلم يرض ، فآلح عليه وحلف لا يكنه سقف بيت أبدا حتى يطلق لبني . فكان يخرج فيقف في حر الشمس ويحجى أبوه فيقف الى جانبه فيظله بردائه ، ويصلي هو بحر الشمس حتى يفى الفى فينصرف ، ويدخل قيس الى لبني فيعانقها وتعانقه ويبكى وتبكي معه وتقول له : « يا قيس لا تطع أباك فتهلك وتهلكنى » فيقول : « ما كنت لأطيع أحدا فيك أبدا » . فيقال أنه مكث كذلك سنة وقيل عشر سنين ثم طلقها ، ولم يلبث أن استطير عقله ولحقه مثل الجنون وصار يبكى كالطفل . . ثم أتى أبوها ليحملها الى أهله ، فلما رأى قيس هودجها وعلم أنها مسافرة بعد ليلة سقط مغشيا عليه وهو يقول :

وانى لثفن دمع عيني بالبكاء حذار الذى قد كان أو هو كائن
وقالوا غدا أو بعد ذاك بليلة فراق حبيب لم يبين وهو بائن
وما كنت أخشى أن تكون منيتى بكفيك الا أن ما حان حائن
ولما غاب هودجها أكب على أثر خف بعيرها يقبله ، ورجع يقبل موقع
مجلسها وأثر قدميها فلاموه على ذلك فقال :

وما أحبيت أرضكم ولكن أقبل اثر من وطىء الترابا
لقد لاقيت من كلفى بلبنى بلاء ما أسينغ به الشرابا
إذا نادى المنادى باسم لبني عيت فما أطيق له جوابا
ثم زوجهها رجلا من غطفان ، وعاود قيس زيارتها ، فشكوه الى معاوية فأهدر دمه ، فقال في ذلك :

فان يحجبوها أو يحل دون وصلها مقالة واش أو وعيد أمير
فلن يمنعوا عيني من دائم البكا ولن يذهبوا ما قد أجن ضميرى
وأخبار قيس بن ذريح كثيرة فى الاغانى ١١٢ ج ٨ ، وفى الشعر
والشعراء ٣٩٩ (*) ، وله ديوان مشروح ومنه نسخة خطية فى مكتبة
الاسكوريال وغيرها فى برلين

٦ - المخيل القيسى

اسمه كعب وهو صاحب ميلاء ابنة عمه ، وقد رآها مرة فعشقها ، ولقيها فشكا اليها حبه فوعده ، فعلم اخوتها وهم سبعة فهددوه ، وكان منزله فى

(*) وانظر المؤلف ١٢٠ ، واللائى ٢٨٩ ، ٧١٠ ، وامالى القالى فى مواضع متفرقة

الحجاز فخرج الى الشام ونظم فيها الاشعار . ومن ذلك قصيدة مطلعها :
 خليلي قد قستُ الأمور ورمتها بنفسي وبالفتيان كلَّ زمان
 فلم أخفِ سوءا للصديق ولم أجِدْ خليا ولا ذا البثِّ يستويان
 الى أن قال يصف غرامه :

بئسنا بهجرانٍ ولم أرَ مثلنا من الناس انسانيں يهتجران
 أشدَّ مصافاةً وأبعد من قِليٍّ وأعصى لواشٍ حين يكتفيان
 فوالله ما أدري أكلُّ ذوى الهوى على ما بنا أم نحن مبتليان
 وهى طويلة ، ومنها :

أحقًا عباد الله أن لست ماشيا بمرحابٍ حتى يُحشرَ الثقلان
 وتجد أخباره فى الاغانى ٢٠٩ ج ٢١ ، وهو غير المخبل السعدى الذى
 تقدم ذكره مع الجاهليين

وهناك بضعة من الشعراء العشاق يعدون من الدور الثالث لانهم توفوا
 بعد انقضاء الدور الثانى ، وقد أتينا على تراجمهم هنا كما أتينا على آخرين
 قد يعدون من الدور الاول لاستيفاء هذا الموضوع فى مكان واحد

٧ - ذو الرمة

توفى سنة ١١٧ هـ

هو غيلان بن عقبة بن نهيس ، من مضر ، ويعمد من الشعراء المتيمين
 وصاحبته مية بنت مقاتل المنقرى . . وكانت جميلة وكان هو دميما أسود
 وسمعت تشييبه بها ولم تره ثم رآته ، فقالت : « واسوأناه » فغضب ، وقال
 يهجوها :

على وجه مئى مسحة من ملاحه وتحت الثياب العار لو كان باديا
 ألم تر أن الماء يخبث طعمه وان كان لون الماء أبيض صافيا
 فوا ضيعة الشعر الذى لج فانقضى بمئى ولم أملك ضلال فؤاديا
 وكان يشبب بخرقاء أيضا ، وهى من عامر بن صعصعة ، ومن قوله فيها
 وهو مما يتغنى به :

لقد أرسلت خرّقاء نحوى جديها لتجعلنى خرقاء فيمن أضلت
 وخرقاء لا تزداد الا ملاحه ولو عثرت تعمير نوح وجللت
 وكان ذو الرمة كثير الاخذ من غيره ، وقد ذكر ابن قتيبة فى الشعر
 والشعراء امثلة كثيرة من ذلك . وكان ذو الرمة كثير المديح لبلال بن أبى

بردة بن أبي موسى الأشعري ، وكان له ثلاثة أخوة كلهم شعراء . وكان مستدير الوجه حسن الشعر جمده أقنى أنزع خفيف العارضين أكحل حسن الضحك مفوها ، اذا كلمك كلمك أبلغ الناس ، يضع لسانه حيث يشاء . وهو من أصحاب الملحقات ومطلع ملحمة :

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كلى مفريئة سرب (*)
ويمتاز في شعره أنه أحسن شعراء عصره تشبيها ، كما كان امرؤ القيس أحسن شعراء الجاهلية في ذلك . ودخل بين جرير والفرزدق لما تهاجيا ، فكان مع الفرزدق على جرير . وأخباره كثيرة في الأغاني ١١٠ ج ١٦ ، والشعر والشعراء ٣٣٣ ، وابن خلكان ٤٠٤ ج ١ ، ومصارع العشاق ٧٨ ، والجمهرة ١٧٧ ، وخزانة الأدب ٥١ ج ١ (**) ، وله ديوان خطى في دار الكتب المصرية ومثله في مكاتب لندن وليدن (***)

٨ - يزيد بن الطثيرة

توفي سنة ١٢٦ هـ

اسمه يزيد بن الصمة ، من قشير ، من عامر ويكنى أبا مكشوح ، وكان حسن الوجه والشعر حلو الحديث غزلا آخذا بقلوب النساء . وكان الغزل في القشيريين نادرا ، ولهم في ذلك حادثة مع جرم ذكرها صاحب الأغاني ، لأبأس من مطالعتها (١١١ ج ٧) انتهت بتعلق يزيد بامرأة من جرم يقال لها وحشية ، واشتد وجده بها حتى أشرف على الموت ونظم فيها الشعر ، ومن قوله فيها :

بنفسى من لو مرة برّد بنّانه على كبدي كانت شفاءً أناملّه
ومن هابنى فى كل أمرٍ وهبته فلا هو يعطينى ولا أنا سائله
وكتب اليها هذين البيتين :

أحبك أطرافَ النهار بشاشة وبالليل يدعونى الهوى فأجيب
لئن أصبحت ريح المودة بيننا شمالا لقد ما كنت وهى جنوب
فأجابته بقولها :

أحبك حبّ اليأس ان تقع الحيّا وان لم يكن لى من هواك طيب
وقد قاسى فى حبها كما قاسى غيره من العشاق والمتممين ونظم فيها كثيرا ومن قوله :

(*) الكلبي : الرقع فى القرية ، مفرية : مقطعة ، سرب : مائل
(**) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ، والاشتقاق ١١٦ ، واللائى ٨١ ، والعينى ٤١٢ ، والتطور والتجديد فى الشعر الاموى ص ٢٠٩ ، وتاريخ الادب العربية لنانينو
(***) طبع هذا الديوان فى كمبريدج بعناية المستشرق كارليل هنرى هيس مكادنى

هينى امرءا اما بريثا ظلمته واما مسيئا قاب منه وأعتبا
وكنت كذى داء تبغى لدائه طيبا فلما لم يجده تطببا
ولابن الطثرية أخبار كثيرة فى الاغانى ١١٠ ج ٧ ، وفى ابن خلكان ٢٢٩
ج ٢ ، وفى الشعر والشعراء ٢٥٥ (*)

سائر الشعراء العشاق

- ومن الشعراء العشاق طائفة حسنة يضيق المكان عن تراجمهم ، فنكتفى
بالإشارة الى المصادر وهم :
- ٩ - الأبيرد الرياحى : من تميم ، كان يهوى امرأة ولم يفد على الخلفاء .
أخباره فى الاغانى ١٠ ج ١٢
- ١٠ - ابن رهيمة : شاعر مشيب أيام عبد الملك . أخباره فى الاغانى
١١٨ ج ٤
- ١١ - توبة بن الحمير : من عامر بن صعصعة وصاحب ليلى الاخيلية .
أخباره فى الاغانى ٦٧ ج ١٠ ، وفوات الوفيات ٩٥ ج ١ ، والشعر والشعراء
٢٦٩ ، وسيأتى ذكره مع ليلى الاخيلية
- ١٢ - مرة بن عبد الله النهدي : من قضاة شاعر بدوى . أخباره فى
الاغانى ٦١ ج ٢٠
- ١٣ - مزاحم العقيلي : من هوازن شاعر بدوى صاحب قصيدة ورجز ،
عاصر الفرزدق ، أحب امرأة تزوجها غيره ففتقت قريحته . أخباره فى
الاغانى ١٥٠ ج ١٧ وخزانة الادب ٤٥ ج ٣
- ١٤ - مسعدة بن البخترى : من أقرباء المهلب بالعراق . أخباره فى
الاغانى ٧٧ ج ١٢
- ١٥ - النميرى : من ثقيف . (١) أخباره فى الاغانى ٢٤ ج ٦
- ١٦ - وضاح اليمن : شبيب بامرأة الوليد فقتله . أخباره فى الاغانى
٣٢ ج ٦ ، وفوات الوفيات ٢٥٣ ج ١
- ١٧ - عبد الله بن علقمة : من زرارة أخباره فى مصارع العشاق
- ١٨ - حميد بن ثور الهلالي : أخباره فى الاغانى ٩٨ ج ٤ ، والشعر
والشعراء ٢٣٠ (**)

(*) وأنظر طبقات الشعراء لابن سلام ، ومعجم الادباء لياقوت طبع مصر الجزء السابع ،
واللال ١٠٣ ، وحيوان الجاحظ الجزء السابع (الفهرس)
(١) له ديوان منه نسخة خطية فى مكتبة أياصوفيا بالاستانة
(**) طبعت دار الكتب المصرية ديوان حميد

الشعراء الخلفاء والسكيرة

قد رأيت الخلاعة والسكر في بعض من تقدم ذكرهم من الشعراء ، وإنما
نعني بهذه الطبقة الشعراء الذين غلب عليهم السكر والتهتك والمجون ،
أشهرهم :

١ - الأقيشر الأسدي

هو المغيرة بن عبد الله ، من بني أسد ، من مضر ، وكان أحمر الوجه أقشر ،
فسمى الأقيشر ويكنى أبا معرض . كان كوفيا خليعا ماجنا مدمننا شرب
الخمير ومن شعره :

فان أبا معرض اذ ~~حسنا~~ من الراح كأسا على المنبر
خطيب "ليب" أبو ~~معمر~~ عرض فان ليم في الخمر لم يصبر
أحل "الحرام" أبو ~~معمر~~ عرض فصار خليعا على المكبر
وكان شديد الهجو قبيحه ، ومن لطائفه أنه شرب مرة في الحيرة في بيت
فيه خياط مقعد ورجل أعمى وعندهم رجل مغم مطرب .. فطرب الأقيشر
فسقام من شربه ، فلما انتشروا وثب الأعمى يسعى في حوائجهم وقفز
الخياط المقعد يرقص على ظله ويجهد في ذلك كل جهده . فقال
الأقيشر :

ومثقد قوم قد مشى من شرابنا وأعمى سقينا ثلاثا فأبصرا
شرابا كريخ العنبر الورد ريحه ومسحوق هندی من المسك أذفرا
وترى أخباره في الاغانى ٨٤ ج ١٠ ، وفي الشعر والشعراء ٣٥٢ (*)

٢ - الحزبن الكنانى

هو عمرو بن عبيد بن وهيب من كنانة ، وقيل أنه مولى . وهو حجازى
مطبوع ليس من فحول طبقته . وكان هجاء خبيث اللسان ساقطا ،
يرضيه اليسر ويتكسب بالشعر وهجاء الناس ، فرب اللسان لم يخدم
الخلفاء ولا انتجع بمدح . وكان أشعر ذا بطين عظيم الانف ، على أنه مدح
بعض آل مروان غير الخلفاء . ومن ذلك قصيدة رثاة قالها في عبد العزيز
ابن مروان ، منها :

قالوا دمشق ينبئك الخير بها ثم أتت مصر فثم النائل العمم
لما وقت عليها في الجموع ضحى وقد تعرضت الحجاب والخدم

(*) وانظر الاصابة ج ٦ ، والمؤلف ٥٦ ، والمرزبانى ٣٦٩ ، والخزانة ج ٢ ص ٢٧٩

حيته بسلام وهو مرتفق" وضجة القوم عند الباب تزدهم
في كفه خيزران" ريحها عبق" من كف أروع في عرينه شم
يغضي حياءً ويغضي من مهابته فما يكلم الا حين يتسسم
وترى أخباره في الاغانى ٧٦ ج ١٤ و ٥٢ ج ١١

ومن الشعراء الخلعاء جماعة نكتفى بذكر مصادر تراجمهم :

٣ - بكر بن خارجة : مولى بنى أسد سكير ماجن سكن الحيرة . أخباره
في الاغانى ٨٧ ج ٢٠

٤ - الشمردل بن شريك : من يربوع كان مغرماً بالشراب واللهو كثير الهجو .
أخباره في الاغانى ١١٧ ج ١٢ ، والشعر والشعراء ٤٤٣

٥ - الوليد بن يزيد الخليفة : أول من وصف الخمر . أخباره في الاغانى
١٠١ ج ٦ و ٩٨ ج ٣ ، والعقد الفريد ٢٦٨ ج ٣ ، وخزانة الادب ٣٢٨ ج ١

الشعراء الممنون

لم يكن بين شعراء الجاهلية من المغنين الا الأعشى وعلس ، ولكن اقتراب
الامويين من الحضارة ونمو العلاقات بين الحجاز والشام والعراق ولدت
الموسيقى ، ونبع كثيرون من المغنين اكثرهم في المدينة ، أشهرهم :

١ - حنين الحيرى : شاعر نصراني ، كان يغنى أيام هشام . أخباره في
الاغانى ١٢٠ ج ٢

٢ - سعيد الدرامى : (تميم) شاعر ظريف من أهل مكة أيام عمر بن
عبد العزيز . أخباره في الاغانى ١٧٨ ج ٢

٣ - عبادل : مولى قريش في الحجاز لم يفارقها ، كان نبيلاً وكان يغنى .
أخباره في الاغانى ١٧٥ ج ٥

٤ - محمد بن الأشعث : من قريش كان كاتباً من فتيان أهل الكوفة
ظريفاً ينظم ويغنى ، أحب سلامة الزرقاء ونظم فيها وأخباره في الاغانى ١٢٧
ج ١٣

٥ - نصيب : مولى عبد العزيز بن مروان شاعر اشتهر بالغناء . أخباره
في الاغانى ١٢٩ ج ١ ، والشعر والشعراء ٢٤٢

٦ - ابن عائشة : من موالى آل المطلب السهمى ، كان يغنى للوليد بن
يزيد . أخباره في الاغانى ٦٢ ج ٢

الشعراء الادباء

نريد بهذه الطبقة من الشعراء من لم نستطع ادخالهم في احدى الطبقات
المتقدم ذكرها . . فهم ليسوا من شعراء السياسة ، ولا العشق ، ولا
السكر ، ولا الغناء . وهم بضعة وعشرون شاعراً ، يطول بنا ذكر تراجمهم

وخصوصا بعد أن طلل بنا الكلام في شعراء هذا العصر . . فنكتفى بترجمة اثنين منهم مع الإشارة الى المصادر التي يرجع اليها من أراد التوسيع في الباقيين

١ - القطامي

هو عمير بن شبيب من بني تغلب ، وكان نصرانيا ، عاصر الاخطل ، وله شعر من الطبعة الاولى في التشبيب والحماسة والفخر . أما في التشبيب فقوله (*) :

وفي الخدور غماماتٍ بَرَقْنَ لَنَا حتى تصيّدُنا من كل مُصْطادٍ
يقتلنا بحديثٍ ليس يعلمه من يَتَّقِن ولا مكنونه بادي
فهنَّ يَتَبَذَن من قول يَصْبِن به مواقع الماء من ذوى الغلة الصادي
وكان يمدح زفر بن الحارث الكلابي واسماء بن خارجة الفزاري . وكان زفر قد أسره ثم أطلقه ووهب له مائة ناقة ، فقال ، وفيه من كبر النفس ما فيه :

من مبلغ زفرَ القيسي مدحته عن القطامي قولا غير افنادٍ
انى وان كان قومي ليس بينهم وبين قومك الا ضربة الهادي
مثنٍ عليك بما أوليت من حسنٍ وقد تعرض منى مَقْتَلٍ ببادٍ
فان قدرت على يومٍ جزيت به والله يجعل أقواما برصادٍ
وله هجاء شديد نحا فيه نحا خاصا يدل على تفننه ، كقوله يريد هجاء قيس بالبخل من قصيدة استهلها بأنه كان مسافرا ونزل ضيفا على امرأة من قيس وانها ارتاعت لما علمت أنه ضيف سينزل عليها . . ووصف ما جرى بينهما في أسلوب جميل . وهو القائل :

والناس مَنْ يَلْتَق خيرا قائلون له ما يشتهى ولأمّ المخطيء الهبل
قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل
ومن قوله في الفخر يصف حربا مع قبيلة كلب :

وكلب تركنا جمعهم بين هاربٍ حذار المنايا أو قتيل مجدّلٍ
وأفلتنا لما التقينا بعاقِدٍ على سابحٍ عند الجراء ابنٌ بجْدَلٍ
وأقسم لو لا قيته لعلوته بأبيض قطّاع الضريبة مفصل

(*) الغريب في هذه الابيات وما يليها من نفس القصيدة : غمامات : سحابات ، أراد بها نساء جميلات ، برقن لنا : أطمعنا ، مصطاد : مصيد ، يتقن : يخفنه ، باد : ظاهر ، يبتذل : يرمي ، الغلة : حرارة العطش ، الصادي : العطشان ، افناد : كلب ، الهادي : النصل ، المرصاد : الطريق ومكان الرصد

وهو من أصحاب المشوبات ، ومطلع مشوبته :

انا محيوك فاسلم أيها الطلل وان بكليت وان طالت بك الطيل^(١)
ونجد أخبار القطامي في الاغانى ١١٨ ج ٢٠ ، والشعر والشعراء ٤٥٣ ،
والجمهرة ١٥١ (*) . وله ديوان طبع في لندن سنة ١٩٠٢ ومنه نسخة
خطية في دار الكتب المصرية وفي مكتبة برلين

٢ - ليلي الاخيلية وتوبة بن الحمير

توفيت ليلي سنة ٨٠ هـ

هي ليلي بنت عبد الله بن الرحال من بنى الاخيل من عامر . وهي
من النساء المتقدمات في الشعر ، وكان توبة بن الحمير يهاها وهو من بنى
عقيل من عامر ايضا ، فعشقا وقال فيها الشعر . . فخطبها الى ايها
فأبى أن يزوجه أياها وزوجها في بنى الادلع . فجاء يوما كما كان يجيء
لزيارتها فاذا هي سافرة ولم ير منها الا بشاشة ، فعلم أن ذلك لامر
ما كان . فرجع الى راحلته فركبها ومضى . وبلغ بنى الادلع انه اتاها
فتبعوه فقاتهم . فقال توبة في ذلك :

نأتك بليلى دارها لا تزورها وشطت نواها واستمر مريرها^(٢)
وهي طويلة يقول فيها :

وكنت اذا ماجئت ليلي تبرقت فقد رابني منها الغداة سفورها
ويحكى ان توبة رحل الى الشام فمر ببني عذرة . . فراته بثينة ، فجعلت
تنظر اليه ، فشق ذلك على جميل فطلبه للمصارعة كما يفعل الغربيون اليوم
في طلب المبارزة في مثل هذه الحال ، فتصارعا وبثينة حاضرة فغلبه جميل ،
فقال توبة : « انما صرعتني بريح هذه . انزل بنا الوادى » فنزلا فغلبه
توبة . ومن لطيف شعره في ليلي قوله :

ولو أن ليلي الاخيلية سلمت على ودوني ثرابة وصافح
لسلمت تسليم البشاشة أوزقا^(***) اليها صدئى من جانب القبر صائح
ولو أن ليلي في السماء لأصعدت بطرفى الى ليلي العيون اللوامح
وكان توبة كثير الفارات فقتل في احدى غاراته ، كما ورد في حديث طويل
ذكره صاحب الاغانى . وكانت ليلي تفد على الحجاج فتمدحه وتنال جوائزه .
واراد الحجاج أن يداعبها فقال لها : « ان شبابك قد ذهب واضمحل أمرك

(١) الطيل : الدهور
(*) وأنظر طبقات الشعراء لابن سلام ، والمرزبانى ٢٤١ ، والاشتقاق ٢٠٤ ، والمؤلف
١٦٦ ، والخزانة ج ١ ص ٢٩١ ، ج ٧ ص ١٨٨ ، وتاريخ الاداب العربية للنابيتو
(**) زقا : صاح

وامر توبة ، فأقسم عليك الا صدقتني : هل كانت بينكما ريبة قط أو خاطبك في ذلك ؟ » فقالت : « لا والله أيها الأمير الا انه قال لي ليلة وقد خلونا كلمة ظننت انه قد خضع فيها لبعض الامر فقلت له :

وذى حاجة قلنا له لا تبُحْ بها فليس اليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه وأنت لأخرى صاحب وخيل
فلا والله ما سمعت منه ريبة بعدها حتى فرق بيننا . قال لها الحجاج :
« فما كان منه بعد ذلك ؟ » قالت : « وجه صاحبها له الى حاضرنا » ،
فقال : « اذا أتيت الحاضر من بنى عبادة بن عقيل فاعل شرفا » ، ثم اهتف
بهذا البيت :

عفا الله عنها هل أبيتن ليلة من الدهر لا يسرى الي خيالها
فلما فعل الرجل ذلك عرفت المعنى فقالت له :

وعنه عفا ربي وأحسن حفظه عزيز غلبنا حاجة لا ينالها
ومن شعرها قولها في مدح الحجاج :

أحجاج لا يقلل سلاحك إنما ال منايا بكف الله حيث تراهها
إذا هبط الحجاج أرضا مريضة تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها غلام إذا هز القناة سقاها

وأخبار ليلي وتوبة في الاغانى ٦٧ ج ١٠ و ١٢٢ ج ٤ و ١٦١ ج ٧ ، والشعر
والشعراء ٢٧١ ، وفوات الوفيات ١٤١ ج ٢ ، والمستطرف ٣٤ ج ١ (*)

٣ - سائر شعراء الدور الثاني

وهاك أسماء من بقى من شعراء الدور الثاني :

٣ - ارطاة بن سهية : من ذبيان شاعر فصيح شريف صادق جواد .
أخباره في الاغانى ١٣٩ ج ١١ ، والشعر والشعراء ٣٣٢

٤ - اعشى تغلب : نصراني يسكن الشام اذا حضر وينزل بلاد قومه بنواحي
الموصل اذا بدا . أخباره في الاغانى ٩٨ ج ١٠

٥ - الجحاف السلمى : من سليم ولد بالبصرة وحضر معركة فيها ابن
الاخلط ، فهرب الجحاف الى بلاد الروم ثم عاد وعفا عنه عبد الملك . أخباره
في الاغانى ٥٧ ج ١١

(*) وانظر في أخبارهما أيضا الاشتقاق ١٨٢ ، والمؤلف ٦٨ ، ٩٣ واللالى ١١٩ ، والخزانة
ج ٣ ص ٣١ ، والمعنى ج ١ ص ٥٦٩ و ج ٢ ص ٤٧ ، ج ٤ ص ٤٥٣ ، وآمال القالى ج ١
ص ٨٦ ، وتاريخ الاداب العربية لتالينو

- ٦ - جعفر بن الزبير : شاعر مقل . أخباره في الاغانى ١٠٤ ج ١٣
- ٧ - حجية بن المضرب : (كندة) شاعر اموى . أخباره في الاغانى ج ٢١
- ٨ - سراقه بن مرداس البارقي : أخباره في الاغانى ٤٤ و ٦٧ ج ٧ و ٣١ ج ٨ (١)
- ٩ - سويد بن كراع : من عكل شاعر فارس . أخباره في الاغانى ١٢٧ ج ١١
- ١٠ - عبد الله بن ابي معقل : من الخزرج حجازى أخباره في الاغانى ١١٦ ج ٢٠
- ١١ - عبد الله بن الحشر الجعدى : سيد من سادات قيس ولى الولايات ومدحه زياد الاعجم . ترجمته في الاغانى ١٥١ ج ١٠
- ١٢ - العجاج الراجز : أخباره في الشعر والشعراء ٣٧٤ ، والاغانى ١٢٤ ج ١٨ (٢)
- ١٣ - عروة بن اذينة : من كنانة . أخباره في الاغانى ١٠٥ ج ٢١ ، وابن خلكان ٢١٢ ج ١ ، والشعر والشعراء ٣٦٧
- ١٤ - عقيل بن علفة : من ذبيان شاعر مقل جاف شديد الهوج والعجرفة والبدخ من بيت شرف في قومه . أخباره في الاغانى ٨٥ ج ١١ و ٩٩ ج ٢
- ١٥ - ليلى بنت طريف الشيبانى : رأس الخوارج . أخبارها في الاغانى ج ١١
- ١٦ - مالك بن اسماء بن خارجة : من فزارة تولى اصبهان تحت امرة الحجاج . أخباره في الاغانى ٤١ ج ١٦ والشعر والشعراء ٤٩٢
- ١٧ - مالك بن الربيع : من مازن نشأ في بادية البصرة ، وهو من أصحاب المرائى . أخباره في الاغانى ١٦٣ ج ١٩ ، والشعر والشعراء ٢٠٥
- ١٨ - محمد بن بشير الخارجى : من قيس شاعر حجازى من أهل المدينة ، كان منقطعا الى ابي عبيدة بن عبد الله بن ربيعة القرشى . قدم البصرة وخطب امرأة اشترطت عليه الاقامة بها . أخباره في الاغانى ١٤٨ ج ١٤
- ١٩ - مرة بن محكان السعدى : من تميم عاصر الفرزدق وجريرا واخملا ذكره ، كان شريفا جوادا . أخباره في الاغانى ٩ ج ٢٠ ، والشعر والشعراء ٤٣١
- ٢٠ - المقنم الكندى : شاعر جميل الخلقة شريف . أخباره في الاغانى ١٥٧ جزء ١٥

(١) له ديوان منه نسخة في دار الكتب المصرية « طبع هذا الديوان »
 (٢) له ديوان مشروح في دار الكتب المصرية وفيها كتاب خطى اسمه رجز العجاج - (وقد طبع هذا الديوان في مجموعة أشعار العرب بعناية المستشرق Ahlwardt)

- ٢١ - المهاجر بن خالد بن الوليد المخزومي : أخباره في الاغانى ١١ ج ١٥
 ٢٢ - يعلى الاحول : من القحطانية ، لص كان يقطع السابلة . أخباره في
 الاغانى ١١١ ج ١٩

٤ - الدور الثالث من الشعر

في العصر الاموى

١٠١ - ١٣٢ هـ

ویدخل فيه الشعراء الذين قضوا معظم حياتهم في أواخر الدولة الاموية، وهو دور انحطاطها وفسادها بعد أن تولاها يزيد بن الوليد وابنه الوليد بن يزيد ، والناس على دين ملوكهم . فأكثر شعراء هذا الدور أميل الى التملق والخلاعة والتهتك والقصف .. أشهرهم يزيد بن الطثيرة ، وابن ميادة ، وقد ذكرناهما بين الشعراء العشاق

وهاك سائر شعراء الدور الثالث من العصر الاموى :

- ١ - أبو حية النعمري : من عامر مدح الخلفاء في الدولتين ، وكان ساكنا في البصرة . أخباره في الاغانى ٦٤ ج ١٥ ، والشعر والشعراء ٤٨٦
- ٢ - أبو عطاء السندی : عاصر الدولتين . أخباره في الاغانى ٨١ ج ١٦ ، والشعر والشعراء ٤٨٢
- ٣ - أبو نخيلة الراحز الحماني : (تميم) نفاه أبوه فخرج الى الشام ثم اتصل بالعباسيين . أخباره في الاغانى ١٣٩ ج ١٨ ، والشعر والشعراء ٢٨١
- ٤ - جعفر بن علبة الحارثي : (كهلان) شاعر غزل وفارس . أخباره في الاغانى ١٤٦ ج ١١ ، وخزانة الادب ٣٢٢ ج ٤
- ٥ - حريث بن عتاب : من طيء ، بدوى مقل لم يتصد بالشعر للناس في مدح ولا هجاء . أخباره في الاغانى ١٠٢ ج ١٣
- ٦ - الحسين بن مطير : مولى بنى أسد شاعر فصيح مدح الدولتين . أخباره في الاغانى ١١٤ ج ١٤ ، وخزانة الادب ٤٨٥ ج ٢
- ٧ - رؤبة بن العجاج الراجز : أخباره في الاغانى ٥٠ ج ٢١ ، والشعر والشعراء ٣٧٦ (١)
- ٨ - سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت : مدح الوليد بن يزيد . أخباره في الاغانى ١٦٤ ج ٧
- ٩ - زيد بن ضبة : مولى ثقيف كان يقيم في الطائف ، مدح الوليد بن يزيد . أخباره في الاغانى ١٤٦ ج ٦

الختامة

أما وقد فرغنا من الكلام في الشعر والشعراء في العصر الأموي ، فقد رأينا أن نختم الكتاب ببضعة فصول تتعلق بالشعر والشعراء اتماما للفائدة

١ - كيف كان الشعراء يستحثون قرائحهم ؟

بهما بلغ المرء من سمو المدارك وصفاء الذهن وسرعة البديهة فإنه لا يستغنى أحيانا عن شحذ قريحته وذهنه أو استحثاث خاطره وخصوصا في الشعر ، إذ كثيرا ما تمر على الشعراء فترات لا يجدون فيها قدرة على النظم . قال الفرزدق : « قد تمر على الساعة وقلع ضرس من أضراسي أعون على من نظم بيت من الشعر » . ويرى آخرون أن الشعر مثل عين لماء أن تركتها اندفنت وأن استهنتها هتنت ، يريدون أنه لا بد للشاعر من استحثاث قريحته من وقت إلى آخر

وللشعراء طرق شتى في استحثاث قرائحهم تختلف باختلاف أمزجتهم وعاداتهم وطبائعهم (*) سئل ذو الرمة : « كيف تفعل إذا انقلد دونك الشعر ؟ » فقال : « كيف ينقلد دوني وعندى مفاتيحه ! » قيل له : « وعنهما سألتك ما هي ؟ » قال : « الخلوة بذكر الأحباب » فهذا لأنه عاشق . سئل كثير عزة : « كيف تصنع إذا عسر عليك الشعر ؟ » قال : « أطوف في الرباع المحيلة والرياض المعشبة فيسهل على أرصننه ويسرع إلى أحسنه »

وكن الاخطل يستحث قريحته بشرب الخمر . وكذلك كان يفعل كثيرون ممن كانوا يشربونها . وكانت طائفة من الشعراء تستحث شياطينها . كما فعل الفرزدق ، وقد أفحم عند سماع قصيدة حسان التي يقول فيها :

لنا الجففات الغرث يلمعن في الضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دِما

وقد أمهله قائلها ثلاثة أيام حتى يجيب عليها ، وكانت ساعة جمود على قريحته . فاضطر إلى استحثاثها ، قال : « أتيت منزلي فأقبلت أصعد وأصوب في كل فن من الشعر فكأنني مفحم أو لم أقل شعرا قط ، حتى نادى المنادي بالفجر فرحلت ناقتي ثم أخذت بزمامها فقلدتها حتى أتيت ريانا - وهو جبل بالمدينة - ثم ناديت بأعلى صوتي : أخاكم أخاكم أبا لبني يعني شيطانه ، فجاش صدري كما يجيش الرجل . . ثم عقلت ناقتي

(*) لخص المؤلف هذا الفصل من مقدمة الشعر والشعراء لابن قتيبة ، فلتراجع

وتوسدت ذراعها ، فما قمت حتى قلت مائة وثلاثة عشر بيتا « على انه كان اذا خائنه قريحته وصعب عليه الشعر ركب ناقته وطاف خاليسا منفردا وحده فى شعاب الجبال وبطون الاودية والاماكن الخربة الخالية فيعطيه الكلام قياده ..

وكان الابرد الرياحى اذا خائنه القريحة اخذ عصاه وانحدر فى الوادى ، وجعل يقبل فيه ويدبر ويهمهم بالشعر فتأتية المعانى . وكان جرير يستحث قريحته بشرب التبيذ ويتمرغ بالرمل او على الفراش ويهمهم ويحبو على الفراش عريانا حتى يخاله الناظر اليه أصيب بجثة . وسئل نصيب مرة : « اتطلب القريض أحيانا فيعسر عليك ؟ » فقال : « اى والله ربما فعلت فأمر براحلتى فيشد بها رحلى ، ثم أسير فى الشعاب الخالية واقف فى الرباع المقوية فيطربنى ذلك ويفتح لى الشعر »

ويقال نحو ذلك فى أحوال الشعر فى سائر العصور . وكان أبو تمام اذا أعبته القريحة غطس فى صهريج ماء عنده يمكث فيه ساعة

على ان لاستحثاث القريحة قواعد عامة يجرى عليها الكثيرون منها الجلوس بجانب الماء الجارى او الاشراف من الاماكن العالية والنزوح الى الاماكن الخالية أو التجول فى الرياض . وبعضهم يستنهض قواه العاقلة أو قريحته بالاستلقاء على الظهر ، وهم مجمعون فى الأكثر على مباركة العمل بالاسحار عند الهبوب من النوم

٢ - شياطين الشعراء

كان العرب يعتقدون أن لكل شاعر شيطانا يوحى اليه المعانى ، حتى لقد يتوهم الشاعر منهم أنه رأى شيطانه وخاطبه وأوحى اليه . واللهم فى ذلك أخبار طويلة ذكر بعضها فى جمهرة أشعار العرب (صفحة ١٨) وذلك مبنى على اعتقادهم بوجود الجن على طوائف ، وينسبون اليها أشعارا وأقوالا لا فائدة من ذكرها

ومن غريب اعتقادهم فى شياطين الشعراء أن للشعر شيطانين يدعى أحدهما الهوبر والآخر الهوجل ، فمن انفرد به الهوبر جاد شعره وصح كلامه . ومن انفرد به الهوجل فسد شعره ، (١) وزاد ادعائهم ذلك حتى سموا شيطان كل شاعر باسم خاص به فكان شيطان الاعشى يسمى « مسحل » (٢)

وفى كتب الادب أخبار كثيرة تدل على ما يعتقدونه من الجن وشياطين الشعر ، من ذلك أن رسولا من عند بشر بن مروان جاء جريرا فدفع اليه كتابا وقال له : « انه قد أمرنى أن أوصله اليك ولا أبرح حتى تجيب عن الشعر فى يومك ان لقيتك نهرا أو ليلتك ان لقيتك ليلا » . وأخرج اليه كتاب بشر وقد نسخ له القصيدة وأمره أن يجيب عنها . فأخذها ومكث

ليلته يجتهد أن يقول شيئا فلا يمكنه (قالوا) فهتفه به صاحبه من الجن من زاوية البيت ، فقال له : « أرعيت أنك تقول الشعر ما هو الا ان غبت عنك ليلة حتى لم تحسن أن تقول شيئا فهلا قلت :

يا بشرُ حقَّ لوجهك التبشيرُ هلا قضيتَ لنا وأنت أمبرُ »

فقال له جرير : « حسبك ، كفيتك » ومازال حتى اتم القصيدة

وذكروا عن كثير عزة انه قال : « ما قلت الشعر حتى قولته » . قيل له . « وكيف ذلك ؟ » قال : « بينما انا يوما نصف النهار أسير على بعير لي بالغميم او بقاع حمدان اذا راكب قد دنا مني حتى صار الى جنبى فتأملته فاذا هو من صفر وهو يجر نفسه في الارض جرا ، فقال لى : « قل الشعر » والقاء على ، قلت : « من أنت » قال : « انا قرينك من الجن » فقلت الشعر ..

٣ - الشعراء والقراءة

وكانت القراءة في صدر الاسلام خاصة بطبقة من الناس اهمهم حفظه القرآن ومن توخى المدنية فسكن المدن وغلبت عليه الحضارة . أما اهل البادية فيظهر أنهم ظلوا يعولون على الذاكرة وخصوصا الشعراء ، فقد كانت طائفة من فحولهم لا يقرأون وخصوصا في الجاهلية فأكثرهم كانوا اميين . أما في الاسلام بعد انتشار القراءة والكتابة فظل كثيرون من الشعراء لا يقرأون وخصوصا اهل البادية ، فلعلهم كانوا يعولون على الرواية او على التحفظ . ومن شعراء العصر الاموى الذين كانوا لا يقرأون الفرزدق ، وقد وقفنا حينما عندما تبين لنا انه لا يقرأ لعلنا بمنزلته من الشاعرية وتقدمه بين رجال الدولة . وقد تبين لنا ذلك عرضا في سياق واقعة جرت له مع مروان بن الحكم .. وذلك انه قال شعرا اساء مروان بن الحكم وهو والى المدينة ، فدعاه اليه وتوعده واجله ثلاثا وقال : « أخرج عنى » فأنشد الفرزدق :

دعانا ثم أجَلَّنا ثلاثنا كما وعدت لهلكها ثمود

قال مروان قولوا له عنى انى أجبته ، فقلت :

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها ان كنت تارك ما أمرتك فاجلس ودع المدينة انها محظورة والنحق بمكة أو بيت المقدس

فعزم على الشخصوس الى مكة فكتب له مروان الى بعض عماله مابين مكة والمدينة بمائتى دينار ، فارتاب (الفرزدق) في كتاب مروان فجاء به اليه وقال :

مروان ان مطيتى معسولة ترجو الحياء وربها لم يسأس

آتيتني بصحيفة مختومة يخشى على بها حياء النقرس
 الق الصحيفة يا فرزدق لا تسكن نسكدا كمثل صحيفة المتلمس
 ورمى بها الى مروان فضحك ، وقال : « ويحك انى امى لا تقرا فاذهب
 بها الى من يقرأها ، ثم ردها حتى اختمها » فذهب بها فلما قرئت اذا بها
 جائزة فردها الى مروان فختمها . وأمر له الحسين بن على بمائتى دينار (١)
 فتبين لنا من ذلك انه لا يقرأ ، فاذا صح ذلك عن الفرزدق فكيف بسواه .
 ويقال ان ذا الرمة أيضا كان لا يقرأ

{ - الخطابة والخطباء في العصر الاموى (*) }

ظلت الخطابة محتفظة بمكانتها في العصر الاموى لحاجة القوم الى
 استنهاض الهمم في جمع الاحزاب او تفريقها والتحريض على النهوض
 للحرب ونحوها ، فكان أكثر القواد خطباء وفيهم جماعة من ابلغ رجال
 الخطابة . . فالحجاج بن يوسف كان خطيبا بليغا زادت الخطابة عظمة
 وسطوة . وكان العراق متمردا على عبد الملك ، فلما أعجزه أمره ولى
 الحجاج عليه فدخل الحجاج الكوفة وصعد المنبر مثلثا متنكبا قوسا واضعا
 ابهامه على فمه ، واحتقر الناس . وكادوا يرمونه بالحصى فوقف وأزاح لثامه
 عن وجهه وألقى خطبته التى قال فى مطلعها : (**)

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفونى
 الى أن قال :

«أما والله انى لاحمل الشر بثقله واحذوه بنعله واجزيه بمثله . أما والله
 انى لارى رعوسا قد أينعت وحان قطافها ، وكأنى أرى الدماء بين العمام
 واللحي :

هذا أوان الشد فاشتدى زيم قد لفتها الليل بسواق حطم
 « الا وان امير المؤمنين عبد الملك بن مروان نثر كنانته فعجم عيبدانها ،
 فوجدنى أصسلبها عودا فوجهنى اليكم . فاتكم أهل بغى وشقاق ، وخلاف
 ونفاق ، طالما سمعتم فى الضلالة وسننتم سنن البغى . أما والله لالحنكم لحو

(١) الاغانى ٤٣ ج ١٩

(*) انظر فى الخطابة الاموية تاريخ الاداب العربية لنانينو ، وتطور الاساليب الشعرية
 لآفيس المقدسى ، وكتابتنا : الفن ومذاهبه فى النثر العربى
 (***) القريب فى هذه الخطبة : أنا ابن جلا : مثال يضرب للظاهر المتكشف أى ان كل
 الناس يعرفونه . وطلاع الثنايا : ثنايا الجبال ، كناية عن الجلد والقوة . الشد : العدو ،
 وزيم اسم فارس ، والسواق الحطم : الظالم لابله فى سيرها ، فكأنه يحطمها بالسير تحطيماء
 الحو : من اللحو أى القشر للعود وتهذيبه ، السلمة : شجر كثير الشوك ، كانوا يجمعونها
 عيदानا ويضربون بها الشجر لسقوط الأوراق وتحطيم العيदान . المروة : خجارة بيض
 تورى النار ، اخلق : اقدر ، فريت : قطعت

العصا ولاعصبتكم عصب السلمة ولاقرعنكم قرع المروة ولاضربنكم ضرب غرائب الابل . والله ما اخلق الا فريت ولا اعد الا وفيت . الخ »

فما فرغ من خطبته حتى هابوه وانعنوا له ، وكان شديدا عليهم وامره مشهور . ومع ذلك فقد كان اذا رقى المنبر وذكر احسانه الى اهل العراق وصفحه عنهم واساءتهم اليه ، يخيل للسامع انه صادق وأن اهل العراق ظلموه (١) . ولذلك تان الامراء والخلفاء يسافون الخطباء كما يخافون الشعراء لما في أقوالهم من التأثير في تلك النفوس الحساسة

وكان اكثر الخلفاء يخطبون لكنهم يتفاوتون في البلاغة وقوة العارضة ، على أن تلك القوة أخذت تضعف فيهم بعد الفراغ من الفتوح والانغماس في أسباب الترف والسكون الى الرخاء والبذخ . وتحولت من الحماسة الى المواعظ ثم الى الشكاية . وتداعى فن الخطابة بتداعى دولة العرب في الشرق . فما قامت دولتهم في الاندلس بعثوه وقربوا الخطباء كما قربوا الشعراء ، لكنهم قلما كانوا يستخدمونهم لانهاض الهمم او اخماد الفتن ، لذهاب الحاجة الى ذلك بذهاب البداوة والفراغ من الفتح . على انهم كانوا اذا احتفلسوا بتنصيب خليفة او بالنصر على عدو او باستقبال قادم كبير ، تقدمت الخطباء للترحيب به وأعظام شأنه ووصف ما تهيأ له من توطيد الخلافة (٢)

وأما الامراء والقواد فكانوا يخطبون في الجند قبل الاغارة على العدو ، فيحرضونهم على الثبات . وكثيرا ما كانت الخطبة سببا للنصر كخطبة خالد ابن الوليد في موقعة اليرموك ، وخطبة المغيرة في موقعة القادسية ، وخطبة طارق بن زياد في فتح الاندلس ، ونحو ذلك مما لا تسعه المجلدات

ناهيك بشيوع الخطابة في القبائل على اختلاف أصقاعها كما كانت في الجاهلية . وكانت ترد الوفود الى المدينة أو دمشق أو بغداد أو غيرها من عواصم المسلمين لتهنئة الخليفة أو استنفاذه أو استنجاده أو استجدائه . وكان شباب الكتاب اذا قدم الوفد حضروا لاستماع بلاغة خطبائهم لشيوع حب الخطابة فيهم (٣) ولاقتباس أساليب البلاغة منهم

هـ - الانشاء في العصر الأموي (*)

كان الانشاء في عصر الراشدين جامعا مانعا ، وفيه بلاغة وإيجاز كما تقدم . وقد علمت أن الدولة الاموية عززت اللغة العربية وآدابها فكانت بلاغة القول في جملة ذلك . وكان الخلفاء والامراء ينشطون اهل الأدب ، وأكثر انشائهم في المراسلات بين الخليفة وعماله يقلدون بها مكاتبات عصر الراشدين . وقد ذكرنا أمثلة من ذلك في مكانها

على أن اقتراب الدولة الاموية من الحضارة اثر في الانشاء ونوعه وأطالة ،

(١) البيان ٢٠ ج ١ (٢) نفع الطيب ١٧٥ (٣) العقد الفريد ٢٦٧ ج ٢
(*) أنظر في هذا الموضوع تطور الأساليب النثرية لانيس المقدسي ، ومن حديث الشعر والنثر لطف حسين ، والفن ومذاهبه في النثر العربي

ونشأت طائفة من الكتاب (أى كتاب الرسائل) فى الدولة فأصبحت الكتابة مهنة . وبعد أن كان الكاتب فى زمن الراشدين يتولى ضبط حساب الديوان وكتابة المراسلات ، أصبحت الكتابة فى الدولة الأموية خمسة أصناف لكل منها كاتب خاص . . ومنهم كاتب الرسائل المقصود من كلامنا هنا ، وقد يسمى كاتب السر وهو يد الخليفة وكاتبه ومستودع أسرارهِ . فكان الخلفاء يتخيرون لهذا المنصب أبلغ المنشئين . وكان للبلاغة تأثير فى سياستهم كما كان للشعر ، لأن القوم يومئذ لا يزالون فى عهد الفروسية والأريحية ، تقيمهم البلاغة وتقعدهم

ومن أشهر كتابهم سالم كاتب هشام بن عبد الملك ، وقد نقل شيئاً من رسائل أرسطو الى الاسكندر . وله رسائل فى مائة ورقة (فهرست ١١٧ ؛ وكان للأمرء كتاب ينشئون لهم الرسائل لم يصلنا من أخبارهم الا القليل . وكان الانشاء فى اثناء ذلك يتنوع ويرتقى حسب الاحوال وعملاً بناموس الارتقاء ، فلم تنقض الدولة الأموية حتى صار للانشاء فيها صفة معينة وطريقة مخصوصة وضعها أو أتمها عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان بن محمد ، وصار له أسلوب خاص نسب إليه وقلده الكتاب فيه

عبد الحميد الكاتب

هو عبد الحميد بن يحيى . . مولى من أهل الشام ، أى أهل البلاد الأصلين الذين دخلوا فى الاسلام ، فهو ليس عربياً . وكان المثل يضرب ببلاغة انشائه فى الرسائل ، فيقال فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد . وكان فى أول أمره معلم صبية يتنقل فى البلدان ، ثم ارتقى حتى صار كاتب مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين ومات معه سنة ١٣٢ هـ . ويمتاز عبد الحميد بأنه أول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات فى فصول الكتب ، فاستعمل الناس ذلك بعده وقلدوه فيه ، وله رسائل بليغة ذكر ابن النديم أنها تجتمع فى ألف ورقة لم يصل إلينا منها الا القليل (*)

وفى دار الكتب رسالة خطية تنسب لعبد الحميد المذكور

٢ - الخلاصة

والخلاصة أن الأمويين نشطوا الآداب الجاهلية ولا سيما الشعر والخطابة ، فارتقت فى أيامهم وراجت سوق الآداب بالبصرة والكوفة ، وكثر الشعراء ونظموا فى كل باب ولم يصلنا كل ما نظموا

وفى هذا العصر بدأ تكون الفقه والتفسير والنحو وضبط الخط وبدأوا بالاعجام والحركات . وفيه رسخت اللغة العربية فى المملكة الإسلامية بنقل الدواوين إليها ، وفيه بدأوا بنقل العلوم الطبيعية

(*) أنظر فى عبد الحميد رسائل البلغاء لمحمد كرد على ، وأمرء البيان له أيضاً ، وتطور الأساليب النثرية ، ومن حديث الشعر والنثر ، والفن ومذاهبه فى النثر العربى

واهم ما بين أيدينا من المؤلفات الشرعية أو اللسانية أو الأدبية أو في التاريخ والجغرافيا أو في أي علم من العلوم إنما هو من ثمار العصر العباسي التي ذكره . أما التفسير الذي ينسبونه إلى عبد الله ابن عباس ، فقد تقدمت الإشارة إليه ..

حتى الشعر الأموي فإنه لم يصلنا إلا على أيدي الرواة من أهل العصر العباسي ..

فہرست

صفحة	محتوى	صفحة	محتوى
٤١	فروع اللغة العربية	٥	تقديم الكتاب
		٧	مقدمة المؤلف
	مميزات اللغة العربية	١٣	ماهو المراد بآداب اللغة ؟
٤٢	الاعراب	١٤	أسبق الامم الى العلم
٤٤	دقة التعبير	١٨	مصادر آداب اللغة
٤٤	الاعجاز والايجاز	٢٠	آداب اللغة اليونانية
٤٥	الترادفات والاضداد	٢٢	آداب اللغة العربية وأقسامها
٤٦	السجع		آداب اللغة قبل الاسلام
٤٦	حكاية الاصوات	٢٤	الجاهلية الاولى
٤٧	الامثال	٢٧	الجاهلية الثانية
٤٨	كتب الامثال	٢٩	درجة ارتقاء عقول العرب
	الشعر في العصر الجاهلي	٣٢	المراة فى الجاهلية
٥٠	ما هو الشعر ؟	٣٤	اقسام آداب العرب قبل الاسلام
٥١	انواع الشعر		اللغة العربية
٥٣	هل عند العرب شعر تمثيلي ؟	٣٥	تاريخ اللغة العربية
٥٤	كيف بدأ العرب ينظمون الشعر ؟	٣٧	ما دخلها من الالفاظ الاعجمية ؟
٥٥	أصل وزن الشعر	٣٧	كيف كانت اللغة لما جاء الاسلام ؟
٥٨	شاعرية العرب	٣٩	الشعوب التى كانت تتكلم العربية

صفحة

٩٨	زهير بن أبى سلمى
١٠٠	النابعة الذبياني
١٠٣	أعشى قيس
١٠٥	ليبد بن ربيعة
١٠٧	عمرو بن كلثوم
١٠٨	الحارث بن حلزة
١٠٩	طرفة بن العبد
١١١	عنتره العيسى
١١٤	عبيد بن الأبرص الأسدي

الشعراء الأمراء

١١٧	الأفوه الأودي
١١٨	المهلهل بن ربيعة
١١٩	عبد يغوث
١٢٠	زهير بن جناب
١٢١	عامر بن الطفيل
١٢١	أبو قيس بن الأسلت
١٢٢	الحصين بن الحمام
١٢٢	قيس بن عاصم

الشعراء الفرسان

١٢٤	أبو مججن الثقفي
١٢٥	الأغلب العجلي
١٢٥	حاتم الطائي
١٢٦	زيد الخيل
١٢٧	سلامة بن جندل
١٢٨	علقمة الفحل

صفحة

نهضة الشعر في الجاهلية

٥٩	أسباب النهضة
٥٩	استقلال عرب الحجاز
٦١	حروبهم فيما بينهم
٦١	نهضة قريش
٦٢	أقدم الشعراء
٦٢	تنقل الشعر في الأقاليم
٦٣	تنقل الشعر في القبائل
٦٤	عدد الشعراء بالنظر إلى القبائل
٦٥	كثرة الشعر وتعدد الشعراء
٦٧	طبقات الشعراء في الجاهلية
٦٩	تقسيمهم من حيث طبقاتهم

خصائص الشعر الجاهلي

٧٣	تمثيل الطبيعة
٧٧	البلاغة في التركيب
٧٨	مذاهبهم وأساليبهم
٨٠	أبواب الشعر عندهم
٨٣	منزلة الشاعر في الجاهلية
٨٤	تأثير الشعر في نفوس العرب
٨٦	أشهر شعراء الجاهلية
٨٧	رواة الشعر
٨٧	الشعراء من حيث أغراضهم

أشهر شعراء الجاهلية

٩١	أصحاب المعلقة
٩٣	امرؤ القيس بن حجر

صفحة		صفحة	
١٤٧	ليلى العفيفة	١٢٩	عمرو بن معدى كرب
١٤٧	جليلة بنت مرة	١٣٠	قيس بن الخطيم
		١٣٠	سائر الشعراء الفرسان
	الشعراء الهجاءون		الشعراء الحكماء
١٤٨	الخطيئة		
١٥٠	حسان بن ثابت	١٣٢	أمية بن أبى الصلت
١٥٢	عبد الرحمن بن الحكم	١٣٣	ورقة بن نوفل
		١٣٤	زيد بن عمرو
	الشعراء الوصافون للخيال	١٣٥	قس بن ساعدة
١٥٤	أبو دؤاد الأيادى		الشعراء العشاق
١٥٤	طفيل الغنوى		
١٥٥	النايفة الجعدى	١٣٦	المرقش الأكبر
١٥٦	الشمخ بن ضار	١٣٨	عبد الله بن العجلان
١٥٦	عبد بنى الحسحاس	١٣٨	عروة بن حزام
		١٣٩	مالك بن الصمصامة
	سائر الشعراء الجاهليين	١٣٩	مسافر بن أبى عمرو
١٥٨	ابن اللمينة		الشعراء الصعاليك
١٥٩	أوس بن حجر		
١٦٠	التمس	١٤١	الشنفرى
١٦١	الثقب العبدى	١٤٢	تأبط شراً
١٦٢	المنخل اليشكرى	١٤٢	السليك بن السلكه
١٦٢	كعب بن زهير	١٤٣	عروة بن الورد
١٦٣	معن بن أوس		النساء الشواغر
١٦٤	الباقي من هذه الطبقة		
١٦٧	الخطابة فى الجاهلية	١٤٦	الخنساء
١٧٠	الانساب فى الجاهلية	١٤٧	خرنق بنت بلدر بن هفان

صفحة	صفحة
العصر الاموى	الاخبار او التاريخ ١٧١
٢٠٣ مميزات العصر الاموى	اسواق العرب ١٧١
٢٠٥ حال الشرق عند الفتح الاسلامى	مجالس الادب ١٧٣
اقسام آداب اللغة فى عصر بنى	العلوم الطبيعية
٢٠٨ لغوية	الطب ١٧٤
العلوم الشرعية	الاطباء ١٧٥
٢١٠ البصرة والكوفة	البيطرة والخيول ١٧٧
٢١٣ قراءة القرآن الكريم	الانواء ومهاب الرياح ١٧٧
٢١٥ التفسير	العلوم الرياضية
٢١٦ الحديث	الفلك والنجوم ١٨٠
٢١٨ الفقه	الميثولوجيا ١٨٢
العلوم اللسانية فى العصر الاموى	التوقيت ١٨٣
٢٢٠ النحو	ما وراء الطبيعة
٢٢٢ الحركات	الكهانة والعرافة ١٨٥
٢٢٥ الاعجام	القيافة وغيرها ١٨٧
٢٢٥ التاريخ والجغرافية	عصر صدر الاسلام
٢٢٧ العلوم الدخيلة	التغير الذى أحدثه الاسلام ١٨٩
الاداب الجاهلية فى العصر الاموى	تأثير ذلك فى آداب اللغة ١٩٠
٢٢٩ اللغة	الخطابة فى عصر صدر الاسلام ١٩١
٢٣٠ الشعر فى العصر الاموى	الشعر فى عصر صدر الاسلام ١٩٣
٢٣٣ مميزات الشعر الاموى	اللغة والانشاء ١٩٦
٢٣٥ شعراء قریش والتشبيب	جمع القرآن وتدوينه ١٩٨
٢٣٦ الخلفاء والتشبيب	الخط العربى وتاريخه ٢٠٠
٢٣٦ الهجاء السياسى	
٢٣٨ الهجاء الادبى	

صفحة

٢٦٩	زياد الاعجم
٢٧٠	ثابت قطنة
٢٧١	حمزة بن بيض
٢٧٢	كعب الاشقري
٢٧٣	بيهس الجرمي
٢٧٤	الكميت بن زيد
٢٧٥	أيمن بن خريم الاسدي
٢٧٦	الطرماح بن حكيم
٢٧٧	عمران بن حطان
٢٧٨	عبد الله بن الحجاج الديباني
٢٧٩	اسماعيل بن يسار النسائي

شعراء الغزل

٢٨١	جميل بن معمر
٢٨٣	عمر بن أبي ربيعة
٢٨٥	العرجي
٢٨٦	الحارث بن خالد المخزومي
٢٨٦	أبو ذهبل الجمحي
٢٨٧	ابن قيس الرقيات
٢٨٩	مجنون ليلى
٢٨٩	كثير عزة
٢٩١	ابن ميادة
٢٩٢	الاحوص
٢٩٣	قيس بن ذريح
٢٩٤	المخبل القيسي
٢٩٥	ذو الرمة
٢٩٦	يزيد بن الطثرية

صفحة

شعراء العصر الاموي

٢٤٠	الشعراء بالنظر الى قبائلهم
٢٤١	الشعراء بالنظر الى اغراضهم
٢٤٣	النعمان بن بشير الانصاري
٢٤٣	ابن مفرغ الحميري
٢٤٤	أبو الاسود الدؤلي
٢٤٥	مسكين الدارمي

فحول الشعراء

٢٤٨	الاختل
٢٥١	جرير
٢٥٥	الفرزدق
٢٥٩	الراعي
٢٦٠	أبو النجم الراجز
٢٦١	الاحوص

شعراء السياسة

٢٦٢	أبو العباس الاعمي
٢٦٤	أعشى ربيعة
٢٦٥	نابغة بنى شيبان
٢٦٥	عدي بن الرقاع
٢٢٦	أبو صخر الهذلي
٢٦٦	عبد الله بن الزبير الاسدي
٢٦٧	أبو قطيفة
٢٦٨	سائر انصار بنى أمية

الشعراء الخطباء	الدور الثالث من الشعر	٣٠٤
الاقشير الاسدى	الخطبة	٢٩٨
الحزين الكنانى		٢٩٨
الشعراء المغنون	كيف كان الشعراء يستحثون قرائهم ؟	٢٩٩
	٣٠٥	
الشعراء الادباء	شياطين الشعراء	٣٠٦
	الشعراء والقراءة	٣٠٧
القطامى	الخطابة والخطباء فى العصر	٣٠٠
ليلى الاخيلية وتوبة بن الحمير	الاموى	٣٠١
سائر شعراء الدور الثانى	الانشاء فى العصر الاموى	٣٠٢
	٣٠٨	
	٣٠٩	



طبع بقطاع
مؤسسة دار الهلال



Bibliotheca Alexandrina



0387482